العدد الثاني عشر
السنة ٢٦ • ذو الحجة ١٣٨٨ • فبراير ١٩٦٩

منبر الإسلام

الثمن ١٠ قروش

مع العدد هدية
تفسير سورتى المائدة والأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العظيم

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها

المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية

في غرة

كل شهر

عربي

العدد الثاني عشر - السنة ٢٦ ذو الحجة ١٣٨٨

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

صدق الله العظيم

من محتويات العدد

* نص خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر نصرة الشعوب العربية المنعقد بالقاهرة فى ١٩٦٩/١/٢٥
* نص الكلمة التى ألقاها السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية للمجلس الوطنى الفلسطينى المنعقد بمقر جامعة الدول العربية فى ١٩٦٩/٢/١
* حديث مع السيد سفير باكستان بالقاهرة
* السنة النبوية الشريفة
* المعوذتان : السحر والحسد والجن ودفع فرية اسرائيلية .. **الأستاذ أحمد حسين**
* انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .. **فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى**
* هاتف كريم ... **الدكتور أحمد الحوفى**
* قبسات مشرقات من حديث القرآن عن الملائكة **فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى**
* الاعجاز التشريعى فى القرآن .. **المستشار على على منصور**
* من الأشباه والنظائر فى القرآن .. **الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل**
* فى رحاب القرآن .. **فضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى**
* تكريم الاسلام للمرأة .. **فضيلة الشيخ بسيونى رسلان**
* واجب المرأة فى الاسلام .. **فضيلة الشيخ عبدالله المشد**
* بنو اسرائيل فى ميزان القرآن .. **الاستاذ البهى الخولى**
* لماذا شرع الله الحج .. **فضيلة الشيخ عبدالغنى الراجحى**
* ذو الحجة وذكرياته الخالدة .. **فضيلة الشيخ** محمود أحمد هاشم
* دراسات فى شعر المهجر .. **الدكتور عبد الحكيم بلبع**
* القاهرة وعيدها الألفى **الاستاذ عبد المنعم حماده**
* ماذا تعرف عن العالم الاسلامى .. **الدكتورة عنايات الطحاوى**
* فارس بنى شيبان (قصة العدد) .. **الأستاذ حسين الطوخى**

الاشتراكات عن سنة

١٠٠ قرش فى الجمهورية العربية المتحدة
٨٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى
تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين
الاشتراكات تدفع مقدما

العنوان
٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير بالقاهرة
تليفون ٢٨١٥٦

نص الخطاب الذى ألقاه السيد الرئيس

جمال عبد الناصر

فى الجلسة الافتتاحية

لمؤتمر نصرة الشعوب العربية

المنعقد فى القاهرة فى ٦٩/١/٢٥

معالم الطريق

ايها الاخوة

نرحب بكم فى القاهرة التى اخترتموها لمؤتمركم الذى تناديتم له من أجل نصرة الشعوب العربية واثقا ثقة كاملة انه سوف يكون دعما معنويا له قيمته بالنسبة لأمة تخوض الآن معركة من أقسى معاركها فى مواجهة نوع من اكثر أنواع الاستعمار ضراوة وحماقة .

وأعرف أيها الاصدقاء انكم تعلمون من حقائق الصراع الذى تخوضه أمتنا العربية مثلما نعلم وان هذا العلم كان دافعكم للقدوم الى هنا والوقوف بجوارنا تأييدا لنضال أمتنا وانتصارا لحقوقها المشروعة .

ولكننا مع ذلك – أيها الاصدقاء ، نتمنى أن تكون فرصة اجتماعكم مناسبة لالقاء أضواء أوسع أمام الرأى العام العالمى الواسع عن بعض الجوانب الهامة فى هذا الصراع بحيث تعرف الشعوب القريبة والبعيدة بأن الأزمة التى نواجهها تمس ما هو اكثر من مجرد أمتنا الذى يهدده العدوان وأرضنا التى وقعت أجزاء منها تحت احتلاله .

ونتمنى – أيها الأصدقاء – أن تطرحوا بعضا من الأسئلة الخطيرة المتصلة بالصراع الذى نخوضه وأن تبحثوا معنا وبمنتهى التجرد عن اجابات دقيقة لها ثم نتمنى أن تكون هذه الاجابات وعلى أوسع نطاق ممكن أمام الرأى العام العالمى خصوصا فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

هل يعقل أن تتخذ أساطير ما قبل آلاف السنين أساسا وادعاء لعملية غزو مسلح تطرد من قلب الأرض العربية شعبا بأكمله هو شعب فلسطين وتهدد بنفس المصير شعوبا أخرى تقع بين النيل والفرات حيث تدعى اسرائيل بملكها الموعود ؟

هل الخرافات والدعاوى الأسطورية هى السبب أو أن السبب هو الاستعمار الذى يريد ان يسيطر على منطقة من أهم المناطق فى العالم استراتيجيا واقتصاديا وسياسيا ، ومن ثم فهو يقطع امتدادها بفرض وجود غريب فى قلبها يحول دون وحدتها ويتخذ قاعدة مستمرة لتهديدها ؟ ما هى العلاقة بين الحركة الصهيونية وبين القوى العالمية المسيطرة والراغبة فى السيطرة ابتداء من المانيا

اعضاء المؤتمر يحيون الرئيس جمال عبد الناصر

القيصرية وبريطانيا الاستعمارية والولايات المتحدة الامريكية بالنزعات الامبريالية التى طبعت سياستها والتى تمثل حرب فيتنام نموذجا داميا من نماذجها .

هل عرف فى التاريخ العربى فى يوم من الايام اعداء للسامية أو اضطهاد لليهود أو ان اليهود لم يعرفوا التسامح معهم فى تاريخهم كله أكثر مما عرفوه على الأرض العربية بل هل كان العرب من اكثر الشعوب تعاطفا مع اليهود فيما عانوه من اضطهاد العنصرية النازية وأساليبها .. ويصبح السؤال المتصل بذلك مباشرة هو :

هل يتحتم على العرب ان يتحملوا هم تبعية الاضطهاد النازى لليهود فيدفعون وطنا من أوطانهم ثمنا لذلك . ثم أن تستعير العنصرية الصهيونية من العنصرية النازية كل منطقها وكل اساليبها .وهل لا يكون فى مقدور الانسان أن يتعلم من جلاديه فيصبح صورة أسوأ لهم وتكرارا مشينا لهم فكرا .. وعملا .

هل كان العرب هم البادئين بالعدوان مرة فى تاريخهم ؟ هل بدأوا بالعدوان سنة ١٩٤٨؟ هل بدأوا بالعدوان سنة ١٩٥٦ وتواطأوا فيه مع دول كبرى ! وهل بدأوا به سنة ١٩٦٧ ؟ هل حدث فى أى مشكلة دولية وصلت الى حد القتال المسلح ان اصدرت الأمم المتحدة قرارا بوقف اطلاق النار دون أن تنص فيه على عودة القوات المتحاربة الى المواقع التى كانت فيها قبله ؟

واذا كان ذلك فلماذا حدث بالنسبة لنا . ؟ هل حدث فى العالم من قبل أن وقف المعتدى يمثل دور المعتدى عليه . وداعية الارهاب العسكرى يمثل دور طالب الأمن المهدد فى وجوده ؟

هل حدث من قبل أن استهترت دولة بقرارات الأمم المتحدة ولمجلس الأمن التابع لها ولمبادىء القانون الدولى بمثل ما فعلت اسرائيل !

وهل كان ذلك يقبل من جانب أى طرف من الأطراف فى عالمنا المعاصر ، وان كان ذلك فلماذا يقبل من اسرائيل ؟ هل حدث من قبل أن أصبح الذين ينادون بتحرير أوطانهم من احتلال أجنبى وقع عليها فى صورة من يرفض السلام ويهدد النظام الدولى المستقر ؟

أخطر ما تواجهه الأزمة هو مؤامرة تشويه الحقيقة وهذا يقتضى من أصدقاء الحقيقة عملاً يمتد على جبهة عريضة ....

واننا نقول بالتزامنا بتحرير أرضنا وتعتبر اسرائيل ذلك بمثابة اعلان للحرب . ونقول بالتزامنا باستعادة حقوقنا ، وتعتبر اسرائيل ذلك عدوانا من جانبنا لايحتمل .

أيها الاصدقاء :

هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كثيرة غيرها نتمنى ان تطرحوها للبحث وأن تجيبوا عليها وان تسألونا فيها ثم ان يسمع منكم العالم على أوسع نطاق لمحة من الحقيقة التى نعانى الآن اكثر من غيرها فى أزمة الشرق الأوسط .

ان هذه الأزمة تواجه بين اخطر ما تواجه مؤامرة تشويه تمسخ الصورة وتعكس ألوانها ، أو مؤامرة صمت فى أحسن الأحوال ، تحاول أن تقيم سدا منيعا لايستطيع أن ينفذ منه شعاع ضوء .

ونحن نعلم ان الحقيقة لها اصدقاء فى العالم وان أصدقاء الحقيقة على استعداد للعمل من أجلها .وفى هذه القاعة بهذا الجمع الممتاز من حضورها شاهد على ذلك لاتخطىء دلالته .

لكن الأمور تقتضى جهودا أوسع وعملا يمتد على جبهة عريضة ، ذلك أن أكثر ما هو لازم الآن للقضية التى تناديتم لنصرتها هو أن يظهر وجه الحقيقة وان تبين جميع تفاصيلها وأن يتاح لكل ذوى النوايا الطيبة فى عالمنا أن يحددوا مواقفهم منها على هدى وعلى نور .

ان اعداء الحقيقة يملكون وسائل مخيفة يعملون بها كما يملكون اجهزة ضخمة تستطيع خدمتهم فى ذلك وتسخر لهذه المهمة أحدث ما وصل اليه العلم الحديث من الوسائل المادية النفيسة .

لكن الحقيقة فى النهاية تنتصر بأصدقائها والمؤمنين بها والذين يستطيعون أن يحملوا رسالتها الى الآفاق الممتدة .

أيها الأصدقاء :

اننا نقدر كل التقدير مجيئكم الى وطننا لعقد هذا المؤتمر ، ونشعر بالاعتزاز لكل المشاعر التى تحرك جهودكم ، ونؤمن واثقين أن هذه الجهود سوف تكون من أكبر القوى الدافعة للحقيقة وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله .

نص الكلمة التى ألقاها السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية للمجلس الوطنى الفلسطينى

المنعقد بمقر الجامعة العربية فى ١ فبراير ١٩٦٩

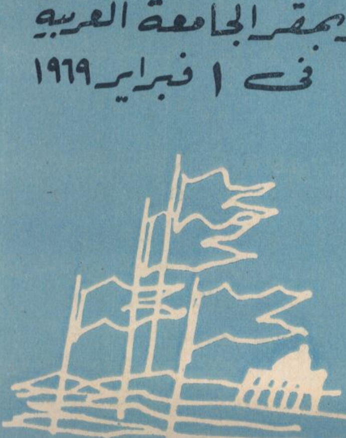

أيها الاخوة من رفاق النضال والمصير المشترك -
لقد أسعدنى الى ابعد حد ان ألبى دعوتكم الكريمة لحضور الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطنى الفلسطينى الذى ينعقد اليوم فى القاهرة فى ظرف بالغ الأهمية بالغ الخطر فى نفس الوقت بالنسبة لعمل أمتنا العربية وكفاحها من أجل أشرف المبادىء وأقدس الحقوق ، وفضلا عن أن مشاركتى لكم فى هذه المناسبة تعطينى فرصة الترحيب بكم فى هذا البلد الذى أعطى وسوف يعطى كل شىء وبغير حدود وبغير تحفظات لمعركة المصير العربى فان ذلك سوف يعطينى الفرصة لكى أحدد أمامكم بعض فكرنا فى مجموعة من المسائل التى تكتسب أهمية مضاعفة فى هذا الظرف الهام والخطر ، وأود أمامكم ايها الاخوة ان اطرح بعض النقط على النحو التالى :

أولا : أن الامة العربية كلها يجب أن تعلم وتلك عبرة ايجابية من دروس معركة ٥ يونيو أن القضية ليست قضية شعب فلسطين وحده وانما القضية تمتد بعد ذلك الى أوسع وأبعد من ذلك لان العدو الصهيونى يسعى فعلا الى تحقيق هدفه التوسعى بين النيل والفرات وبالتالى ان مشاركة بقية شعوب الأمة العربية فى هذا الصدام بين القومية العربية والعنصرية الصهيونية ليس مجرد عاطفة حيال الشعب الفلسطينى وانما هو دفاع عن النفس فى أى وطن عربى ٠

فلسطين نقطة البداية

ان المخطط الصهيونى اتخذ من أرض فلسطين نقطة بداية ولن يتورع عن دفع هدفه حتى النهاية طالما أتيحت له الفرصة وهو يتصورها اليوم متاحة له بعد نكسة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ويترتب على ذلك أن يكون واضحا بالنسبة لكل بلد عربى انه لايعطى النضال الفلسطينى ما يعطيه منة أو تكرما أو لمجرد التضامن العاطفى ، وانما هو يعطى ما يعطيه دفاعا عن النفس ودفاعا عن الحياة فى اطارها الوطنى وفى بعدها القومى ٠

الكيان الفلسطيني نقطة تحول هائلة في المعركة

الرئيس جمال عبد الناصر يرد تحية اعضاء المجلس الوطنى الفلسطينى

ثانيا : ان ابرز النتائج الايجابية لما بعد معارك يونيو سنة ١٩٦٧ هو ظهور الكيـــان الفلسطينى بطريقة مجسدة لأول مرة منذ سنة ١٩٤٨ ولقد كانت تلك من اكثر نقاط الضعف فى النضـــال العربى الشامل الذى كانت فلسطين بطبيعة الحال أهم ميادينه ولسوف يسجل التاريخ لشعب فلسطين الذى جاهد طويلا وقاتل بغير هوادة فى معارك غير متكافئة ، انه فى الوقت الذى ظن العدو أنه نجح فى تصفية وجوده باحتلال كل أرضه فان هذا الشعب بحيوية أصيلة وبارادة حياة لاتقهر انقض واقفـــا يملأ ساحة النضال كلها ببطولة باهرة ، ان جماهير الضفة الغربية ، وجماهير غزة ، وجماهير القدس، تسجل كل يوم بل كل ساعة صفحات عظيمة فى التاريخ العربى يكتبها الرجال والنساء والشيـوخ والشباب وحتى الأطفال بالصمود وبالمقاومة وبتحمل المكاره وبالرفض القاطع المستمر للاحتلال وللاستسلام

ثالثا : ان تعاظم دور المقاومة الفلسطينيـــة كان وسوف يكون نقطة تحول هائلة فى النضال العربى، أن المقاومة الفلسطينية قامت بعمل عظيـــم متعدد الجوانب ، رفعت مشعل المقاومة ، بعد الظـــلام

الكثيف الذى ساد أرضنا بعد النكسة وأبقت جذوة الأمل مضيئة فى قلوب ملايين من المحيط الى الخليج ثم أوضحت للعالم كله ان احتلال الأرض شىء يختلف اختلافا كبيرا عن تحطيم الارادة واحتلال الروح ثم بعثت الكيان الفلسطينى موجودا وحيا وشريكا متكافئا فى معركة المصير ، وفوق ذلك كله ، وآثاره السياسية والمعنوية البعيدة فان المقاومة حققت هدفين مباشرين :

أولهما : أنها بعملياتها النشيطة ألحقت بالعدو خسائر لايستهان بها وأهمها خسارته فى احساسه بالأمن الذى تصور أنه وطد دعائمه بانتصاره العسكرى الرخيص فى يونيو سنة ١٩٦٧

والثانى : انها استطاعت بجهد مستنير ازاء الرأى العام العالمى أن تضع قضية شعب فلسطين فى مكانها الصحيح باعتبارها قضية من أهم قضايا التحرير الوطنى فى العالم وما من شك أن هذه الأهداف السياسية والمعنوية التى تحققت الى جانب الأهداف العملية المباشرة تعطى الشعب الفلسطينى دورا أكبر فى صنع المستقبل وفى تشكيله وفق أمانى الأمة العربية ومطالبها المشروعة ٠

رابعا : وفى حديثى أمام مجلس الامة المصرى بتاريخ ٢٠ يناير سنة ١٩٦٩ ، فلقد أوضحت موقف الجمهورية العربية المتحدة من المقاومة الفلسطينية ويتلخص هذا الموقف فى خطوط محددة ، يشرفنى أن اذكركم بها ، ان الجمهورية العربية المتحدة تقدم للمقاومة الفلسطينية كل عون مادى ومعنوى بغير حدود وبغير تحفظات وبغير شروط ٠ ان الجمهورية العربية المتحدة تتمنى توحيد عمل المقاومة الفلسطينية ولكنها تعتبر - وتلك تجربة مستفادة من حركات تحرير وطنية كبرى شاركت وساهمت الجمهورية العربية المتحدة فى مساندتها ودعمها أن عملية التوحيد يجب ان تتم بالجهد السياسى لقوى الشعب الفلسطينى وحدها بغير ضغط من الخارج أو احراج من أى نوع ٠

ان الجمهورية العربية المتحدة تعارض بطريقة قاطعة اية محاولة لفرض اية وصاية على منظمات المقاومة لأن مثل هذه الوصاية لن تؤدى الا الى تعويق انطلاق المقاومة ومن ثم اعتراض نموها الطبيعى ٠

واخيرا فان الجمهورية العربية المتحدة تقدر موقف منظمات المقاومة فى رفضها لقرار مجلس الامن الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ الذى قبلت به الجمهورية العربية المتحدة نفسها ٠

وكما قلت فى مجلس الأمة واكرر امامكم الآن ٠ لقد كان من حق منظمات المقاومة الفلسطينية أن ترفض هذا القرار ، ان هذا القرار قد يكون كافيا لمواجهة ازالة آثار العدوان الذى تم فى يونيو ١٩٦٧ لكن هذا القرار ليس كافيا للمصير الفلسطينى ونحن نرفض كل تفسير لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يحصرها فى اطار الاحسان والشعور الانسانى ٠

ان قضية اللاجئين ليست على هذا المستوى وحده ولن تكون كذلك لأنها قضية شعب وقضية وطن ٠ **ولست أجد فى هذا الموقف من الجمهورية العربية المتحدة تناقضا مع قرار مجلس الامن الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بل على العكس فان هذا الموقف يزيل التناقض بين قرار مجلس الأمن وبين الحق التاريخى والطبيعى والحتمى للشعب الفلسطينى**

امكانيات القتال

خامسا : اننا نخوض معركة معقدة متشابكة تجرى على أرض وعرة ومتفجرة وليس هناك طريق واحد نستطيع ان نسلكه لتحقيق أهداف أمتنا العربية وانما هناك طرق متعددة نحو هذه الأهداف واستعدادنا لاستعادة أراضينا الضائعة بالقوة لايمكن أن يعطل عملنا السياسى لاستعادة ماضاع منا اذا كانت للعمل السياسى وسيلة أو فرصة ان الاستعداد بامكانيات القتال لا ينبغى أن يعطل استعدادنا بامكانيات السياسة ولكن الخطر أن نجعل الاستعداد للسياسة يعطل الاستعداد للقتال ٠

ذلك أنه فى نهاية المطاف تبقى حقيقة واحدة على ساحة الشرق الأوسط حقيقة لا شريك لها

توحيد العمل الفلسطيني يجب أن يتم بالجهد السياسي لقوى الشعب الفلسطيني وحدها

سوف نعطي كل شيء بغير حدود وبغير تحفظات لمعركة المصير العربي .

الاستعداد بامكانيات النضال لاينبغي أن يعطل الاستعداد بامكانيات السياسة ولكن الخطر هو العكس

ولا بديل ولا شبهة عليها، ولا ظل يلحق بها، هذه الحقيقة **هي ضرورة استعادة أرضنا وتطهيرها الى آخر شبر منها تطهيرا كاملا ونهائيا ، وأريدكم أن تعرفوا أن تحضير أرض المسرح سياسيا لا يقل اهمية عن تحضير ارض المسرح عسكريا .**

وفي ذلك فان علينا أن نتسلح بوعي عميق مرن ولكن بغير تفريط ، متحرك ولكن بغير الاستسلام قادر على كسب الاصدقاء على كل أرض بغير تضحية بالمبدأ ، ساع الى السلام مع ادراك قاطع بان السلام ليس سلام العدو الذي يريد فرضه ولكن السلام سلام العدل وسلام الحق لأنه بالعدل وبالحق يصبح سلام الحقيقة .

انتصار مناف للطبيعة

اننا خسرنا معركة في يونيو ١٩٦٧ ولكن العدو لم يكسب الحرب في يونيو ١٩٦٧ لأنه عجز عن أن يفرض أوضاع سياسية تتناسب في تقديره مع انتصاره العسكري .

ولقد كان السبب الأساسي في ذلك أن انتصاره العسكري كان منافيا للطبيعة ومنافيا للمنطق ومنافيا لأي حساب من حسابات القوى ، ولست أريد أن أستفيض في شرح أسباب انتصار العدو العسكري وهزيمتنا نحن عسكريا في يونيو ١٩٦٧ تلك مسائل تكلمت فيها في غير هذا المجال وسوف يتولى التاريخ فيما بعد تحليلها وتقييمها بدقة لاتخطىء ونزاهة لا تحابي لكن المهم أن العدو لم يستطع لأن أمتنا وحق أمتنا وصلابة أمتنا وامكانيات أمتنا طبيعيا وسياسيا ومعنويا واقتصاديا كانت أكبر بكثير من كل مالديه وبالتالي فانه استطاع أن يكسب معركة ولكنه عجز ان يكسب حربا ، وعلينا نحن ان نعيد توجيه امكانياتنا وان نعيد حشدها لتصحيح ما وقع ولتجاوزه .

ايها الأخوة من رفاق النضال والمصير المشترك يبقى موضوع اعرف انه يدور في خواطركم ويلح على أفكاركم — فانني أريد أن أطمئنكم الى أن الجمهورية العربية المتحدة تعمل وتبني وتقوى ولا أقول أكثر من ذلك متأكدا من ثقتكم راجيا من الله جل وعلا أن يكون معنا عونا وهاديا وناصرا . وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أعضاء المجلس الوطني يستمعون الى خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر

حديث مع السيد

اقبال أحمد آخند

سفير

باكستان

بالقاهرة

السيد اقبال أحمد آخند سفير باكستان بالقاهرة دبلوماسى ماهر وعالم فى الاقتصاد والعلوم السياسية وقد انعم عليه بنيشان (تمغة باكستان) للخدمات المتعددة التى اداها لبلاده •

وقد التحق سيادته بالسلك السياسى الباكستانى عام ١٩٤٩ وعمل فى سفارات باكستان فى أوتاوا ومدريد ولاهاى ، ثم فى جدة ، وبعدها عاد الى بلاده حيث تولى منصبا هاما بوزارة خارجيتها • وبعد ذلك اوفد سيادته الى كوالالمبور ثم الى مقر البعثة الباكستانية الدائمة فى الامم المتحدة وكان سيادته عضوا فى وفد باكستان لدى مجلس الامن حيث ناقش مشكلة كشمير ، كما كان ممثل بلاده لدى اللجنة الاستشارية لشئون الكونغو وعضوا فى الهيئة التنفيذية الخاصة بالاجراءات الادارية والمالية بالامم المتحدة • ثم عاد سيادته ثانية لوزارة الخارجية واشترك فى مؤتمر طشقند الذى انعقد فى يناير ١٩٦٦ • وفى اكتوبر ١٩٦٦ عين مديرا عاما لشئون آسيا ، وبقى فى هذا المنصب الى ان عين اخيرا سفيرا لباكستان بالجمهورية العربية المتحدة •

وفى حديث خاص مع السيد السفير أوضح سيادته ان العلاقات بين باكستان والدول العربية تقوم على روابط الدين والتاريخ والثقافة وان هذه الروابط تعززها المبادىء التى يعتنقها البلدان بالنسبة لكفاح الشعوب من أجل تقرير مستقبلها بنفسها ثم برابطة الكفاح الطويل الذى قاما به من اجل تحرير نفسيهما من ربقة الاستعباد •

وقد دأب حزب الرابطة الاسلامية على الاهتمام التام بقضية فلسطين منذ أن اعلن وعد بلفور • وقد طالب هذا الحزب مرارا بوجوب سحب هذا الوعد كما طالب بالغاء الانتداب على فلسطين ومقاطعة البضائع البريطانية كدليل على استنكار سياسة بريطانيا •

ومع أن مسلمى شبه القارة كانوا يناضلون من اجل تحرير انفسهم من الاستعمار الاجنبى ومما كان يتهددهم فى الداخل الا انهم لم ينسوا فى يوم من الايام اخوانهم العرب فى كل مكان ، فراحوا يؤيدون عرب فلسطين باشتراكهم فى المؤتمرات التى عقدها العرب فى بيت المقدس • ونحن لاننسى ما ابداه زعماؤهم من تأييد تام لهذه القضية • ومما اذكره فى هذا الصدد ان محمد اقبال ـ الشاعر الفيلسوف الذى كان أول من فكر فى وجوب تأسيس باكستان ـ قد اشترك فى مؤتمر للعرب اقيم بفلسطين ، وكان قد وجه أنظار العالم الى ما يتهدد هذه المنطقة من خطر صهيونى حتى قبل ان تتبلور هذه القضية • فقد بعث فى ٧ اكتوبر ١٩٣٧ ـ أى قبل ١١ سنة من حرب فلسطين ـ برسالة الى القائد الأعظم محمد على جناح مؤسس باكستان ، أوضح له فيها انقضية فلسطين تزعج نفوس المسلمين • وطالب حزب الرابطة الاسلامية باتخاذ قرار قوى حول هذه القضية وعقد مؤتمر خاص لاتخاذ موقف ايجابى تشترك فيه الجماهير بأعداد كبيرة • وكان مما قاله فى هذه الرسالة أنه لايخشى الذهاب الى السجن وهو بسبيل دفاعه عن هذه القضية التى تهم المسلمين اجمعين •

ولم يقتصر تأييد باكستان للعرب على هذه القضية وحدها ، الأمر الذى نم عن العرى الوثيقة التى تربط بينها وبين العرب والمسلمين كافة ، بل تعداها الى تأييد الدول العربية الأخرى • وقد اشتركت مع مصر فى مرحلة انتقالها الى دور الاستقلال والسيادة كما حدث فى السودان وفى ليبيا ومراكش وتونس وغيرها •

والواقع أن تأييد باكستان لقضايا العرب انما هو تأييد للمبدأ الذى تعتنقه مع جميع الدول المحبة للسلام ، فباكستان تؤمن بوجوب حل قضايا الشعوب المضطهدة على أساس ممارستها لحقها فى تقرير مستقبلها بأنفسها وهذا الحق تطلبه لعرب فلسطين ولأهل كشمير ، ولذلك ايضا فانها تحارب العنصرية فى روديسيا وفى جنوب افريقيا وتطالب باستعادة اهالى البلاد لحكم انفسهم بأنفسهم •

وباكستان لا تطالب بأكثر من تنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة بالمشكلات الدولية ، وذلك لانها تعتقد اعتقادا جازما بوجوب سيادة حكم القانون والعدالة الدولية وتطبيق ميثاق الامم المتحدة

وقد احدث العدوان الاسرائيلى على الدول العربية قلقا بالغا وموجة من الاستياء والاستنكار الشديدين بباكستان . وكان موقفا غريزيا هذا الذى وقفته باكستان فى هذه الاثناء ، مما دعا الرئيس محمد ايوب خان الى ان يتعهد بتأييد القضية العربية تأييدا كاملا ، الامر الذى عده (واجبا) و (التزاما) فى وجه عدوان اسرائيل السافر •

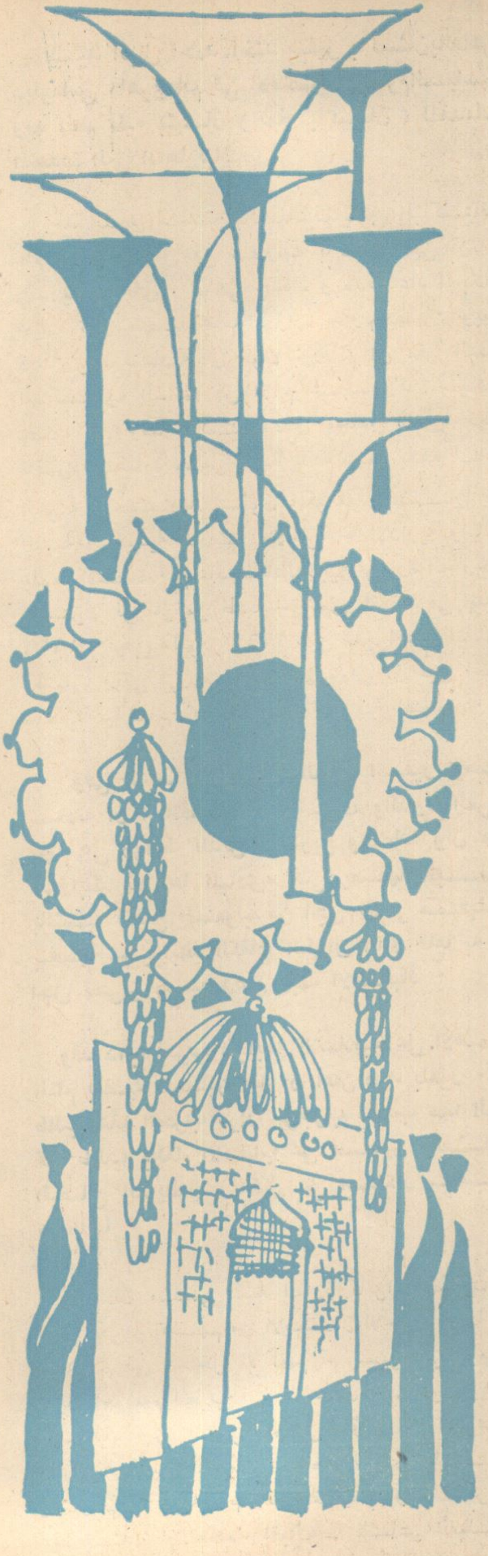

وانى لأذكر فى هذا الصدد القرار الذى تبنته باكستان فى الامم المتحـــدة واقره مجلس الامن بالاجماع وطالب باعادة الاراضى العربية والامـاكن الاسلامية المقدسة . وكذلك فقد ايدت فى الدورة الخاصة للجمعية العامة التى انعقدت فى العـام الماضى مشروع القرار الروسى .

ولان باكستان عضو فى مجلس الامن وصديق مخلص للعرب فقد ايدت فى كل مكان ـ داخـل الامم المتحدة وخارجها ـ عودة الاراضى المحتلة الى اهلها وازالة آثار العدوان الاسرائيلى منها .

واختتم السفير حديثه بقوله ان ايام الاستعمـار واستغلال بعض الدول لدول أخر ولت وانقضت والواجب ترك الشعوب لتقرر مصيرها بنفسها . وقال ان مبدأ تقرير المصير طبق فى بعض اجزاء العـالم وان من المحتم ـ كما يشهد التاريخ ـ ان تفـوز الشعوب المناضلة من اجل تحرير نفسها بممارسة حقها فى تقرير مصيرها برغم ما تقوم به الـدول الاستعمارية لمنعها من ذلك .

والواقع ان ليس هناك حل للمشكلات الدولية المعقدة الا بتطبيق مبادىء ميثاق الامم المتحـدة واحترام الالتزامات التى نصت عليها الاتفاقيـات الدولية .

ان مبادىء الامم المتحدة لاتعرف دولا كبيرة ودولا صغيرة ، انها لا تهدف الا الى اقرار السلام واشاعة العدالة وتحقيق المساواة ، الامر الذى لايمكن للبشرية ان تزدهر وتنمو بدونه .

وقال السفير أن مصر وباكستان بلدان ناميان وقد وصلا الى مستوى رفيع فى مجالات الصناعة والثقافة والتعاون المثمر ، وقال ان علينا الا نتطلع الى الغرب والا نعتمد على مساعداته بل ان نعتمـد على مواردنا القومية وعلى التعاون المفيد بيننا . وقال سيادته ان هناك مجالا لتعاون كبير بين البلدين ، واننا لم نستغل هذا التعاون ولا موارد بلادنا الى الآن الاستغلال التام الكامل .

محمد
صلى
الله
عليه
و
سلم

السنة النبوية الشريفة

الباب الرابع

من وفاة أبي طالب وخديجة إلى الهجرة

وفاة أبى طالب وخديجة وموقفه عليه السلام من قريش فى مرض أبى طالب

عن ابن عباس قال :

(مرض أبو طالب ، فأتته قريش ، وأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ، وعند رأسه مقعد رجل ، فقام أبو جهل فقعد فيه ، فقالوا : ان ابن اخيك يقع فى آلهتنا ! قال : ماشأن قومك يشكونك ؟ قال :

(ياعم ، أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب ، وتؤدى العجم اليهم الجزية) ، قال : ماهى ؟ قال : (لا اله الا الله) فقاموا ، فقالوا : أجعل الآلهة الها واحداً ؟ قال : ونزل : (ص والقرآن ذى الذكر) فقرأ ، حتى بلغ : (ان هذا لشىء عجاب (1))

رواه أحمد وصححه الترمذى والحاكم (الفتح الربانى ج ٢٠ ص ٢٣٥) .

---

(1) تمام الآيات : « ص والقرآن ذى الذكر ، بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ، كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ، وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب »

وقد توفى ابو طالب فى هذا المرض كما توفيت خديجة فى نفس المدة . فكانت وفاتهما فى عام واحد . وبموتهما تتابعت على رسول الله صلي الله عليه وسلم المصائب . فلقد كانت خديجة له وزير صدق على الاسلام ، يشكو اليها . وكان عمه له عضدا وحرزا فى أمره ومنعة وناصرا على قومه وقد كان ذلك قبل هجرته عليه السلام الى المدينة بثلاث سنين ، فبذلك نالت قريش منه عليه الصلاة والسلام ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب ، حتى لقد اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر علي رأسه ترابا ، فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب علي رأسه ، فقامت اليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : « لا تبكى يا بنية فان الله مانع أباك » . وكان يقول بين ذلك : « ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتي مات أبو طالب ».

زواج النبى صلى الله عليه وسلم بعائشة وسودة وبناؤه بسودة

(عن عائشة قالت : تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم متوفى (١) خديجة قبل مخرجه الى المدينة بسنتين أو ثلاث وأنا بنت سبع سنين) • رواه أحمد •

حدثنا أبو سلمة ويحيى قالا :

(لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون ، قالت : يارسول الله ، الا تزوج ؟ قال : (من أنت ؟) قالت : ان شئت بكرا وان شئت ثيبا ، قال : فمن البكر ؟) قالت : ابنة أحب خلق الله عز وجل اليك ، عائشه بنت أبى بكر ؛ قال : (ومن الثيب ؟) قالت : سودة ابنة زمعة ، قد أمنت بك واتبعتك على ماتقول ، قال : (اذهبى فاذكريهما على) فدخلت بيت أبى بكر فقالت : يا أم رومان (٢) ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قالت وماذاك ؟ قالت أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ! قالت : انتظرى أبابكر حتى يأتى ، فجاء أبوبكر فقالت : ياأبابكر ماذا ادخل

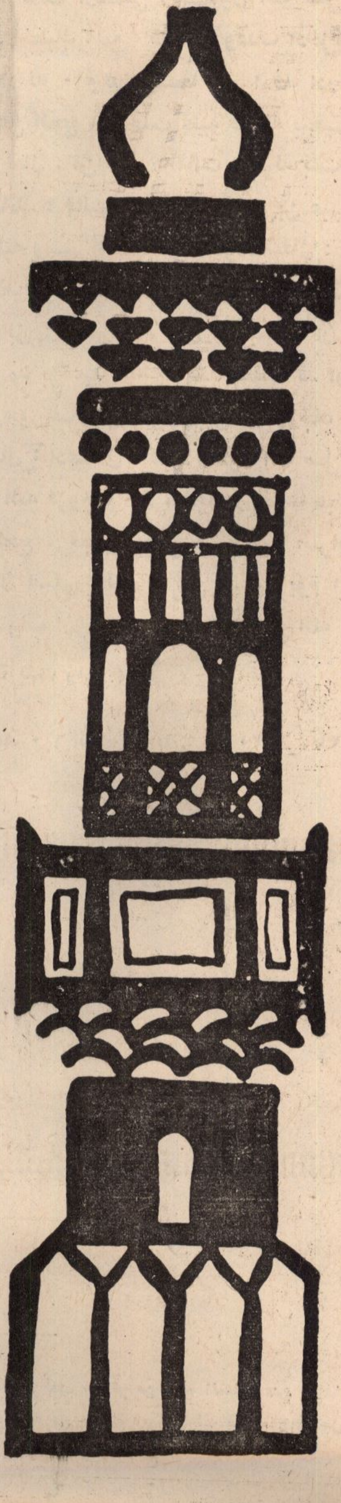

---

١ ـ متوفى خديجة : أى عام وفاتها •

٢ ـ أم رومان : هى زوج أبى بكر وام عائشة

الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال : وماذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة) قال : وهل تصلح له ؟ انما هى ابنة أخيه ، فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، قال : (ارجعى اليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أخى فى الاسلام ، وابنتك تصلح لى) ٠٠

فرجعت فذكرت ذلك له ؛ قال : انتظرى ، وخرج قالت أم رومان : ان مطعم بن عدى قد كان ذكرها على ابنه ، فوالله ماوعد وعدا قط فأخلفه لأبى بكر ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الفتى ، فقالت : ياابن أبى قحافة ، لعلك مصب(١) صاحبنا ـ مدخله فى دينك الذى انت عليه ـ أن تزوج اليك : قال أبو بكر لمطعم بن عدى : أقول هذه تقول قال: انها تقول ذلك(٢) فرجع من عنده وقد أذهب الله عز وجل ماكان فى نفسه من عدته التى وعده ، فرجع فقال : ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته ، فزوجها اياه ، وعائشة يومئذ بنت ست سنين ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة ، فقالت : ماذا ادخل الله عزوجل عليك من الخير والبركة: قالت: وماذاك ؟ : قالت أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه ، قالت : وددت ادخلى الى ابى فاذكرى ذاك له ٠ وكان شيخا كبيرا قد ادركه ، قد تخلف عن الحج ، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ فقالت : خولة بنت حكيم قال فما شأنك ؟ قالت : أرسلنى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه سودة ، قال : كفء كريم ، ماذا تقول صاحبتك ؟ قالت : تحب ذاك ، قال ادعيها الى ؛ فدعوتها ، قال أى بنية ، ان هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد ارسل يخطبك ، وهو كفء كريم ؛ أتحبين أن أزوجك به ؟ قالت نعم قال : ادعيه لى ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فزوجها اياه ، فجاءها أخوها عبد بن زمعة من الحج ، فجعل يحثى فى رأسه التراب ؟ فقال بعد ان اسلم : لعمرك انى لسفيه يوم احثى فى رأسى التراب أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة)

رواه أحمد ٠ (الفتح الربانى ح ٢٠ ص ١٣٧ ٠

١ ـ مصب : اى مائل به عن دينه .

٢ ـ لما أظهرت أم الفتى تخوفها على ابنها اذا تزوج عائشة أراد أبو بكر أن يعرف رأى مطعم « أبى الصبى » فقال له مطعم « انها تقول ذلك » ففهم أبوبكر من هذه العبارة عدم موافقة مطعم علي زواج ابنه من عائشة ، ورأى انه قد صار فى حل من وعده السابق له .

التشريع - الفقه - الأبحاث
الدراسات الصوفية فى الإسلام

المعوذتان

السحر والحسد

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

- قل أعوذ برب الفلق
- من شر ماخلق
- ومن شر غاسق اذا وقب
- ومن شر النفاثات فى العقد
- ومن شر حاسد اذا حسد .

سورة مكية

الذى فى المصحف الموجود بين أيدينا أن السورة مكية وهو الذى به نأخذ ونرفض ماعداه ؛ فان الذين يقولون عن السورة انها مدنية ، انما يستندون على قصة مزعومة من قبيل الاسرائيليات التى امتلأت بها التفاسير ، والتى سنتعرض لمناقشتها ودحضها بالتفصيل فى آخر هذا البحث .

فى فضائل السورة :

روى مسلم والامام أحمد عن عقبة بن عامر : بينا أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم فى نقب من تلك النقاب اذ قال لى : ياعقبة ألا تركب ؟ قال فأشفقت أن تكون معصية ، قال فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت هنيهة ثم ركب ؛ ثم قال ياعقبة ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ، قلت بلى يارسول الله ، فأقرأنى : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ؛ ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما ، ثم مر بى ، فقال كيف رأيت ياعقب ؟ اقرأ بهما كلما نمت ؛ وكلما قمت . وعن السيدة عائشة على ماجاء فى صحيح البخارى ، أن رسول الله صلى

والجن ... ودفع فرية اسرائيلية !

الله عليه وسلم ، كان اذا آوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما : قل هو الله احد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات ٠

قل أعوذ :

أمر بالاستعاذة ، أى بالالتجاء والاعتصام والحماية بالله **(قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) (١٨ مريم) (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) (٩٨ النحل) ٠**

برب الفلق :

الرب هو الله عز وجل ، ورب كل شىء سيده ومالكه وكل من ملك شيئا فهو ربه ، ولكن متى دخلت الألف واللام على رب ؛ اختص بها الله تعالى ، فهو رب الأرباب ومالك الملوك ٠

الفلق : معناه الصبح والفجر على أوجه الآراء يقول ابن عباس : يقول العرب هو أبين من فلق الصبح أو فرق الصبح ، وقد اختار هذا الرأى ابن جرير الطبرى ٠

وفى القرآن الكريم **(فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ((٩٦ الأنعام)**

ولكن فى القرآن أيضا **(فالق الحب والنوى)** (الأنعام ٩٥) ومن هنا قال بعض المفسرين : رب الفلق ، أى رب كل ما انشقت عنه الأرض ، من نبات وحب ، وكل ماخرج من ظلمة العدم الى نور الوجود ، فرب الفلق تعنى رب المخلوقات والموجودات كلها ، ولا تعارض فى ذلك فالله هو رب كل شىء ٠

من شر ما خلق :

وطلب الحماية من الله هو لدفع شرور مخلوقات الله ، من انس وحيوان ، وكائنات وعوالم خفية لاتقع عليها الأبصار ؛ فالاستعاذة التى تفتتح بها السورة عامة شاملة لكل مايعرف الانسان وما لايعرف ، مما قد يسبب له أذى أو مكروها ، وتنتقل الآيات فى هذه السورة وفى قل أعوذ برب الناس ، من التعميم الى التخصيص ، فتأمر بالاستعاذة

ومن شر غاسق اذا وقب :

غاسق : الليل والظلمة ٠ جاء فى القرآن الكريم **(أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل (٧٨ الاسراء) ٠**

وقب : خيم وانتشر ودخل فى كل شيء .

والمعنى : التجيء الى الله واعتصم به ؛ من مخاطر الليل عندما تشتد ظلمته ، ففى هذه الفترة قد يتعثر الانسان فى سيره أو يصطدم بما لايرى ، والليل بطبيعته مسرح لنشاط أهل المكائد والغدر والجرائم .

وقال بعض المفسرين : الغاسق اذا وقب ، أى القمر اذا احتجب ؛ وهذا المعنى داخل فى المعنى السابق فلا تعارض .

ومن شر النفاثات فى العقد :

النفاثات جمع نفاثة : والنفث : النفخ الخفيف ، أو النفخ مع شيء من الريق ، والنفاثة من صيغ المبالغة كالعلامة والفهامة ، ولم ترد هذه الكلمة أو مشتقاتها فى القرآن الكريم الا فى هذه الآية .

العقد :

العقد جمع عقدة ؛ والعقدة من الناحية اللغوية ، هى ربط الخيط أو الحبل أو ما أشبهه . ولم ترد كلمة العقد فى القرآن الا فى هذه الآية ، وذكرت كلمة العقود بمعنى الالتزامات والارتباطات فى المعاملات مرة واحدة كذلك .

(يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) (المائدة) ولكن كلمة **(عقدة)** وهى المفرد ذكرت ثلاث مرات فى القرآن ، ولكن بمعناها المجازى أيضا ، حيث وصفت رابطة الزواج بأنها عقدة النكاح :

(ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) (٢٣٥ البقرة) ووصف عى اللسان بأنه عقدة :

(ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى) (٢٧ طه) واستعمال كلمة عقود ؛ وعقدة بمعناها المجازى يرجح أن العقد قد استعملت هنا فى هذه الآية بمعناها المجازى أيضا ، ويكون معنى النفاثات فى العقد : أى المفسدات النمامات العاملات على تقطيع الصلات الانسانية ، ونحن نرجح هذا النظر .

تفسير الآية كما يقول به الطبرى :

وقد فسر ابن جرير الطبرى هذه الآية بما نقله عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة فقال : الاستعاذة من هذه الآية من شر السواحر اللاتى ينفثن فى عقد الخيط حين يرقين عليها ـ انتهى .

ذلك أن الساحرات على عهد الجاهلية كن يباشرن سحرهن بعقد العقد فى خيط ثم تلاوة الرقى والتعازيم على هذه العقد والنفخ فيها .

وهذا التفسير هو مايتفق وظاهر الكلمات، والسحر على كل حال ظاهرة من ظواهر النشاط الانسانى مارسها فى كل زمان ومكان تحت أسماء مختلفة؛ وفى عصرنا الحديث عصر العلم كما يسمونه ، يمكن أن نقول أن السحر بمعناه القديم أصبح يمارس فى الحلقات التى تعقد للاتصال بالأرواح ، وتجارب التنويم المغناطيسى ، وغير ذلك من الظواهر ؛ التى اضطر العلم المادى التجريبى الى أن يدخلها فى دائرة نشاطه ، معترفا بحقيقتها .

على أن بعض المفسرين القدامى ، وجمهرة المفسرين فى العصر الحديث ؛ يفسرون الآية بعيدا عن السحر ، فالزمخشرى من فطاحل المفسرين القدامى يقول فى الكشاف :

ويجوز أن يراد بهن **(أى النفاثات فى العقد)** النساء الكيادات من قوله : ان كيدهن عظيم) تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث فى العقد ، أو اللواتى تفتن الرجال بتعرضهن لهم ، وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك .

وجاء فى المنتخب فى تفسير القرآن ؛ الذى أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية :

النفاثات فى العقد من يسعى بين الناس بالافساد. ويقول الامام الشيخ محمد عبده : والمراد بالنفاثات فى العقد النمامون ، المقطعون لروابط الألفة، والنميمة تشبه أن تكون ضربا من ضروب السحر لأنها تحول مابين الصديقين من محبة الى عداوة بوسيلة خفية .

ويقول المرحوم الشيخ حامد الفقى فى تعليقه على تفسير ابن قيم الجوزيه لهذه الآية ، والتى انزلق فيها كما سنرى : هو نفث المفسدين سمومهم بالكذب والغيبة والنميمة فى عقد الصلات بين الناس .

ونحن نرى أن الآية تتسع لكلا المعنيين ؛ وهو الاستعاذة بالله من شر النساء المفسدات ، النمامات ، أو الساحرات عند وجودهن .

ومن شر حاسد اذا حسد :

الحسد معروف ومشهور وهو تمنى الحاسد زوال نعمة المحسود . ويطلق العامة على آثار الحسد الاصابة بالعين ، وذهب بعض المفسرين المحدثين الى انكار أن يكون للحسد أى تأثير على المحسود ؛ وكذلك أثر السحر على المسحور .

يقول الاستاذ الكبير محمد عزت دروزة فى تفسيره الحديث : ونتنبه على أن هذه السورة ليست بسبيل تقرير قدرة النفاثات فى العقد على ايراث النفع والضرر ولا تأثير الحاسد فى المال والنفس والولد ، ولا يدل مضمونها وأسلوبها على ذلك ، وانما هى كما قلنا بسبيل التعليم والتلقين والتطمين ومعالجة ماهو مستقر فى أذهان الناس من بواعث الخوف ، معالجة روحية بالاعتماد على الله وحده والالتجاء اليه وحده .

ويعترف الشيخ محمد عبده بأثر الحسد ؛ ولكن باعتبار أن الحاسد يتحول الى قوة شريرة تعمل فى الظلام وتسعى بكل المكائد والحيل لازالة نعمة المحسود .

وهذا الذى يقول به الشيخ محمد عبده بطريق غير مباشر ويقوله محمد عزت دروزة بطريق مباشر بنفى الاصابة بالعين ، ليس الا تمشيا مع التصور أن العلم الحديث قد جعل موضوع السحر والحسد والاصابة بالعين ، هو من قبيل الخرافات والأوهام ، ولا سبيل لنهضة العالم الاسلامى الا بتنقية أذهان العامة من الخرافات والأوهام . ودعوتهم الى الأخذ بالأسباب والعمل الايجابى . ولا جدال أن هذه غاية محمودة ، وهى تتفق مع روح الاسلام وجوهره ، الذى هو دعوة متصلة للأخذ بالأسباب والعمل والتماس أسباب الرزق ، بل والجهاد والكفاح من أجل دفع المضار وجلب المنافع .

على أن هذه الرغبة الحميدة لاينبغى بحال أن تحملنا على انكار كلمات ومعانى وردت فى القرآن ؛ أو أن نحاول صرفها عن مدلولها المفهوم ، كموضوع السحر والحسد والجن والملائكة ، فليس ثمة ترابط بين رقى الجماعات وتدهورها وقيام الحضارات وسقوطها بالاعتقاد فى هذا الأمر أو ذاك ، فقد قامت كل الحضارات التى عرفها البشر فى القديم وعلى رأسها الحضارة الاسلامية نفسها ، فى ظل الاعتقاد بوجود العوالم الخفية ومايترتب على ذلك من الاعتقاد بالسحر والأرواح الشريرة والحسد .

واسبانيا وهولندا وانجلترا وفرنسا ، عندما مدت سلطانها على شعوب العالم فى القرنين الثامن والتاسع عشر قد حققت ذلك فى ظل هذه المعتقدات وما روايات شكسبير التى يعتبرها الانجليز كتابا مقدسا ، ببعيدة وهى طافحة بالحديث عن الساحرات وعن الأرواح والحسد وغير ذلك .

ولا نظن أن أوربا الغربية وقد فقدت امبراطورياتها الآن وأصبحت دولا من الدرجة الثانية ؛ انما كان ذلك نتيجة استغراقها فى الخرافات والأوهام .

والحقيقة التى يجب أن تعرف ، أن مظاهر السحر والتنويم المغناطيسى ، وقدرة الطاقة الانسانية على احداث آثار ضارة أو نافعة على البعد بغير الأساليب المادية الظاهرة، هو من الأمور التى أصبحت مقررة ؛ وهى تدرس الآن فى الجامعات والمعاهد العلمية المتخصصة على مافصلناه فى كتابنا الطاقة الانسانية .

ويحق للانسان ، كل انسان أن يستعيذ برب الفلق ، من شر ماخلق مما علمنا وما لم نعلم ، ومن شر غاسق اذا وقب ؛ ومن شر النفاثات فى العقد ، أيا كان معنى النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد .

دحض فرية اسرائيلية :

بقى لكى يكون بحثنا كاملا مستوفيا ، أن نعرض لفرية ، مما يؤسف له أنها وجدت طريقها الى جل كتب التفسير القديمة والشهيرة (حاشا ابن جرير) وتزعم هذه الفرية أن هاتين السورتين (الفلق والناس) قد نزلتا بمناسبة نجاح اليهودى لبيد بن الأعصم فى سحر رسول الله صلوات الله عليه؛ بحيث كان الرسول يخيل اليه أنه صنع الشىء وما صنعه ، حتى عافاه الله وهداه الى مكان السحر ، فكان كلما تلا آية من آياتها ، انحلت عقدة من عقد السحر الاحدى عشرة .

وقد جعلوا هذه القصة أو هذه الفرية هى تفسير آية **(ومن شر النفاثات فى العقد)**

وهذا القول بهذه الصيغة لايقره عقل أو نقل واليك تفصيل ذلك .

أولا : قدمنا أن السورة كما هو مقرر فى المصاحف التى بين أيدينا هى سورة مكية ؛ والواقعة المدعى بها حدثت كما يزعمون فى المدينة ، فبطل مايدعون من علاقة السورة بالحادثة .

ثانيا : لم يقع فى هذا الوهم شيخ المفسرين بالاجماع وهو ابن جرير الطبرى ، الذى لم يرو فى معرض تفسير المعوذتين هذه القصة المنكرة ، مع أن منهاجه فى التفسير كان جمع كل ماروى منقولا عن الصحابة والتابعين فى تفسير مختلف الآيات ؛ وسكوته لايعنى الا أن هذا القول لم يكن معروفا فى عصره ، وأنه انتحل بعد ذلك ، أو أنه استهجن روايته واثباته فى تفسيره فكان يجب على من هم أقل علما منه أن ينهجوا نهجه .

ثالثا : هذه القصة التى تزعم أن رسول الله قد **سحر تعارض نص القرآن الكريم الذى ينفى عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أنه مسحور ، ويندد بالكافرين لقولهم عن رسول الله هذا القول الظالم (اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا)** (٤٧ الاسراء) .

فلو جاز أن يوصف سيدنا محمد ولو للحظة واحدة انه مسحور ؛ لما كان هناك محل لتنديد القرآن بالكفار ووصفهم بالظلم ، فكيف والقصة المزعومة تصل كما سنرى الى حد القول بأن الرسول ظل مسحورا لمدة ستة أشهر .

رابعا : هذه القصة تنافى العصمة الواجبة للانبياء لابلاغ الرسالة ، فلو جاز فى أى لحظة من لحظات حياته أنه يتوهم كما تقول الرواية : أنه صنع الشىء ولم يصنعه لكان ذلك مدخلا الى الشك فى صحة ما أنزل عليه من الوحى .

خامسا : أن القصة المزعومة تقول ان الذى سحر رسول الله هو لبيد بن الأعصم ، أى أنه رجل يهودى ؛ فما علاقة ذلك بالاستعاذة من النساء السواحر . لقد بلغ من تعسف القائلين بهذه القصة أنهم خالفوا النصوص الثابتة التى يستندون اليها ، لتتسق مع تفسيرهم للآية فقالوا ان الذى سحر رسول الله هن بنات لبيد بن الأعصم .

ومع أن ابن القيم الجوزية ممن يقولون بحادث السحر ، فهو لايرضى عن هذا اللغو فيقول : فان قيل فالسحر يكون من الذكوروالاناث، فلم خص الاستعاذة من الاناث دون الذكور ؟ قيل فى جوابه أن هذا خرج على السبب الواقع وهو أن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس هذا بسديد ، فان الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم هو لبيد بن الأعصم ، لا بناته كما جاء فى الصحيح .

على أن حماس ابن القيم للربط بين قصة السحر والآية الكريمة سرعان ما يوقعه بدوره فى ركوب متن الشطط والتكلف فيقول : والجواب المحقق أن النفاثات هنا هن الأرواح والأنفس النفاثات ؛ لا النساء النفاثات لأن تأثير السحر انما هو من جهة الأنفس الخبيثة ، والأرواح الشريرة ، وسلطانه انما يظهر منها ، فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث دون التذكير والله أعلم .

وليت ابن القيم وقف عند حد تفويض العلم لله بدلا من التورط فى الحديث عن الارواح الشريرة وأنها هى التى تسلطت على رسول الله .

سادسا : وأخيرا وليس آخرا ، ان البخارى الذى يتمسكون بروايته لقصة لبيد بن الأعصم ، لم يربط بين هذه الواقعة وبين نزول المعوذتين ، ولم يرد فى الحديث الذى رواه بعديد من الصيغ على ماسنرى ؛ أى اشارة لسورتى (الفلق والناس) كما أنه عندما عرض لتفسير السورتين ، لم يشر الى هذه القصة .

لا علاقة ولا ارتباط :

الى هنا نكون قد انتهينا على وجه القطع واليقين الى نفى وجود أى صلة بين قصة السحر المزعومة وبين تفسير آية (ومن شر النفاثات فى العقد) وأن ماقيل بأن السورتين نزلتا بمناسبة سحر رسول الله هو قول بغير سند ولا دليل وهو يخالف العقل والنقل ومبادىء الاسلام الاساسية .

بقى أن ننتقل الى قصة السحر نفسها ، راجين بتوفيق من الله أن نجهز عليها فلا تقوم لها بعد ذلك قائمة عند كل من ألقى السمع وهو شهيد .

حديث آحاد :

أول مايطالعنا فى قصة السحر أنها رويت فيما يسمى بأحاديث الآحاد ، وهو مالم ينقل الا عن

صحابى واحد ؛ وأحاديث الآحاد تفيد الظن ، والظن لايصلح أساسا لقيام العقيدة ، وخاصة عندما يتعارض مفهوم الحديث مع صريح نص القرآن الذى هو قطعى الثبوت ٠

فاذا أضيف الى ذلك أن البخارى راوى الحديث قد رواه بصورة تضعفه وتوهن منه ثم اذا رأينا الحديث بعد ذلك ، يزاد عليه ويحشى بما ليس منه ويبالغ فيه يصبح من المتعين بعد ذلك كله اهدار هذا الحديث واسقاطه ، واليك التفصيل :

رواية البخارى الأولى :

حدثنا البخارى قال : حدثنا ابراهيم بن موسى ؛ أخبرنا عيسى بن يونس عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم **حتى كان رسول الله يخيل له أنه يفعل الشىء** وما فعله ، حتى اذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى ، ولكنه دعا ودعا ثم قال : ياعائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه ، أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ، فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل ، فقال مطبوب (أى مسحور) قال من طبه ، قال لبيد بن الأعصم ، قال فى أى شىء ، قال فى مشط (آلة تسريح الشعر) ومشاطة (ما يسقط من الشعر عن مشطه) وجف طلع نخلة ذكر (الجف الغشاء على طلع النخلة) قال وأين هو ، قال فى بئر ذروان ؛ فأتاها رسول الله فى ناس من أصحابه ، فجاء فقال ياعائشة كأن ماءها نقاعة الحناء ، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين ، قلت يارسول الله هلا أخرجته ، قال قد عافانى الله فكرهت أن أثور (أثير) على الناس شرا فأمر بها فدفنت ٠

ومن هذه الرواية يتضح :

١ ـ أن أثر السحر على رسول الله كان فى تخيله أنه يفعل الشىء وما فعله ٠

٢ ـ انه ذهب الى البئر فى جماعة من أصحابه ٠

٣ ـ أنه لم يخرج عمل السحر ٠

رواية أخرى للبخارى :

يعود البخارى فيروى لنا بما عهد فيه من دقة وأمانة رواية ثانية لنفس الحديث عن نفس المصدر تحت باب (هل يستخرج السحر) وفى هذه الرواية الجديدة تتغير معالم القصة اذ نرى فى الصيغة الثانية ٠

١ ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان :

يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن وينقل عن بعضهم ؛ ان هذا النوع من السحر هو أشد مايكون من السحر ٠

٢ ـ ان الرسول ذهب بمفرده الى البئر وليس مع ناس من أصحابه ٠

٣ ـ أنه استخرج السحر ٠

رواية ثالثة :

ثم يروى البخارى الحديث بصيغة ثالثة ، وفى هذه الصيغة الجديدة تسأل السيدة عائشة رسول الله !

ـ أفأخرجته ؟

ـ قال لا ٠

رواية الامام أحمد للحديث :

أما الامام أحمد فيروى الحديث عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبى صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يرى أنه يأتى ولا يأتى ٠٠ وتمضى بقية الحديث على الصورة السابقة ـ والذى يعنينا من هذه الصيغة الجديدة ، أن مدة السحر أصبحت ستة أشهر ٠

رواية الثعلبى :

وقد نقل ابن كثير عن الثعلبى المفسر فى تفسيره رواية جديدة عن هذه الواقعة قال :

قال ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما ؛ كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ، فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة من رأس النبى وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها ، وكان الذى تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن الأعصم ، ثم دسها فى بئر لبنى زريق يقال لها ذروان **فمرض رسول الله وانتثر شعر رأسه ؛ ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب و لايدرى ماعراه** ، (ثم يمضى الحديث على الوجه المتقدم الى أن يقول) : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر ،

لنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم رفعـوا الصخرة وأخرجوا الجف ، فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقود فيه اثنتا عشرة عقدة مغروزة بالابر ، فأنزل الله تعالى السورتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقـدة الأخيرة ، فقام وكأنه نشط من عقال ؛ وجعل جبريل عليه السلام يقول : بسم الله أرقيـك من كل شيء يؤذيك ، من حاسد وعين الله تشفيك ، فقـالوا يارسول الله أفلا نأخذ الخبيث فنقتله ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شرا .

يقول ابن كثير تعليقا على هذا الحديث : هكذا أورده بلا اسناد ، وفيه غرابة ، وفي بعضـه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد مما تقدم .

ونقل ابن القيم عن البغوى أنه قال مثـل ماقال الثعلبى .. وفي هذه الصيغ الجديدة

١ - يطالعنا أن السحر دام ستة أشهر .

٢ - أنه أمرض الرسول ونثر شعر رأسه وجعله يذوى ولا يدرى ماعراه .

٣ - انه أرسل عليا والزبير وعمـار بن ياسر لاستحضار السحر .

٤ - لأول مرة يوصف لنا (عمل السحر) وأنه كان وترا به عقد .

٥ - ان المعوذتين نزلتا بهذه المناسبة .

وهكذا تتعدد هذه الروايات وتتناقض الا في شيء واحد وهو أن الرسول لم يعاقب الفـاعل ؛ بل لم يخبره فضلا عن أن يعاتبه على الأقل ، وغني عن البيان أن ذلك قيل ليفسر كيف لم يرتج جماعة المسلمين بهذا الحدث ، وكيف لم يعلم بهذه القصة ، الا هشام نقلا عن عروة . وكيف لم يصدر فيها تشريع يبين عقاب الساحر عندما يحاول ايذاء الناس .

ابن قيم الجوزية :

وقد صنف شمس الدين بن قيـم الجـوزية تفسيرا وصف بأنه التفسير المثالي للمعوذتين ؛ وكان يمكن أن يكون كذلك لولا أنه جهد نفسه فيه رحمـه الله للتدليل على صحة القصة ، وعندنا أنه لم ينزلق هذا الانزلاق،الا نتيجة تعصبه ضد علماء الكلام الذين نقل عنهم استنكارهم لهذه القصة، وحملتهم على هشام بن عروة ؛ ووصلوا فى انكارهم الى حد انكار السحر من أساسه ، فاندفع يناقش ذلك كله ، وكان مما قـال

والسحر الذى أصابه كان مرضـا من الأمراض عارضا شفاه الله منه ، ولا نقص فى ذلك ولا عيب بوجه ما ، فان المرض يجوز على الانبيـاء ، وكذلك الاغماء ، فقد أغمى عليه صلى الله عليه وسـلم فى مرضه ، ووقع حين انفكت قدمه وجحش شـقه ، وهذا من البلاء الذى يزيده الله به رفعة فى درجاته ونيل كرامته ؛ فليس ببدع أن يبتلى النبى صلى الله عليه وسلم من بعض أعدائه بنوع من السحر ، ولا عار فى ذلك . بل هذا من كمالهم (أى الأنبياء) وعلو درجتهم عند الله)

ولعلك ترى كيف أن العالم الكبير عندما يدافع عن قضية خاسرة ، أو بالأحرى باطلة ؛ يجيء قـوله متهافتا لايليق بعقله ، فضلا عن علمه ، والا فما وجه المقارنة بين أن يمرض رسول الله أو أن يقع عن فرسه فتنشج رأسه وبين أن يسحر . لأن معنى أن يسحر ؛ أن الشياطين التى هى أداة التأثيـر ، أو الأرواح الخبيثة من اتباع الشيطان ،وهى التى تحدث آثار السحر فى رأى ابن القيم نفسه ، قد تسلطت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيطرت على جسده وأعصابه ، مع أن القرآن الكريم يقول :

(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) . فاذا كان الشيطان نفسه بكل حوله وطوله ؛ لايمـكن أن يتسلط على عبد من عباد الله الصـالحين ، فكيف برسول الله الصادق الأمين . واذا كان الله قد وعد نبيه أن يعصمه من الناس ، فكيف ترك الله اليهودى يتسلط بشياطينه أو بأرواحه الخبيثة على رسول الله حتى أصبح يتخيل أنه صنع الشيء وما صنعه . الحق أن هذا منكر من القول وزور ، واستغفر الله لكل من يقول به عن حسن نية وأخلاص ؛ فما دفعهم الى ذلك الا رغبتهم فى الارتفاع بكتاب البخارى ، الى مرتبة القرآن ، وأن كل ماجاء فيه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . مع أن البخارى نفسه وجميـع أئمة الحديث قد صنفوا الأحاديث وجعلوها درجات ، فدل ذلك على أنها عرضة للتقييم والتمحيص .

الامام محمد عبده وهذه القصة :

ولقد حمل الامام الشيخ محمد عبده على قصـة السحر ؛ حملة شعواء ، وبحثها باستفاضة ، وختم

كلامه بعبارة نراها خير مانختم به كلامنا فى هـذا الموضوع ·

(ما أضر المحب الجاهل ، وما أشد خطره على من يظن أنه يحبه ، نعوذ بالله من الخذلان) ·

وصدق الشيخ محمد عبده ، نعـوذ بالله من الخذلان) ·

بسم الله الرحمن الرحيم

- **قل أعوذ برب الناس**
- **ملك الناس**
- **اله الناس**
- **من شر الوسواس الخناس**
- **الذى يوسوس فى صدور الناس**
- **من الجنة والناس**

امتداد :

هذه السورة امتداد للسورة السـابقة ؛ نزلت معها ، متجاورة متلازمة ، متآخية ، واذا كانت سورة الفلق يستعاذ بها ؛ من المخاطر الخارجة عن دائرة الانسان ، كأحداث القضاء والقدر ، وعدوان الآخرين فان هذه السورة تأمر الانسان أن يستعيذ ، مما قد يكون اضر عليه ، من كل مخلوقات الأرض ، وهو شر نفسه التى بين جنبيه ·

- **قل أعوذ برب الناس**
- **ملك الناس**
- **اله الناس**

فى هذه الآيات الثلاث تتجلى عظمة الايقـاع القرآنى الذى يروع المؤمن ، لا من حيث جرس الألفاظ وموسيقاها ، ووقعها على الأذن وفى النفس ولكن من حيث ايقاع المعانى ، وتنوعها وشمولها ·

فاذا كان الناس هم أعظم الخلائق فى هذا الكون فلنستعذ بالله رب هؤلاء العظماء وخالقهم ·

واذا كان فى الناس ملوك وطغاة وجبـارون ومتسلطون فالله هو ملك الملوك ؛ وملك المتجبرين وملك المتسلطين فاليه وحده نلتمس الحماية والعون والمدد ·

واذا كانت الناس تعبد من دون الله آلهة ، بل وتتخذ من البشر أنفسهم آلهة وان لم يسموهم كذلك فهم يعاملونهم معاملة الآلهة ، فلا يسألونهم عن شىء وهم يسألون ، ويسبحون بحمدهم بالعشى والابكار ؛ ويتوجهون اليهم فى التماس حوائجهم من دون الله الواحد القهار ·

فكل ذلك وهم وضلال وانما العون والمددوالرجاء والالتجاء والاحتماء لايكون الا لله اله الآلهة اذا كان البشر قد اتخذوا من بعضهم آلهة ·

ذلكم هو التوحيد الخالص كما تعبر عنه هـذه الآيات الكريمة ، والذى ان تملك نفسـا حررها ، فلا تعود تخشى شيئا فى هذه الدنيا ؛ فتقول الحق ولا تنطق الا بالصدق ولا تعمـل الا صالحا ، ويتحول الموت عندها الى وسيلة للخلـود

من شر الوسواس الخناس

الذى يوسوس فى صدور الناس

الوسوسة : الصوت الخفى — أو حديث النفس

الخناس : من خنس أى رجع وأحجم وتأخر ، جاء فى الخبر ؛ ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فاذا غفل وسوس ، واذا ذكر الله خنس ، أى تأخر وأقصر · وليس فينا من لايحس هذا الوسواس فى نفسه ، ليس فينا من لم يصبه الأرق ذات ليلة ؛ وراح يسهر ويتقلب على فراشه مع هذا الصـوت الذى يناجيه ويحادثه من داخل نفسه ·

وليس فينا من لايعرف أن هذا الصوت فى داخل النفس قد يحدثنا بما فيه خير للناس ، يحدثنا عن الحب ، عن العطف ؛ عن الحنان ، عن التسـامح والرحمة ، وهو قد يأمرنا بقول الحق والصـدق والابتعاد عن الرجس والدنس ، ويبغضنا فى الكذب والنفاق ؛ ويحثنا على الجد والعمل وأداء الواجب · فأما مثل هذا الحديث ، فهو صوت الملاك الحارس للانسان ، صوت الفطرة الطاهرة النقية ، انه مايطلق عليه التربويون اسم الضمير الحى ؛ والذى أودعه الله فى كل نفس ليكون الشاهد الحى على وجود الله وليضىء الطريق أمام بنى الانسان

حديث الشر :

ولكن هذا الصوت الناطق فى صدر الانسان ، قد يكون صوت الشيطان ، ولا خفاء فيه ولا غموض ، انه حديث الشيطان ؛ أو اذا شئت بلغة العلم الحديث ، حديث الجانب المظلم من الانسان ، فهو لا يأمرنا الا بالسوء والايذاء ، الايذاء لأنفسنا والآخرين ؛ عندما يدعو للافراط فى الشهوة ، عندما يدعو للتحلل من القيود ، عندما يدعو للسطو واغتيال حقوق الآخرين ، عندما يحرض على الحقد والبغض والانتقام ، عندما يدعونا للبطش والتجبر والتأله ؛ عندما يحسن لنا الكذب والنفاق ، عندما يحرضنا على دوس الضعفاء بالأقدام .

ذلكم هو حديث الشيطان ووسوسته ، وحق ان نستعيذ بالله منه ومما يدعوننا اليه من الكفر بالله بايذاء الخلق .

من الجنة والناس :

الجنة : هم الجن ؛ وقد سموا كذلك من الاجتنان وهو الاستتار والخفاء ، ومنه الجنين ، أى المستتر فى بطن أمه .

ولعل ماسبق يوضح هذه الآية ، فهذه الأصوات المنبعثة من داخل نفوسنا ؛ والتى قد تدفعنا الى طريق الشر ليست فى حقيقتها ، الا أثرا وانطباعا ورد فعل لما نقابله ونلقاه فى حياتنا اليومية ، عناصر محسوسة ملموسة نستطيع أن نحددها وأخرى خفية مجهولة ، نعجز عن ادراكها ، نعجز عن تصورها ولكنا نحس آثارها علينا .

ولم يعد هناك شك أو شبهة فى أنه يوجد فى داخل النفس البشرية ، وحول الانسان وفى هذا الكون ، مناطق وعوالم وكائنات لم يصل بعد الانسان الى معرفة كنهها ولكنه لايشك فى وجودها .

فعلماء النفس يحدثوننا عن العقل الباطن، محاولين ان يفسروا بهذه الكلمة كل المظاهر غير العادية التى تطرأ على الانسان ، والتى لايستطيعون تعليلها بالقوانين المادية العادية ، فينسبونها الى العقل الباطن دون أن يروا هذا العقل الباطن أو يعرفوا مكانه أو يحددوا قدراته ؛ تماما كما كان القدامى يفسرون هذه الظواهر بأنها من عمل الجن .

الفيروس :

وعلماء الحياة والاطباء ، يحدثوننا عن الفيروسات التى تسبب الأمراض التى يعجزون عن تشخيصها وادراك كنهها ، ولا يستطيعون حتى بمجاهرهم الالكترونية أن يروا الفيروس فضلا عن ان يصوروه. ومع ذلك فهم يتحدثون عنه كحقيقة واقعة ،يفسرون به ما يعجزون عن تفسيره .

عالم الأرواح :

واذا كان علماء المادة ؛ هم الذين يحدثوننا عن العقل الباطن وعن الفيروس ، فليس ذلك الا لنؤكد أنه حتى العلم المادى يتحدث عن كائنات لايراها .

ولكن بعض مظاهر النشاط العلمى فى الوقت الحاضر ؛ تتجه اتجاها تاما الى اثبات دنيا الجن والعفاريت والملائكة عن طريق الاتصال بعالم الأرواح وتقسيمها الى أرواح خيرة وأخرى شريرة .

ولا يطمع منى القارىء أن أحدثه عن مدى ما أمكن التوصل اليه فى تجارب الاتصال بعالم الأرواح ، فلنا فى ذلك رأى شرحناه فى كتابنا (الطاقة الانسانية) والكتب التى تتحدث عن عالم الأرواح أصبحت كثيرة ومتداولة .

وآخر ما أصبحنا نسمعه عن هذه العوالم الخفية هو ما أصبح يتردد الآن فى الصحف وفى المؤتمرات عن ظواهر من نوع ما أسموه الأطباق الطائرة؛ لايمكن تعليلها ، الا بتصور أنها آتية من عوالم أخرى .

وهكذا نجد أنفسنا ، لم نخرج عن دائرة القرآن وهو يحدثنا عن الجن الذين هم خلق تراهم العيون ولكنهم موجودون يؤثرون علينا ، بالخير حينا وبالشر حينا آخر .

اللهم احفظنا من الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ، واحفظنا من شر مانرى ؛ وما لانرى ومما نتوقع وما لانتوقع ، مما نعلم وما لانعلم ، وما أنت به أعلم . والحمد لله رب العالمين .

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى

رويدكم ايها الأوعال
التى تحاول تحطيم شم
الجبال الراسيات فلا تعود
إلا بهشيم قرونها الواهيات

وعدنا فى المقال الماضى (عدد ذى القعدة) اننا سنختم هذا البحث الذى اثاره مواطن صالح ، من أهل محافظة المنيا ، سائلا : هل صحيح أن آية : « وأن ليس للانسان الا ما سعى » منسوخة ، وأن الانسان ينتفع فى الآخرة بعمل غيره ؟ واذا كانت منسوخة فما القول فى مثيلاتها ، وهى فى القرآن كثير ، ومنها قوله تعالى : « **فاليوم لاتظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون** » آية ٥٤ من سورة يس ، وقوله : « **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد** » آية ٤٦ من سورة فصلت ، وقد تقدم فى الأعداد السابقة بيان فساد ما استند اليه القائلون بالنسخ ·

واليوم نعرض ما قاله المحققون قديما ، وحديثا · ليكون خاتمة البحث ، فنقول :

قال المفسر السلفى ابن كثير فى معنى : « **وان ليس للانسان الا ما سعى** » : **لايحصل للانسان من الأجر الا ماكسب هو نفسه** ·

ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى واتباعه ، وكذا الامام مالك : أن القرآن لايصل اهداء ثوابه الى الموتى ، لأنه ليس من عملهم ، ولا كسبهم ، **ولهذا لم يرغب فيه صلى الله عليه وسلم أمته ، ولا** ارشدهم اليه بنص ولا اشارة ولم ينقل ذلك عن احد من اصحابه رضوان الله عليهم ولو كان خيرا لسبقونا اليه ، وباب القربات يقتصر فيها على النصوص ، ولا يتصرف فيها بأنواع الاقيسة والآراء ، **وأما الدعاء والصدقة فمجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما** ·

واما قوله صلى الله عليه وسلم : « **اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية ، أو علم ينتفع به** » فلان كل ذلك فى الحقيقة من سعيه ، ومتفق مع قوله تعالى : « سنكتب ما قدموا وآثارهم » آية ١٢ من سورة يس (انتهى ابن كثير) ·

وقال صاحب المنار : **ومما اغتربه كثير من الناس حتى صار كأنه من صميم الدين : مايروونه على انه حديث ? ولفظه : (اقرءوا يس على موتاكم) فهذا**

طعن فيه الحفاظ ، قال ابن القطان : **انه مضطرب ، وموقوف** أى لم ينسب للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، وبعض رواته مجهولون ، **وقد يكونون ممن اندسوا على الاسلام لتشويهه** . وقال فيه الحافظ الدارقطنى : **انه ضعيف الاسناد ، مجهول المتن والسند** .

فحديث هذا حاله كيف يعول عليه ، خصوصا بعد معارضته لنصوص القرآن المتقدمة ، واحاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الدالة على انه ليس للانسان الا عمله ؟ **وما يتمشدق به بعضهم من قولهم : (الأحاديث الضعيفة يعمل بها فى فضائل الأعمال) ، وتطبيقهم هذا على قراءة (يس) على الموتى باطل** ، لأن هذه القاعدة لو صحت ، فان المراد بها : أن العمل الذى ورد عن الشارع نص صريح فى فضله ، كالصدقة على الفقراء مثلا ، **فانه يجوز العمل بالحديث الضعيف الذى يحث عليها ، على انه حينئذ يمكن الاستغناء عنه بالنص الأصلى** .

أما العمل الذى تدل النصوص القطعية على عدم مشروعيته كما هنا ، فانه لايجوز الاقدام عليه الا بنص عن الشارع ثابتة صحته ، لابحديث مطعون فيه ، والا نكون قد ابتدعنا فى دين الله تعالى ما لم يأذن به ، على أن هذا الحديث مع ضعفه قال فيه مالك ، رضى الله عنه ، : **(المراد منه قراءة يس عند المحتضر)** ، ولذا ذكره ابن ماجة فى باب (ماجاء فيما يقال عند المحتضر) **فالمراد من موتاكم : أى من حضرهم الموت** ، ولهذا قيل : انها ماقرئت على محتضر الا سهل عليه ، لما فيها من التوحيد ، والبشرى بالجنة .

وقال ابن القيم فى كتابه (أعلام الموقعين) ، جزء (٤) صفحة (٣٢٣) الطبعة المنيرية : **(المفرط من غير عذر لاينفعه أداء غيره عنه لفرائض الله تعالى التى كان هو المأمور بها ابتلاء وامتحانا له دون غيره ، فلا تنفع توبة أحد عن أحد ، ولا اسلامه عنه ، ولا صلاته ، ولا غير ذلك)** .

وقال الشاطبى فى كتابه الموافقات ، جزء (٢) صفحة (٢٢٧) طبعة مصطفى محمد : **المطلوب الشرعى ضربان : أحدهما** ما كان من قبيل العبادات الجارية بين الخلق : كالتصرفات المالية ، والثانى ما كان من قبيل العبادات اللازمة للمكلف لتوجيهه الى ربه ، فأما القسم الأول فالنيابة فيه صحيحة ، يقوم فيها الانسان مقام غيره ، لأن الحكمة فيها تتحقق بذلك ، كدفع الديون مثلا ، ما لم يكن ذلك الامر العادى مشروعا لحكمة لاتتعدى الشخص المطلوب منه هذا الفعل : كالزواج ، **وتوابعه من وجوه الاستمتاع التى لاتصح النيابة فيها شرعا** ، ومثل ذلك الحدود فى مثل السرقة ، والزنا ، وكل العقوبات البدنية ، **فلا يقتل غير القاتل، ولا تقطع يد غير السارق ، ولا يجلد غير الزانى** ، لأن مقصود الشارع فيها الزجر ، والزجر لايتعدى الجانى ، ما لم يكن الجزاء فيه مالا كالدية فى القتل الخطأ ، فان النيابة فيه تصح ، فيصح أن يتبرع بالدية أسرة القاتل خطأ مثلا .

أما **النوع الثانى** ، وهو ماكان من قبيل العبادات اللازمة لتوجيهه الى ربه ، فالمقرر فيه **أن التعبدات الشرعية لايقوم فيها أحد عن أحد ، ولا يحمل وزر التقصير فيها غير المقصر وذلك ثابت بالنصوص ، وبالنظر العقلى فى حكمة التشريع** ، فالنصوص كقوله تعالى : **« ولا تزر وازرة وزر أخرى »** وقد كررها سبحانه فى القرآن فى خمسة مواضع ، فى آية ١٦٤ من سورة الأنعام ، وآية ١٥ من سورة الاسراء ، وآية ١٨ من سورة فاطر ، وآية ٧ من سورة الزمر ، وآية ٣٨ من سورة النجم ، وكقوله تعالى : **« ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه »** آية ١٨ من سورة فاطر وكقوله تعالى : **« وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء »** آية ١٢ من سورة العنكبوت ، وكقوله تعالى : **« ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم »** آية ١٣٩ من سورة البقرة ، وآية ٥٥ من سورة القصص ، وقوله سبحانه لنبيه ، صلى الله عليه وسلم : **« ماعليك من حسابهم من شىء »** آية ٥٢ من سورة الأنعام .

ومما يدل على أن أمور ما بعد الموت لايستطيع احد نقل اجره لأحد فيها ـ والا لجار ان يهدى رجل من أهل الجنة قصرا من قصوره أو حورية من حورياته لغيره ، كمانه لايجوز رفع رجل عن آخر وزره ـ أيات ٣٣ من سورة لقمان ، و٤٦ من سورة فصلت ، و١٩ من سورة الانفطار ، وغير ذلك كثير .

ومن هذا : ماصح من انه صلى الله عليه وسلم ، لما نزل عليه : « **وأنذر عشيرتك الأقربين** » جمع قومه ، وخطب فيهم ، فقال : (**ياعباس ، ياعم ، سلنى من مالى ما شئت فانى لا أغنى عنك يوم القيامة من الله شيئا ، يافاطمة بنت محمد ، سلينى من مالى ما شئت ، فانى لا اغنى عنك من الله شيئا** ») .

وأما اذا نظرنا الى حكمة تشريع العبادات ، فانا نعلم أن المقصود منها الخضوع له تعالى ، ومراقبته ، والخوف منه ، فلا نعمل ما يغضبه ، **والنيابة فى العبادة لاتحقق هذه الحكمة ، لأنها لو صحت لكان الفاعل هو الخاضع لله لا المنوب عنه** ، والخضوع والمراقبة لايتصف بهما الا فاعلهما ، وأيضا لو صحت النيابة فى العبادات البدنية لصحت فى القلبية كالايمان ، والصبر ، والشكر ، والرضا ، والتوكل ، وما أشبه ذلك ، **وبهذا لاتكون التكاليف محتمة على كل شخص** ، بل يكفى أن يفعلها بعض المؤمنين نيابة عن الجميع ، فينجو كل مفرط ، ولا يقول بهذا عاقل (انتهت عبارة الشاطبى)

ومما يؤيد كلام الشاطبى : **أن العقل لايقبل أن يتمرغ الرجل فى الوساخة ، ويطلب من غيره ان يغتسل بالماء نيابة عنه** ، لان الماء لاينظف الا من اغتسل به فقط ، فكيف يقبل أن يعيش الرجل طول حياته ملوثا بقاذورات المعاصى حتى يموت على ذلك قذرا ، ثم يأتى بعد ذلك رجل آخر ، ويتطهر نيابة عنه ؟ **اللهم احفظنا من هذه الجهالات التى شوهت وجه دينك الوضىء** .

بقى قسم آخر يدور الأمر فيه بين العبادة ، **والأمور المالية كالحج ، والتضحية فى العيد** ، وهذا أجاز الشارع فيه النيابة نظرا لما فيه من جهة المال اذا فاتت الجهة الأخرى على المكلف ، والمال فى الحج مطلوب لفقراء الحرم المكى تحقيقا لدعاء الخليل ابراهيم ، عليه السلام ، أنظر آية ١٢٦ من سورة البقرة ، والضحية فيها مصلحة الفقراء ، هذا فضلا عن أن العلماء المحققين شرطوا للنيابة فى الحج ان يكون النائب قريبا للمنوب عنه : كالوالد ، والولد ، والاخ ، لان الأحاديث الصحيحة التى وردت فى هذا الموضوع بخصوصه كانت فى هؤلاء الاقربين .

أما دعاء الانسان لغيره ، وتصدقه عنه ، فقال المفسر أبو السعود : ان مرجع انتفاع المدعو له ، والمتصدق عنه ، هو عمله نفسه ، لأنه لولا عمله الصالح ، واخلاصه فيه ، لما سخر الله سبحانه له من يدعو له ، انظر كلام الزجاج فى عدد ربيع الثانى سنة ١٣٨٨ من مجلة منبر الاسلام .

وبيان ذلك : أن دعاء الداعى ، وتصدقه طاعة مقدمة منه له تعالى ، يرجع ثوابها اليه نفسه سواء قبل الله منه صدقته ، واستجاب له دعاءه ، أم لا ، **وانما ينتفع المدعو له بالدعاء اذا كان فيه أهلية لذلك من صالح الأعمال ، وحسن الاخلاص ، لأن الدعاء لايخرج عن كونه شفاعة من الداعى للمدعو له ، وشرط قبول الشفاعة اذن الله تعالى فيها ، ورضاه عن المشفوع له ، وتقوى الشافع ، لقوله جل شأنه: « انما يتقبل الله من المتقين »** .

هذا هو الحق الذى كان عليه سلف الأمة

قال الشاطبى فى الموافقات : ان دعاء المؤمن لأخيه من باب الشفاعة للغير . انظر جزء ٢ صفحة ١٦٣ طبعة منير ، **والدعاء كما جاء فى الحديث مخ العبادة**

والعبادات لايجوز فيها الابتداع ، لأننا لو زدنا بعقولنا لشرعنا فى دين الله ما لم يأذن به ، وصرنا كأهل الأديان الأخرى الذين ابتدعوا فيها ما ذهب بأصولها ، **وقد قال صلى الله عليه وسلم . « شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار »** وخوفنا من هذا الحديث هو الذى دعانا للاطالة فى هذا الموضوع ، **لأنا فى زمن طغت فيه البدعة على السنة ، حتى جهل** أكثر الناس ما كان عليه سلفهم ، فصارت البدعة هى السنة ، والسنة هى البدعة .

فمن أراد ان يتبع الهدى النبوى ، ويتقى جعل الدين تبعا لهواه ، فليقف عند النصوص الصحيحة ، ويتبع فيها سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، فهم أول من تلقى هذه الشريعة عن

صاحبها ، صلى الله عليه وسلم ، وليبتعد عن أقيسة بعض الخلف المروجة للبدع فى العبادات ، وهى التى لايجوز فيها القياس باجماع المسلمين ، والا لـزاد الناس بآرائهم فيها ، **فأحدثوا فى دين الله ما أحدثه اليهود والنصارى فى دينهم ، حتى شرعوا ما لم يأذن به الله تعالى** ، واذا زين الشيطان لرجل أنه يمكنه أن يكون أهدى وأكمل عملا بالدين ، من الصحابة والتابعين ، فليحاسب نفسه على الفرائض أولا ، وعلى الفضائل المجمع عليها ، ولينظر أين مكانه منها، فان رأى أنه بلغ نصف عمل أحدهم فعند ذلك يعذر اذا رغب فى الزيادة ، ولكن بلوغه نصف عمل أحدهم مستحيل بنص الحديث الصحيح ، **ولا يدعى هذا، خصوصا فى هذا الزمن ، الا جهول مفتون ، أو مدع مغرور ، أو من به مس من الجنون .**

ومن الملاحظ أن أكثر المتعبدين بالمبتدعات مقصرون فى أداء الفرائض ، أو فى المواظبة على السنن ، بل منهم المصرون على الفواحش ،والمنكرات **كاصرارهم على ما ابتدعوا فى المقابر ، من اتخاذها أعيادا ، تشد اليها الرحال ، ويجتمع فيها النساء ، والاطفال والرجال** ، وتذبح عندها الذبائح ، وتطبخ انواع المآكل ، ويأكلون ، ويشربون ، ويتغوطون، ويبولون ، وبئس ما الى موتاهم يقربون ، وبلغ من حرصهم على هذه المبتدعات فى القبور ، والأضرحة ، **وسكوت بعض العلماء عنهم** ، أن وقع فى أذهان العوام أن هذا هو السنة ، مع ان بعض الصحابة وغيرهم من علماء السلف كانوا يتركون بعض السنن الصحيحة أحيانا ، مخافة أن يظن العوام انها واجبة بسبب المواظبة عليها ، وفعلوا ذلك تأسيا به ، صلى الله عليه وسلم ، **حينما ترك اعلان بعض السنن ، خشية أن يظن بعض الناس أنها فريضة** ، فخالف من بعدهم خلف قصروا فى الفرائض ، وأهملوا **السنة، وواظبوا على هذه البدع ، حتى انهم ليتركون لأجلها صلاة الأعياد ، والجمع ، والجماعات .**

والنتيجة لكل ما تقدم فى هذا الموضوع : أن دعاء المؤمن لأخيه نوع من الشفاعة .

وللشفاعة شرط فى الشـافع ، وشرط فى المشفوع له .

فشرط الشافع أن يكون ماذونا له من الله بالشفاعة

وشرط المشفوع له أن يكون محل رضاء الله سبحانه ، بأن زادت حسناته على سيئاته ،ليستحق هـذا الرضى ، قال تعـالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » .

فسر انتفاع المشفوع له هو أعماله التى استجلبت رضاء الله عنه ، حتى سخر له من عباده الصالحين من يدعو له ، فانتفاعه بالشفاعة هو فى الحقيقة انتفاع بعمله هو ، **فلا يقال اذن . ان الدعاء المستجاب من عمل الغير .**

وقد تنبـه لكل هذا سيد الواقفين على أسرار كلام رب العالمين عندما أجاب أحد أصحابه لما طلب منه أن يدعو له بقوله : « أعنى على نفسك بكثرة الصلاة » كما تقدم قريبا ، وكذلك تنبه جميع الرسل عليهم السلام ، لما شرطه الله تعالى فى الشافع من الاذن له ، وفى المشفوع له أن يكون مرضيا عنه منه **سبحانه ، وكانت نتيجة ذلك أنهم جميعا تخوفوا من الاقدام عليها يوم الفزع الأكبر عندما اشتد الكرب على الخلق ، ولجئوا اليهم .**

يستشفعون بهم عند الله ليفرج عنهم ما هم فيه، فكان كل منهم يذكر بعض ما حصل منه فى الدنيا مما يظنه حائلا بينه وبين أهلية الشفاعة ، فيقول لهم : **التمسوا غيرى ، نفسى ، نفسى** ، حتى اذا ضاق الأمر ، وبلغت القلوب الحناجر ، **لجأ الخلق الى الملاذ الاسمى ، والرسول الأعظم ، الذى ادخره العزيز الرحمن ، لهذا المقام المحمود** ، لجئوا اليه سائليه أن يتقدم ، وهو خاتم الرسل ، الى انقاذهم، **فماذا كان منه ، صلوات الله عليه وسلامه ، وهو العليم بمقام ربه** ، الحذر من أن يقدم على الشفاعة قبل ان يطمئن الى الاذن له ، فماذا يفعل لبلوغ هذه الغاية ؟

جاء فى الحديث الصحيح : انه يخر تحت عرش الرحمن ، ساجدا ، ضارعا ، طالبا الاذن ، ولا يزال على هـذه الحال ، يتضرع ، ويلح ، حتى يسمع النداء الأعلى : « **ارفع رأسك يامحمد ، واشفع تشفع » ، فيشفع ، فينفرج الكرب ، وينصرف الخلق الى موطن الحساب ، ويعرف كل مصيره .**

فاللهم ، يا أرحم الراحمين ، اشملنا بعنايتك، ومن علينا برحمتك ، ووفقنا لاتباع شريعتك ،حتى نكو[ن أ]هلا للشفاعة الخاصة التى ادخرتها لأكرم المرس[لين] ، وخاتم النبيين ، انك على ما تشاء قدير، ياخير مسئول ، وأكرم مأمول .

اللهم آمين .

هاتف كريم

الدكتور أحمد الحوفي

انه لهاتف كريم ، وان له قصة ، يالها من قصة بدأت فى أوائل سنة ١٩٦٦ اذ رأت لجنة التعريف بالاسلام — احدى لجان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الذى اتشرف بعضويته — أن تصدر سلسلة من الكتب فى السيرة النبوية ، ووكلت الى كل عضو من أعضائها أن يتخير الموضوع الذى يريده ويطمئن اليه ، فاخترت (أخلاق النبى) وأقرت اللجنة هذا الاختيار .

لكننى بعد انفضاض الجلسة خرجت من المجلس شارد اللب ، ساهم الفكر ، متهيبا هذه السماء العالية التى أحاول ان أتعلق منها بسبب أو بأسباب

وتعاقبت شهور ، لم أقرأ فيها شيئا ، ولم أكتب كلمة ، متهيبا الاقدام ، وقلقا من الاحجام ، الى أن مضى عام ، كانت الرغبة فيه تضغط على وتلح ،وكانت الهيبة تمهلنى وتقعد بى ، وأنا بين الرغبة الحافزة والهيبة الحاجزة حيران

ثم كانت جلسة فى مطلع رمضان ، فانتهز احد الأعضاء الفرصة ليستنجز الوعود ويستحث الجهود فخرجت هذه المرة معتزما أن أبدأ وشرعت فى الليلة نفسها اقرأ واتصلت القراءة ، ونشطت العزيمة حتى جمعت حصيلة كفيلة بأن ينهض عليها الأساس .

وحينئذ حان موعد سفرى الى السودان أستاذا زائرا لجامعة أم درمان الاسلامية ، فحملت معى الجذاذات لعلنى أعود اليها بالتنسيق وترديد النظرات .

وأذكر أنه فى اليوم التالى لوصولى دعانى الاستاذ الشيخ مجذوب المدثر — عميد كلية الشريعة وعالم جليل ومتصوف رائد وزعيم روحى — الى حفل عشاء بداره ، فاجتمعت بجمهور كبير من أبناء مصر والسودان ، وكان بعد العشاء حديث حلو ، وخطب وقصائد ألقاها بعض أتباع الشيخ وطلابه

ثم التقينا بعد ذلك مرات بالجامعة ، فأحسست ان الشيخ يختصنى بعنايته ، وأحسست ان محبة قد نبتت بينى وبينه ، ولم يلبث هذا الاحساس ان صار حقيقة ، اذ قال الشيخ لى : لقد احببتك ، فقلت له : لعلنى اكثر لك حبا فقال : اذا فهذاالحب المتبادل يقتضيك أن تجلس معى فى هذه الحجرة ماسنحت لك فرصة قلت : وانى بهذا لسعيد .

جعلت جلساتنا تتكرر ، وجعلنا نتحدث فى شئون شتى ، وفى يوم قال لى : بارك الله فى انتاجك فانه كله اعتزاز بالعروبة والاسلام ، واعزاز لهما ، لقد قرأت كثيرا من كتبك ، وربما كان آخر ما قرأت (الزمخشرى) أو (القومية العربية فى الشعر الحديث)

فشكرت له ثناءه وحسن ظنه ، ودعا لى بالتوفيق ثم سألنى : هل فى النية موضوع جديد ؟

قلت : نعم يافضيلة الشيخ

قال : ما هو ؟

فقصصت عليه قصة (اخلاق النبى) فتطلق وجهه وقال : انه موضوع جدير بالبحث المفصل والعرض الشائق .

قلت : لكننى مازلت اتهيب التعلق بهذه السماء

قال : فى لهجة متصوفة تمازجها نبرة سودانية رقيقة : لا تتهيب، لاتتهيب ، لاتتهيب ، وهويشير فى كل مرة بسبابته

قلت : سأقدم على بركة الله ، ولكنى أوثر ان اجعل العنوان (من أخلاق النبى) فازداد وجهه بشرا ،وقال هكذا يكون ان شاء الله

وتشقق الحديث ، وجعلت اقص عليه بعض ما عزمت على تحقيقه ، ثم وجدتنى أتلعثم ، وتحتبس الكلمات فى فمى ، وهو يصغى الى وينظر وشعرت برعشة تتمشى فى جسدى ، وسمعت هاتفا كريما يقول لى : (لاتقدم هذا الكتاب الى المطبعة قبل ان تقف به بين يدى الرسول وتقول له : جئت استأذنك فى نشر هذا الكتاب .

فانتبهت ، وقلت للشيخ : مولانا ، حدث كذا وكذا فنهض من مقعده ، ووقف يكبر بصوت عال ، ثم ضمنى الى صدره وبكى وبكيت .

ثم قلت له : كيف أنال هذا الاذن ، ودون السفر عقبات ومشقات ؟

قال : سيحدث الاذن ، وان لم يحدث حقيقة فسيحدث مناما . عدت الى زوجتى — وكانت ترافقنى فى تلك السفرة — فقصصت عليها القصة ، فابتهجت وقالت : وأنا معك ، فقلت لها : وأنت معى .

وجعلنا نستعيد ذكريات حجتنا الأولى ، ونشتاق الى سعادة جديدة بعمرة وزيارة واستئذان .

عدت من السودان فى مارس ١٩٦٨ بعد ان قضيت هنالك شهرا ونصف شهر ، فأكببت على الكتابة ،حتى تم الكتاب فى زمن قصير .

وما كدت أفرغ من كتابته حتى تلقيت كتابا من جامعة بغداد فى شهر يوليه تطلبنى فيه استاذا معارا لتدريس الآدب فلم ارجح القبول أو الاعتذار .

وبعد ما يقرب من شهرين التقيت بصديقى الدكتور محمد سليمان — وكيل جامعة القاهرة وكنت قد اخبرته بقصة الكتاب كاملة — فبادرنى بقوله : بم سترد على طلب العراق ؟

قلت : أردت ان استشيرك فسبقتنى بالسؤال لقد جاءنى كتاب جامعة بغداد منذ اسابيع .

فقال : وجاء كتابها الى الجامعة منذ اسابيع

قلت : الى الآن لم أفكر فى السفر أو الاعتذار

قال : لماذا ؟

قلت : لأننى غير متحمس للسفر .

قال : كيف ؟ وقد فتح امامك الباب للزيارة والاستئذان .

قلت : وكيف ؟

قال : أفعل ما فعلته من قبل ، سافر من القاهرة الى جدة لتعتمر وتزور وتستأذن ، ثم من جدة الى بغداد عن طريق بيروت أو الظهران .

حينئذ شعرت أن هذه المشورة الطيبة قد وضعت فى يدى المفتاح الذى كنت افتقده وأخشى ان يمتد بحثى عنه ويطول ، فوافقت على الاعارة .

ولقد كان يسترعى انتباهى أن خطوات السفر تتم فى يسر وفى سرعة لم اعهدها من قبل .

وجعلت منذ وافقت على الاعارة اعيش بعواطفى وخيالى فى مكة والمدينة وأستطيل الساعات وأود لو أن لى جناحين لأطير بهما فى لمح البصر الى بيت الله الحرام ، والى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام.

لم تعترضنى الا صعوبة وحيدة ، لكنها سرعان ما لانت ، فقد أسرعت الى السفارة السعودية لتاذن لى ولزوجتى بدخول المملكة ، وكنت أحسب اننى سأظفر

بالأذن فى ساعة كما اعتدت وأنا معار لجامعة الرياض ولكن ماكان أعظم دهشتى حينما اخبرنى القنصل ان دخول المملكة فى هذا الوقت مرهون باذن من جلالة الملك فيصل ، لا من وزير الخارجية

فى هذه اللحظة ضاق صدرى ، واضطربت نفسى، وخشيت أن تكون هذه عقبة دونى ، فقلت له : اننى سأمر بالمملكة عابرا ، لأعتمر وأزور وأجد العهد بالبيت المعمور وبمثوى النبى الكريم ٠

فقال : اطمئن ، وثق اننى سأبرق الآن من السفارة وأطلب الاذن لك ولزوجتك ، وأعزز طلبك بما استطيع ، وارجو ان تمهلنى بضعة ايام ٠

قلت فى لهفة : كم يوما ؟

قال فى تقدير للهفتى : سبعة

قلت : السبعة كثيرة ٠

قال : لعلها تنقص الى ثلاثة أو اربعة ، وآمل أن يكون ذلك

خرجت أترجح بين الأمل الباسم واليأس العابس، ولكن البسمات كانت تتراءى غلابة للعبوس ،ولم اكف عن دعائى لله ان يروى أملى ويرعاه حتى يثمر ثمراته المرتجاة ، وكان سبحانه وتعالى يسمع ويجيب فقد جاء الأذن بعد ثلاثة أيام ولم نقض بالقاهرة بعده غير يومين اثنين فى جو يشع روحانيه ويعبق رضا وبهجة ثم طرنا الى جدة ، ولما نزلنا بمطارها جعل المشرف على الجوازات يردد النظر فى الاسم والصورة ، ثم هش وسلم ، وعرفنى نفسه ، وذكر انه قرأ لى منذ كنت بجامعة الرياض ، ثم قال اننا أول مصريين يهبطان جدة فى شهر رجب هذا ، مع اننا فى العشرة الثالثة منه ، وعقب على كلامه بقوله لكن المدة المسموح لكما بها أربعة ايام ، فاذا احتجت الى أيام أخرى فاننى اضيف اليكما ماتريدان

فشكرت له كرم لقائه وترحيبه ٠

وبعد ساعات كنا بالبيت العتيق ، فصلينا الجمعة ، ثم اعتمرنا على مهل وأناة

ثم عدنا الى الفندق، فقضينا ليلتنا فى فرح بالعمرة وفى شوق الى الزيارة ٠

ولم يكد الصبح يتنفس حتى كانت السيارة تسرع بنا الى المدينة المنورة ، وشوقنا أقوى منها واسرع ٠ وبعد ساعات كنا هناك ٠

كنا فى مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام ٠ كنا أمام اطهر مثوى لأكرم رسول ٠

توقفت واستأذنت ، ولم يبل ظمئى الا قراءتى لمقدمة الكتاب التى سميتها (نجوى) بصوت عال مسموع ٠

وكنت أوقن ان روح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترانى ، وتسمعنى ، وتهش لى

وهذا هو الذى قصدته بقولى فى ختام النجوى:

« سيدى الحبيب

ياسعادتى اذ سعيت الى مثواك الطهور ، فوقفت بين يديك فى شوق الملهوف ، وغبطة المجدود ،ملبيا الدعاء الكريم الذى هتف فى خاطرى أن اتجه اليك لاستأذنك فى نشر هذا الكتاب قبل طبعه ٠

لقد شعرت فى وقفتى أن نفحات من روحك العظيم تصعد بى الى السماوات العلا ، حتى لقد خيل الى بعد الافاقة من الاستغراقة اننى عشت فترة روحا بغير جسد ، روحا يتخطى الأحقاب فى لمح البصر ، فيشهد سيرتك الغراء من المشرق الى المغيب ،ويراك فى هذه المدينة المباركة تقيم دولة الاسلام على دعائم العقيدة والشريعة ، وترفع سمكها بالأخلاق العظيمة والمثل الرفيعة ، وتحصنها بالخير والحق والعدل والحرية والاخاء والمساواة ٠

مولاى خاتم الرسل وخير البشر

ان الفرحة بالمثول لدى ثراك العبق اسمى من ان يصورها رائع من الشعر أو بارع من النثر ، فارجو ان تأذن لى فى وداع الى لقاء يتكرر ما بقيت حياة ،

والسلام عليك ورحمة الله »

تلك قصة الهاتف الكريم

انهل من نبعها

وأهتدى بسناها

واسعد بذكراها

قبسات مشرقات
فى حديث القرآن عن الملائكة

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

ان أصدق الحديث كتاب الله .. وخير الهدى هدى محمد – صلى الله عليه وسلم – وكان من حديث الله الى خلقه من أول اشراقة للعلم فى هذا الوجود : شأنه مع الملائكة فى خلق آدم – عليه السلام – وشأن الملائكة من الشئون الالهية .. التى تعرض نفسها على العقل ليؤمن ، والقلب ليفقه ، وعلى اللسان ليتحرى فيما ينطق ..

٢ – يحدثنا القرآن بأن الملائكة عالم غير عالم المادة .. فليسوا من الجن .. وليسوا من الانس .. ولا مما نعهده فى دنيانا .. وانما هم خلق أوجدهم الله من عالم النور بقدرته ، وسخرهم لعبادته .. وللقيام برسالات متنوعة فى ملكه ، وتنفيذ أمره ، حسبما قضى بحكمته ، وقدر بارادته ((لا يعصون الله ما أمرهم .. ويفعلون ما يؤمرون))

((لا يسبقونه بالقول .. وهم بأمره يعملون))

وعلى هذا الاصل من أصول الايمان قامت دعوات الرسل جميعا .. ونهض ايمان المؤمنين منذ أشرقت دعوة الايمان فى الناس جميعا **((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه ، والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله))**

٣ – ويحدثنا القرآن : بأن الملائكة كانوا أسبق فى الوجود من آدم ... وأن الله – تعالى – حينما أراد أن يخلق آدم ، وأن يجعله عامرا للدنيا .. كانت له – سبحانه – مناجاة مع ملائكته فى شأن آدم ، وما يراد به .. وكانت للملائكة مناجاة وضراعة الى ربهم ليبين لهم حكمته فى اختياره لآدم عليهم ، حتى علمهم ربهم ما لم يكونوا يعلمون .

وهنا بادروا الى شكر الله على تكريمه لهم بالمناجاة .. وعلى ما أفاضه عليهم من علمه ((قالوا سبحانك لا علم لنا : الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم))

ومن هذه القصة الأولية ندرك – اجمالا – أن الله يمنح ملائكته بعض علمه بما يريد فى ملكه ..

فبعد أن يكون علمه غيبا يصير ما اذن الله بكشفه معلوما للملائكة فى وقته المحدد له حسب ارادة الله ـ عز شأنه

« ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء »

٤ ـ ويحدثنا القرآن بأن الله يصطفى من الملائكة رسلا .. ومن الناس

فليس خلقه للملائكة مجردا عن الرسالات التى يعهد الله اليهم بتنفيذها فى ملكه ، وبين خلقه ، وفى سائر جنبات هذا الوجود ، علوية وسفلية

وفى هذا الملكوت تتحقق طاعة الملائكة التى ذكرها عنهم الله فى قوله :

« لايعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .. وقوله لايسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون »

وفى قيام الملائكة بما عهد اليهم ، وفى تسخير الله للكائنات على اختلاف أجرامها امارات القدرة ودلائل الالوهية ... وظاهرة العجز للكائنات كلها أمام عظمة الخالق لكل شىء حادث : من سماء ، وارض ، وجبال ، وبحار ، وما تعمر به الدنيا من موجودات تبدو لنا ، أو تغيب عنا فى طبقات السماء ، أو أجواز الفضاء ، أو حيث يعلم الله ولا يعلمه الناس

« وسع كرسيه السماوات والارض »

٥ ـ ونحن نفهم أن الملائكة جنود الله .. وهم رسل التنفيذ لما يريده فى ملكه ، وليسوا جميعا لكل رسالة ، بل هم لرسالات متنوعة يختلف بعضها عن بعض كما شاء فى تنظيمه لملكه فطائفة هم حملة عرش الله .. وأخرى لتسخير الرياح ، وثالثة للامطار ، او للجبال ، وهكذا من الكائنات التى يتعلق بها تدبير الله ، ولا يتصل بها تدبير الانسان .. ولا تؤثر فيها طاقته

واما عن القول بان الابحاث العلميه توجد من المادتين مادة مزيجا ، وتكشف عن مجهولات كانت خافية .. ثم صارت من الحقائق العلمية .. كما نشاهد من عجائب العلم فى المخترعات الحديثة .

فهل نفهم : أن هذا الانتاج من صنع الملائكة فى هذا الوجود .. أو هى كما يسميها رجال العلم ـ ظواهر كونية ـ لا صلة لها بالملائكة ولا علاقة لها بالجانب الروحى

٦ ـ ونحن لا نجهل ما يأتى به العلم .. ولا نكابر فى حقائقه .. وانما نقول : ان تصريف الملائكة انما هو فى الكائنات التى لا يؤثر فيها الانسان مما نعتبره فوق طاقته ، ولا ندين لرغباته

أما ما يتصل بمجهودنا أو يخضع لرغباتنا وينسب الينا صوابه ، وخطؤه : من صناعة ، ومخترعات ، وقبيح ، وحسن ، ونافع وضار .. فذلك كله من تصرفاتنا نحن .. ولا جدال

وليس معقولا أن ندعى نحن أن الملائكة هى التى تفعل ما نفعله ، فتخطىء ، وتصيب ، وتحسن ، وتسىء فيما تؤديه ، وينسب الينا خيره ، أو شره .. ويكون لنا ثوابه ، أو علينا عقابه .

وان شئت أن تطمئن الى تصريف الله بواسطة الملائكة فى آياته الكونية كالرياح والأمطار ونحوها فاقرأ قول الله سبحانه :

« الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق ـ المطر ـ يخرج من خلاله »

« ألم تر أن الله يزجى سحابا ، ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله »

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء ، فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك ، لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين »

ثم اذا انتقلنا الى آيات الاعجاز فى قصص الانبياء وضح لك فى جلاء ما للملائكة من شأن

وانظر مثلا — «« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما .. قال : سلام : .. »

ثم يدور حوار طويل بين الملائكة ، وبين ابراهيم وزوجه سارة ، وينتهى الحوار بأن الملائكة طمأنوا ابراهيم على نفسه .. وبشروا زوجته بالبنين .. ثم أعلنوا ابراهيم بأنهم جاءوا لاهلاك قوم لوط فى بلدة سدوم

« ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ،وضاق بهم ذرعا ، وقال هذا يوم عصيب »

وبعد مشادة عنيفة ، اغلظ فيها القوم على رسولهم لوط أذن الله للملائكة أن يدمروا عليهم المدينة ، بعد أن يخرج منها لوط مع المؤمنين به فى اعقاب الليل

« فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل .. »

فمن الرسل الذين جاءوا الى ابراهيم وكانوا يحملون اليه البشرى .. ثم جاءوا الى لوط يحملون الى قومه ذلك العذاب ؟ ؟ طبعا هم الملائكة .

كذلك كان للملائكة شأن مع كثير من الامم التى دمر الله عليها مدنها ، ومحق سلطانها وحاق بها مكرها السىء فى مراحل التاريخ كعاد ، وثمود ، ومن سلك مسالكهم فى الطغيان وكفرعون الذى زاد فى عتوه حتى أغرقه الله مع جنوده فى اليم ونجى موسى والمؤمنين .

فهل كانت هذه المهالك نافذة على أيدى الملائكة .. أو كانت مجرد ظواهر كونية ، تصدر لغوا .. ولا يسبقها تدبير من صانع حكيم

ان القرآن ليصارحنا بمباشرة الملائكة لرسالات عهد الله اليهم بها نحو قول الله سبحانه« .. تنزل الملائكة والروح ، فيها باذن ربهم ، من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر »

فهذه ليلة القدر يبعث الله فيها ملائكته الى عالم الدنيا ، بما لديهم من أقدار حان تنفيذها ، وقد ورد نحو هذا من آيات واضحة فى ذلك المجال .

وكثيرا ما يذكر القرآن لفظ الملائكة ثم يذكر بعدها جبريل ، كما ذكر لفظ الروح بعد الملائكة فى سورة القدر — تنزل الملائكة والروح فيها ، فالروح هو جبريل ، الذى كان ينزل بالوحى على محمد صلى الله عليه وسلم « نزل به الروح الامين على قلبك .. »

وكذلك كان يذكر الملائكة أخيرا بعد أن يذكر بعضهم أولا وهذا التخصيص لبعضهم للاشارة والاهتمام ..

وفيه زيادة ايضاح لنا أن لكل منهم شأنا فى رسالته .

وقد يذكر الله الملائكة بصفاتهم التى يترشحون بها فى اختصاصاتهم .

ومن ذلك قوله تعالى :

« والنازعات غرقا .. والناشطات نشطا .. والسابحات سبحا .. فالسابقات سبقا .. فالمدبرات أمرا .. »

فالله يقسم بصفاتهم التى هى خصوصيات لهم بحكم رسالاتهم المنوطة بكل طائفة منهم ، أو بكل واحد من بينهم .

٧ — ذلك هو الحق .. وهو الايمان الذى نهضت عليه شرائع الله فى مختلف عصورها

فهل العلم الحديث يعتبر هذه الحقائق مجرد ظواهر كونية .. لا يعرف لها اتصال بعالم الغيب ، ولا عروج نحو الدين ؟

ان العلم يبحث فيما لديه من أسباب ومسببات .. فاذا توقف عند نطاقه فلا حرج عليه وهو

بحق يتعلق بما يسميه ظواهر كونية .. ونحن لانمانع من هذه التسمية .

ولكنا نقول ان وراء هذه الظواهر أسبابا غيبية عن نطاق العلم .. وهى تصريفات الله حسب مشيئته فى ملكه ، وعن طريق ملائكته ثم تكون هذه الظواهر صدى ، وايجابا يتجه بها تصريف الملائكة فالرياح مرسلة من عند الله بتصريف الملك المنوط بها .. والصواعق .. والامطار .. وما يشاء الله من أقدار فى خلقه ، وفى ملكه وسمائه وأرضه ، وكواكبه ، وما يجرى فى دنياه :: كل هذا لايسير عفوا ، ولا يبعد عن ارادته وتصريفه - عز سلطانه

« وعنده مفاتح الغيب ، لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الايعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ، ولا رطب ، ولا يابس ، الا فى كتاب مبين »

وعلى هذا تتجمع الخليقة فى حيز علم الله ، وتسير الدنيا فى وجهتها على هدى الله .. والامر كله بيد الله

« ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا »

« ذلك تقدير العزيز العليم »

٨ - وفوق هذا كله : للملائكة اشراف على الانسان فى غدوه ورواحه وفى وحدته ، واجتماعه ولم يشأ الله أن يدع عبده لنفسه ويتركه دون حراسة له ، ورقابة عليه

فالملائكة موكلون بحراسة الآدمى من سلطان الجن عليه ، أو تمكنهم من اعناته ، وافساد حياته والله تعالى يقول فى ذلك :

« له معقبات من بين يديه ، ومن خلفه ، يحفظونه من امر الله »

المعقبات هم الملائكة الذين يعهد الله اليهم بكف الشياطين عن جبروتهم مع الانسان

ويقول تعالى : « ان كل نفس لما عليها حافظ » ذلك الحافظ هو الحارس الذى لولاه لفعلت بنا الشياطين اخبث ما تستطيعه بنا ، لتمردهم فى فعل الشرور ، وللعداوة التى ورثوها لنا من عداوة أبيهم لآدم

ويقول تعالى عن رقابة الملائكة للانسان :

« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد »

يعنى لكل انسان كاتب حسنات ، وكاتب سيئات .. وهما : رقيب ، وعتيد ، من الملائكة يكتبان لكل امرىء كتاب أعماله وذلك كتابه الذى يحصى عليه أعماله ، ويوم القيامة يكون عليه شهيدا

وكذلك يقرر الله هذا فى آية أخرى من آياته :

« وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون »

فهؤلاء الكرام الكاتبون هم الملائكة المكلفون بأعمال العباد فالعبد لم يخلق سدى ، ولم يترك لنفسه ، وانما هى حكمة تشمله اينما كان فى ملكوت الله ومن فضل الله علينا انه لم يقطع عنا امداده بالهداية .. وهيأ لنا ملائكة يضيئون لنا الطريق .. ويجنبوننا عثرات الضلال

« وفى هذا يقول تعالى :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ، ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم »

الإعجاز التشريعي في القرآن

المستشار علي علي منصور

ها نحن نتابع الاشارة الى بعض روائع الاعجاز التشريعى فى القرآن الكريم فى سلسلة من المقالات التى بدأنا فى شهر صفر سنة ١٣٨٨ هـ ٠٠ والله المستعان ٠٠

سورة النساء

الآية ٩٢ من النساء « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما » ٠

لم يسو الشارع بين عقوبة القتل الخطأ والقتل العمد ٠ وذلك لأن الجانى فى القتل العمد تعمد العصيان بالفعل والقلب ٠٠ وعلى ذلك فجريمته مغلظة غلظة تناسبها شدة العقوبة ٠ أما فى القتل الخطأ فالجانى لم يتعمد العصيان بقلبه ، بل تعلق العصيان بفعله ٠ وهذا من الشريعة الاسلامية تنويع للمسئولية الجنائية ـ بحسب نوع العصيان ـ والآية الكريمة بينت ما يوقع على القاتل خطأ وهو الكفارة وهى تحرير رقبة مؤمنة ، والصيام عند عدم وجود الرقبة المؤمنة ٠ والكفارة تدور بين العقوبة والعبادة ٠ ويلاحظ أن عتق الرقيق ككفارة فيه معنى التعويض عن فقد القتيل ، لأن الرق اماتة للشخصية الانسانية واعتاق الرقيق فيه احياء لشخصيته ، فاذا قتل المؤمن خطأ وأعتق الجانى رقبة مؤمنة كان احياء لها فيعوض الأمة عن جنايته

وفضلا عن الكفارة ففى القتل الخطأ الدية ، والدية محددة من الشارع وهى لا تختلف فى قتيل عن قتيل آخر ، وفى هذا أسمى ما يكون من

التسوية بين الناس ، وقد تكون الدية على العاقلة وهم أهل نصرة الجانى ، فاذا اشتركوا فى الغرم فانهم لا شك ما نعوه من ارتكاب ما قد ينجم عنه هذا الغرم • وهذا النوع من الاشتراك فى المسئولية يؤدى الى تقليل الجرائم •

الآية ١٣٥ من سورة النساء « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا »

حض القرآن الكريم فى كثير من الآيات على العدل وفى الأثر عدل ساعة خير من عبادة الليل والنهار الى قيام الساعة •• اذ العدل هو أساس نظام الوجود وبه قامت السموات والأرض ونفر الله من الظلم وتوعد الظالم ولو بمثقال ذرة بأشد العذاب •

وفى هذه الآية الكريمة يأمر الله عباده الذين آمنوا به ايمانا صادقا خالصا بأسمى مراتب العدل ، وهو أن يعدل الانسان لجميع الناس ولو على نفسه أو على والديه أو على أقرب أقربائه ، ويحذر الله سبحانه المؤمنين من أن يحيفوا أو يحيدوا عن العدالة المطلقة لمحاباة غنى اكراما له أو اشفاقا على فقير مساعدة له ، فالله سبحانه وتعالى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أرحم بالأغنياء والفقراء ، وهو ادرى بما يصلح شأن الجميع ، ولا صلاح للجماعة الا باقامة ميزان العدل لا يميل يمنة ولا يسرة ولو قيد شعرة • ثم نختتم الآية بتحذير صريح من الله سبحانه وتعالى بأنه يعلم السر وأخفى فلا تتبعوا الهوى •

الآية ١٤٨،١٤٩ من سورة النساء « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا » •

تمنع القوانين الوضعية أى انسان من أن يجاهر بفاحش القول أو سيئه يوجهه الى آخر ••

والعلة فى ذلك لدى تلك القوانين الوضعية هى حماية أسماع الناس من أن تتأذى بمثل هذا الجهر، وحماية أخلاقهم من أن تندس اليها تلك القبائح، ولأن فى ذلك أذى لمن وجه اليه السوء ، وتقول الآية فى هذا المعنى « لايحب الله الجهر بالسوء من القول » ولو انتهت الآية عند لفظ السوء بأن كانت « لا يحب الله الجهر بالسوء » لشملت أيضا الفعل الفاضح العلنى وهو جريمة مثالها ان يكشف انسان عن عورته فى مكان عام ، أو يكشف ثياب امرأة لتظهر عورتها • وتحديد السوء هنا بأنه من القول امتنع معه السوء من الفعل الفاضح ، وهذه الجريمة منصوص عليها فى آية أخرى هى الآية ١٩ من سورة النور (**ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة** » •

ومما اصطلحت عليه أحدث القوانين الوضعية فى جرائم كثيرة منها السب والقذف ، اعتبار القاذف معذورا اذا ما ابتدره غيره بالسب والقذف فرد عليه سبا بسب وقذفا بقذف • وقد نصت الآية الكريمة فى بقية لها على العذر القانونى اذ **يقول الله سبحانه « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم »** •

وهذا الاستثناء يبيح لمن ظلم أن يجهر بالسوء ما دام غير باغ ولا عاد ولم تحدد الآية الظلم بأن يكون من القول كما حددت السوء • وهذا الاطلاق يجعل الظلم شاملا للقول والفعل •• فيكون اذا معذور وغير مستحق لعقاب من ينهال عليه غيره بالضرب وهو أعزل أو مغلوب على أمره فينطلق لسانه بالسباب والشتائم ، وقد يشمل العذر من يعتدى على ماله •

والآية التالية مباشرة ١٤٩ تستدرك لما قد ينشأ عن تطرف فى استعمال عذر الاستفزاز ، فنصت على أن العفو عن السوء خير من رده بمثله فقالت : **« ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا »** •

الآية ١٧٦ من سورة النساء : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين ، يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم » •

يلاحظ أن القوانين الأوربية المأخوذة عن القانون الرومانى لا تورث الاخوة ولا الأخوات ولا أولادهم ، وفوق ذلك تعطى المالك الحق فى حرمان كل ورثته ، وقد منع الاسلام ذلك فلم يعط المورث حق الوصية الا فى حدود الثلث .

سورة المائدة

الآية ١ من سورة المائدة « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود .. » .

الوفاء بالعقود والعهود يشمل ما بين العبد وربه ، وما بين الناس بعضهم البعض . والعقود اصلا تكون بين طرفين وفيها معنى الاستيثاق والشد ، وبعض العقود والعهود ، تكون بمعنى التصرف وهو الالتزام من جانب واحد وهو ما يسمى فى القوانين الوضعية .. الالتزام بالارادة المنفردة . وبهذا سبق القرآن الكريم غيره من القوانين الوضعية . والآية عامة فى الوفاء بجميع العقود والعهود ، وجامعة ، لان الاسلام يعتبر العقد شريعة للمتعاقدين وأى مشروع وضعى لايمكن ان يأتى بأتم واشمل وادق وأوضح من هذه الآية ولا بما يماثلها فى ضرورة الوفاء بالعقود واحترامها .

الآية ٢ من سورة المائدة « وتعاونوا على البر والتقوى » .

ان القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة قد سبق بالدعوة الى التعاون على الخير جميع التشريعات الوضعية التى تهدف الى ذلك باكثر من ألف عام ..

الآية ٣ من سورة المائدة « ... فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم » .

عنى الاسلام بالنص على أن حالة الضرورة تبيح المحظور رفعا للحرج عن الناس وفعل هذه الآية فى ذلك الآية ١٧٣ من البقرة ونصها .. « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » ، وهاتان الآيتان الكريمتان وغيرهما من الآيات تضع أصلا من أصول التشريع الجنائى هو أن الشخص اذا أقدم على ارتكاب جريمة مضطرا فلا اثم عليه . وقد فرقت قوانين العقوبات بين أمرين : بين ارتكاب الجريمة استعمالا لحق ، وبين ارتكابها فى حالة الضرورة ، واعتبروا الجريمة فى الحالة الأولى عملا مباحا كمن يقتل دفاعا عن النفس .. أما فى الحالة الثانية فان الجريمة تظل قائمة ويعفى الجانى فقط من العقاب كمن يلقى بانسان من السفينة مضطرا لانقاذ باقى ركاب السفينة .

وينتهى الأمر بهذا التقسيم الى اعتبار الأثر فى الحالة الأولى موضوعيا متصلا بالفعل ذاته فيستفيد منه كل من أسهم فيه ، أما فى الحالة الثانية فانه يعتبر شخصيا لا يستفيد منه الا من كان فى حالة الضرورة ولا تكون جريمة الضرورة فى القانون الوضعى الا فى حالة الدفاع عن النفس من خطر جسيم على وشك الوقوع ،ولم يكن لارادة الجانى دخل فى حلوله ولا فيه قدرة على منعه بطريقة أخرى « المادة ٦١ من قانون العقوبات المصرى » . أما فى كتاب الله فجريمة الضرورة تنفى عن الفعل صفة الجريمة وتعتبره عملا مباحا ، ومن ثم فهى تلحقه بأسباب اباحة الجرائم ويكون شأنها شأن ارتكاب الجرائم استعمالا لحق. ومنتهى الامر فيها الى اعتبار أثرها موضوعيا ، متصلا بذات الجانى لا يستفيد منه الا شخصه وكذلك لا يلزم مرتكب جريمة الضرورة بالتعويض كما هو الشأن فى القانون الوضعى . والخلاصة من ذلك أن جريمة الضرورة أشمل وأعم فى كتاب الله منها فى القوانين الوضعية من حيث أنها موضوعية الأثر لا شخصية الاثر فتنصب على ذات الجريمة ويستفيد منها كل من أسهم فيها ولا يلتزمون بالتعويض ومن حيث كونها تشمل جرائم النفس وغيرها ومن حيث كونها تعتبر استعمالا لحق وليست فقط سببا من أسباب موانع العقاب .

أما فى الفقه الادارى فى القانون العام، فنظرية الضرورة من أهم النظريات وأدعى بعض الفقهاء

الغربيين انها من بنـــات أفكارهم مع ان الضرورة نظرية أصيلة فى الاسلام تشير اليها صراحة هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات حتى أن فقهـاء الاسلام وضعوا لها القواعد القانونية ومنهــا : « الضروريات تبيح المحظورات » ولكنهم خشوا من هذا الاطلاق فقيدوه بقاعدة أخرى هى « الضرورة تقدر بقدرها » . فانعدام الماء يبيح التيمم، والسفر يبيح قصر الصلاة وجمع الصلاتين كما يبيح الفطر للصائم وكذلك المرض .

الآية ٨ من سورة المائدة « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » .

ان اقامة العدالة المطلقة بين الأفـراد والدول مهما كان بينهم وبين المسلمين من عداوة أو بغضاء لمن ضمن ما يجعل شريعة الاسلام تسموا على غيرهـا من الشرائع . ان هذه الآية لتدعو الى خير ما يمكن ان تدعو اليه أية دعوة للعدالة

الآية ٣٢ من سورة المائدة « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهـم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون » .

فى هذه الآية الشريفة ما يدل على ان الاعتـداء على النفس الواحدة بالقتل اعتداء على المجتمع وهو يبرر كون الدعوى عن حق المجتمـع يباشرها عنه النائب العام ووكلاؤه ، أو أية سلطة تقيمها الدولة لهذه الوظيفة فى التشريعات الحديثة ، وهذا هو المقابل لحق الله فى التشريع الاسلامى : فالتشريع الاسلامى فى هذه المسألة له فضل السبق . ومن أحسن الى انقاذ حياة فرد من الهلاك فقد أحسن الى المجتمع . فالآية بما اشتملت عليـه من معنيين تؤكد أن الاسلام يرعى قواعد المجتمع الصـالح وقواعد التعاون بين الأفراد والمجتمعـات . وفى هذا كله محافظة على الأمن والسلام والتعاون بين الأفراد والجماعات .

الآية ٣٣ من سورة المائدة « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهـم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

الآية ٣٨ من سورة المائدة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

القرآن الكريم فى هاتين الآيتين ينص عـلى عقوبات لم تراع فيها الا المصلحة ومنع الاجرام ، وان هذه العقوبات من شأنها لو طبقت على وجهها الصحيح أن تقطع الجرائم وتحيـل المجتمـع الى مجتمع ترفرف عليه السعادة والأمن والسلام .. ويجب التنويه بأن هذه العقوبات مانعة، فمن شأنها أن تمنع ارتكاب الجرائم والتخويف من الوقوع فى حمأة الضلالة . وهى بعد عقـوبات تتناسب مع ما للنفوس والأموال من حرمة فى المجتمع – وعلى من يستفظع هذه العقوبات الا يرتكب ما يوجبهـا .. وقد نجحت فى محاربة الاجرام نجاحا لم تصل اليه التشريعات الوضعية ، وهى بعد متفقة مـع روح العصر ومع كل قبيل . فهى من وحى هذه الشريعة الأبدية التى جاءت لتحقق مصالح الناس وعلى كل من يستفظع العقوبة أن ينظر الى الجرم أولا ..

الآية ٤٩ من سورة المائدة : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبـع أهواءهم واحذرهـم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون » .

فى هذه الآية الدليل على أن القرآن الكريم يقرر مبدأ اقليمية القانون بمعنى أن التشريع الاسلامى يطبق فى ديار الاسلام على جميع القاطنين بها .. ومبدأ الأقليمية هذا لم يستقر فى عالم التشريـع الوضعى الا حديثا .

الحياء خير كله

فضيلة الشيخ
بدر المتولى عبد الباسط

عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – مر على رجل من الأنصار يعظ أخاه فى الحياء وكأنه يعاتبه على كثرة حيائه كما يفعل بعض الناس اليوم « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – دعه . فان الحياء من الايمان » روى هذا الحديث جمع كبير من المحدثين منهم البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم .

وفى حديث آخر صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ! الحياء لا يأتى الا بخير » .

وفى رواية أخرى « الحياء خير كله »

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم – الحياء من الدين ؟ فقال « بل هو الدين كله » .

هذا بعض ماورد فى الحياء عن رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – واليوم نرى ونسمع بعض الناس يقللون من شأن الحياء ، ويخلطون بين الحياء – وهو من أكرم الاخلاق الانسانية – وبين الجبن وضعف الشخصية – وهو من أحط الصفات وأحقرها .

فما هو ذلكم الحياء الذى رفع نبى الاسلام قدره حتى جعله الدين كله ؟

هو خلق تتصف به النفوس الكبيرة فيكفها عما لا يليق ولا ينبغى بالانسان الكريم - رجلا أو امرأة أن يقول أو يفعل مالا ينبغى . وهو الوازع النفسى الذى يقف بين الانسان ونوازع الشر فى نفسه ، فلا تكون عنده جرأة البذىء على انتهاك المحارم وارتكاب الجرائم والاعتداء على كرامات الناس والاساءة الى مشاعرهم .

والحيى من الرجال والنساء - لايقدم على أمر حتى يحاسب نفسه - أمحسن هو أم مسىء ؟

وبالمشاهدة نجد الحيى من اقوى الناس شكيمة وأشدهم بأسا فى الدفاع عن الحق والذود عن الحرمات ، حرمة الدين ، حرمة الوطن ، وحرمة العرض .

وأما ضعيف الشخصية فهو الجبان الذى يؤثر السلامة العاجلة ، فلا يغضب لعرض ينتهك ، أو لكرامة تهان ، أو لوطن يذل ، لانه يتوهم ان اظهار غضبه لهذه المحرمات يعرضه للخطر .

فشتان بين الحياء وبين الجبن وضعف الشخصية

ويقابل الحياء ويضاده البذاءة والفحش ، وهو خلق يتصف به السفلة من الناس ، فلايبالون - اذا قالوا أو فعلوا - أصابوا الحق أم جانبوه ، أأساءوا الى مشاعر المجتمع أم احسنوا أرضوا الله أم اسخطوه .

همهم الاول والاخير استجابة نوازع نفوسهم وكما أن التاريخ والواقع يشهدان أن أصحاب الحياء - هم - الشجعان فى ميدان الحق ، وهم الزادة عن الحرمات فيها - كذلك - يشهدان أن أصحاب البذاءة والفحش قوم أنانيون لايثورون ولا يغضبون الا لأنفسهم ، أما المجتمع فلا يهمهم أمره و لايعنيهم شأنه .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد حياء من البكر فى خدرها ، ولكنه كان أشجع الناس فى ميدان الدفاع عن الحق ، وكان غضبه أشد من البركان فى ثورته ان انتهكت حرمة من محارم الله .

وهؤلاء المنافقون كانوا أفحش الناس قولا وأطولهم لسانا وأجرأهم على الخوض فى أعراض الناس ومع هذا فكانوا أجبن من الجبن اذا دعا داع الى الحق او أذن مؤذن للجهاد .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول :

((الحياء من الايمان ، والايمان فى الجنة ، والبذاء فى الجفاء ، والجفاء فى النار)) .

والتخلق بخلق الحياء يتطلب تربية صحيحة فى المنزل والمدرسة والمصنع والحقل ومكاتب الاعمال ودواوين الحكومة

أما المنزل فواجب الوالدين والاسرة أن تربى أبناءها على الحياء بالقدوة الصالحة والتوجيه السديد .

وأما المدرسة فبالقدوة الصالحة والتوجيه السديد ، ودراسة تاريخ من عرفوا بالحياء والادب الجم ، وما قدموه للانسانية من خير ومقارنة ذلك بما جناه السفهاء على أممهم من شر .

وأما الحياء فى المصنع والحقل ومكاتب الاعمال ودواوين الحكومة فهو أن يشعر الفلاح والعامل ورب العمل والموظف أن للمجتمع عليهم حقوقا يجب أداؤها ، وأن لا يضيعوا وقتهم فى سفساف الامور من قول أو فعل وليجعلوا من ضمائرهم رقباء على ألسنتهم وأعمالهم وبهذا تستقيم الامور ، ويعود للامة مجدها وعزها فانه لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها وقد قال الرسول الاكرم ، ((ان لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء)) .

زين الله أخلاقنا بالحياء ، وطهرنا من الفحش والبذاء بمنه وكرمه .

بنو إسرائيل في ميزان القرآن

الأستاذ البهي الخولي

فطرة الاجتماع

— ١ —

نورد في هذا المقال طائفة من فساد وافساد اسرائيل ، لا بقصد التشهير ، فان موضوعنا (بنو اسرائيل في ميزان القرآن) لايستقيم الا بدقة التحليل وأدب القرآن في ايراد الحجة ومناقشة الحقائق فاذا رأى القارىء في نماذج هذا الفساد ما يقشعر له بدنه فانا لم نقصد به تشهيرا ما ، انما هي أمثلة نقلناها في أمانة عن كتابهم المقدس التوراة لدلالتها على حظهم من فطرة الاجتماع الانساني على النحو الذي عرضنا به أمثلة المقال الماضي للدلالة على فقدانهم فطرة الاعتقاد ..

والاجتماع الانساني في اصدق مفاهيمه وأرقاها يمثل حضارة الانسان الفاضلة .

والحضارة ليست مجرد نظم وتشريع ، وأوضاع تضغط الناس في سلطة معينة فقد تكون هي سلطة الطغاة والمستغلين ، وكذلك ليست هي تكنولوجيا في النشاط الصناعي والزراعي لأمة ما ، والا كانت أمريكا تمثل قمة حضارة الانسان ، لا ، وليست هي مستوى من الفلسفة والعلم والثقافة والا فاذا كانت الفلسفة هي تلك المذاهب التي تبلبل الفكر باتجاهاتها المتعارضة دون ان تتفق على حقيقة واحدة ، واذا كان العلم هو تلك المقررات التي تزود الانسان بالمزيد من القدرة على الفتك والدمار وكانت الثقافة هي ألوان الترفيه التي تطغى فيه الغريزة ونهمة المتاع دون أن تحفل بقيمة واحدة من حقائق الروح .. اذا كان ذلك هو الحضارة فأي شيء يكون

مجتمع الفساد والحيرة والجهل ؟ ٠٠ فاذا تحدثنا عن حظ اسرائيل من الفطرة الحضارية فانا لاننظر الى تلك الاخلاط التى لاتستقر فى الفطرة على معنى يطمأن اليه ، بل ننظر الى مفهوم نبيل جليل يستمد وجوده من حقيقة أصيلة لاتعزى الى عرف ولم يزيفها هوى ، أو يبتدعها انسان هى دلالة الكائنات على الخالق تعالى ، دلالة على ماله من صفات الجلال والجمال فتلك الصفات هى رحيق العلم الذى تتفجر به فى النفس أشرف الوجدانات ، وتطهر به من عقد الشح والفساد والتطير ، وتقوم أنفس القيم والمبادىء ٠٠ فاذا كان ذلك هو (روح) الحضارة وكان انفعال الانسان به فى سلوكه وخاصة نفسه وتفاعله به مع أفراد مجتمعه هو المظهر أو الصورة المحسة لها ، فما مدى المساهمة التى يشارك بها الاستعداد الاسرائيلى فى ذلك المفهوم ؟

ولسنا ننكر ان للشعوب على اختلاف بيئاتها وأزمنتها جهالتها التى تبتعد بها عن الله حتى لتبدوا أبعد ما تكون عن تمثل أو تمثيل حقيقة الحضارة ولكن الابتعاد عن الله لاغترار بالحس وسوء فهم لمقاصد الحياة وحكمة الخلق أمر يختلف جوهريا عن الابتعاد الناشىء من حرمان الشخص فطرة الاعتقاد ٠٠ والفجور الناشىء عن عدم المبالاة بالمبدأ غير الفجور الناشىء عن عدم تصور مبدأ تكون به المبالاة واللامبالاة ٠٠ وهذا هو الفارق بين جبلة الاسرائيلى وغيره ٠

(٢)

ولننظر ما تقصه التوراة من أن الغلاء اشتد فى دولة اسرائيل ، وبينما كان الملك يمر نادته احدى النساء قائلة (ان هذه المرأة قالت لى هاتى ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابنى غدا ، فسلقنا ابنى وأكلناه ثم قلت لها فى اليوم الآخر هاتى ابنك فنأكله اليوم فخبأت ابنها) — الملوك الثانى (٦)

٠٠ وقبل ذلك مباشرة تصف التوراة ذلك الغلاء بقولها : (ان الحمار صار بثمانين من الفضة وربع الغاب من زبل الحمام بخمس من الفضة) ٠ ولسنا نلتفت فى ذلك الى غلو الثمن انما الى أن البلد كان به ضروب من الحيوان كالحمام والحمير فاذا بلغ الجوع بالناس درجة الاضطرار كان ابن المرأة آخر من تفكر فى اكله اما ان تسلقه فتأكله هى وجارتها وفى البلد ضروب من الحيوان فهيهات أن يكون ذلك من ذى فطرة سليمة ٠٠ ٠ ومما له دلالة ان اسرائيلية أخرى ذبحت أبنها ثم شوته وأكلته روى ذلك يوسيفوس المؤرخ اليهودى فى وصفه لحصار تيطس الرومانى لهم عند ماجاء انجازا لوعد المرة الآخرة ٠٠ قال : ان هذه المرأة قالت لابنها الوحيد لما اشتد بها الجوع قد رأيت ان اقتلك لتستريح من الم الجوع ثم آكلك بعد ذلك وأجعل جوفى الذى حملك قبرالك وأسد بك جوعى ، ويكون ذلك عوض البر الذى كنت أؤمل أن أناله منك ٠٠٠ ثم قبضت على ناصية ابنها باحدى يديها وعلى السكين بيدها الاخرى وضربته بالسكين فمات ٠٠ حينئذ أخذت بعض لحمه فشوته على النار ، وأكلت منه حاجتها واحتفظت بما بقى من جثته ٠٠ ثم شم من فى الشارع رائحة الشواء فدخلوا على المرأة وقالوا (ما الذى كنت تأكلينه ومن أين هذا اللحم وكيف اكلته وحدك ولم تعلمينا ؟ فقالت ترفقوا ولا تعجلوا ٠٠ هذا ولدى قتلته لأفراط الجوع بى فأكلت من لحمه حاجتى وهذه بقية جثته واعضائه ٠٠ ونصبت المائدة قائلة كلوا واشبعوا ٠

وفيما فعلت تلك المرأة جنوح عن منطق الفطر السوية فان جزع الأم لما ينالها وينال ابنها من الم الجوع على يأس من نجدة أو فرج ، قد حملها على اجراء تنهى به تلك الآلام ، وفى منطق الأم البائسة يكون انتحارها واياه بأن تشعل فيه وفى نفسها النار مثلا أقرب الى خاطرها بكثير جدا من أن تفكر فى ذبحه ٠٠ فاذا ذبحته فأنى لاتصور اما تأكل لحم ولدها لتدفع عن نفسها الم الجوع ٠٠ ومع ذلك فهل فكرت أو لم تفكر فى أن العاقبة بالنسبة لها هى العودة حثيثا لمواجهة الم الجوع بعد نفاد لحم ابنها ؟ ! وقد كان هذا الخاطر جديرا ان يثنيها عن ذبحه ، أو يثنيها اذا ذبحته — ان تأكله لو أنها أم تحس نحو ولدها

ماتحسه قلوب سائر الامهات •• أما ان تشويه وتجد فى نفسها قابلية لازدراده ، ثم تدخر ما بقى منه لأكلة أو أكلات أخر فهيهات أن يكون ذلك شأن أم كسائر أمهات البشر •

هذان مثلان لاسرائيليتين ذبحت الاولى ولدها ثم سلقته وأكلته مع جارتها كما تقول التوراة ••وذبحته الثانية ثم شوته وأكلته كما يقول بوسيفوس ،ووقوع الحادث الواحد من المرأتين دليل على تماثل فطرتيهما •• فاذا ذكرنا ان المرأة الأولى ذبحت ابنها بناء على اقتراح جارتها كان معناه أن تلك الجاره قد اقترحت أمرا لم يكن منكرا فى فطرتها وانها كانت تتوقع احتمال الأجابة من الأم •• فاذا اضفنا ذلك كله بعضه الى بعض كنا بازاء فصيلة تغاير فطرتها فطر سائر الآدميين •• وللقارىء أن يقدر مدى استجابة تلك الفطرة للاسهام فى حضارة الانسان !

والأم فى المجتمع أى مجتمع ـ أهم عامل فى تكوين الاسرة ، لامن حيث انها تحمل الأجنة وتلدهم اطفالا بل من حيث انها مصدر الحب الذى يتغذى به الأطفال فيتعاطف بعضهم مع بعض ومعها •• وهى من ناحية ثانية منظمة العلاقات بينهم فيما يكون لكل منهم من لعب مثلا ـ أو ملابس ، أو نقود يأخذونها منها أو من مصدر آخر ، فتحدد لكل منهم سلوكه بازاء ما لسائر اخوته من (خصوصيات) فيقود احترام المجال الخاص لأخيه ، وتقصير تطلعاته فى الحياة بحيث يمتد بها الى حيث يشاء دون ان يقتحم بها أى مجال خاص لغيره ، فهى مدربة الطفل على فضائل السلوك الاجتماعى فى أبسط نطاق للمجتمعات وهو الاسرة •• وهى ملهمة الطفل قيمة ومبادئه التى يتفاعل بها مع اخوته فى نطاق الاسرة أولا ، ومع أفراد مجتمعه على مدى حياته ثانيا •• واذا كان المجتمع ـ على ما يقرر الثقات ـ هو ما يكون بين أفراده من علاقات فأن الاسرة على هذا ليست مجرد الافراد الذين ولدتهم الأم ، بل هى العلاقات التى تقدم بين هؤلاء الافراد بتنظيم الأم والاب •وللام فيها الحظ الاوفى •• والاسرة على هذا مدرسة تخرج للحياة أو للمجتمع أفراده الذين يتعاونون على بناء كيانه العام بتفاعل بعضهم مع بعض فى نطاق مالهم من قيم ومبادىء وغايات وسلوك يحترم ما لمجالات الآخرين من خصوصيات ومقدسات

وعلى هذا فلننظر تصرفات المجتمع الاسرائيلى على ما تصورها التوراة لنرى مدى رعاية ما لكل منهم من حقوق خاصة فى شتى المجالات ، بل مدى ما لحياته أو لدمه من حرمة ولنرى فى ذلك مدى ما زودته الاسرة من عناصر صلاحيته الاجتماعية التى هى فى الوقت نفسه عدته فى اداء رسالته المثلى فى الحياة •

وسلوك الفرد فى مجتمعه جنسيا ، أو اقتصاديا قد يتخذ سمة الفضيلة أو الرذيلة •• وقد تختلف مقاييس الفضيلة والرذيلة باختلاف العرف فى البيئات المختلفة ، والازمنة المتباينة ، ولكن لا بد مع هذا من تصور مبدأ أو مثل اعلى فطرى ، اذا اختلفت اعراف البيئات من حوله ، اختلفت فى الشكل دون أن تختلف فيه هو •• فيكون تصوره مبدأ لتقدير انحراف السلوك عنه ، أو مجانسته له ••

والمثل الأعلى فى العلاقات الجنسية هو ان الطبيعة أرادت بها النسل ، ولم ترد بها مجرد اللذة ، وهو مراد الله تعالى •• فاذا انحرف بها الانسان وجعلها لمجرد اللذة فذلك هو الفساد ، أو الافساد •• وقد ابتلينا بمفاهيم غربية فى معنى العفة وشرف العلاقة الجنسية تخرج بهما الى مفهوم الفاحشة لدى من يقدرون لتلك الصلة وقارها واحترامها ومع أن تلك المفاهيم اتخذت فى الغرب وضع العرف المباح مادامت بين غير المتزوجين فانها لم تتنكر للمثل الأعلى الأساسى وهو ان الصلة الزوجية أريد بها النسل لا لمجرد اللذة ولذا أحاطتها بالكثير من كفالات الاحترام •• وما يزال تصور هذا المثل الأعلى لديهم مبدأ لتقدير انحراف السلوك أو استقامته •

على هذا التقرير العادل ننظر فى بعض صدق العلاقات الجنسية التى تضمنتها التوراة (لشعب الله المختار) لنرى منهم تلك العلاقة فى الفساد الذى اخبر الله عنه بقوله (لتفسدن فى الأرض مرتين)

لم يكن ذلك الفساد فيهم محدثا بعد صلاح ، فقد احصته التوراة عنهم وموسى حى بينهم يتلو عليهم آيات الله ، ويتلقى عنه كلامه وهم يشهدون ، قالت التوراة : (وابتدأ الشعب أى اسرائيل ـ يزنون مع بنات موآب فدعت البنات الشعب الى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن) ـ عدد : ٢٥ ـ

ونختار هذا النص ليكون اساسا لقدم عهدهم بتلك الآفة فى اكرم عهودهم نزاهة وقداسة ٠٠ ولننتقل الى كلام التوراة عن حال الفاحشة التى استحقوا بها الاستئصال والنفى بحى بابل فى المرة الأولى اذ يقول ارميا النبى عن الله (ولما اشبعتهم زنوا وفى بيت زانية تزاحموا ٠. صاروا حصنا - أى خيلا - معلوفة سائبة يصهلون ، كل واحد على امرأة صاحبه - ارميا ٥ - ٠٠ ولعل صورة هذا الصهيل بالزنى كل على امرأة صاحبه تبدو لنا من حادثة تذكر ان اسرائيليا عاد بسريته من محلة أهلها ، فادركه الليل بمحلة يقطنها جماعة تنتمى الى سبط بنيامين ، فنزل الرجل عند شيخ يتوطن تلك المحلة وليس من أهلها ٠٠ وما كاد أهل المحلة يحسون نبأ الوافد الجديد بسريته حتى اجتمعوا كالخيل الصاهلة على باب الشيخ وعرف الشيخ مأربهم فجعل يضرع اليهم أن لا يقربوا الرجل بالفاحشة المعروفة ، ولهم ما يشاءون ، فأخذوا سريته وانصرفوا ولما كان آخر الليل اطلقوها الى بيت المضيف ، فما أن بلغت الباب حتى خرت مفارقة الحياة ولما أراد صاحبها الخروج عند الصباح فوجىء بها ملقاة امام الباب ٠٠ وللحديث بقية عجيبة تدل على أنهم لا يصدرون فى تصرف ما عن قاعدة مقررة أو منطق ثابت يحول ضيق المقام عن ايرادها وليراجع سفر القضاة ١٩: و ٢٠ - ولعل الوحشية التى عانتها تلك المسكينة حتى فارقت الحياة ترسم لنا صورة نفسية بشعة لهذا الشعب الذى يزعم انه حامل تراث ابراهيم واسحاق ويعقوب ٠

هذا وحظ النساء من عفة الجنس لايختلف عن حظ الرجال فتقول التوراة : (من أجل ان بنات صهيون يتشامخن ويمشين غافرات بعيونهن خاطرات فى مشيتهن ويخشخشن بارجلهن ٠٠ يعرى الرب عورتهن وينزع زينة الضفائر والجلاجل - اشعيا : ٣ - ٠٠ وتشيع الفاحشة فى النساء (ان روح الزنا قد اضلهم فزنوا من تحت الههم ٠٠ لذلك تزنى بناتكم وتفسق كناتكم - الكنة زوجة الابن - لاأعاقب بناتكم لأنهن بزنين ، ولا أعاقب كناتكم لأنهن يفسقن ، لأنهم يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع الناذرات الزنى وشعب لايعقل يصرع - هو شع ٤ - فهناك نسوة فرغن للزنا أو احترفته فهو بغاء اساغه العرف ٠٠ وبناتهن وكناتهن لايعاقبن لمجرد الزنا والفسق بل ، لأنهم يعتزلون مع الزانيات) أى يخترن سمت المشتهرات بالزنى ٠٠ والذنب مظهر ضعف الانسان وقد يكون موضع مغفرة الله ولكن حين تخلع المرأة عذار الحياء ، فتشتهر بتلك الآفة على مستوى العلانية (وتعتزل مع الزانيات) فهنا تكون عوامل التدمير التى تعدوها المغفرة ٠٠ ويخاطب الله مدينة اورشليم بقوله : (ازدريت أقداس ونجست سبوتى ٠٠ فى وسطك عملوا رذيلة ، فيك كشف الانسان عورة ابيه فيك أذلوا المتنجة بطمثها ، انسان فعل الرجس بامرأة قريبة ، انسان نجس كنته برذيلة انسان اذل فيك أخته بنت أبيه) - حزقيال :) ويذهب رجل وأبوه الى صبية واحدة حتى يدنسوا اسم قدسى) عاموس : ٢

ولسنا ننظر الى صورة ذلك التحلل القذر ،وما فيه من فوضى العلاقات واختلاط الانساب ، ضراوة للفسق من كل صغير وكبير ، وكل رجل وامرأة لسنا ننظر الى ذلك انما ننظر فى دلالة جزئياته على مدى التأهيل الحضارى لهؤلاء ، أو على الخصائص التى يأتلف بها للمرء كيان انسانيته فالانسان بلا شك كائن حضارى له قدرته على ضبط رغباته واقامة تصرفاته الغريزية على منطق الطبيعة وسنن الصلاح ٠. وقد قدمنا أن الطبيعة ارادت بعلاقة الجنس النسل ، لامجرد اللذة ٠٠ وقد أعين الانسان لتحقيق هذا المثل الأعلى بتأهيلات روحية كان لها اثرها فى التراث الأدبى الذى يحيط الآن الاسرة عامة والعلاقة الزوجية خاصة بمشاعر كريمة من الاحترام٠ فاذا المرء غير الهدف ، وأهدر كلمة الغاية ، فهو الى انه معطل السنن كائن يعيش بمنطق شهوته وهذان هما جماع الافساد الذى يمكن ان يحدثه كائن فى الارض ٠

ومن الواضح ان عامة ما نقلنا من نصوص يدل على ان الشهوة هى قوام كل تصرف جنس لهؤلاء (أن روح الزنى قد أضلهم فزنوا من تحت الههم

٠٠ الخ ٠٠ وفى منطق الشهوة ـ أو روح الزنى الذى اضلهم ـ لايقوم اعتبار ما بطبيعة الحال لمراعاة مقاصد السنن وحكمة المثل الاعلى وذلك هو مركب الافساد الذى افسدوا به فى الارض ، وما زالوا يفسدون على النحو المشاهد لهم فى كل تصرف ٠

هذا والانسان منذ كان ظل يتسامى بعلاقاته الجنسية عن مستوى البداءة بمحض فطرته الحضارية وتقلب خلال ذلك فى تجارب عدة حتى اهتدى الى نظام الزواج الحالى ، فأذا هو اتم ملاءمة لفطرته ومنطق مجتمعه فلزمه ٠٠ ثم مضى بمحض فطرته الاجتماعية وحسه الأنسانى النبيل ، فأخذ يهذب من نظام ذلك الزواج ، فعف أن يتزوج أخته ـ مثلا ـ وان يتزوج خالته ، وأخذ فى ذلك التهذيب يقيم فى ضميره مناطق حراما أى ذات قداسة وحرمة لم يقهره عليها أحد بل هو وحى التسامى الاختيارى مع مقتضى فطرة الاجتماع حتى حقق الكثير من مثل الفضل والنبل وعلو الهمة ، وصار ذلك التراث ـ على الأجيال ـ مرتبطا بانسانيته ، عنوانا لها شاهدا بأثرها فى حياته ٠٠ فاذا وجدنا هؤلاء يبتذلون تلك العلاقة لا حرمة لها فى نفوسهم بتة ، حتى يصهل الرجل على كنته ، زوجة ابنه وعلى أخته بنت ابيه ، وحتى يكون للمرأة متزوجة وغير متزوجة ان تعتزل مع الزانيات ، أى ان تغير من سلوكها كما تغير من زيها ، فلاينكر عليها المجتمع ولا الزوج لاستواء الأمرين لديهم ، اذ هو من قبيل تغيير زى بزى كما قلنا ٠٠ اذا رأينا هؤلاء على النحو الذى قدمنا كان لنا ان نسأل : أين مكان تراث الانسان فى ضمائر هؤلاء وسلوكهم ؟ ٠٠ ان نظام الاسرة القائم على الزواج الحالى ، لم يفرضه احد على الانسانية ، بل هى التى بلغته عبر تجارب ونماذج متعددة فكان هو من بينها بقية الفطرة وفى الوقت نفسه منطق النظام ٠٠ فأذا كان هؤلاء قد محصهم طريق التجارب الطويل الذى مر به غيرهم فى كل بيئات العالم فأين أثر فى سلوكهم ؟٠ أين تراث الفضل والنبل الذى يكف الرجل أن ينزو على اخته وامرأة ابنه ؟! ٠ ان التجربة لم تتطور آليا فى ضمير الانسان ، انما طورها احساس عميق فيه ينشد التسامى ، ويستشرف للنظام الذى تنفرد به العلاقات ، فاذا وجد قبيل آدمى يعدم تراث تلك التجارب ، فليس له عن تأويل الا انه يفقد خاصية هذا الاحساس وملابساته من مدارك وان شهوة الجنس قد بقيت فيه عارمة على بداءتها لاتعارضها مواريث ولا يكنها عقل ٠ ان يفقد الخصائص التى يأتلف بها كيان انسانيته (وشعب لايعقل يصرع) كما تقول التوراة ٠

واذا استوى لدى المجتمع ان تلتزم الزوجة شعار الأمومة ، وأن تعتزله الى سمت الزانيات فمعناه أن ما تبدعه الامومة من الحب والهام القيم ، وتقويم السلوك أمر لاوجود له فى تقدير ذلك المجتمع ، وبطبيعة الحال لاوجود له بتة فى ضمير تلك الام ٠٠ واذا أضفنا الى ذلك تلك الصورة القذرة التى أساغ فيها ضمير الرجل ان يصحب أباه ، والأب ان يصحب ابنه الشاب الى صبية واحدة لم يكن لذلك كله من حكم الا خلو ذلك الضمير من أى قيمة تمثل تراث الانسان ٠

وتكتمل الصورة بما اثبتته لهم التوراة من آفة الشذوذ الجنسى أو ما اسمته التوراة (الابنة) وقد تقدم فى قصة الجماعة الذين عدوا على سرية الاسرائيلى أن الشيخ صاحب الدار ضرع اليهم راجيا ، لايقربوا الرجل بتلك الفاحشة ، ونص عبارته فى التوراة هو لا يا اخواتى لا تفعلوا شرا بعد ما دخل هذا الرجل بيتى لاتفعلوا هذه القباحة ، هو ذا ابنتى العذراء وسريته دعونى اخرجهما ، فأذلوهما وافعلوا بهما ما يحسن فى أعينكم ، وأما هذا الرجل فلا تفعلوا به هذا الامر القبيح ، فلم يرد الرجال ان يسمعوا له ـ قضاة ١٩ ـ ومعلوم أنهم لو لم يكونوا مأبونين بتلك الصفة لما كان لرجاء الرجل محل على أننا نجد تلك الآفة مصرحا بها فى مكان آخر من التوراة اذ تصف اهلها بالمأبونين فى معرض تعداد الآثام (وكان فى الأرض ما بونون فعلوا حسب أرجاس الامم الذين طردهم الرب من امام بنى اسرائيل) ـ الملوك الأول : ١٤ ـ وتقول التوراة

فى فضائل الملك آسا الصالح أنه (أزال المأبونين من الأرض ، ونزع جميع الأصنام التى عملها آباؤه الملوك الأول : ١٥ ـ وتقول عن الملك يهوشا فاط بن آسا : (وبقية المأبونين الذين بقوا فى أيام آسا ابيه أبادهم من الأرض) ـ الملوك الأول) ـ ولا تزعم أن اسرائيل انفردت بتلك الآفة المتمادية فى الفحش ، ولكنا نلاحظ ان اصحابها هنا معينون بذواتهم معروفون كانهم كانوا (طائفة) يمارسونها أو تمارس فيهم على تسليم من المجتمع بلا شين للفاعل أو المفعول ، فأن آسا أزال المأبونين من الارض ، فهم ـ اذا ـ كانوا معروفين له ،وماكانوا يستخفون ٠٠ ويجىء يهوشا فاط بعد ابيه فيبيد (بقية) المأبونين فالشأن شأن طائفة موسومة بهذا الفعل معروفة باعيانها ، أزيل اكثرها وتعقب يهوشا فاط (بقيتها) ولسنا بازاء استهجان ذلك الفعل فقد قلنا انهم لم ينفردوا به وهو مستقبح منهم ومن غيرهم ، ولكن ان يتخصص طائفة من الذكور له ، ويستعلنوا به ، فيكونوا معروفين لمن يريد ، دون انكار من المجتمع ، فذلك هو شاهدنا على الاعراق فى الشهوة ، وقطع السبيل دون مقاصد الطبيعة وخلو الضمير من المثل الأعلى الذى يعرف به مايجوز ومالا يجوز

ـ ٣ ـ

وبعد فقد قلنا انا لانريد بما نورد من الامثلة مجرد التشهير ، بل نريد دلالة تلك الامثلة على استعدادهم الحضارى ، مدى اهليتهم لأمانة الحياة ٠٠ وقد رأينا الأم الاسرائيلية تسيغ ذبح ابنها وأكله تارة مشويا ، وأخرى مسلوقا مقتسما بينها وبين جارتها ورأينا كيف كان ذبح الابن الاول بناء على اقتراح الجارة واستخرجنا من ذلك انه على بشاعته لم يكن منكرا فى فطر هؤلاء وفى مراثى ارميا النبى لاورشليم فى كارثة السبى البابلى نراه يقول : (أتأكل النساء ثمرهن أطفال الحضانة ؟) والسبى البابلى كان قبل حادث المرأة التى شوت ابنها بأكثر من خمسمائة عام ، أى ان أرميا لم يدخله فى حسابه وكانت مراثية مستمدة من ظاهرة متكررة ، فقد كان هناك ، نساء) يأكلن ثمرهن (اطفال) الحضانة ولم تكن المرأة التى سلقت ابنها هى المنفردة بهذا الفعل ٠٠ وليس لهذا من معنى الا أن المرأة الاسرائيلية تفقد خصوصية الأمومة التى عرفت بها فطر النساء فى الأمم الاخرى

ورأينا الى ذلك أن تبذلهم الجنسى يقوم على قطع السبيل على مقاصد الطبيعة من غريزة الجنس ٠٠ وعلى عدم رعاية المجال الجنسى للافراد فينزو الرجل على امرأة ابنه ، فضلا عن امرأة اخيه وامرأة صديقة كل ذلك لابقصدالعدوان ، بل لأنه لم يكن فى اذهانهم معالم لفطرة المجتمع التى تقوم على احترام كل فرد لمجالات غيره ، ويدل كذلك هذا التبذل على خلو الضمير من أى قيمة انسانية حصلها الانسان فى طريق تجاربه الحضارى ٠٠ فهم بهذا يخلون من الغريزة ـ أو البصيرة ـ الانسانية التى صاحبت الانسان منذ بداءته ، وترقت به فى مراتب حضارية الى اليوم ٠٠ فاذا اضفنا الى فقدانهم تلك البصيرة الحضارية أو الانسانية أن قوام سلوكهم الجنسى هو الشهوة العارمة أو روح الزنى الذى اضلهم ألفينا ان ليس لمجتمعهم من عوامل الوجود الحضارى ما يمسكه ويبرر قيامه (وشعب لايعقل يصرع) كما اسلفنا عن قول التوراة ٠

والله تعالى يغفر الذنوب لمن تاب منها ، لأن المرء انما يتوب لأحساسه بأن فى ضميره معلم لمعرفة **ما يجوز ومالا يجوز ٠٠ وهو بهذا الاحساس وبتلك المعالم مؤهل لدوره الحضارى بأفضل خصائص انسانيته وهو مأمون على ذلك الدور بفضل اعتصامه بتلك الخصائص التى هى من معرفة الله عزوجل ٠٠ فاذا عدم ضميره تلك الخصائص ولم يكن له من مؤهلات الحكمة الا شهوته العارمة فهو فاقد فطرة الاجتماع الى جانب ما اثبتنا له فى المقال السابق فقدانه بفطرة الاعتقاد وهو بهذين غير مؤتمر على أى دور حضارى ولذا كان من شأن الله مع هؤلاء ما سنبينه ـ ان شاء الله ـ فى المقالات الآتية بعد ٠**

كلمات الله

من الأشباه والنظائر فى القرآن

الأستاذ
عبد العزيز سيد الأهل

الخبر والانشاء
السنة والوعد
الإرادة والتقدير
المنة واليسر

الخبر والانشاء :

حين وقعت الكلمة فى الكتاب المبين مفردة أو مجموعة ، وتخصصت بنسبتها الى الله سبحانه ، جرت كلها مجرى النبأ البلاغى الذى يمتاز عن الخبر بانه صدق كله من حيث يحتمل الخبر الصدق وحده ، أو الكذب وحده ، أو الصدق والكذب معا - على اختلاف بين أبى المعالى وابن الباقلانى - أما النبأ فلا يكون الا صدقا أبدا .

وأصحاب التأويل سبقوا أهل البلاغة فى التعريف بالنبأ فقالوا انه خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن استنادا الى نصوص القرآن ، ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة . وقالوا ان حق الخبر الذى يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر ، وخبر الله تعالى وخبر النبى - عليه الصلاة والسلام .

والفاظ الكلمة أو الكلمات أو الكلام المنسوبة الى الله سبحانه فى نظائر القرآن قد وردت مورد النبأ الصادق فى أمور متعددة منها الشريعة والتوحيد واسم مبعوث من الرسل والوعد الحق ، والقضاء السابق ، والدعاء والتأييد .. ولكل واحد من هذه الموارد فى القرآن أكثر من نظير .

وأمثلة هذه الأمور على التوالى قوله تعالى فى الشريعة :

« انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى » وقوله لزكريا فى التوحيد « ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله » وقوله لمريم فى ابنها « ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » وقوله فى الوعد الحق « وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا » وقوله فى القضاء السابق « ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم » وقوله فى الدعاء (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ») وقوله فى التأييد والاستجابة « ويحق الله الحق بكلماته » .

وقد قيل ان الكلمة فى القرآن هى القضية ، والقلم القديم والقرآن والمعجزة والحجة والرحمة والعذاب والأمانة المعروضة على السموات والأرض ، وكل ذلك وردت فيه نظائر بلفظ الكلمة الصريح أو مفهومه ان لم يذكر صريحا .

وقد وصفت الكلمة المنسوبة الى الله فى القرآن بالصدق والحسن والعلو والسبق والسعة ، ونظائر هذه ماثلة فى أذهان الحفاظ مثول النظير الذى يصفها بالسعة والامتداد الى ما لا نهاية له ، حيث يقول سبحانه :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » ، وحيث يقول « والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

وشهدت نظائر القرآن أن كلمات الله لا يعتريها تبديل ولا يقوى عليها مبدل وذلك حيث يقول : سبحانه فى جملة من هذه النظائر **« لا تبديل لكلمات الله » وحيث يقول « لا مبدل لكلماته » .**

وتتصرف الكلمة فى القرآن بين النبأ والانشاء ، بمعنى أنها وهى تدل على أخبار صادقة لا محالة تدل أيضا على انها أمور وأحكام يجب التزامها أو الانتهاء عنها :

فمثل قوله تعالى (واتل ماأوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته » . ضمان من الله لشريعة القرآن التى لا تنسخ ، وأمر للنبى والمؤمنين بوجوب التلاوة ، والتزام آدابها من غير اخلال ولا تغيير ثم العمل بأحكامها من غير تحريف ولا تبديل .

ومثل قوله تعالى « فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله » . مع أنه نبأ عن نصر الأنبياء الصابرين على الاذى ، فهو أمر لغيرهم أن يصبروا على تكذيبهم وأذاهم حتى يفوزوا بوعد الله من النصر المبين .

ومثل قوله تعالى « الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله » ، فهو نبأ عن فوز المؤمنين المتقين فى الدنيا والآخرة وهو فوق ذلك حث على المضى فى الايمان والتقوى للفوز بالسعادتين ، والبشرى فى الدارين .

السنة والوعد :

وجاءت فى القرآن نظائر أخرى تزيد هذه قوة وتثبيتا ، وقد ذكر فيها لفظ السنة منسوبا الى الله وهو يأبى عليها التحويل أوالتبديل ، وتلك حين يقول سبحانه :

« سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا » وحين يقول « سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » .. أو يقول « سنة الله التى قد خلت فى عباده » ويقول « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » .

كما أنه جاءت نظائر بغير لفظ السنة تقول .. **« فطرة الله التى فطر الناس عليها » وتقول .. « ما يبدل القول لدى » وتقول « لا تبديل لخلق الله » .**

وفرق ما بين التحويل والتبديل ، أن التحويل تغير فى الصورة مع بقاء الجوهر على حقيقته ، وأما التبديل فهو تغير فى الجوهر كله أصلا وصورة ، وكلاهما ممتنع على سنة الله فى المقدمات ونتائجها ، فهى لا تتغير أبدا ، بل هى هى كما كتب تقديرها وكما رتب ظهورها .

ولقد تقررت فى هذه النظائر قاعدة السنة المنسوبة الى الله وثبت كذلك ما شيد فوقها من قصص للانبياء وسير للامم ، ما مضى منها وماحضر وما هو آت ، فكان الارتباط وثيقا بين القاعدة والبنيان والمكان والسكان ، وبين العمل والجزاء ، والبقاء والفناء .

وقد فرغت العصور والعقول والأديان من أن المقضى به ، من وعد الله لا يتحول ولا يتبدل متى سلك طريقه والتزم بابه وكما كانت البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون كان العذاب لمن حق عليهم القول ، ولن يجيئهم الغوث اذا استغاثوا ولكن من غير حرج على ان يتوب الله على المقصرين ويعفو عن المذنبين .

ووعد الله الذى وصف بأنه حق ــ دون كل الوعود من غيره ــ جاءت به نظائر كثيرة فى القرآن ، يقول أكثرها « ان وعد الله حق » ثم تقول « **وعد الله حقا » وتقول « وعد الله لا يخلف الله وعده » وتقول (وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا) وتقول (وعدالله لا يخلف الله الميعاد)**

فاذا لم يوصف وعد الله بلفظ الحق ، جاءت النظائر بأنه حق من الواقع كقوله - سبحانه - **« وعدكم الله مغانم كثيرة »** أو من البداية المشيرة للنهاية كقوله تعالى **« وعد الله الذين آمنوا ٠٠ »** أو من النهاية التى أفضت اليها البداية كقوله تعالى **« بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا »** ٠

وقد جاء الوعد الحق بلفظ الكلمة فى قوله سبحانه **« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين »** ، وفى قوله **« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا »** ثم فى قوله **« ولولا كلمة سبقت من ربك »** ٠٠ وفى هذا كله اخبار عما يقع ويترك لسبق كلمة الله فيه بأن لا يقع فيه تحويل ولا تبديل ٠

ولغة العرب تفصل بين الخير والشر ، فتجعل الوعد للخير والوعيد للشر ، ولكن القرآن جرى على الأمرين بلفظ الوعد من غير أن يهمل ما جرت به عادة اللغة فى لفظ الوعيد ، الا انه جاء به كله - معرفا أو منكرا - فى ختام الآيات من غير أن ينسب الى لفظ الجلالة الظاهر تعليما لأدب الكلام فقال تعالى **« ذلك يوم الوعيد »** وقال **« وقد قدمت اليكم بالوعيد »** ثم قال **« لمن خاف مقامى وخاف وعيد »** وقال **« فذكر بالقرآن من يخاف وعيد »** ٠

وقد استمر الاقرار فى القرآن بوعد الله الحق حتى يكون أهل الجنة فيها وأهل النار فيها ، فيتنادون به معا اقرارا وعرفانا بعد أن كان من الكفار فى الدنيا جحودا وكفرانا ، وذلك حيث يقول أهل الجنة :

« أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا » فيقول أهل النار « نعم »٠

والوعد والعهد واحد ، وقد وصف الله سبحانه محقق العهد بالوفاء ، فحين كان العهد واقعا كان تحقيقه ناتجا عن صفة الوفاء فيمن يوقعه ويحققه، **وقد قال الله فى ذلك « فلن يخلف الله عهده »** ٠٠ **وقال ((ومن أوفى بعهده من الله))**

وكفى بالرب فضلا على عباده أن يحرضهم على طاعته وينفرهم من معصيته بقوله **« الشيطان يعدكم** الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ٠

ثم يقابل فى الآية الفقر بالفضل مكان الغنى والفضل غنى وزيادة ، ويقابل الفحشاء بالمغفره ، وكان مقابلها الطاعة والمعروف ، فقابلها سبحانه تكرما منه بالعفو والغفران ثم نسبه الى نفسه ليكون أوسع نوالا وأكثر احاطة واشتمالا ٠

الارادة والتقدير :

وكذلك وقعت الكلمة المنسوبة الى الله بمعنى ارادة الأمر ووقوعه بمجرد التوجه اليه من غير انفعال كما ينفعل البشر ، ولكنه توجه مجرد عن التأثر والكيف ، وقد عبر عنه القرآن فى نظائر **بقوله « اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون »** ، **وبقوله « انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وبقوله « ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك »** ٠

وقد حذر قوم من التشبيه فقالوا ان صفات الله التى نعرفها لا يراد بها الا وجود غاياتها لا وجود مباديها ، ومعنى الرحمة الالهية عندهم افاضة النعيم وليس انعطاف القلب ولا الرقة فيه ، ولكن ابن القيم لم يرتض هذا القول وأثبت لله الرحمة حقيقة منزهة مبرأة عن خواص صفات المخلوقين، كما هو فى سائر صفاته فوجب ان يقال فى الارادة ما يقال فى الصفات ٠

والتزم القرآن فى نظائر الارادة والكينونة تقديم شرط الارادة ثم اختار التعبير بعد الشرط بفعل الأمر من كان دون غيره لئلا يخالف بعض القرآن بعضه ، فحيث كانت سنة الله حقائق ثابتة لا تتحول ولا تتبدل وكان وعده حقا مفعولا ، فقد اختير فعل الكينونة لأنه فعل منبىء عن معنى الأزلية فينسحب وقته على كل الأوقات ٠

وكأنما كانت كلمة « كن » التى وقع عليها اختيار القرآن رمزا لوحى القضاء وسرعته التى لا تنتظر خاطرا يفكر أو زمنا يمر ، وربما كان تحرك الكاف بالضمة تمثيلا لتوجه الارادة وكان سكون النون تمثيلا لانتهاء الأمر بوقوعه فى اثر التوجه ، وليس

بينهمـــا حرف ثالث ليكون الأمر مقضيا بمجرد الارادة دون فترة أو أسباب •

وقد ربط الراغب الأصفهانى فى مفرداته بين عيسى ابن مريم وكلمة كن لكونه موجدا بها من غير اختلاط أمشاج • ونقل الشريف الرضى عن أبى الهذيل العلاف أنه قال ••

ان الكلمة فى قول الله هى فى قوله كن، ويراد بها الايجاد بغير وسائط ، وقد أفرد الله عيسى ـ عليه السلام ـ بقوله له كن اختصاصا بها اذ كان كل مولود غيره انما يكون بوسط الحمل والولادة وعلى طريق التعلق من الرجال •

وارادته سبحانه فى الخلق لا تكون الا عن تقدير مستقيم فى ابداع الشىء من غير أصل ولا احتذاء أو بأيجاد الشىء من الشىء ، أو بهداية العقول الى ايجاده على قدر ما تقتضى الحكمة لا زائدا عليـــه ولا ناقصا عنه •

ويفصل الراغب الأصفهانى تقدير الله للاشـــياء على وجوه :

أحدها بالحكم منه على قدر مخصوص ووجـــه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة اما على سبيل الوجوب واما على سبيل الامكان •• وعلى هـــذا قوله تعالى « قد جعل الله لكل شىء قدرا » وقوله « انا كل شىء خلقناه بقدر » وقد استحق هـــذا التقدير الحكيم مدح الله لنفسه عليه بقوله سبحانه « فقدرنا فنعم القادرون » •

والثانى بخلق القدرة فيه واعطائه ما فيه مصلحته وخلاصه اما بالتسخير واما بالتعليم ، فيظهر حالا فحالا الى الوجود بصورته التى تحدث وتجد وليس لحديثها وجديدها نهاية ، كما هو فى قدرة العباد من الحيلة والاختراع وهو قوله سبحانه « كل يوم هو فى شأن » •

وقد أنشأ ابن عربى ، شيخ الصوفية الأكبر ، كتابا فى يوم الشأن ـ لم يزل مخطوطا ـ وهـــو خليق باهتمام الباحثين وربما حسن بنا أن نشير الى آخره الذى يقول فيه :

ولا يزال أثر الخالق وفعله والانفعـــال به فى **الدنيا والآخرة دائما أبدا •**

وتقدير الله لخلقه منقطع عن كل رغبة غير اظهار القدرة ليقبل العباد على معرفته وعبادته وتقديره كله محمود ، ولكنه فى الانسان محمود ومذموم ، والأول يكون فى الانسان بالتفكر ونظر العقل وبناء الأمر عليه بالدقة والاتقان ، والثانى يكون بالخضوع للشهوة والتطلع الى المطالب والآمال •

الخفة واليسر :

والموجودات كلها كلمات الله التى لا تنفد اذ هى كلها عن قوله كن ، ووعد الله بالبعث بعد الموت كلمة أيضا لأنه وعد حق وهو هين على الله كالانشاء ، وان كانت الاعادة ـ فى نظر العقل ـ أهون من الابداع اذ هى على مثال سبق ، أما الخلق والابداع فكان على غير مثال •

وقد كانت معجزات عيسى فى التخليق كالاعادة لأنها كانت على مثال سبق لا على خيال مبتدع ، ويلحظ هذا فى قوله سبحانه :

« واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى » •• فكان تخليق عيسى كالاعادة لأنه جرى على الهيئة المعروفة للطير والمثال السابق من المنقار والجؤجؤ والجسم والذيل والجناح والريش

ثم كان اختصاص المعجزة بخلق الطير لقربه من خفة الروح فكان دبيب الحياة وتكوين اعراضهـــا فى الطين لغلبـــة الروح فى عيسى حتى لقب بروح الله •

ولقد خاطب الله البشر على قدر عقولهم فى أمر البدء والاعادة ليلزمهم الحجة من أنفسهم ، فقال فى ولادة أم عاقر من أب لشيخ **(هو علـى هين)** ، وفى خلق نبى من أم بغير أب **« هو على هين »** ، وفى اعادة الخلق بعد الموت ، وانتقاص الأرض منهم وغيابهم فيها **« وهو أهون عليه »** بلفظ التفضيل بنسبة ما يفهم البشر وما يعقلون ويقيسون

ونظائر اليسر والخفة فى القرآن توضح قدرة الله على ابتداع الغرائب وقد ناسبها هذا اللفظ اللين الهين ليتلاءم مع خفة العمل فى نظرنا وقياسنا ، اذ ليس على الله شىء خفيف وآخر ثقيل بل الكل عند قدرته على سواء .

وهبة ولد لرجل هرم من امرأة عاقر ، وهبة ولد لفتاة بكر لم يمسسها بشر ، واعادة الخلق كله وبعثه من جديد ، أمورمتدرجة فى الغرابة والاستبعاد أمام العادات وهى أشد غرابة فى أخيلة العقول التى لم تنزل عليها الشرائع التى جاءت بأنها هينة على الله فى مفرداتها ، وهى أهون عليه فىمجموعها وذلك لتنفى الشريعة شبهة التفضيل ، اذ كان العكس أولى .. وقد قال الله تعالى فى ذلك .. **« ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » وقال « كما بدأكم تعودون »** .

ولئن كان خلق عيسى أمكن من خلق آدم فى عقل الانسان ومنطقه اذ العقل والمنطق محكومان بالتجارب ومقدماتها وأسبابها ، فان الله سبحانه ، قد بين غناه عن المقدمات والأسباب حين يقول .. **« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »** .

واذا انصرف العرفان بقدرة الله على خلق آدم ولم تكن قد وجدت أسباب الخلق الثانى ومواريثه من الاختلاط بين ذكر وانثى ، فقد سهل خلق ابن من أبناء آدم وقد وجد سبب من أسباب الاختلاط بل هو الركن الأقوى فى تكوين الأبناء وهو الأم ، فكان ذلك أمام احتجاج العقول أكثر يسرا ، أما عند الخالق البارىء المصور فهما على سواء .

ولا أريد من ذلك أن أنتصر الى تكوين جنين متنقل فى حالات النمو حتى يولد ، فان مريم البتول صورة مثالية فى عالم الطبيعة قد طهرت من الخبائث وانما كانت محلا قابلا لما سمى بالنفخ والحمل والمخاض والولاد ، كما يعرف الناس فى عالم الجسد .. أما الروح فلا ضرورة لها الى ذلك فهى اذا غلبت فانها تتخطى سيرة الطبائع وحالات الأجسام .

نداء

قال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلكالدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون)

من أعماق هذا الانسان ينبعث صوت الوجدان فى كيانه معبراعن قبس الايمان بوجود الخالقووحدانيته وعن فطريه الشعور الدينى فى نفسه حينما يتحرر من سلطان الوهم وينفلت من حكم المادة المظلم او عندما يفاجأ بالسؤال عن مصدر هذا الكون أو عندما تنزل به شدة تحيط به ولا يرى فيما يقع عليه حسه طريقا للخلاص منها .

وان هذا لهو وحى طبيعته التى شاء الله لها ان تجمع بين الجسمانيه والروحانيه والاستعداد لمعرفة عالم الشهادة وعالم الغيب فى هذين العنصرين (المادة والروح) وما أودع فيهما من شعور بسلطان غيبى قوى دونه قوى الكون والسنن والأسباب التىانتظم بها هذا الوجود بما فيه انه الله فاطر السموات والأرض وما فيهما المحيى المميت النافع الضار ذو الجلال والاكرام ، قال تعالى **(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم)** . لذلك فانه حقيق بأن يذكر فلا ينسى ويشكر ولا يكفر حتى يكون المرء أهلا لفضله وجوده ونعمته

الفطرة

فضيلة الشيخ
ابراهيم الدسوقى

ورحمته قال تعالى « فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدى بى وأنامعه اذا ذكرنى فانذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه)

والانسان وهو يرجو الخير أو دفع الضر من مخلوق مثله لا يعدو ذلك أن يكون لونا من التعاون فى مضمار الحياة بين الناس به تستقيم أمورهم وتنتظم حياتهم سنة الله فى خلقه وقد اعطى ومنع وأغنى وأقنى ، وهو القائل (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) فصاحب اليد من البشر حين يسدى اليك معروفا لا يستأهل به أن تكون له عبدا فتعظيم الفقير للغنى بوسائل استجدائه وخضوع الضعيف للقوى لاستنجاده واستعدائه على اعدائه لا يرقى بالغنى ولا بالقوى الى منزلة فوق آدميته • ولا يصير به أهلا لأن يتبوأ فى الوجود غير مكانته ، فلا عبودية لبشر ولا ألوهيه لأنسان انما العبادة والعبودية لصاحب السلطان العلوى والقدرة الغيبية التى هى فوق ما يعرفه الانسان فى عالم الأسباب (لله الواحد القهار قال تعالى : (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) وقال (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين »

فكل تعظيم وتقرب قولى أو عملى لصاحب هذه القدرة والسلطان الغيبى عبادة له سبحانه والى هذا الأصل يرشدنا صلوات الله عليه فيما رواه الترمذى (الدعاء مخ العبادة)

فالعبادة الفطرية هى التوجه الوجدانى الى هذا الرب الذى لاتدركه الابصار وهو يدرك الأبصار نعم هى التوجه اليه فى كل ما يعجز عنه الانسان من منفعة يحتاجها ويقصر عنها كسبه ، أو دفع ضر يمسه أو يخافه ويرى انه يعجز عن دفعه بحوله وقوته ، وكذا فى كل ما تشعر فطرته باستعدادها لمعرفته والوصول اليه مما لانهاية له وهذا هو أصل دين الفطرة فى البشر وهو الذى أشار اليه الكتاب الكريم فى الآية الشريفة (فطرة الله التى فطر الناس عليها) أما أن يزعم الانسان أن الفطرة فى أن يعمل متبعا شعوره وافكاره ووجدانه على مقتضى طبيعته وما تمليه عليه مستقلا عمن سواه ، فهذا جهل

لايقره دين ولا عقل • وفوضى لايستقيم معها أمر ،فان الانسان يجنى على فطرته وغرائزها وقواها بجهله وسوء اجتهاده ، وما عبدت الاصنام الا استجابة لهذه النزوة الطائشة والتفكير الجامح الضال الذى يخص بعبادته كل ذى تأثير لايعرف له سببالحسبانه انه هو صاحب السلطان الغيبى القادر على نفعه وضره ولذا ومن أجل هذا كان محتاجا الى تكميل فطرته بالوحى الالهى يتنزل على من اختاره الله من خلقه • والله اعلم حيث يجعل رسالته • وكان ما تعبد الله به خلقه صادرا عن أصل واحد وكان مصدره واحدا حيث لايقدر غيره عليه ،ومن ثم فقد كان الدين الصحيح الوضع الالهى الذى أوحى الله به الى رسله لئلا يضل عباده بضعف اجتهادهم واختلافهم فى العمل بمقتضى غريزة الدين كما وقع بالفعل ، ولعل هذه الفطرة هى الوحدة الانسانية الجامعة التى لايخلو منها بشر ولا زمن والتى عليها خلق الناس جميعا ثم اختلفوا على نحو ما ذكرنا قال تعالى **(وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة ، سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون)**

والانسان لايقبل هذا الدين ويطمئن اليه قلبه الا اذا كان الملقن لهذا الدين مؤيدا فى تبليغه من صاحب هذا السلطان الغيبى القادر على التعرف المطلق فى جميع العوالم الذى تخضع له الأسباب والسنن ولا يخضع لشىء منها •ولقد كانت الحجة التى أيد بها نبينا هى تلك المعجزة العقلية التى لفتت الانظار اليها وعملت ولاتزال تعمل فى العقول عملها عن طريق التدبر والنظر مهما أمتدت بها الحقب وطال عليها الأمد وهى القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الذى تظاهرت الأدلة على أنه من عند الله وتحدت آياته **الدنيا فعجزت (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وقال (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ، ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وأدعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)**

كما أعلن سبحانه أن ما تضمنه من الاخبار بالرسالات والكتب والنبيين واليوم الآخر حق لامرية فيه **(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون • بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون •**

وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين ، أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم أن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون))

والدين على هذا حاجة من حاجات الفطرة البشرية لايتم لها كمالها النوعى الا بها فهو لهذا النوع الانسانى كالعقل لأفراده يعصمهم ويهديهم صراطا مستقيما

وهو الذى يصلح ما أفسده الانحراف فى كل صوره فى فطرة الانسان نتيجة الجهل والتقليد الأعمى على يد رسل الله صلوات الله عليهم ففى الحديث (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) يعنى انهما يفسدان فطرته الاستعدادية بتلقينه دينا محرفا منسوخا بدلا من اكمال هذه الفطرة •

وشاء الله لهذه الأمة بعد أن اكمل لها دينها وأكد خلوده بقرآنها أن يحفظ هذا الكتاب مصونا من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وعصم امة القرآن ان تضل جميعا عنه كما ضلت أمم من قبل فاذا كان صلوات الله عليه قد اخبر بما كشفه الله له من أمر أمته أنهم سيتبعون سنن من قبلهم من اليهود والنصارى فى قوله صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال ممن ؟) فانه قد اخبر أيضا بانه لن تزال طائفة من هذه الأمة تناصر الحق وتذود عنه الى يوم القيامة فى قوله صلى الله عليه وسلم ، لا تزال طائفة من امتى ظاهرين حتى يأتى أمر الله وهم

ظاهرون) وفى رواية (لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون للناس)

كما رسم لها المدخل الى التعرف عليه ففتح بين يديها كتاب الكون تعمل فيه العقل وتتأمل من خلاله آثار صنع الله التى تعيا قوى البشر جميعا عن ادراك سرها ومعرفة دقائق صنعها وتخر بين يديها ساجدة لله خالقها ومبدعها ، واحترم العقل ومجـده وسما بصاحبه وكرمه حتى لايهمله الانسان أو يعطله فينسلخ بذلك من بشريته ويتجرد من آدميتـه قال تعالى :

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهـم أعين لايبصرون بهـا ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)

فالمرء بعقله حر فى تصرفه مستقل فى فكره لا تؤثر فيه المؤثرات ولا تنال منه الحادثات فهو بعقله وفكره فوق الزمان والمكان والأحداث والمـؤثرات • والاسلام لايقبل الغفلة واهمال التفكر والتدبر من ابنائه عكوفا على الظواهر التقليدية التى لا تـزكى الأنفس ولا تثقف العقول ولا تصعد بها الى معـارج الكمال قال تعالى (قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) وبذلك أبطل الحجر على العقول واعتقهـا من اسر العادات ، والتقاليد الموروثة ، وكمل هذا الانسان وخلصه من ربقة الجمود والتخلف حتى يهتدى الى وسائل المعرفة يستخدمها فيما يستطيع به استثمار الحياة والانتفاع بخيراتها وكنوزها والتزود بقسط من الفهم والادراك لحقائق الأمور يعكس على قلبه نورا يرى من خلاله جلال خالقه وعظمته فيورثه ذلك الخشية ودوام المراقبة واثر ذلك فى الانسان لاينكر عقيدة وسلوكا وعملا وقولا ، وكلما ازداد علمـا هدى الى آفاق من المعرفة أوسع وارحب قال الامام الشافعى

كلما ادبنى الدهر أرانى نقص عقلى
واذا مازدت علما زادنى علما بجهلى

والقرآن الكريم وهو يمتدح العلماء انما عنى بهم أولئك الذين يعلمون أسرار الكون واطواره واسباب اختلاف اجناسه وانواعه والوانها وآيات الله وحكمه فيها الى جانب المعارف الدينية التى تزودهم بهـا وان ذلك لهو البرهان الذى يهدى الى الحق ويكشف عن الصواب فيما يعرض للبشر من قضايا دينية ودنيوية **قال تعالى : وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لايغنى من الحق شيئا) وقال (مالهم به من علـم الا اتباع الظن) • فلابد للباحث عن الحقيقة من التأمل والنظر** واذا هدى الى مايرى انه الحق فان عليه أن يستهدف ماوراء ذلك من فائدة مرجوة ومنفعـة تحفزه الى العمل وهى الحكمة التى ذكرها الله فى قوله (يؤتى الحكمة من يشاء) فاذا كان العـلم يمد الانسان بمفاهم ومعارف يزوده بها فان الحكمة تحقق الى جانب ذلك الكشف عما وراء العلم من خير وما يحققه للفرد والجماعة والأمة من فائدة • فهى بمعنى الفلسفة العملية لمعرفة النظريات العلميـة والمفاهيم النظرية •• قال تعالى (**هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين •**

والانسان وقد تسلح بالايمان وزود بالمعرفة القائمة على الحجة والبرهان وانفعل بما علم فيبرز علمه فى حياته عملا بناء وخلقا فاضلا وسلوكا حميدا • فانه لابد من أن يزكو قلبه ويطهر ضميره ويصفو وجدانه وثم يكون الانسان الربانى الذى قال الله فيه فى الحديث القدسى « ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأجيبنه ولئن استعـاذ بى لاعيذنه »

ان الاسلام بذلك كله يؤكد فى الانسان حريته ويستجيب لفطرته حين يرفع عنه يد الوصـاية على عقيدته وتفكيره وعقله وسلوكه واختياره ، ويتركه يدبر شئونه على عين منه ومن هديه سواء فى ذلك **أمر دنياه أو آخرته قال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك آتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)**

وقال ((من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم •

الشريعة الإسلامية

و

الآداب

المستشار محمد خاطر

من على هذا المنبر وفى مقالاتنا السابقة أوضحنا بعض الصور الرائعة من آدا بالشريعة وأحكامها المنظمة لحياة الفرد والجماعة والتى يقوم على أساسها المجتمع المثالى الصالح .

واليوم نعرض لبعض هذه الآداب أيضا لنضيف زهرة أرجة الى الباقة التى قدمناها آنفا . تلك هى خلة الحلم وعدم الغضب . وقد دعا القرآن الكريم الى ذلك وحث على كظم الغيظ والعفو فى كثير من آياته وأحكامه .

كما حفلت السنة المطهرة أيضا ببيان فضل الصبر والحلم وجهاد النفس وعدم الغضب والله جل شأنه يقول (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) – وقال أيضا فى صفات المؤمنين (والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون) .

ومما حفلت به السنة ماروى عن أنس رضى الله عنه قال . **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كف غضبه كف الله عنه عذابه)** أخرجه الطبرانى فى الأوسط . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم **(أوصنى قال لاتغضب فردد مرارا قال لاتغضب)** رواه البخارى . **وروى عن عبد الله بن عمر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذنى من غضب الله ؟ قال لاتغضب) .**

فالغضب وهو ثورة نفسية تغير من حالة الأنسان الطبيعية كما تغير من حالته الخلقية والخلقية اذ الغضبان يبدو وقد تغيرت معالم وجهه وأعضائه وصوته ولفظه الى حالة غير طبيعية وصورة غير مألوفة نتيجة لانفعالات كامنة نفسية . وقد يخرج بالغضب عن وعيه وحسه فيقع فيما لايحبه ولا يرتضيه لنفسه .

ولما كانت خلال الحلم والصبر وجهاد النفس وكظم الغيظ من الأمور الشاقة فى الطبيعة الانسانية لما

تحتاجه من عزيمة قوية وايمان كامل وايثار وتضحية كان جزاء هذه الخلال عظيما وثوابها كبيرا أشارت اليه الآيات فى صدر الكلام متضمنة ما اعده الله من مغفرة وجنة عرضها السموات والأرض لعباده المتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وكان ذلك جزاء لهم على ماقاموا به من مجاهدة النفس ببذل المال وانفاقه مع حبهـا له ثم كظم الغيظ والبعد عن الغضب وتتويج ذلك بالعفو الصادر عن حلم كامل وصبر جميـل ٠ **(ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور) (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ٠**

هذا وفى الآيات الكريمة مايشير بأجلى بيان الى ان كظم الغيظ والابتعاد عن الغضب يجمله ويزينه العفو عن الناس وهو من أجل ضروب فعل الخيـر وأعظم مناحيها ، روى عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بصحيفة فيها مرق حار وعنده أضياف فعثرت فصبت المرق عليه فأراد ميمـون أن يضربها فقالت الجارية يامولاى استعمل قول الله تعـالى **(والكاظمين الغيظ) قال لها قد فعلت ، فقالت اعمل بما بعده (والعافين عن الناس) فقال قد عفـوت فقالت الجارية (والله يحب المحسنين) قال ميمون قد أحسنت اليك فأنت حرة لوجه الله تعالى ٠**

وتشير السنة أيضا الى أن كظم الغيظ والابتعاد عن الغضب والعفو عن الناس من أعظم العبادة وجهاد النفس ، فالرسول صلوات الله عليه يقـول **(ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب)** ٠ وقال عليه الصلاة والسلام **(ما من جرعة يتجرعها العبد خير له وأعظم أجرا من جرعة غيظ فى الله)** وروى أنس أن رجـلا قال **يارسول الله ماأشد من كل شئ ٠ قال (غضب الله قال فما ينجى من غضب الله ٠ قال لاتغضب) ٠**

كذلك روى أبوداود وأبوعيسى الترمذى عن سهل بن معاذ بن انس الجهنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال **(من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء) ٠**

وقال ابن المبارك كنت عند المنصور جالسا فأمر بقتل رجل فقلت يا أمير المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(اذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدى الله عز وجل من كانت له يد عند الله فليتقدم فلا يتقدم الا من عفا عن ذنب)** فأمر باطلاقه ٠

وفى ذلك الحلم وسعة الصدر وكظم الغيظ بالمعنى العريض المثالى الذى لايصدر الا ممن يقود ويسوس ويروض ويهذب ويضع الأسس لمكارم الأخـلاق ٠ ماحدث أنس به :

(قال كان رسول الله يمشى يوما وانـا معه فأدركه أعرابى فجذبه جذبا شديدا وكان على النبى برد نجرانى غليظ الحاشية فنظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ٠

وقال الأعرابى يامحمد احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك فانك لاتحمل لى من مـلك ولا من مال أبيك ٠

فسكت النبى ثم قال المال مال الله وأنا عبده ٠ ثم قال ويقاد منك يا أعرابى مافعلت بى ؟

قال الأعرابى ٠ لا ٠ قال الرسول : ولم ؟ قال الأعرابى لأنك لاتكافىء السيئة بالسيئة ، فضحك رسول الله ثم أمر أن يحمل للأعرابى على بعير شعير وعلى الآخر تمر ٠

ليس هناك حلم أروع من هذا يلين القلوب الجافية والطباع النافرة ٠

واذا كان الغضب كما أوضحنا يدعو الى الثـأر والتشفى والانتقام والبغضاء والتفرق باتساع هـوة الخلاف والشقاق ويوصد الأبواب فى وجه دعوة الخير والسلام ٠ فلقد قيل لحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال **اذا لاتذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب**

– اذا كان الغضب كذلك فهو ليس على اطلاقه دائما بهذا المعنى فهناك من الحالات مايطلب الدين فيها والعقل الشدة والحمية والغلظة والغضب ٠

ولذا قسم الأمام الغزالى فى كتابه الاحياء غريزة الغضب على ثلاث درجات :

١ – درجة التفريط حينما تضعف هذه الغريزة أو تمحى وهم الذين يقال فيهم لاحمية لهم وهذه حالة مذمومة ولذا قال الامام الشافعى من استغضب فلم يغضب فهو حمار وهؤلاء المفرطون لايأنفون مما يجب أن يأنف منه الحر كالمذلة والتعرض للحرم ٠

٢ – والدرجة الأخرى درجة الأفراط وهى أن تتغلب غريزة الغضب حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته فلا يبقى للمرء بصيرة ونظر وفكرة واختيار ٠ وهذه الحالة مردودة الى أمور غريزيةفطرية والى أمور اعتيادية كأن يخالط قوما يتبجحون بالغضب ويسمون ذلك شجاعة ٠ وهذا الافراطمذموم لأنه يعمى صاحبه ويصمه عن كل موعظة ويسلس قياده لهواه لا لعقله وينطقه بقبيح من الكلام ويدفعه الى العدوان ٠

٣ – أما الدرجة المحمودة فهى الاعتدال وهو الغضب التابع لأشارة العقل والدين لأنه ينبعث حيث تجب الحمية وينطفىءحيث يحسنالحلم ٠ لهذاوصف الله سبحانه وتعالى أصحاب رسوله المصطفى بالشدة والحمية اذ يقول (اشداء على الكفار رحماء بينهم) كما قال لنبيه الكريم (جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) ٠

وفقنا الله الى درجة الاعتدال واتباع هدى الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ٠

في رحاب القرآن

كيفية تلاوة القرآن

الشيخ محمود خليل الحصري

اتفق علماء القراءة وائمة الأداء على أن تلاوة القرآن الكريم له كيفية مخصوصة يجب على القارىء شرعا أن يلاحظها اثناء تلاوته . ليحرز الأجر الذى وعد الله به القارئين فاذا أهملها أو قصر فى مراعاتها كان من الآثمين .

وهذه الكيفية هى تجويد كلماته ، وتقويم حروفه ، وتحسين أدائه باعطاء كل حرف من حروفه مستحقه من الاجادة والاتقان والترتيل والاحسان ولا يكون ذلك الا بتصحيح اخراج كل حرف من مخرجه الاصلى المختص به تصحيحا يمتاز به عن مقاربه ، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه ، مع تيسير النطق بابانة الحروف وتمييز بعضها عن بعض ، واظهار التشديدات وتوفية الغنات ، واتمام الحركات ومع تفخيم مايجب تفخيمه ، وترقيق ما يجب ترقيقه، وقصر ماينبغى قصره ومد ما يتعين مده .. ومع ملاحظة الجائز من الوقوف والممنوع منها ، فيوقف على ما يصح الوقف عليه ، ويوصل مالا يصح الوقف عليه ، الى غير ذلك من الاحكام والقواعد التى وضعها أئمة القرآن .

قال الامام المحقق ابن الجزرى فى كتابه (النشر) : « ولا شك أن الأئمة كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن واقامة حدوده - متعبدون بتصحيح الفاظه ، واقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة ، المتصلة بالحضرة النبوية الافصحية العربية التى لاتجوز مخالفتها ، ولا العدول عنها الى غيرها » . وتلك الكيفية هى التى نزل بها القرآن الكريم ، وهى المرادة من الترتيل الذى أمر الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى: « ورتل القرآن ترتيلا »

قال ابن عباس : أى بينه . وقال مجاهد : تأن فيه . وقال الضحاك : انبذه حرفا حرفا ، وافصل الحرف من الحرف الذى بعد . وجاءه عن على رضى الله عنه انه قال : الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف . وقال بعضهم : أى تثبت فى قراءتك وتمهل فيها .

ولم يقتصر سبحانه على الامر بالفعل حتى أكده بالمصدر اهتماما به وتعظيما له ليكون ذلك عونا على تدبر القرآن وتفهمه . وهكذا كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم - كانت غاية فى الترتيل والتؤدة ، وآية فى الاتقان والجودة ، لم تكن هذا ولا عجلة ، بل كانت مفسرة كلمة مبينة حرفا حرفا .

وقد روى عن زيد بن ثابت أنه صلى الله عليه وسلم قال : **« ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل »**

اخرجه ابن خزيمة فى صحيحه .. وعن أم سلمة انها سئلت عن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا خرفا . أخرجه الترمذى . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها .. وسئل أنس بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدا ، ثم قرأ أنس بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم .

وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يقطع قراءته فيقول : الحمد لله رب العالمين . ثم يقف ، الرحمن الرحيم ، ثم يقف ، مالك يوم الدين ، وهكذا . رواه الترمذى وابو داود .

قال القرطبى : قال علماؤنا : قول ام سلمة « كان يقطع قراءته » يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه من القرآن ، وانما أى تركوا . وقال « نسوا الله فنسيهم » أى تركوا طاعة الله فترك رحمتهم . قال سفيان : « وليس من حفظ القرآن أو شيئا منه وتفلت منه بناس اذا

كان يحل حلاله ويحرم حرامه»

«قال القرطبى فى (التذكار) وهذا تأويل حسن جدا وله وجه ، الا أن الله تعالى أثنى على من كان دأبه قراءة القرآن فقال: « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » فتهجد به : أى بالقرآن . قال « ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا» وسمى القرآن ذكرا وتوعد من أعرض عنه ومن تعلمه ثم نسيه قال تعالى « كذلك نقص عليك من أنبـاء ما قد سبق وقد آتينـاك من لدنا ذكرا . من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا » وقال : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى – قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا – قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »

« فهذه ظاهرة تلاوة القرآن وكذلك ظاهر الحديث ، واذا كان نسيان القرآن من الذنوب افلا احتراز منه الابادمان قراءته .. قال صلى الله عليه وسلم: « يا أهل القرآن لاتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل وآناء النهار وتغنوه وتقنوه ، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون .

قال ابو عبيد « تغنوه : اجعلوه غناكم من الفقر ولا تعدوا الاقلال معه فقرا . ومعنى تقنوه اقتنوه كما تقتنون الاموال .

قال ابن كثير : وقد ادخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى « ومن أعرض عن ذكرى » الآيات . وهذا الذى قاله – وان لم يكن هو المراد جميعه – فهو بعضه ، فان الاعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه ، ولهذا قال عليه السلام : « تعهدوا القرآن واستذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » والتفصى : التخلص ، يقال تفصى فلان من البلية اذا تخلص منها ومنها تفصى النوى من التمرة اذا تخلص منها ، أى ان القرآن أشد تفلتا من الصدور من النعم اذا ارسلت من غير عقال . وعن الضحاك ابن مزاحم قال : « ما من احد تعلم القرآن فنسيه الا بذنب أحدثه لان الله تعالى يقول : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » ونسيان القرآن من أعظم المصائب .

ولهذا قال اسحق بن راهويه « يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوما دون أن ينتهى من قراءة القرآن كله » .

الجواد من جاد بحقوق الله فى ماله

روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله : « الا ان كل جواد فى الجنة ، ختم على الله ، وانابه كفيل ، الا وان كل بخيل فى النار ، حتم على الله ، وانابه كفيل ، قالوا : يارسول الله من البخيل؟ ومن الجواد ؟ . قال : الجواد من جاد بحقوق الله فى ماله والبخيل من منع حقوق الله وبخل على ربه ، وليس الجواد من أخذ حراما ، وانفق اسرافا »

ولنا فى رسول الله (صلوات الله عليه) اسوة حسنة يقول واصفه : (فرسول اجود بالخير من الريح المرسلة) – (وكان يعطى عطاء من لايخاف الفقر) – (ماقصده محتاج الا أعطاه ، فان لم يكن لديه ما يعطيه يقول له : « استدن على ») وكان يقول : « أنا أولى بالمؤمنين من انفسهم ، من كان له مال فلاهله ، ومن كان له أولاد فالى وعلى . ويقول : ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ، ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ، ويقول : « السخاء هو خلق الله الاعظم »

الدين الإسلامي

سماحة الاستاذ
مبشر الطرازي الحسيني

لقد ثبت لدى الباحثين المحققين ، الذين بحثوا حول الحياة الانسانية ، وحققوا شئونها ، وما يؤدى اليه من السعادة للعالم الانسانى •

أريد أن أقول : لقد ثبت عندهم أن الانسان لا يمكن أن يحيا حياة طيبة ويعيش عيشة شريفة مرضية يرضاها الضمير الانسانى الا بالدين الذى يدين به ، ويتبع تعاليمه السماوية •

ولهذا يجب على الانسان أن يؤمن بالله خالقه •• خالق السموات والأرض ، وأن يكون قبل كل شىء متدينا متمسكا بالدين ، خاضعا لأحكامه مطيعا لأوامره متجنبا منهياته ، ولا سيما الدين الاسلامى ، فانه حق لا يسوغ انكاره ، دين متمم لمكارم الأخلاق ، دين كما انه آخر الأديان ، أكمل الأديان **(اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا) الآية**

وقد ذكرنا فيما سبق من بحثنا (الاسلام ومقتضيات الفطرة) ومقالنا (الاسلام يريد الدنيا والآخرة) ومقالنا (الاسلام لا يحرم الزينة ، والتمتع بالطيبات) ما يكفى للعاقل المنصف فى هذا الموضوع

ونريد الآن أن نعرف الاسلام بموجز من الكلام •

فنقول : الاسلام دين سماوى مقدس شرعه الله العليم الخبير لعالم البشرية ، شرعه ببعثة عبده ونبيه ورسوله محمد بن عبد الله القرشى التهامى ، الهاشمى المكى صلى الله عليه وسلم • وبانزال كتابه (القرآن) اليه ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ملك السموات والأرض •

دين اختاره الله عز وجل لعباده فى مشارق الأرض ومغاربها ، دينا أبديا خالدا ، دين يبتنى على الايمان بالله وحده ، بحيث لا يخضع عبد من عباده لأحد غيره ••• دين عين الله له تعلمات ترشد

عالم الانسانية نحو ديانة صحيحة وعقيدة صحيحة ، وعبارة صحيحة ، تعليمات مقتصدة حكيمة لا رهبانية فيها ، ولا افراط ولا تفريط ، تعليمات تتمشى مع العقل السليم ، وتتفق مع الفطرة البشرية ، ووسعها وطاقتها ، دين حدد الله له مبادىء تقود العالم الانسانى الى حياة شريفة ، حياة آمنة مطمئنة حياة أخوية ، حياة سليمة ، حياة مرضية ومرضية .

دين لا يفرق بين عنصر وعنصر ، وبهذا يتكفل لسعادة كل فرد من أتباعه ، حيث يتمتع بكامل حقوقه ، ويحيا حياة طيبة ، محترما بين بنى نوعه مرعى الجانب فى مجتمعه .

دين يؤدى بالمجتمع الى مستوى حيوى **أفضل** ، ومعيشة أعز **وأكمل** ، ويجعل منه مجتمعا اساس حياته الدين الحق ، **والعقيدة الحقة** ، والعبادة الحقة **مجتمعا** يستند على الأخوة واحترام الحقوق المتبادلة ، **والمساواة بين أعضائه** ، مجتمعا يسود فيه الأمن والسلم والصلح مجتمعا يعيش بالتعاون على البر **والتقوى** ، والتساند والتعاضد فى سبيل الخير العام والمصلحة **العامة** . نعم : ان الدين الاسلامى **دين يجعل** من بين **المجتمع العالمى مجتمعا اسلاميا يمتاز** بتعاليمه الالهية التى **يتبعها** ، ومبادئه القدسية التى **يتمسك بها عن غيره من** المجتمعات . وفى نفس الحال ينظر الى المجتمع الانسانى العام نظرة الأخوة فى الخلقة ، قال تعالى (**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ١٣ ـ الحجرات .**

وذلك على أساس قول رسول الاسلام ، عليه أفضل الصلاة والسلام (**وأشهد أن العباد كلهم اخوة**) وقوله (**كلكم من آدم وآدم من تراب**) .

مجتمعا اسلاميا لا يتقيد بمصالح نفسه بل يريد أن يقدم لغيره من المجتمعات الأخرى خيرا وفى سبيل هذه الغاية النبيلة ينصح الانسانية بما فيه خيرها ومصلحتها ، يأمرها بكل معروف وينهاها عن كل منكر ، وانما هذا على أساس أن الله عز وجل (خالق الأمم) قد بين للمجتمع الاسلامى مقامه فى ساحة هذا الكون ، ورفع مركزه بين أمم العالم حيث قال (**كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله**) يعنى حق الايمان . مجتمعا اسلاميا يريد ان يتعايش مع سائر المجتمعات (على اختلاف أديانها ، ومبادئها وأجناسها وعناصرها) تعايشا سلميا ، لا يريد أن يعتدى على غيره ، ولا يرضى ان يعتدى عليه غيره ، مجتمعا اسلاميا يريد أن يعيش مع غيره جنبا الى جنب ، فى طريق الصلح والسلم والأمن العالمى ، ويمشى معه فى اتجاه شرعى معقول نحو التقدم الاجتماعى ، ونحو التمدن الصحيح ، ونحو النهضة الشريفة مجتمعا اسلاميا يأبى ان يتدخل فى شئون غيره ، ويرفض أن يتدخل فى شئونه غيره ، لأنه يريد أن يكون حرا فى كيان وطنه ، مستقلا فى شئون بلاده وذلك فى ظل دولة دينها الرسمى الاسلام ، ويبتنى دستورها على تعاليم الاسلام ، وقانونها على مبادىء الاسلام .

أريد أن أقول : **ان الاسلام دين سماوى يجعل من المجتمع العالمى مجتمعا اسلاميا يتصف بهذه الصفات المجيدة ، ويمتاز بهذه الخصال الحميدة ، مجتمعا ينال فى ظل دينه ، وتحت لواء شريعته ، ما يناله الانسان الكامل من نعم هذا الكون ، ويحيا عزيزا مادامت حياته ويموت عزيزا حينما يحين وفاته وبهذا يتمتع بسعادة الدنيا والآخرة تمتعا غير منقوص ، (ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .**

نعم : انه دين اختاره الله عز وجل لعالم البشريه عامة ، اختاره دينا خالدا أبديا ليس بعده دين . وأعلنه على العالم كله فقال (**ان الدين عند الله الاسلام**) وقال (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**) وقال (**اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا**))

التوحيد

وأول ركن من أركان الاسلام الخمسة (التوحيد) وهو العقيدة بوحدانية الله سبحانه والايمان بانه لا اله الا هو وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

فقد دعا الاسلام عالم الانسانية الى هذا التوحيد حيث قال فى كتابه (القرآن المجيد) **(قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد)** وعلى لسان نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : (الاسلام شهادة أن لا اله الا الله) الى اخر الحديث ، وأرشد عالم الانسانية الى معرفة الله خالق هذا الكون العظيم ، باعتقاد أنه واجب الوجود ، وانه متصف بصفات الكمال والجلال ، ومنزه عن سمات النقص والزوال .

ولقد اتفق الاسلام فى الدعوة الى التوحيد مع جميع الأديان فى الكتب السماوية ، وعلى ألسنة الأنبياء والمرسلين وقرره (أى التوحيد) مدارا وأساسا للعقائد ، وصحة العبادة للخالق سبحانه ، فقد قال الله عز وجل **(وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو)** وقال **(وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)** وقال **(وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)** الآية ٢٥ ـ الأنبياء .

وبهذا (التوحيد) رفع الاسلام مقام الانسان من حضيض الشرك والعبادة لغير خالقه سبحانه الذى خلقه وأخرجه من ظلمة العدم الى نور الوجود ، وانقذه به الانحناء لدى الأصنام ، وغيرها مما كان عليه الجاهلية قبل البعثة المحمدية ، فنال الانسان به ما ناله من مكانة تليق بانسانيته .

نعم : كان التوحيد سائدا فى الجزيرة العربية منذ عهد ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما الصلاه والسلام ، فكان هناك موحدون يعتقدون بأن الله وحده لا شريك له .

ولكن بمرور الأزمان وتمادى العصور طرأ على عقيدتهم الضعف ، وسادت على شئونهم الدينية الأحداث وعبادة الأوثان والشرك بالله سبحانه ، فقد وصفهم الله العليم الخبير حيث قال : **(وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)** فجاء الاسلام وقضى على ما كانوا عليه من الشرك والضلالة ، وجدد فيهم التوحيد على أكمل الوجوه ، وخلصهم مما حدث من الأحداث التى شابت الدين الخالص المقدس . ونبههم فى كتابه قائلا **(ألا لله الدين الخالص)** أى المنزه من الشرك وما سوى الخالص فليس بدين الله الذى أمر به عباده .

هذا . وقد اتخذ الاسلام فى الدعوة الى عقيدة التوحيد (شأنه فى سائر تعاليمه وأحكامه) طريق الحكمة ، حيث خاطب الانسان من ناحية عقله ، وامر بالتعقل والتنكر ، حتى يظهر له عن طريق فطرته الانسانيه وضميره أن الشرك باطل ، وانما الحق هو التوحيد

ولا شك أن هذا مما يثبت أن الاسلام هو دين العقل ودين الفطرة التى فطر الناس عليها ، وقد أمر الله سبحانه الانسان به ، ونبهه على ما فيه من الوصف و لحقيقة حيث قال : (فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الاية ٣٠ ـ الروم .

الايمان بالصفات

دعا الاسلام الى الايمان بصفات الله ، بعد التوحيد ، ذلك لأن معرفة الله أساس الايمان به ، ولا يتأتى معرفة ذاته الا بمعرفة صفاته ، من العلم والحكمة ، والقدرة والعظمة والارادة والمشيئة والخلق والتكوين . وغيرها من صفات الجمال والجلال . ولا يحصل الايمان بذات الله سبحانه الا بالايمان بصفاته التى تليق بمقامه الالهى المقدس .

ولقد دعا الاسلام عالم البشرية نحو الحصول على معرفة ذات الله ومعرفة صفاته وذلك بأن دعا العالم الانسانى

كله رجالا ونساء ، الى التفكر فى خلق السموات والأرض ، وما فيهما من عجائب قدرته ، وغرائب صنعته ، والى النظر والتدبر فى نفس الانسان وخلقته حتى يطلع على ما فيها من أسرار الطبيعة ، وهو عالم صغير يحتوى على نموذج للعالم الكبير • وقد نزلت فى هذا الباب آيات بينات معلومة ، ولا ضرورة لذكرها وتعدادها •

واذا نظرنا الى أن الاسلام يدعو الى التفكر ، بنصوص آيات من كتابه المجيد ورموزها فاننا نعلم علم اليقين أن الاسلام أطلق العقل الانسانى من القيود وحرره من الجمود والخمود ، ودعا الانسان الى الاستعلام من عقله وشعوره ، والاستلهام من فطرته وضميره ، وذلك بكل حرية ، حتى يصل (عن بحث وتحقيق ، وفحص وتدقيق ، وعن نزعة طبيعية ، ورغبة فطرية) الى معرفة خالقه فى ذاته وصفاته ، ويدرك واجبه نحو خالقه ، ويميز بين الحق والباطل • وبين مايصلح له وما لايصلح وذلك كانسان عاقل صحيح الادراك فى شئون عقيدته ودينه وفى مسائل حياته الانسانية فى هذا الكون •

وهذا يثبت أن الاسلام دين العقل ، دين حرية التفكير ، دين الفطرة والضمير •

ومما يجب التنبيه عليه هنا أن الاسلام كما يأمر بالايمان بكتابه ، القرآن المجيد ، وبرسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، يأمر أتباعه ويدعوهم الى الايمان بسائر الكتب المنزلة من عند الله عز وجل ، من الزبور والتوراة والانجيل وغيرها من الصحف السماوية ، ويدعو الى الايمان بجميع الأنبياء والرسل بدون تفريق بينهم ، لأنهم بعثوا من عند الله سبحانه الى أقوامهم لهدايتهم الى توحيد الله وعبادته وحده • وقد نزلت فى هذا الباب آيات بينات من القرآن المجيد ، منها قوله عز وجل **(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) الآية ١٣٦ - البقرة •**

ومنها قوله تعالى **(ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ، والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، أولئك سوف يؤتيهم اجورهم ، وكان الله غفورا رحيما) الآية ١٥٠ - ١٥١ - النساء •**

هذا ، وقد أمر الاسلام اتباعه المسلمين بحسن السلوك والسيرة مع أهل الكتاب أى اليهود والنصارى ، ونهاهم عن مجادلتهم الا بالطريقة التى هى أحسن ، (باستثناء الذين ظلموا منهم) لأن الله سبحانه يقول فى القرآن المجيد **(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا ، وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون) الآية ٤٦ - العنكبوت •**

وهذا أيضا مما يثبت أن الاسلام دين عالمى ، يفرض على اتباعه أن يشاركوا اتباع الأديان الأخرى فيما يعتقدونه من الحق بشأن الكتب السماوية والأنبياء والرسل ، كما يثبت أن الاسلام دين السلم والصلح ، دين السلوك الكريم • ودين مكارم الأخلاق • والحمد لله على ذلك

إفشاء الأسرار وكتمانها

فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت

لقد عنى الاسلام بحفظ الأسرار وامر المسلمين جميعا ان يحفظوا اسرارهم ويستروا عوراتهم لان ذلك أدوم للالفة : وأصون لحقوق الأفراد والجماعات وأبقى للصحبة : مع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة امرهم بذلك حتى فى قضاء الحوائج فقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود)

وجعل من الآفات اللسانية التى يعظم ضررها ويتفاقم شرها افشاء السر واظهاره وقد اجمع المسلمون على ذمه والتنفير منه .. ونهى عنه الأسلام سواء كان سر المرء نفسه أو سر غيره .

وافشاء السر هو من شعار الفسقة والسفهاء والمجانين الذين ليس لهم وازع يمنعهم من عقل أو دين وله مفاسد كثيرة كالحقد والبغض والعداوة والنميمة وايقاظ الفتنة وتعريض الدولة لمهاجمة الأعداء والقضاء على جيوشها وعتادها ومرافقها

ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(لايستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة)** ستر معاصيه على غيره فلايشيعها ولا يطلع عليها أحدا من أهل الموقف يوم القيامة جزاء وفاقا وتأكيدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلب الستر جعل حسن المجالس وبهجتها فى كتم الأسرار وعدم افشائها من حاضريها سواء كانت قولا أو فعلا فعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المجالس بالأمانة) يريد صلوات الله عليه : ان الرجل يجلس الى القوم فيخوضون فى حديث ربما كان فيه ما يكرهون فيأمنونه على سرهم فكان المجلس لهذا كالأمانة التى تحرم خيانتها . ورسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا التعبير يريد من المؤمن اذا حضر مجلسا ووجد أهله على منكر أن يستر عورتهم ولا يشيع ما يرى منهم حرصا على حفظ حرمات المسلمين وعلى عدم اشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا كما قال تعالى (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة) ولأن ذلك يدعو الى التباغض والتنافر ورفع ثقة الناس بعضهم ببعض ومتى ضاعت الثقة بينهم انحلت رابطتهم واصبح التعاون مفقودا والأمان ضائعا : وهذا لايمنع الموعظة وبذل النصح لمن عرف من صاحبه قبيحا أو منكرا كما لاينافى قوله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فليغيرة بيده

الى آخر الحديث) لأن التغيير باليد انما هو بذل المجهود لمنع هذا المنكر بحسب الاستطاعة مع قصد الخير لمن ينصحه أو يغير منكره ٠٠ بخلاف من يفشى الأسرار فمقصوده ضياع الكرامة والاساءة اليه وهذا ليس من شأن المؤمنين وقد يفضى الى أن لايكون له استحياء بعد هذا الافشاء لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل المجالس بالأمانة استثنى ثلاثة أشياء لايجوز كتمانها بل يجب افشاؤها فقال صلى الله عليه وسلم (المجالس بالامانة الا ثلاثة : سفك دم حرام : أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق) فمجلس يتفق فيه على اراقة دم حرم الله اراقته ، أو على الزنا بأجنبية أو على أخذ مال مسلم أو ذمى بغير حق شرعى يبيح ذلك لايجوز كتمانه بل يجب افشاؤها زجرا لأصحابه ونصيحة للمسلمين لأن درء المفاسد مطلوب والضرر يجب أن يزال وهذا فساد كبير واخفاؤه ضرر عظيم ٠٠ وعن الامام النووى رحمه الله تعالى٠٠ قال (الستر على المحرم انما يكون مندوبا اذا لم يشتهر صاحبه بالفساد والا فيستحب رفع الأمر الى الوالى ان لم يخف لأن الستر تقوية له على فعله ٠

وتأكيدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم للسرية فيما عدا الثلاثة السابقة يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه (اذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت فهو أمانة) لأن التفاته دليل على انه يخاف افشاءه لأن فيه ما يكره فهو لذلك أمانة فى عنق من سمعه لايجوز اعلانه والتكلم به قال الامام الغزالى رحمه الله ٠ وافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه ضرر٠

وقال الامام الماوردى ٠٠ اظهار الرجل سر غيره أقبح من اظهار سر نفسه لأنه لايخلو عن الخيانة ثم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نوعا آخر من أنواع الافشاء فيه فقدان للمروءة ونشر للاقوال والأفعال التى أمر الله بسترها وتعريض بالزوجة التى جعلها الله لباسا للرجل وهو لباس لها فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال (**ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر احدهما سر صاحبه) ينشره** بالتكلم للغير وهو من أعظم خيانة الأمانة فيحرم على الرجل والمرأة افشاء ما يجرى بينهما من أمور الاستمتاع وما يجرى بينهما من قول أوفعل ومن أفشى ذلك فهو خائن للامانة معاقب عليه وهو ليس من حسن العشرة بينهما قال الامام النووى : محل ذلك اذا لم يترتب عليه فائدة كان تصف ضعفه أو عدم رغبته فيها فهذا لاكراهة فيه ٠ وقد قال الأحنف ٠٠ جنبوا مجالسكم ذكر النساء والطعام **فكفى الرجل ذما ان يكون واصفا لفرجه وبطنه ٠٠ وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل قلب الأحمق فى لسانه ولسان العاقل فى قلبه ٠٠وقيل لبعضهم كيف أنت فى كتم السر قال أستره وأكتم أنى أستره ٠**

وفى النوادر : اذا رأى رجل رجلا مشغولا بذنب فله ان يمنعه بحيث لايفضحه فان تفضيح المسلم حرام ٠٠ وفى صدر الشريعة ٠٠ وسترها فى الحدود أفضل وأبر ولقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصين على عدم اذاعة أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أنس رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فأبطأت على أمى فلما جئت قالت ما حبسك قلت بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة قالت وما هى قلت انها سرقات لا تحدث بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا ومما تقدم ندرك السر فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فصاحب المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا خبيثة اخرجه الشيخان ومعنى يحذيك يعطيك من الاحزاء وهو الاعطاء والحذوة (العطية) فالجليس الصالح يبذل النصح ويرشد الى الخير ويحبب فى الطاعة وتؤمن عاقبته طيب الحديث تام النفع وجليس السوء على عكسه وكثيرا ما تسرى طباعه الى جلسائه فشره كثير وضرره جسيم

هذا وان من أخطر الأشياء على الدولة افشاء اسرارها الحربية وتمكين الأعداء من معرفة مقدار عتادها الحربى وأماكنه وأسرار مصانعها والمصالح العامة لها التى هى شريان حياتها : تلك التى أمر الاسلام بحفظ اسرارها ٠

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غاية الحذر منهم وما ذهب لغزوة من الغزوات الاورى بغيرها فيشير الى ناحية غير التى يقصدها محافظة على خططه من أن تعرف حتى لأقرب المقربين اليه حتى يفاجىء عدوه ويقضى عليه ‥ ولهذا لما علم بخبر المرأة التى أخذت الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة لتوصل الى قريش سارع بارسال على رضى الله عنه والزبير والمقداد لأخذ الكتاب منها ‥ فقد روى الائمة واللفظ لمسلم عن على رضى الله عنه قال (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فاذا نحن بالمرأة فقلنا أخرجى الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا به (من حاطب بن أبى بلتعه الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ‥ فقال رسول الله ياحاطب ماهذا قال ، لاتعجل على يارسول الله : انى كنت أمرءا ملصقا فى قريش : قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسها ‥ وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال النبى صدق فقال عمر رضى الله عنه ٠ دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق ٠ فقال انه شهد بدرا وما يدريك انه لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ‥ ونزل قول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة **وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) وقد قيل ان المرأة اسمها** سارة من موالى قريش وكان فى الكتاب الذى تحمله: أما بعد : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل ‥ يسير كالسيل ٠ وأقسم بالله لو لم يأتكم الا وحده لأظفره الله بكم وأنجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم فتح مكة الا أربعة منهم هذه المرأة ولهذا عنيت الشريعة ببيان أحكام من يفشى الأسرار ويتجسس على المسلمين فكان منها ٠ ان من كثر تطلعه على عورات المسلمين وكان من عادته التجسس قتل وقد قال الامام مالك رضى الله عنه بقتل الجاسوس لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد فى الأرض فان كان كافرا يعتبر هذا نقضا للعهد ٠

وروى عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان فأمران يقتل فصاح أنى مسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فأمر به فخلى سبيله (ثم قل ان منكم من أكله الى ايمانه منهم فرات بن حيان واننا لنلحظ اطمئنان النبى لأيمانه ولذلك عفا عنه ‥ ولم تكن اليقظة قاصرة على الرجال بل **كانت النساء أيضا يقمن بدورهن فى الحراسة والمحافظة فها هى صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها وقد رأت يهوديا يطيف بالحصن (أى يحوم) فقالت والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته به حتى قتلته ٠**

يقظة وفداء : نحب من رجالنا ونسائنا فى هذه المعركة بيننا وبين عدونا أن يكون الجميع على أهبة الاستعداد وتمام اليقظة حتى نستطيع ان نرد كل كيد يدبره الأعداء وان نقف صامدين صابرين مصابرين محافظين على أسرار دولتنا حتى لايجد العدو ثغرة ينفذ منها الى العبث بمصالحنا وعتادنا ومصانعنا ٠ ومرافق جمهوريتنا فهذا من اعظم الجهاد فى سبيل الله ؛ وهذا هو سبيل المؤمنين بالله والمحبين لحريتهم وكرامتهم وحقهم فى الحياة الحرة الكريمة فى بلادهم كسائر الاحرار

وأننا لنسأل الله تعالى أن يوفقنا الى حفظ اسرارنا والى جهاد عدونا حتى نطهر أرضنا من هؤلاء الصهاينة الأنجاس : والله ولينا وناصرنا : وهو نعم المولى ونعم النصير ٠

أهداف الإسلام و النظر العقلى السليم

الأستاذ
محمود أبو الفيض المنوفى

يقول الله سبحانه وتعالى : « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

ان الانسان العصرى الذى تشبع بقسط عظيم من المعرفة العامة لهو أشد نزوعا للعقائد الصحيحة واليقينية الحقة يحدث له ذلك لا عن طريق التقليد وانما عن طريق الشعور الذاتى وبالأسلوب العلمى فى البحث والاستقراء والتحليل والاختبار .

ونحن لا نستطيع أن نلوم أحدا على نزوعه بالاستقلال فى تكوين عقيدته الصحيحة مادامت مطابقة للحق المشروع الذى ينص عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وسبب التقليد أن الانسان عاش دهورا تحت وصاية أفراد منه فى الحكومة وفى الديانة راضيا بتلك الوصاية وخاضعا لها كرضاء الطفل بوصاية وليه والطاعة لحكمه سواء كان الحكم عادلا أو جائرا ، ولكن فى هذا العصر : عصر الانتقال ذلك العصر المزود بالعلم والمعرفة قد بلغ الانسان رشده ، ولما بلغ رشده آنس من نفسه الاستقلال الفكرى وارتأى أن يلقى عن عاتقه نير التقليد ، ثم استجاب لنظره الشخصى فى الحرية وفى المعرفة على السواء ، ثم نظر فى الوجود بوسائله العلمية فوجد أن لا نهاية له وأنه فى اطلاق واتساع يقصر عنه التصور كما يقصر عنه النظر ، لأنه يرى وجودا أصدق ما يقال فيه انه سر يعجز الانسان مهما أوتى من العلم عن كشفه بحسه أو بعقله ، فهو عالم عظيم تتحرك فيه عوالم لا حد لها وتديرها قوة لا تدخل تحت حسبان او حصر ، وقد وجد هذا الانسان المسكين نفسه أن له وجودا خاصا وذاتا داخلية أمام هذه اللانهاية كأضعف كائن لولا أنه أدرك فى الوقت نفسه أن له وجودا خاصا وذاتا داخلية لا حدود لأنظارها وخصائصها الذاتية أيضا وراى فى علمه بحرا لا ساحل له بينما يرى جسدا محدودا وفؤادا يسع الوجود كله فيتيقن أن ذاته وحدها هى عالم مدهش ينطوى على عوالم واسعة أيضا من الفكر والخيال والوجدان والبصيرة ومن النزوع الى خير النزعات وأدنى النزوات فى وقت واحد

تلك المشاهد المحيرة أوجبت على الانسان العصرى المستنير صفة رضيها لنفسه وعدها مفخرة عظيمة بالنسبة له بازاء أسلافه الذين لم يغبوا من العلم بكأسه ولم يرشفوا منه رشفة ألا وهى أنه مع ما حصل عليه من العلم الواسع ما زال جاهلا بأسرار الوجود بل ويجهل أيضا حقيقة أصغر الذرات كما يجهل حقيقة أعظم المجرات .

وأما علمه ومقدراته التى يراها فى حقائق الكون لا يراها الا أحكاما وقتية قاصرة ناقصة وقابلة للتكمل والترقى والتغيير والتبديل مع تطور العلم الى ما هو أحسن وأكمل وأقرب الى الحقائق .

ثم انه من جهة أخرى يجد أن له فؤادا ينزع به الى ادراك ما وراء المحسوسات من معلومات ويميل الى اختراق أغلفة المادة التي هي موضوع بحوثه بغية النفوذ الى ما وراءها من حقائق الهية ومعارف ربانية تمت بصلة متينة الى عالم الغيب والتقديس

ولولا ذلك أي لولا العلم الذى يحمله والمعرفة التى يلتزم بها لبنى لنفسه قصورا شامخة من العقائد الخيالية كما كان يبنيها أفراد الشعوب السابقين من الأساطير والأوهام التى كان الخيال عندهم أوكد من البحث والتقليد أسهل من المعرفة .

فكان الانسان العصرى المستنير وحاله هذا لا يريد أن يكون مثله كمثل ظمئان غره السراب فى الصحراء فارتآه ماء وقصده ليشرب منه فلم يجده شيئا .

ومع تعمق الرجل العصرى المستنير بنصيب وافر من فنون الثقافة والعلم كره الاغترار بالظواهر وتعطش للايمان السليم وعزم على الا يعتنق سوى ما يعتقد وجدانه أنه الحق فارتأى أن يبنى عقيدته على أسس ثابت من اليقين مدعم بالخبرة الذاتية أو على الاقل بالبرهان الفعلى الواضح فضلا عن الشعور الحسي لكى لا يكون من الدين كانت **(أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده) الآية**

وقد أصبح هذا الانسان المثقف بل قل العالم العصرى ازاء العقائد الدينية من وجود الله ووجود الروح والثواب والعقاب وجميع الشئون الغيبية يقف حيالها موقف الباحث المعتقد ولكنه أيضا الباحث المفكر فيريد أن يعتقد أن له روحا خالدة ولها نعيم بعد هذه الحياة وأنه سينتصل بعد خلع هذا الجسد بعالم الأرواح الطاهرة فى حظائر القدس وباحات النعيم ولكنه مع ذلك يريد أن يقتنع اما بالخبرة الذاتية واما بالدليل العقلى أو الحسى أو ما يقوم مقام كل ذلك من البدائه الوجودية التى لا تحتاج الى منطق عقلى أو برهان علمى .

ولم يضع الخالق الحكيم فى الانسان تلك النزعة ويوقظ فى تفكيره الاشرئباب الى مثل تلك الحاجة المتسامية الا وهو يعلم سبحانه وتعالى أن الانسان جدير لو تيقظ أن يبلغها .

وكان ذلك الانسان العصرى المستنير يريد أن يهتدى بفطرته الى حقيقة الاسلام (دين الفطرة) ذلك الدين القيم العام الذى لا يضيق عن مرمى الحق ولا يخرج عن حال من أحوال الصدق فى اليقين وكان ذلك الانسان المثقف المتطلع الى حقيقة الوجود طبعت نفسه على ما يريد الله بالانسان المسلم الحق أن يكون وذلك مثل قوله تعالى **(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** وكأن هذا الانسان أحد الأهداف التى كان يقصد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله **(كل مولود يولد على دين الفطرة فأبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه)**

ولما كان هذا شأن الرجل العصرى المستنير السليم الذوق والصادق العلم فى محاولاته الروحية والعقلية والعلمية شأنا يدخل تحت باب الوجدان والعقل والحس ، جميعا ويستوعب الخبرة الذاتية والتجربة الحسية فى وقت واحد .. كان الدين بالضرورة ضمن دائرة مطمح نفسه فى معقولاته ومحساته ومشاعره الوجدانية أيضا بل ومن الزم لوازمه الروحية .

وفوق هذا وذاك ان الانسان العصرى أصبح يشعر بتكاليف الحياة ولواعجها وتهاجمه الحياة بضرورات العيش فيقابلها بأنواع المجاهدات فى سائر مفاوز الحياة ومرامى المحاولات فتشعر على **(علمه ومعرفته)** بكم عظيم من الضعف

والعجز ازاء تصاريف الوجود ويشعر بألم النقص فيندفع فى طلب المخرج من تلك الأهوال المحيطة به فيجد نفسه فجأة اثر هذا ساجدا لغيوم السموات والأرض ان لم يكن بجسده فبروحه ووجدانه ، وتجده ان تأملته مستغرقا سائر شعوره ووجدانه واحساسه فى مناجاة مبدع الكائنات فيهديه اضطراره لأرفع معانى التوجه والاخلاص

وحينئذ تحده مقودا بطبعه الى نقد سائر الأدلة المنطقية والكلامية التى كان ورثها وكانت شيدت لاثبات وجود الخلق فيرفضها رفضا لعدم صلاحيتها له وهو الكائن الواعى الذى استغرقت بسائر وجدانه وعقله وشعوره تلك الحالة المتسامية من الخضوع والتبتل

فهو بهذا الحال يرفض كل ما تقيمه له من قضايا المنطق مبرهنا على وجود علة العلل وعلم الكلام رفضا باتا اللهم الا دليلا واحدا فطريا هو وحده الذى يقنعه وهو على مثل هذا الحال من الخشوع وادراك سعة الكون وعدم تناهى الوجود لا يرى سوى قول الله تعالى **(أفى الله شك فاطر السموات والأرض)** •

ويرى ذلك الرجل المتعلم المفكر الراجع الى فطرته وطوايا ذاته ليصحح علمه ومعرفته أن هذا الدليل القرآنى البدهى قد أغناه عن كل تلك الشروح المنطقية والبراهين الكلامية الفخمة المظهر ولكنها لم تثبت أمام فلسفة فطرته التى قد استبصرت واستنارت بالنظر فى الكون والنفس والاعتبار بما فى آى القرآن من حقائق بينة وأدلة مشرقة واضحة •

فلئن سألت هذا الانسان حينئذ عن شئون الله وصفاته وعرضت عليه تلك المقولات المطولة بهذا الصدد مما يسمى بعلم اللاهوت أو الكلام قال لك كلا لأن كل الشئون الالهية ليست من وظيفة العقل بل ان العقل الانسانى قاصر وعاجز ازاء تلك الحقائق فهو لايستطيع أن يحدد شئون الطبيعة أو شئون نفسه فضلا عن شئون مبدعه وخالقه •

هذا ولندع الانسان الشرقى العصرى المثقف ونتنقل الى أمثاله من العلماء فى أوربا أولئك الذين قد يرى أبناؤنا وأخواننا الشرقيون أنهم تجردوا عن العاطفة الدينية بالمرة بالنسبة لما يحمل اليهم من أخبار الملحدين والماديين من أنصاف العلماء الذين استغنوا عن السماء بمشاهد الأرض وقوة معلوماتهم فيها وليست حقيقة كل علماء أوربا بالتأكيد كذلك لأن الدين فى اطلاقه غريزة من غرائز النفس الانسانية وفطرة جبلت عليها كل النفوس وليس فى وسع احد من أهل الالحاد أن يمحوا ذلك بمجرد القول أو السفسطة بل ان ذلك الملحد نفسه قد جعل لنفسه دينا يدين به ألا وهو الالحاد واما من جهة الايمان بمبدع السموات والأرض وخالق الأشياء والناس فلا فرق فى ذلك بين شرقى وغربى •

وقد أخذ المتنورون المنصفون من الأوربيين منذ نحو ثلاثة قرون أو أكثر فى دراسة الدين الحق وألوانه وأطواره وقد أدى ذلك بأكابر علمائهم الى البحث فى تكوين ديانه جديدة : ديانة عامة لجميع المتنورين بل لسائر الناس أجمعين •

وذلك ليعم العلم جميع الأمم فيرقى الانسان الى النظر الصحيح فى حقائق الكائنات ليعلم أنه خلق ليرتقى الى منصة الكمال وبيان ذلك أن العلماء بعد أن ناقشوا رجال الكهنوت فى أصول عقائدهم ولم يجدوا لبغيتهم مسعفا انقسموا الى فريقين : فريق المشككين وهم الذين اغتروا بظواهر العلم فاكتفوا بأن يعتنقوا الشك أو يجعلوا من الالحاد دينا ، وفريق آخر وهو فريق العلماء المحققين وهو الأكثر عددا والأوفر علما والأكمل عقلا عمدوا الى تكوين دين جديد لهم وقد تبينوا من

النظر العالي في الطبيعة أن العاطفة الدينية امر طبيعي للنفس الانسانية فهي لأجل ذلك لا تتلاشى أبدا وان رانت عليها آراء الشكاك والملحدين وارتأوا أن من حرم تلك العاطفة (عاطفة الدين) حرم سائر الملاذ الحقيقية للحياة ونعيمها وقد تفنى كل ملاذ الانسان الدنيوية ولكن لا تفنى تلك العاطفة الروحية فى النوع الأنساني وقد ورد ما يشير الى ذلك أرنست رينان الفرنسى فى كتابه تاريخ الأديان بقوله (من الممكن أن يتلاشى كل شيء نحبه وكل شيء نعده من ملاذ الحياة ونعيمها ومن الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة العقلية والعلم والصناعة ولكن يستحيل أن يمحى التدين أو يتلاشى من على وجه الأرض الخ

وبينما كانت المناقشة بين المشككين والملحدين وزعماء الدين فى أوربا قائمة على قدم وساق كان كبار العقول فى تلك الأثناء من فحول العلماء ساعين لتكوين تلك الديانة الفطرية التى أسموها الديانة الطبيعية اذعانا منهم لتطلبات الطبيعة البشرية التى يتأدى اليها الانسان بفطرته ، فما هى تلك الديانة الطبيعية يا ترى ؟ قال عنها العالم الفيلسوف (كارو) فى كتابه الابحاث الدينية والخلقية فى الزمن الحاضر (ان قواعد الديانة الطبيعية هي الاعتقاد بوجود اله مختار خلق الكائنات واعتنى بها وهو يتميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانسانى بذاته العليا - وهذا غاية التنزيه - والاعتقاد بوجود روح فى جسم الانسان متصفة بصفات الذكاء والحرية محتسبة فى هذا الجسد المادى أن التبتلى فيه وهذه الروح يمكنها بارادتها ومجهودها الشخصى أن تطهر هذا الجسد وتنقيه وتعرج به نحو السماء كما يمكنها أن تهبط به الى الدرك الأسفل لاستئناسها بمفاتن المادة الصماء) .

ومن قواعد هذه الديانة الجديدة الاعتقاد المطلق برفعة الخالق عن العقل ورفعة العقل عن الحس ، ومن مبادئها وضع الحرية الأخلاقية التى هى ينبوع أصل كل الحريات تحت سيطرة الاعتدال والأخلاق الفاضلة وتسمية الجهد الخلقى باسمه الحقيقى وهو الامتحان والابتلاء لتحقيق الغرض الخلقى باسمه الحقيقى وهو التخليص التدريجى للنفس من علاقات الجسد الشاذة والتهيؤ لساعة الموت بالزهد المعتدل وأخيرا الاعتراف بقانون الترقى والتطور والعواطف الفاضلة التى تجيش فى صدر الانسان المثقف العصرى واعتقاد أن تلك الأمور وحدها تبرر وجود السعادة وتدعو اليها .

هذا ولم يعلم علماء الغرب حينذاك أن ذلك الاصلاح الدينى الطبيعى الفطرى المزعوم الذى ظهر فى اوربا الآن باسم العلم قد جاء به منذ أربعة قرون خاتم المرسلين والأنبياء والمصلحين أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم ودينه (الاسلام) دين الفطرة السليمة بمعناها الصحيح وهو الدين الحق الذى لا يقبل كتابه التبديل أو التحريف منذ أنزل على قلب النبى صلى الله عليه وسلم الى يومنا الحاضر والى أن تقوم الساعة ، وان كان مسلك بعض المسلمين حجة على ملتهم التى ينبغى أن يرجعوا اليها ليرجع بهم دينهم الفطرى الى صراطه المستقيم الوارد فى قوله تعالى **(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)**

المجتمع الاسلامى ومشكلات المال

الدكتور أحمد شلبى

هذا اللون من الدراسة جديد الى حد ما أو الى حد كبير ، فقد كتبت وكتب كثيرون غيرى عن النظام الاقتصادى فى الاسلام ، ولكنى أريد هنا أن أبرز ناحية جديدة هى ألا تكون دراسة الاقتصاد الاسلامى دراسة اقتصادية بحتة ، بل أن تلاحظ فيها الحياة الاجتماعية التى يحياها المسلمون ، ومن أجل ذلك ينبغى أن تشمل هذه الدراسة مقدمة عن الربا وخطره الاجتماعى ، ثم تقدم دراسات حول البنوك العامة والبنوك المخصصة ، والاقتراض منها بربح ، وتبحث حكم الايداع بربح فى صناديق التوفير بالبنوك وبالبريد ، وتصل هذه الدراسة الى قمتها حين تعرض البديل الاسلامى لهذه التصرفات فترسم الطريق للبنوك الاسلامية المحلية وللبنك الاسلامى المركزى ، وترى هذه الدراسة أن البديل الاسلامى حافل بالخير للفرد والامة جميعا ،، والهدف من نشر هذه الدراسة بهذه المجلة ، وعدم الاكتفاء بالكتب أن يتسع نطاق بحثها والتعرف عليها ، سواء من الباحثين فى الدراسات الاسلامية أو من رجال الاقتصاد ، مع رجاء أن تكون هذه الدراسة نواة لهذا الهدف السامى ، والله المستعان .

قلنا فى المقال السابق ان النصوص الاسلامية التى تحرم الربا تعبر أصدق تعبير عن الفطرة السليمة ، ونريد هنا أن نعطى مزيدا من الشرح والتفصيل لنبرز الفطرة السليمة من جانب ، وآفة الربا من جانب آخر .

والفطرة السليمة تحتم على الانسان أن يساعد الانسان ويفرج أزمته ، ولا تقبل الفطرة السليمة أن يقف ذو المال بالمرصاد ، يبحث عن المحتاجين ليربى ماله على حسابهم ، وترى الفطرة السليمة أن هذا الوضع يجعل المحتاج عبدا للغنى ، ويجعل الغنى عبدا للمال وذلك أنحطاط بالمستوى البشرى يتردى فيه الفقير والغنى على السواء ، والنصوص الاسلامية تضمن لصاحب المال ربحا موفورا ونموا واسعا لو قضى بالمال حاجة المحتاج وأسهم فى تفريج كربة المكروب ، اقرأ قوله تعالى :

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض ويبسط »

ولعمرى ما قرأت هذه الآية الكريمة الا اعترتنى رعدة ، فمالك الملك يتخذ هذا الاسلوب السمح فى حث الناس على مساعدة الناس ويجعل ذلك قرضا يضمن سبحانه سداده ومضاعفته أضعافا كثيرة ، على أنى أرى فى ختام هذه الآية الكريمة حزما يوجهه الله سبحانه وتعالى لمن لم يلن لما فى صدر الآية من سماحة ووعد اذ يذكر الله الانسان بأنه سبحانه هو الذى يمنح ويمنع ويعطى ويحرم ، ويقضى ويبسط ، فليختر الانسان لنفسه فى ضوء هذه التعليمات الكريمة .

وآفة الربا قد صورها المفسرون المسلمون عندما

عرضوا لآيات الربا ولعل ما ذكره الامام الرازى أكثر شمولا ودقة لانه يبرز ما فى الربا من عيوب خلقية واجتماعية واقتصادية ففى الجانب الخلقى يقطع الربا صلة المعروف والقربى بين الناس ، فما دام القرض بربا فلا مواساة ولا معاونة ولااحسان ، وفى الجانب الاجتماعى يصبح الربا تسليطا لطبقة الاغنياء على طبقة المحتاجين، وفى ذلك الجو ينشط العداء بين الطبقات ويكون تدمير المجتمع هو النتيجة التى لا مفر منها ، وفى الجانب الاقتصادى يكون الربا من وسائل كساد التجارة وضعف الصناعة لان صاحب المال اذا ضمن الربح لماله دون مجازفة لجأ الى هذا النوع من الاستغلال فيحرم النشاط الاقتصادى من رأس المال الذى يؤدى الى منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم الا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات .

هذه بعض الجوانب فى حكمة تحريم الربا ، ويذكر المفكرون المحدثون جوانب أخرى ذات بال تكشف عن قبح هذه الآفة الخطيرة ، يقول أبو الاعلى المودودى : ان الربا لا يبدأ فيه العمل الذهنى الا منطبعا بتأثير الاثرة والبخل وضيق الصدر وتحجر القلب والتكالب على المادة ، وما اليها من الصفات الرذيلة الاخرى ، والربا بذلك يقضى على الجانب الخلقى والروحى فى الانسان ، ثم يقطع الاواصر فى المجتمع اذ يكون فيه عوز شخصى ، وفقره فرصة يفتنمها غيره للتمول والاستثمار ، وبالربا ينقسم المجتمع الى طبقة مستغلة وطبقة بائسة مستغلة ومثل هذا يحدث بين الامم ، فالدولة التى تقرض دولة أخرى بربا تضع حاجزا يفصل بين شعبى الدولتين ، ويقطع روابط الود والقربى .

ولم يكن عسيرا على الانسان أن يدرك ما بالربا من عيوب ومثالب ، ولكن حب المال كان يغالب الانسان وينتصر عليه حتى يبدو له الربا وكأنه صفقة طيبة ، فجاءت تعليمات الاديان فى اليهودية والمسيحية تحرم الربا تحريما قاطعا ، فقد جاء فى العهد القديم ، اذا افتقر أخوك فاحمله ، لاتطلب منه ربحا ولا منفعة .

بيد أن اليهود حرفوا هذا الاتجاه فى التوراة ، وفرقوا بين اليهودى وغير اليهودى فى استحلال الربا ، فقد جاء فى سفر التثنية : للاجنبى تقرض بربا ، ولكن لاخيك لاتقرض بربا واكد التلمود هذا الاتجاه الجديد فقد جاء فيه أن اليهودى له أن يسرق مال الغريب أى غير اليهودى ، وغير مصرح لليهودى أن يقرض الاجنبى الا بالربا .

ونشأ الربا بذلك عند اليهود فجاءت المسيحية تجدد القول بتحريمه ، ومن نصوص الانجيل فى ذلك « افعلوا الخيرات ، واقرضوا غير منتظرين عائدتها واذن يكون ثوابكم جزيلا ، بيد أن المسيحية عندما انتقلت من الشرق الى الغرب على يد بولس لم تعد المسيحية التى جاء بها عيسى عليه السلام ، ثم ان المسيحية كانت تعنى بتطهير الروح ولم توجه عناية تذكر لتنظيم الحياة الدنيا ، فلما عبرت من الشرق الى أوروبا واجهت أناسا شغلتهم المادة ، ولا تكاد تنقطع بينهم الحروب وحملات السلب والانتقام ، ولم يجد هؤلاء فى المسيحية عناصر كافية لتنظيم حياتهم المادية ، فاتخذوها وسيلة لصلة العبد بربه وبقيت صلة الفرد بالفرد خاضعة للقانون الذى يضعه البشر وكان الربا من أبرز ما أيده التفكير البشرى فى هذه الآونة .

وجاء الاسلام والربا دستور العالم ، وانبثق هذا الدين بين العرب ، وكان الربا دعامة من الدعائم التى يقوم عليها الاقتصاد العربى ، ووقف الاسلام حازما ضد الربا وحرمه أشد التحريم ، ولكن اليهود والنصارى ــ كما يقول آدم متز ــ ظلوا يبحثون عن الفجوات والثغرات والضرورات ليشيعوا الربا فى العالم الاسلامى .

ولما كان الربا دعامة قوية فى الاقتصاد الجاهلى ، وكان القضاءعليه يحتاج الى تؤدة وحكمة فقد جاءت تعاليم الاسلام لتحريمه على نهج تدريجى ، سنة القرآن فى معالجة الامراض المزمنة ، لا يأخذها بالعناد والمفاجآت ، بل ينطلق فى السير بها الى الصلاح على مراحل متريثة متصاعدة حتى يصل بها الى الغاية .

— ففى المرحلة الاولى جاءت الآية الكريمة :

« وما آتيتم من ربا ليربو فى **أموال الناس فلا يربو عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدونوجه الله فأولئك هم المضعفون »**

وهذه الآية ترد على من كان يظن أن فى القرض بربا قربة لان القرض يقضى حاجة المحتاج ، فبينت الآية الكريمة أن الربا قد يزيد فى الاموال ولكنه ليس قربة ولا يمنح ثوابا ، انما المساعدة بطريق الزكاة هى الطريق الامثل والله يضاعف الجزاء عليها . وعلى العموم فان هذه الآية لم تحرم الربا ، ولم تهدد آكل الربا بأى عقاب.

— وفى المرحلة الثانية جاءت الآية الكريمة :

« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل »

وفى هذه الآية بيان قبح الربا ووعيد لليهود الذين يأكلونه ، ففى الآية تحريم بالتلويح لا بالنص الصريح

— وفى المرحلة الثالثة جاءت الآية الكريمة :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون »

ففى هذه الآية اتجه النص الى تحريم الربا الفاحش ، وان كان بعض الباحثين يرى من هذه الآية تحريم الربا عموما ، وأن النص اتجه للربا الفاحش لانه الذى كان سائدا .

— وفى المرحلة الرابعة جاء التحريم القاطع والنهى الحاسم عن كل زيادة فى رأس المال بطريق الربا، وجاء تصوير الربا مع ذلك فى اقبح صورة ، قال تعالى :

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون »

وسنورد فى الحديث القادم ان شاء الله بعض تعليقات المفسرين على هذه الآيات الكريمة .

الثراء الفاجر

كما تحكيه قصة قارون

الشيخ محمد حافظ سليمان

« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ، فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون . فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون »

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين »

كان قارون من قوم موسى ومن عشيرته وأقاربه ، وقد زاده الله بسطة فى الرزق فامتلأت خزائنه بالأموال المكدسة حتى ضاق الحفظة ذرعا بحمل مفاتيحها ، وناء العصبة أولوا القوة بها . وكان قارون مصابا بداء الجشع والنهم ، والاشر والبطر ، والكبرياء والاستعلاء والفجور والغرور ، لان الثراء الفاحش كثيرا مايخدع والترف الفاجر يضر ولا ينفع ، والمال زينة الحياة الدنيا من قديم الزمان ، وقل أن ينجو من فتنته انسان ..!

فقد يبغى به صاحبه حتى على الأهل والاقربين ، وينسى أنه مخلوق من سلالة من ماء مهين « كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى »

« ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض » ..!!

فقد يعتقد المرء أن الناس حوله ما خلقوا الا ليكونوا له خادمين ومطيعين ، فاذا نادى قالوا نعم لصاحب الثراء والنعم .

وويل لمن لا يعلن الولاء لصاحب الاموال المكدسة والنفوذ والثراء ، والتاريخ يحكى كثيرا من قصص الاستبداد والاستعباد ، بسيطرة رأس المال ، وتسلط الثراء على المستضعفين الفقراء ، حتى ألهاهم التكاثر وشغلتهم أموالهم عن ذكر الله وعبادته وعن بره وطاعته فعاثوا فى الارض فسادا واتخذ كل اله هواه ، وشرد عن ربه وهداه ، وعلا فى الارض فطغى بماله وويل لمن يخضع للجبروت والبغى فيعجل له العذاب ويستحق العقاب ويسلط عليه التهديد والارهاب ، أو يحاسب شديد الحساب أو يعاقب بالمتاعب والحرمان ، جزاء التوانى فى الطاعة أو ارتكاب العصيان !!

والكبر داء النفوس الشحيحة ، والغرور سجية الشخصية الضعيفة الضئيلة ، لذلك كانت رسالات السماء ثورات انسانية حررت النفوس ورفعت الرءوس وحققت العدالة الاجتماعية ، وردت الكرامة للنفوس البشرية بالعزة والحرية فلا ثراء يتحكم ولا طغيان برأس المال المستغل يفرض الولاية على الآدمى الحر الأبى ، وقد حقق المصلحون على ضوء هذه الرسالات كرامة المؤمنين وعزة المتقين ، وصنعوا المجتمعات الكريمة الفاضلة التى لاتعبد الا الله ولا تذل نفوسهم لسواه .

وقد كان قارون أحد المساكين المصابين بالطغيان والبغى وقد خدعه المال والثراء فسار سيرة الطاغية وسلك مسلك المترفين ، ونسى نعم الله عليه وآلاءه التى بين يديه ، فتسلط على قومه بجبروته وقسوته وبطشه وشدته ولكن المال لا يخضع أعناق الرجال ، ولا يذل رءوس الأحرار لان الانسان يفر من الطغيان ويحب الاحسان ..

ولقد تردت نفس قارون الى أردأ حال وأعمته كثرة الأموال . فلم يستمل قلوب المحتاجين فيدفع عنهم الضر ، ولم يفعل الخير ولم يصنع البر ولم يغث الملهوف ولم يخالط الا المرائين ولم يجالس الا المنافقين ومرضى القلوب لا يشعرون بصرخة المظلوم ولا بلوعة المحروم ، وقد تبلد حسهم فلا يشعرون بمن حولهم .

وقارون كان مختالا جبارا فخورا مستكبرا مخدوعا مغرورا . ولقد نصحه أقاربه وقال له قومه « لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين » وطالبوه بفعل الخيرات وباخراج الزكاة وبأن يمسح دموع البائسين وأن يعطف على المساكين ، وأن يرحم الفقراء والبؤساء ليرحمه رب الارض والسماء وقالوا له : ان الرحمة

بشير الخير للنفوس التى عضها الدهر بنابه وأصابها باوصابه وان القلب الرحيم قد اختصه الله باكرم السجايا ومنحه افضل العطايا والمزايا – نصحوه لينال الحمد فى الدنيا والمثوبة فى الآخرة ، وقالوا له لا تترك الدنيا وزينتها لان الله لم يحرم الحلال من المتاع ولا الطيبات من الرزق « وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » فاحفظ الله يحفظك واشكر ربك يزدك من نعمة الظاهرة والباطنة والمال وديعة مستردة وظل زائل وكل ما سوى الله باطل فاتخذ مالك وسيلة لسعادتك برضاء ربك واعلم أن المال مال الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ..

وما حملنا على نصحك الا حبنا لك وقربنا منك وصلتنا بك ورغبتنا فى أن يكون الله معك فيبقى النعمة بين يديك ويظل فضله سابقا عليك ، ولكن هل يتواضع الطاغية فتقبل النصح نفس قارون الباغية ؟ انه لم يقبل النصيحة لان كثرة الخزائن اعمته عن الحق وصدته عن فعل الخيرات ، وزادته ثروته علوا واستكبارا ولم يجد التفاهم طريقا الى نفسه ولا سبيلا الى عقله وقلبه . فكان جافيا فى رده ، وقال انى أكثركم مالا وأكملكم عقلا، وأسدكم رأيا ، وما أوتيت المال الا لانى أحق به وأجدر ، فانصحوا أنفسكم فانى لا أحب الناصحين ولا أقبل المرشدين فانا خير مقاما وأحسن حالا .. !!

ثم حشد المال الوفير والمتاع الكثير ليستعرض ذلك كله وخرج على قومه فى زينته ، ليفاخر بالثراء الفاجر وليلفت نظر المستضعفين وليرى ثراءه للناصحين ، فلما رآه فقراء النفوس، قالوا : « يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم » انه فى ترف ونعيم ، ونحن فى ضنك مقيم !! لكن الذين آمنوا بالله اعتقدوا أن متاع الدنيا قليل وأن ما عند الله خير وأبقى، فقالوا لهم « ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا » ..

ولماكانت النصائح للمستكبرين فى الارض بغير الحق لا تجدى شيئا ، وقد تبين أن منظر الحرمان لم يستدر الرحمة من قلب قارون الذى أظلمه الشح وأعماه البغى والفجور ، كان لابد من تطبيق شريعة الزكاة لتلزمه بان يدفع الحق المعلوم للسائل والمحروم ..!!

.. لابد من نزع الزكاة من هذه اليد الشحيحة الجاحدة فان القانون قد يردع ويفتح للحق قلوبا قاسية جاحدة فترغم على الاحسان للحد من الطغيان ولتمنع الانسان من ظلم أخيه الانسان، وللنبوة جلالها ووقارها وكمالها . ولشريعة العدل شريعة الله – شريعة الزكاة هيبتها وجمالها ، فلتطبق على مال قارون !!.. وليأخذ منه الحق المعلوم للسائل والمحروم .. عندئذ أعلن سيدنا موسى عليه السلام فى حزم وعزم واصرار تام أن قارون مطالب بدفع زكاة المال ، ولا مناص من ذلك بأى حال ! ولكن قارون قد طبع الله على قلبه فلم يلتفت لدعوة موسى استهتارا واستهزاء ثم سخر من دعوة موسى وقال له فى غطرسة وغيظ وعنف : قد احتملنا منك ما احتملنا – جئتنا بدين جديد فجاريناك فيه وأمرتنا بكذا وكذا فاستمعنا لأمرك فاطمعك ذلك فينا وجرأك علينا فلم يبق الا المال تريد أن تاخذه من ايدينا وتسلبه منا والثروة تريد أن تستحوذ عليها ؟

لقد ابتلعت الارض كنوزه وقصوره فكان عبرة لمن اعتبر وموعظة عن أمرك وأظهرت مكنون سرك وانك لساحر كذاب، ثم حاور وداور وفجر وأصر على رأيه واستكبر بعد أن فكر وقدر وحاسب ودبر ورجع الى بيته لاحصاء حق الفقراء فازعجته الارقام فعاد اليه شحه وبخله ورجع اليه كبره ولؤمه ، وآلمه ان يرى ماله يدخل الى بيت المساكين ليسد عوز المحتاجين فلم تقبل نفسه أن ترحمهم ليبدل بؤسهم نعيما فاحتال وأذاع ذائعة الشر والسوء ، فاتهم سيدنا موسى بأمور لا تليق بالانبياء وأراد أن يفتن ضعاف النفوس وأن يصرفهم عن رسالة سيدنا موسى عليه السلام ، يبغى بذلك زلزلة عقائدهم سيطرة رأس المال المستغل بالتشكيك ونشر الشائعات الضارة ولمايئس سيدنا موسى عليه السلام من صلاحه دعا الله أن ينزل به عذابه وأن يعجل له عقابه وأن يخلص الناس من شره وضره فاستجاب الله دعاءه ..!!

فخسف الله بقارون وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين !!

لقد ابتلعت الارض كنوزه وقصوره فكان عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن يتذكر ، فكان عبرة للسابقين واللاحقين وموعظة على مر السنين لمن يتدبر .

وهكذا نجد أن الاسلام يكره الطبقية ، ويمقت الكبرياء والاستعلاء الظالم ولا يقبل المغرورين بأموالهم المتبجحين بأرقامهم وكنوزهم وهو دين المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية ، والكرامة الانسانية . لذلك لم يحرم الطيبات من الرزق لانه يطالبنا بالاحسان الى الغير فمن باب أولى يطالبنا بالاحسان الى النفس بعدم حرمانها من التمتع المعقول ليرى أثر النعمة التى من الله بها على عباده هذا وحياة المسغبة والمتربة انكار لنعم الله سبحانه وتعالى الذى يقول « وأما بنعمة ربك فحدث »

أما الترف والسرف والتبذير وارضاء الشهوات والنزوات فهذا ما يثبط الهمم ويفسد الذمم ، ويهدم القيم ، ويضعف الأمم .

ولقد أدرك المصلحون المعاصرون أن الثراء الفاجر الذى يشبه ثراء الطغاة خطر على المجتمعات ، ومفسدة للجماعات ، فوضعوا للملكية الفردية الحدود والقيود ، لحماية النفس البشرية من العلو والجحود ، والعتو والجموح لكيلا تفرط بالفجور والغرور فتطغى كما طغى قارون وبغى .. وقد خاب من افترى .

تكريم الإسلام للمرأة

فضيلة الشيخ بسيونى رسلان

لقد عنى الاسلام بالمرأة وكرمها تكريما لم تخطر بمثله فى شرع سماوى سابق • ولا فى مجتمع انسانى • وضع له البشر من القوانين والأحكام • ماينظم العلاقة بين أفراده • ويحقق لهم الاستقرار والازدهار • فقد حملت المرأة الرجل جنينا • ووضعته وليدا • وغذته بلبانها وصنعته على عينها وضحت براحتها فى سبيل راحته • وأحسنت اليه ابان طفولته • وما كانت تضجر من سهر ، ولا تشمئز من قذر • وخليق بمن كانت هذه بعض تضحياتها • أن تجد ما تستحق من تقدير وتكريم فى ظلال المبادىء الاسلامية • لكى تؤدى رسالتها الانسانية • وتقوم بواجبها فى خلق جيل قوى سليم يحمل رسالة الحياة • ويكون جديرا بالخلافة عن الله فى الأرض •

وقد اهتمت التعاليم الاسلامية التى تعرضت لوضع المرأة فى المجتمع بتحقيق الرفاهية وتوفير السعادة لها جزاء وفاقا • وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟

وقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أول وأعظم من عمل على تكريم المرأة والنهوض بمستواها• وانتشالها من الحضيض الذى كانت تتردى فيه قبل الاسلام لدى الرومان والاغريق • وغيرهما من الأمم التى لم ترع للمرأة قدرا • ولم تعترف لها بحق أو وجود • حتى ان بعض الفلاسفة أنكر ان يكون للمرأة نعش كالرجل •

فقد كانت المرأة قبل الاسلام ملكا للرجل • يتصرف فيها كما يتصرف فى الرقيق بالبيع والشراء • وكان عقد الزواج يحدث على صورة بيع وشراء يشترى الرجل بمقتضاه زوجته من أبيها • فتنتقل اليه جميع حقوق الأب عليها وللزوج بعد العقد أن يتصرف فيها بالبيع لشخص آخر • وكان اليونانيون يرون أنها ليست أهلا للتصرف وأنها لاتصلح لشىء سوى خدمة البيوت والولادة • ولم تكن المرأة العربية على عهد الجاهلية أحسن حظا من غيرها • فقد كانت تباع كما تباع الأنعام • وتدس فى التراب خوف العار يشير الى ذلك قوله تعالى (واذا بشر احدهم بالأنثى **ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من**

سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) الآية - ٥٩ من سورة النحل

وكانت تورث كما يورث المتاع • فاذا مات الرجل كان ابنه أحق بامرأته يتزوجها ان شاء اذا لم يكن ابنها أو يزوجهامن شاء أخاه أو ابن أخيه أو يحبسها عنده حتى تفتدى منه بفدية حتى نزل قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) الآية ١٩ من سورة النساء •

الاسلام رفع قدر المرأة •

فلما جاء الاسلام كرم المرأة ورفع قدرها وأنصفها انصافا ماكانت تحلم به • فقد حرم وأد البنات وتوعد فاعله بالعقاب الصارم قال تعالى (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) ، الآية ٩ من سور التكوير •

وسوى بين المرأة والرجل فى الثواب والعقاب قال تعالى (**ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب**

وقال جل شانه (من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون)

وقال سبحانه وتعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) الآية ١٢٤ من سورة النساء وقال جل شانه (فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) الآية ١٩٥ من سورة ال عمران • وكذلك سوى الاسلام بين المرأة والرجل امام القانون وفى الحقوق العامة بما يتفق مع طبيعة المرأة كحق التملك ، وحق التعليم والثقافة ، وحق العمل • وحق الموافقة على اختيار الزوج الذى سيكون شريكها فى الحياة • وحسن المعاشرة •

أولا حق التملك

كان العرب قبل الاسلام يحرمون البنت من حقها فى ميراث أبيها • ويقصرون حق الارث على الذكور القادرين على حمل السلاح وركوب الخيل والدفاع عن الأرض والعرض • والعشيرة والأهل •• فلماجاء الاسلام وقرر حق الميراث للمرأة والصبى • تضايق العرب ، وقالوا تعطى الزوجة الربع أو الثمن • وتعطى البنت النصف •• ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم أو يحوز الغنيمة ؟• وربما قال سائل ان جعل نصيب البنت على النصف من نصيب الرجل لا يحقق المساواة بين المرأة والرجل فى الميراث • والجواب على هذا السؤال يتلخص فى أن الابن مطالب بالانفاق على بيته وزوجه وأولاده ، أما البنت فلا تسأل الا عن نفسها • يضاف الى هذا أن الاسلام أوجب على الأب أن يكفل ابنته وينفق عليها • حتى تتزوج • فاذا تزوجت أصبح زوجها مكلفا بالانفاق عليها • فاذا طلقت وعادت الى بيت أبيها تكفل أبوها بالانفاق عليها بعد ان تنتهى النفقة المقررة لها من الزوج الذى طلقها •

ومن هذا يتبين بوضوح انه لاجور على البنت اذا أخذت نصف نصيب أخيها فى الميراث • وأن الاسلام اعطاها حظا من الميراث يتناسب مع أعبائها ويقيها شر الحاجة الى الغير وللمرأة فى الاسلام ثروتها الخاصة كذلك • ولو كانت متزوجة فلا يجوز للزوج أن يأخذ شيئا من مالها بدون اذنها •

قال تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا) الآية ٢٠ من سورة النساء

وقال جل شانه (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة • فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مرينا) ، الآية ٤ من سورة النساء •

ثانيا - حق التعليم والثقافة •

ومن مظاهر تكريم الاسلام للمرأة أنه سوى بينها وبين الرجل فى حق التعليم والثقافة وأباح لها أن تحصل على ماتشاء من ثقافة وعلم ، بل أوجب عليها

أن تتعلم كل ما يتعلق بفهم دينها فهما صحيحا خاليا من الدجل والبدع والخرافات • وان تتعلم كل ما يمكنها من القيام بالمسئولية الملقاة على كاهلها نحو زوجها وأولادها • وبيتها الذى جعلها الله راعية له ومسئولة عنه كما يوحى بذلك قوله صلى الله عليه وسلم . (**والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها**) وقوله (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وبهذا تدرك أن الاسلام أعطى المرأة حظا موفورا من العلم والمعرفة وحثها على ترقية مواهبها الفكرية والعقلية لأهميتها فى الاسرة • وأثرها الفعال فى تربية أبنائها وبخاصة فى سنواتهم الأولى حينما تصير أما • لأنها المدرسة التى يتلقى فيها الطفل مبادىء الحياة الأولية •

قال شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم :

من لى بتربية النساء فانها
فى الشرق علة ذلك الاخفاق

الأم مدرسة اذا أعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق

والأم اذا كانت متعلمة مثقفة متدينة أخرجت للدين والوطن رجالا مثقفين أوفياء

واخلاق الوليد تقاس حسنا
باخلاق النساء الوالدات

فكيف تظن بالأبناء خيرا
اذا نشأوا بحضن الجاهلات

وقد شعرت المرأة بواجبها الدينى والدنيوى • وتافست الرجل فى ميادين العلم والمعرفة وطالبت بأن ترتشف من مناهله • وتضرب بسهم وافر فى جميع مسائله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ورد فى الصحيح أن النساء اجتمعن يوما وقلن للنبى (غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فجعل لهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن وثبت أن الشفاء العدوية سيدة من بنى عدى رهط عمر بن الخطاب – كانت كاتبة فى الجاهلية وكانت تعلم الفتيات القراءة والكتابة وأن حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها من النبى صلى الله عليه وسلم • ولما تزوجها طلب الرسول من الشفاء أن تتابع تعليمها • وتعلمّ على تحسين الخط وتجويده كما علمتها أصل الكتابة والتاريخ • يحدثنا أن أبواب العلم والمعرفة كانت مفتحة للبنت العربية منذ عصر بنى أمية • وانه نبغ بفضل ذلك عدد كبير من النساء فى علوم القرآن والفقه والحديث واللغة ولم يفرق الاسلام بين الأمة والحرة فى مجال التعليم فقد ورد فى صحيح البخارى • أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (وايما رجل كانت عنده وليدة (جارية) فعلمها فأحسن تعليمها • وأدبها فأحسن تأديبها • ثم اعتقها وتزوجها فله أجران).

ثالثا : حق المرأة فى العمل •

كما سوى الاسلام بين المرأة والرجل فى حق التملك وحق التعلم سوى بينهما فى حق العمل : فاباح للمرأة أن تعمل وأن تقوم بالوظائف المشروعة التى تتناسب مع طبيعتها بشرط أن تؤدى عملها فى حشمة ووقار وبشرط أن لايؤدى هذا العمل الذى تباشره الى ضرر خلقى أو اجتماعى • فهذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه زوجة الزبير كانت تقوم بكثير من الأعمال لزوجها وأسرتها داخل البيت وخارجه قالت رضى الله عنها • (**كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله وكنت أسوس فرسه وأعلفه واحتش له وكنت أخرز الدلو وأسقى الماء • وكنت أحمل** النوى على رأسى من أرض للزبير على بعد ثلثى فرسخ) بل ان بعض النساء سجل لهن التاريخ فى أنصع صفحاته مواقف فى الحروب تفيض بالبطولة الفذة والشجاعة النادرة •فهذه على سبيل المثال • نسيبة الانصارية كانت تسقى العطشى وتداوى الجرحى فى موقعة أحد • وكان فى المعركة زوجها وولداها فلما رأت الخطر يقترب من رسول الله صلى الله عليه وسلم • ألقت سقاءها • واستلت رمحها • واندفعت الى قلب المعركة تدافع عن الرسول يمينا وشمالا • وفى خلال ذلك يأتيها ابنها جريحا فتضمد جراحه • ثم ترسله ليستأنف القتال فى سبيل الله حتى ينتصر أو يموت شهيدا • ويسجل لها التاريخ أيضا أنها اشتركت مع ولديها فى قتال مسيلمة الكذاب • وانها علمت أثناء المعركة أن احد ولديها

استشهد • فأقسمت أن تخوض المعركة الى النهاية حتى تقتل أو يقتل مسيلمة وانقضت على مسيلمة مع بعض الفرسان تناضل وتقاتل حتى قطع ذراعها وأصيبت بجراح كثيرة ولكنها لم تضعف • وبر الله قسمها فاشتركت مع ابنها الآخر فى قتل مسيلمة • وبذلك كتب لها التاريخ فى أنصع صفحاته انهادخلت المعركة بولدين وذراعين • وخرجت منها بولد واحد وذراع واحد •

رابعا – حق المرأة فى اختيار الزوج

الزواج عقد اختيارى بين الرجل والمرأةيستهدف تكوين أسرة يتعاون أفرادها على الوصول الىالسعادة المشتركة بين الزوجين ولاجل أن يحقق الزواج أهدافه شرع الاسلام الخطبة قبل الزواج • ليتعرف كل من من الرجل والمرأة على الآخر فيما يتصل بملامح الخلق وملامح البدن الظاهرة حتى اذا أقدما على اتمام الزواج أقدما عليه وقد وقع كل منهما من صاحبه موقعا يرضاه • والا انصرفا عنه وقد كفى كل منهما عاقبة زواج غير مأمون النتائج • روى البخارى ومسلم وغيرهما أن المغيرة بن شعبة • خطب امرأة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما) وكما أعطى الاسلام للرجل هذا الحق • اعطى المرأة كذلك الحق فى اختيارزوجها وقرر أنه اذا انتهت الخطبة باتمام عقد الزواج برضا الطرفين فبها ونعمت • والا فللمرأة ثيبا كانت أو بكرا كمال الحرية فى رفض من لاتريده زوجا لها •ولا حق لأبيها أو ولى أمرها أن يجبرها على الزواج ممن لاتريده • قال صلى الله عليه وسلم • (لاتزوج الأيم حتى تستامر ولا البكر حتى تستأذن)والاستئمار هو طلب الأمر وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم • قال (البكر تستأذن) قلت ان البكر تستأذن وتستحى قال • (أذنها صمتها) ويقرر الاسلام أن الثيب اذا زوجت دون أن تستأمر كان العقد باطلا • وأن البكر اذا زوجت دون اذن منها فهى بالخيار • ان شاءت أمضت العقد • وان شاءت أبطلته • ومما ورد فى هذا الشأن بالنسبة الى الثيب أن خنساء بنت خدام زوجها أبوها وهى ثيب فكرهت ذلك فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فرد زواجها وورد بشأن زواج البكر من غير اذنها أن فتاة ذكرت للنبى أن أباها زوجها من ابن أخيه ليدفع بها خسيسته فجعل الرسول الأمر اليها • وأخبرها أن الأمر بيدها ان شاءت أقرت ما صنع أبوها • وان شاءت أبطلته • فقالت الفتاة قد أجزت ما صنع أبى ولكنى أردت أن أعلم النساء انه ليس للآباء من هذا الأمر شىء •

خامسا – حسن المعاشرة بين الزوجين •

لقد طلب الاسلام من الزوج أن يحسن معاشرة زوجته كما طلب من الزوجة أن تحسن الى زوجها وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم (**استوصوا بالنساء خيرا**) ويقول (**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة ان أمرها اطاعته • وان اقسم عليها برته • وان غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه**) ويقول (**اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا • وخياركم خياركم لنسائهم**) وقد وضع القرآن الكريم دستورا للمعاملة بين الزوجين فى قوله تعالى • (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) يقول الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى تعليقه على هذه الآية الكريمة مبينا المكانة التى رفع الاسلام اليها المرأة ، هذه الدرجة التى رفع النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق • ولا شريعة من الشرائع بل لم تصل اليها أمة من الامم قبل الاسلام ولا بعده

وهذه الأمم الأوربية التى كان من تقدمها فى الحضارة والمدنية أن بالغت فى احترام النساء وتكريمهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن الفنون والعلوم • لاتزال المرأة فيها دون الدرجة التى رفعها الاسلام اليها •ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها دون اذن من زوجها • ذلكم الحق الذى منحته الشريعة الاسلامية للمرأة من نحو اربعة عشر قرنا فلم تبح للرجل أن يأكل من مالها • فضلا عن تملكه والتصرف فيه • الا اذا كان عن طيب نفس منها • (فان طبن لكم عن شىء منه نفسا) الآية ٤ من سورة النساء • وقد كان النساء فى أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء فى كل شىء كما كن فى عهد الجاهلية عند العرب • أو أسوأ حالا وقد صار هؤلاء الافرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا فى اعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية فى معاملة النساء • ويزعم الجاهلون منهم بالاسلام ان ما نحن فيه هو أثر ديننا) والله ولى التوفيق

واجب المرأة في الإسلام

فضيلة الشيخ عبدالله المشد

المراة فى الحياة نصف المجتمع ورسالتها متممة لرسالة الرجل ، لا تستغنى أحداهما عن الأخرى فى عمارة الكون وبقاء النوع واسعاد الحياة ،
ولم يشارب العزة سبحانه أن يخلق آدم ويتركه وحيدا ينعم بالجنة بل خلق له من نفسه سكنا ومطمأنا وشريكا يساعده على ادراك لذة هذا النعيم ، فكانت أمنا حواء التى شاركته حلو الحياة ومرها وتعاونت معه على تكوين الاسرة الأولى التى كان منها هذا العالم كله .

واذا كان الله سبحانه قد وهب كلا من الجنسين خصائص مميزة له ، وسلحه بأسلحة تناسب مهمته ، فأن ذلك لا يعنى استغناء احدهما عن الآخر ولا يعنى طغيان جنس بخصائصه ومميزاته على الجنس الآخر ، فلكل منهما مجال يحسن العمل فيه ، وطريق يأمن السير فيه الى الغاية المرجوة .

واذا كانت المراة فى بعض أطوار التاريخ القديم غمط حقها وأنكرت رسالتها السامية وعوملت معاملة قاسية أساسها الأنانية والنظرة القاتمة لها كمخلوق نه أسلحة قوية نفاذة تستطيع بها أن تميل بالجنس الآخر الى حيث لا يكون الخير ، فأن الاسلام بتشريعه العادل ونظرته المنصفة وتنظيمه الدقيق للحياة فى كل مجالاتها ، قضى

على الرواسب الجاهلية والأوضاع الشاذة التى كانت توضع فيها المرأة ، وأبرز لها حقوقا وأوجب على الرجل نحوها التزامات ما استطاعت المرأة أن تظفر بها فى أرقى التشريعات الوضعية

واذا كان الاسلام قد خصص بعض الميادين للرجل وبعضها للمرأة ، وجعل كثيرا من الميادين مشتركا بينهما فما ذلك الا نوع من التنظيم الذى تستطيع فيه الكفايات أن تنتج النتيجة المرجوة ، وليس فى ذلك غمط الجنس ولا انكار لقيمة أحد ، وانما هو كما يقال بلغة العصر الحديث : **وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، أو تسليم المهمة الى من يحسن أداءها ، واستيداع الأمانة عند من يحسن الوفاء بها** . **يذكر** العلماء أن أم سلمة رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه **وسلم : يارسول الله يغزو الرجال ولايغزو النساء وانما لنا نصف الميراث فلو كنا رجالا غزونا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فأنزل الله تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله)** ان الجهاد فى سبيل الله لحماية الوطن وتأمين الحريات ورد العدوان أعظم شرف يحمل وسامه المجاهد المخلص . ومع ذلك فالمرأة فى حسن ادارتها للمنزل وقيامها بواجبها الطبيعى المخصص لها لا تقل شأنا عن الرجل الواقف فى الميدان شاهرا سيفه ضد الأعداء ، فهى التى تشيع الأمن والسعادة فى هذا الحمى الذى يسكن اليه الرجل المكافح المناضل ، ويأوى اليه زغب الحواصل فى دور التكوين **يفسر هذه الآية الكريمة حديث نبوى شريف ملخصه أن السيدات المسلمات أرسلن أسماء بنت يزيد بن السكن - وكانت تسمى خطيبة النساء - الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله . أنا وافدة النساء اليك ، ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبالهك ، وانا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم ، وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل . وان أحدكم اذ اخرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم . انشارككم فى هذا الأجر ؟ فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى اصحابه بوجهه ثم قال : هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها ؟ فقالوا : يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدى الى مثل هذا ، فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم اليها ثم قال : افهمى أيتها المرأة ، واعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته واتباعها موافقته تعدل ذلك .**

يتبين من هذا الحديث أن على المرأة واجبا لا يقل عن واجب الرجل فى أعظم أعماله البطولية وهى الجهاد فى سبيل الله ، فلولاها ما استطاع هو أن يترك أولاده ويخرج الى الميدان ، ولولاها ما أعد له ما يحتاجه وهو فى كفاحه ونضاله من غذاء وكساء وما وراء ذلك من أعمال ، **اذن على المرأة واجب يسير جنبا الى جنب مع واجب الرجل ، والميدان الذى يناسب مواهبها واستعدادها أفضل من الميدان الذى لا يناسب ذلك ، وان كان لها أن تظهر كفايتها فى كل مجال .**

والمجتمع الأسلامى الأول فى بدء تكوينه وضع الرجل مع المرأة فى مقام التكليف بكل الأعمال التى ترسى قواعد المجتمع وتزيل الرواسب الماضية وتمكن للمبادىء الجديدة ، فشمرت المرأة عن ساعد الجد وشدت راحلتها وهاجرت مع الرجل الى الحبشة ثم الى المدينة وتحملت معه تحديات قريش فى الشعب بحصاره الشديد وفى الايذاء المتكرر الذى لم تراع فيه

الحرمات ، وخاضت معه المعركة تدافع عن وطنها وتخدم جندها وتعد للمقاتلين ما يلزمهم ، تحمل مرضاهم وتسقى عطاشهم وتضمد جرحاهم وتحفظ أمتعتهم وظهرت المشاركة القوية فى أحد لصد اعتداء قريش حتى خرجت نساؤها الطاهرات فى حماس بالغ وهمة مشكورة تقدم الخدمات بكافة ألوانها الى المقاتلين .

ان المرأة فى ظل الاسلام لها رسالتها الخطيرة وواجبها المقدس وتستطيع وهى متربعة على عرش مملكتها أن تورد الى ميادين النضال المختلفة أبطالا شجعانا فى كل فن كما يقول الشاعر :

قم أبن الامهات على أساس
ولا تبن الحصون ولا القلاعا
فهن يلدن للقصب المذاكى
وهن يلدن للغاب السباعا

تستطيع أن تسهم اسهاما ايجابيا فى المعركة الاقتصادية بحسن تدبيرها لمنزلها ورعاية أولادها رعاية جدية تهتم بالجواهر وتزهد فى المظاهر ، وتؤثر الأهم على المهم وتدخرليوم الحاجة ما تواجه به مفاجآت المستقبل وتجتاز به المآزق الحرجة ، العقبات التى تعترض الطريق .

تستطيع أن تسهم بقوة فى المعركة الحربية بالتنشئة الوعية الحازمة والتوجيه الحكيم الصائب ، وحراسة القلعة الداخلية من عوادى الفتن والاشاعات ونقل الاسرار ، والاستعداد الكامل للدفاع المدنى بكافة مظاهره وبخاصة ما يناسب تكوينها وعاطفتها ، تستطيع أن تكون كرفيدة الأسلمية وقد أعدت لها خيمة فى مسجد الرسول تستقبل فيه الجرحى وتمرض المرضى فى معركة الأحزاب وقريظة ، تستطيع ان تكون كأم سليم وقد كانت فى حنين متسلحة بخنجر سئلت عنه فقالت : أبقر به بطن من يقربنى من الأعداء ، تستطيع أن تكون كغير هؤلاء من سيدات الاسلام اللائى أبلين بلاء حسنا فى الحروب وتخليص الأسرى وتعميق المعانى البطولية فى نفوس الشباب

تستطيع المرأة المسلمة أن تسهم بقدر كبير فى المعركة الثقافية ضد الجهل وفى المعركة الصحية ضد المرض وبخاصة فى محيط أسرتها المحدودة الذى يتطلب عقلا ذكيا ومعرفة واعية ومفاهيم صحيحة للاشراف على النشء المتطلع الى القيادة والتوجيه . المحتاج الى التقويم والتهذيب . ولحل المشاكل التى تعترض طريق الأسرة بما أوتيت من علم وما تملك من خبرة ، وللاشراف الصحى بأصوله الصحيحة وقواعده الثابتة بعيدا عن الخرافات والترهات والشعوذة والتدجيل ، تستطيع المرأة هذا وأكثر منه فى أى مجال تريد وبأى أسلوب يكون ، والمهم فى ذلك كله اخلاصها فى أداء الواجب وحصرهما فى خدمة الوطن وعدم التعلق بالشكليات والمظهر أو الاهتمام بالكماليات والسفاسف والوطن كله مسرح لنشاطها فى جميع مصالحه وهيئاته وتنظيماته تستطيع أن تظهر قدراتها وبراعتها بحرية كاملة وثقة تامة مادام ذلك كله فى اطار المشروع الذى لا تنتهك معه حرمة ولا يهان عرض ولا يخدش شرف ولا تساء سمعة

ان معركة التحرير تنادى المرأة كما تنادى الرجل لاداء الواجب ، ان مسيرة النهوض بالبلد تفسح المجال للنساء كما تفسحه للرجال ، والقاعدون عن ذلك آثمون فى حق الوطن ايما اثم ، قال تعالى **(انفروا** خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم **وانفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)** .

وكل جهد يبذل من الجنسين له حسابه الكامل وتقديره العادل كما قال سبحانه **(فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)** والله سبحانه هو المسئول أن يأخذ بنواصينا الى الخير وأن يجمعنا جميعا على محبته وخدمة دينه ، وأن يهبنا أمنا ورخاء ونصرا وتأييدا . وهو نعم المولى ونعم النصير .

الجُنَّة

فى شرح عقيدة أهل الجَنَّة

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

أركانه الشهادة والصلاة والحج والصيام والزكاة

قواعد الاسلام التى قام عليها بنيانه خمس شهادة أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ؛ واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا . ولأعلقن عليها على هذا الترتيب كما جاء فى الحديث لا كما فى البيت فقد أخرت الزكاة لضرورة الشعر .

١ ـ أما شهادة أن لا اله الا الله فأن تقر بلسانك وتذعن بقلبك أنه لا معبود بحق الا الله ، والاله ما اتخذ معبودا عند عابده ؛ والعبادة تمام الطاعة **والخضوع مع اعتقاد نفع المعبود بألوهيته بغير** الأسباب الظاهرة . وقد فطر الله العباد معترفين بألوهيته ، مقرين بربوبيته **قال تعالى : واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم قالوا : بلى . شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) .**

وأما الجانب الثانى من الركن الأول وهو شهادة أن محمدا رسول الله فهو أن تذعن بقلبك وتنطق بلسانك أن الله الذى آمنت به أرسله كافة للناس بشيرا للمطيعين بجنته ، ونذيرا للمخالفين بناره وعقوبته ؛ ومن نتائج هذه الشهادة أن توقر ذلك الرسول وتطيعه فى كل ما أمر به حسب استطاعتك وأن تحبه من حبك نفسك ، وأن تدافع عن دينه ماتأتى لك الدفاع وأن تدعو اليه ما استطعت وأن تجعل قوله فوق كل قول ، وهديه فوق كل هدى وأن لاتترك ماجاء به من البينات لهوى نفسك أو هوى أحد من الناس .

والله تعالى لم يرسل هذا الرسول مصادفة ، بل أعده منذ قال للملائكة : (انى جاعل فى الأرض خليفة) وأعد له الأصلاب الطاهرة والأرحام النقية ولم ينقسم بنو آدم فرقتين الا كان فى خيرهما حتى وضعته أمه فى أتم خلق وأكمله صلى الله عليه وسلم .

ومن ذكر فوائد لا اله الا الله باللسان استعمال اشرف الآلات بأشرف الكلمات ، وهى الاعتراف الحق بعبوديتك لمن خلقك مجانا ؛ ورزقك مجانا ، وهداك مجانا ، ولم يستعبدك مجانا • بل كم وهبك فى الدنيا احسانا ، وأعد لك فى الآخرة جنانا ؛ وأن تعدوا نعمة الله لاتحصوها • ومنها تعميم النور عند ظلمة القبور • قال الله تعالى : (الله نور السموات والأرض) ولا اله الا الله نور لكنه فى الغيب فاذا رفع حجاب الغيب ظهر نوره ، قال الله تعالى : (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) وقال خبرا عن المنافقين (انظرونا نقتبس من نوركم) فنور هذه الكلمة شعار المؤمنين يوم القيامةومنها تجديد عهد الايمانفكلما ذكر هذه الكلمة نال ثواب أداء المفروضة ولو تركها لم تلحقه عقوبة الترك ، ثم اذا قالها من كفر بالله ألف سنة — لم يبق من طغيانه شىء فاذا قالها مؤمن أولى أن لايبقى من عصيانه فى ديوانه شىء فما يصلح كفارة للشرك فأولى ان يصلح كفارة للمعاصى فنستودع الله تعالى هذه الشهادة ، وهو خير حافظا •

(٢) اقام الصلاة

وأما الصلاة فهى عماد الدين فمن أقامها فقد أقامه ومن هدمها فقد هدمه ، وهى فى كل الملل رياضة روحية ولكنها فى الاسلام جمعت بين رياضة الروح والبدن ، فرفع اليدين عند الاحرام ، والركوع والرفع منه والسجود كلها رياضة للبدن تكسب أعضاءه قوة ومرونة ، والسلام نفسه حين يتجه المصلى عند الخروج من الصلاة الى يمينه ويساره مسلما رياضة لعضلات العنق ؛ وتنبيه للغدة الدرقية الصماء التى هى ينبوع النشاط البدنى كله ، ومن محاسن الصلاة أن القيام فيها تعظيم لله اذ من عظم من هو فوقه لا يستجيز الا القيام بين يديه ان كان هو قاعدا فلا يقعد الا بأمره ، وان كانقائما فلايستجيز الا القيام معه والله تعالى قائم علىكل نفس بماكسبت فيجبأن يقومبين يديه خاشعا ضارعا ذليلاخائفاراجيا منيبا مبتهلا واضعا يده اليمنى علىاليسرى مشيرا الى أنه كف يده عن المكاسب كلها فلا حولَ ولا حيلة ملازما باب ربه راجيا ثوابه خائفا عقابه •

ويشير بقراءته الى أنه متمسك بكتاب الله وهو الحبل المتين ؛ والنور المبين والشافع المكين فكأنه يقول يارب لا أخاطبك الا بكتابك الذى منك بدأ ، واليك يعود ، وحاول فيها أن يكون لسانك مترجما عن قلبك بأن يسبق قلبك الى المعانى وان لم يتهيأ لك ذلك فانطق بالألفاظ ؛ وحرك قلبكبمعانيها واحذر أن يتحرك لسانك وقلبك غافل ، ثم اسجد وهو غاية التواضع والخضوع اذ هووضع أشرفالأعضاء فىأحقر الأشياء تذللا لذىالعزة والكبرياء عساهيتجلى عليك بالرضوان ويدخلك الجنات وكأنك تقول : هذا منتهى ما يصل به من الذلة عملى فبلغنى بفضلك أملى ، ولذا جازاه من له العمل قربى وهو غاية الأمل (واسجد واقترب) وكان ذلك يقول لمن أخذ فى الصلاة اذا قام أدن منى ، واذا قرأ أدن منى واذا ركع أدن منى ؛ واذا سجد اقترب فما وراء القرب منا أمل! ولهذا لايطلق اسم الصلاة ، على هذه الجملة الا مع السجود •

وأما محاسن القعود فالقعود أجمع للرأى وبه يرفع العبد لربه قصته ، ويسأله حاجته ، وكأن الله يقول له : ياعبدى اذا فرغت من الخدمة ؛ فسلنا مايلزمك من النعمة • ومن بديع لطف الرب اللطيف بعبده الضعيف أنه فى صلاة واحدة يأمره بالقعود مرتين فكأنه يقول أقعد عبدى فقد تعبت فى خدمتى ، فياويل من يخدم الخلق يقوم بين يديه يوما ولا يقول له اقعد — ويقوم بين يدى خالقه دقائق فيقول له أقعد فى حالتين ، وأخلص فى الأولى ثناءك وأطلب فى الثانية رجاءك تمنح عطاءك •

ثم السلام من الاحرام • اذ بالتكبير احرم عما سوى الله تعالى وبالسلام تحلل باذن الله تعالى • وكأنه يقول : أنا عن عبادتك غنى ؛ وأنت لاتستغنى عن الناس فارجع اليهم ، وسلم عليهم •

وبالجملة فالصلاة تالية الاسلام ، وعماد الدين ؛ وأمان المسلمين ، ومستروح العابدين ؛ وقرة عين سيد المرسلين ، فالله يوفقنا لأدائها كاملة • ويمتعنا بأسرارها الشاملة ؛ انه على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين •

ثمرة الصلاة السمو بالنفس فوق الشهوات العاجلة والانتصار على الفتن المضلة • قال الله تعالى : (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر • وقال تعالى : ان الانسان خلق هلوعا • اذا مسه الشر جزوعا • واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) ومن تجدهم يضلون ؛ وعند البلاء يجزعون ، وعن الفحشاء لاينتهون فهم أدوها غير مخلصين ، ولم يكونوا لعظمة ربهم مستحضرين ، والا نهتهم عن الفحشاء ؛ وحالت بينهم وبين الجزع عند البلاء كما يقول رب العالمين (ومن أصدق من الله قبلا)

وقد شبه النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة بينبوع عذب صاف يكون أمام البيت يغتسل منه المرء فى اليوم خمس مرات ، ثم سأل صحابته الكرام (هل ترون شيئا يبقى من درنه بعد ذلك فما كان جوابهم الا أن قالوا لا يبقى من درنه شيء فأخبرهم عليه الصلاة والسلام بأن ذلك مثل الصلوات الخمس يطهر الله بهن العبد من أدران الخطايا وأوساخها ولذا كانت اقامة الصلاة من أقوى دعائم الاسلام وأشد أركانه والله المسئول أن يمن على فى أسرارها بكتاب ويجعله متعة لأولى الألباب ؛ وفى صحيفتى يوم الحساب •

(يتبع)

رفاهية الإنسان وحقوقه

كما يكفلها القرآن الكريم

الأستاذ إسماعيل كشميرى

اذا قارنا وضع الانسان فى القرآن الكريم ووصفه فى الاديان الاخرى نجد أن الله سبحانه وتعالى قد جعل منه خليفة على الارض وانه قد خلقه فى صورة جميلة « وصوركم فاحسن صوركم » وانه جعل كل ما فى هذا الكون من مخلوقات وطبيعة وعناصر وحيوانات مسخرا لمشيئته خاضعا لعقله وتفكيره. « وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار » ، « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر » و « ألم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض » .

وفى حين يضع القرآن الكريم الانسان فى هذا الموضع الرفيع تنظر بعض الاديان الاخرى اليه على انه مخلوق ملعون ، صبت عليه اللعنة من ساعة ان خرج الى هذه الدنيا الى ساعة ان يموت . هذا على عكس ما صوره لنا القرآن من ان الانسان صورة الله على الارض ، وانه خليفته ، وانه المخلوق الذى كرمه الله ومجده ، الامر الذى يتنافى كلية مع ما تقول به هذه الاديان الاخرى التى تحقر من شان الانسان .

وكان طبيعيا ان يبين القرآن الكريم للانسان طريق الخير والهداية ليسير على الطريق القويم الذى يمكنه من تحصيل خير الدنيا والمقام المحمود فى الآخرة ثوابا وجزاءا على ما فعل وقدمت يداه مما يتمشى وخلقه على هذه الصورة الكريمة التى صورها القرآن.

واذا كان على الانسان أن يتصرف فى دنياه التصرف المقبول من الله والمرضى عنه من الناس ، فعليه اولا ان يتعرف على حقوقه وعلى مسئولياته وعلى وضعه فى هذه الحياة الدنيا ليتسنى له اتباع الطريق القويم الذى يؤدى الى خير الانسانية جمعاء .

وقد جاهد الناس من قديم الزمن للوصول الى تعاريف لهذه الحقوق والواجبات ، وانعقدت المؤتمرات والاجتماعات ، وخطب الخطباء والعلماء، وفتشوا فى الكتب والدفاتر وفى العقول حتى وصلوا الى وضع قانون عام ضمنوه هذه الحقوق ، مع ان هذه الامور التى راحوا يدرسونها ويجادلون بعضهم بعضا فيها ويمضون الساعات والايام فى وصفها على صورة ميثاق على الورق انما هى مذكورة فى القرآن الكريم بحذافيرها، بل باكثر منها تفصيلا ، وقد أوحى بها الله على نبيه الامى ليبشر بها الناس جميعا ، منذ قرابة الف واربعمائة سنة .

والواقع انه مهما تضمنت القوانين الوضعية التعريفات بالنسبة الى حقوق الانسان ووضعه فى هذا الكون فانها لا تصل ابدا الى المرتبة التى جاء بها القرآن ، الامر الذى يدل على قوة الاسلام وعلى نبل مبادئه وعلى سعيه لخير الانسان فى الحالين ، حال الدنيا وحال الآخرة . ومن هنا يتبين أن الاسلام هو دين الفطرة حقا ودين العظمة والسماحة والبساطة والخير صدقا .

واول ما يلفت النظر فى هذه القوانين الوضعية التى ناضل المفكرون الغربيون من اجل الوصول اليها انها أكدت وجوب تعزيز الروابط الودية بين مختلف الامم لتعزيز السلام واشاعته واقراره .

وتقول ديباجة الاعلان العام لحقوق الانسان الصادر فى ديسمبر ١٩٤٨ ما يلى :

« ومن حيث ان الاعتراف بكرامة الانسان الفطرية وبحقوق كل أفراد الاسرة الانسانية المتساوية الطبيعية انما هو اساس الحرية والعدالة والسلام فى مختلف العالم .

« ومن حيث ان من الضرورى تنمية وتعزيز العلاقات الودية بين مختلف الامم .

« فان لكل انسان الحق فى ان يتمتع بنظام اجتماعى دولى يستطيع ان يمارس فيه حقه فى الحريات التى تضمنها هذا الميثاق ممارسة كاملة » .

وهذا الرأى الذى توصل اليه علماء الغرب ومفكروه بعد الجهد الجهيد وتفكيره فى الوسيلة التى تؤدى الى اقرار السلام فى العالم مذكور فى القرآن بحذافيره ، بل باكثر من ذلك من تفصيل .

ومهما انقسم العالم الى قبائل والى شعوب فان القرآن ينظر اليهم جميعا على انهم من اصل واحد ، ومهما كان هناك من اختلاف فى الجنس أو اللون او الانتماء الى الدولة او اللغة فان كل البشر اخوة ، عليهم ان يستمسكوا بعرى الاخوة العالمية الامر الذى لا يضفى اى اهتمام على العوائق الجغرافية أو السياسية . وبهذا يبشر الاسلام برسالة السلام التى يبعث بها لكل الانسانية جمعاء .

يقول جل شانه : « كان الناس امة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » ويقول : « وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا » و « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ويقول تعالى : « وما تسالهم عليه من أجر ، ان هو الا ذكر للعالمين » و « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ويقول سبحانه « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

ومن هذه الآيات الشريفة يتبين ان الناس جميعا امة واحدة ، وان الرسول قد بعث الى جميع البشر بلا استثناء .

ولما كان الاسلام رسالة سلام فقد أكد الحاجة الى تعزيز الروابط الاخوية وخلق التناسق والانسجام بين الامم .

ومع أن القرآن الكريم يوضح أن بطبيعة البشر عداوة قد يحملها الواحد ضد الآخر الا انه بين ما فيها من شقاء وأنذر بعقاب لها . يقول الكتاب الكريم « قال اهبطا منها جميعا ، بعضكم لبعض عدو ، فاما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » ويقول : « واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم أقررتم وانتم تشهدون » .

وعلى هذا فان من الطبيعى أن ينهى القرآن الكريم عن العدوان وان ينذر بعقاب كل من لا يستمسك بالعدل والانصاف . يقول الكتاب الشريف : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » ويقول ايضا : « ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا » . ومع ان القرآن الكريم يأمر بمقاتلة الذين يقاتلون المسلمين الا انه يأمر « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، ويقول « وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » ويقول : « والفتنة اكبر من القتل » .

ويزيد القرآن على هذا امره بعدم مواصلة القتال ضد من سبق له ان قاتل المسلمين اذا ما توقفوا عن القتال . يقول القرآن الكريم « الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم » ويقول : « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فخلوا سبيلهم ، ان الله غفور رحيم » .

والآيات الكريمة التالية أنوار لامعة فى كيفية تعزيز الروابط بين الناس.

يقول الكتاب الكريم : « يايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون . يايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » .

الواقع ان بهذه الآيات اسمى مايدفع الانسان على اتباع طريق الحياة الكريمة .

استمع الي قوله تعالي : « قل ياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » والى « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى احسن، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم » .

وقد نهى الرسول الكريم فى احاديثه النبوية الشريفة عن اعمال العنف وامر المسلمين بعدم اللجوء اليه لان من الايمان عدم استخدام القوة . وكان النبى الكريم ينهى القوى عن استخدام قوته ضد الضعيف . وكان صلوات الله عليه ينهى عن الفرقة ويطلب الى الناس الاتحاد لان فيه الرحمة . وكان يقول : « ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء » ويقول : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » وكان يردد القول بان افضل الناس عند الله أفضلهم عند الناس ، وان افضل الجيران عند الله أحبهم الى جيرانه. وقد بلغ من عطفه ورحمته ان كان يقول ان الانسان لا يكون مؤمنا اذا ملا بطنه بالطعام فى حين يتضور جاره جوعا .

وليس أدل على مطالبة الاسلام بتعزيز الروابط الودية بين الامم مما فعله الرسول الكريم صلوات الله عليه فى هذا الصدد . فقد روى ابو هريرة انه حين نما الى علم النبى الكريم نبأ وفاة النجاشى امبراطور الحبشة « وكان مسيحيا » طلب الى صحبه ان يصلوا عليه صلاة الجنازة .

ويقول محمد بن جعفر بن الزبير ان وفدا من نصارى نجران قدم المدينة ذات يوم ، فاكرمهم النبى كرما عظيما واعطاهم مكانا فى مسجده وسمح لهم بالصلاة فيه حسب شريعتهم ودينهم . ويقول الراوى ان بعض المسلمين ارادوا منعهم من ذلك الا ان النبى حال دون هذا العمل .

اما الرواية التالية فانها تدل على اقصى ما وصلت اليه سماحة الاسلام ورسالته فى اشاعة الاخوة والمودة بين الناس اجمعين . فقد حدث ان مرت جنازة بالرسول الكريم ، وما ان رآها حتى انتصب واقفا . ولكن اصحابه أبلغوه ان الجنازة ليهودى . وهنا قال الرسول قولته العظيمة :«أوليست نفسا ! » وطالبهم بان يقفوا دائما لكل جنازة ، سواء كانت لمسلم أو لغير مسلم .

والغريب فى الموضوع ان بعض الناس يتعامى عما فى القرآن الكريم من نصوص تكفل حقوق الانسان وتضعه فى المرتبة التى خلقه الله لها فى حين يتفاخرون ويتباهون بميثاق حقوق الانسان الذى أصدرته الامم المتحدة بعد نزول القرآن بالف واربعمائة سنة .

ويجرؤ بعض الناس على القول بان هذا الميثاق قد حدد لاول مرة فى التاريخ مسئولية البشر وكفل حقوق الناس وبين الطريق الى تحقق رفاهيتهم . وقد نسى هؤلاء الناس ، أو تناسوا أن القران الكريم لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وانه عرض لهذه الحقوق والواجبات بصورة رائعة واضحة فى اكثر من موضع .

ولا شك أن اهم حق ، بل الحق الرئيسى لكل انسان ، انما هو حماية حياته . ولم يقصر القرآن الكريم بطبيعة الحال فى ان يشير الى هذا الحق ، اذ قال بعد ان روى اول حادث قتل فى تاريخ البشرية « انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا » .

ومن هذه الآية الشريفة تتبين خطورة وجسامة جريمة القتل ، فمن قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا . والقرآن الكريم يستثنى رجلين من حماية روحيهما أولهما من قتل نفسا بغير حق، وثانيهما من يعثو فى الارض بالفساد . وفيما عدا هاتين الحالتين لا يسمح بانهاء حياة أى انسان . وتاريخ الاسلام ذاخر بالامثلة الرائعة على هذا الموضوع منها ان النبى صلى الله عليه سلم عفا عندما دخل مكة منتصرا فائزا عن كل أهلها حتى عن اشد الناس عداوة له كهند زوجة ابى سفيان التى شقت بطن حمزة عم النبى ومضغت قلبه تشفيا منه .

والقرآن الكريم لا ينهى عن قتل المسلمين وحسب ، بل عن قتل أى انسان آخر بصرف النظر عن جنسه وطبقته وملته . فالقتل فى نظر القرآن جريمة كبيرة سواء تعرض لها المسلم أو غير المسلم .

وكل ما فعله ميثاق حقوق الانسان ان ذكر فى المادة الثالثة منه « ان لكل انسان الحق فى الابقاء على حياته وعلى حريته وعلى سلامة شخصيته »

وكذلك نص القرآن الكريم على حماية الملكية . فقد قال : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحدام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون »

وقد نهى القرآن أيضا عن سرقة ما يمتلكه أى فرد حتى ولو كان غير مسلم ، وأنذر السارق بعقوبة قطع اليد .

وقد خلا ميثاق حقوق الانسان الذى أصدرته الامم المتحدة من اى اشارة محددة لهذا الحق .

وكفل القرآن الكريم عرض الانسان وشرفه . يقول الكتاب الكريم : «يايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم » .

وتندد سورة « الهمزة » بالغيبة وبتكديس الاموال وخزنها بما يدمر قلوب الناس وحبهم . تقول السورة الكريمة: « ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده ، يحسب ان ماله أخلده ، كلا لينبذن فى الحطمة ، وما أدراك

ما الحطمة ، نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ، انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة » .

والى هذا اشارت المادة ١٢ من ميثاق حقوق الانسان اذ تنص على الا يخضع أى انسان لتدخل تعسفى فى حياته الخاصة أو فى اسرته أو بيته أو مراسلاته كما أن ليس له ان يتعرض لهجمات على شرفه أو سمعته . وتقول المادة ان لكل انسان الحق فى حماية القانون له ضد اى تدخل او هجوم من هذا النوع .

اما اهم حق يتضمنه القرآن الكريم فهو بلا شك حق المساواة ، وذلك لان كل الناس متساوون ، ولان تسامى بعضهم على بعض لا يكمن فى ثرائهم ولا فى ملبسهم أو وضعهم فى المجتمع ، بل فى تقواه وفى مسلكه بين الناس .

يقول الكتاب الكريم : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير »

وقد تأكد هذا المبدأ فى اكثر من موضع لعل اهمه قول النبى صلوات الله عليه فى خطبة الوداع ان كل الناس أبناء آدم ، وان آدم خلق من تراب ، وان ليس لعربى فضل على اعجمى وان ليس لابيض فضل على أسود الا بالتقوى .

والواقع الذى يشهد به التاريخ ان الاسلام فى مختلف عصوره يقدم لنا أروع الامثلة على احترام مبدأ المساواة فى المجتمع الاسلامى . فى حين مارس الاسلام هذا الحق واتبعه وميثاق الأمم المتحدة وقوانين بعض المجتمعات المتحضرة لا تعترف به ولا تنظر اليه الا على انه حبر على ورق . وهى لا تمارسه ولا تتبعه ولو انها تتشدق بسلامته وبعظمته فى الخطب والبيانات .

ومبدأ المساواة أمر يظهر عمليا كل يوم وتحت انظار كل الناس ، ففى المسجد يجتمع الناس للصلاة ، الابيض والاسود السيد والخادم ، الغنى والفقير ، كلهم يقفون صفا واحدا ، الواحد الى جانب الآخر ، يؤدون صلاتهم بين يدى الله القوى العظيم . وكم من مرة ركع الغنى فى صلاته ولامست رأسه قدمى الفقير الذى يصلى أمامه ، وكم من مرة لامست رأس السيد قدمى الخادم الذى يخدمه وهذه المساواة تظهر واضحة فى موسم الحج حيث يهرع الجميع بلا تفرقة ولا تمييز لاداء الفريضة وهم يأتزرون بلباس ابيض بسيط ، رؤوسهم عارية ، وليس باقدامهم نعل .

أما المساواة التى يتشدق بها الغرب فنراها جميعا فى أمريكا حيث ينكر على الزنوج ممارسة حقوقهم الرئيسية ، وفى روديسيا وجنوب افريقيا حيث يحرم اهالى البلاد من حكم انفسهم ومن التمتع بخيرات أرضهم .

أما المساواة فى الاسلام فهى كما ذكرنا واضحة سافرة يمارسها المسلمون فى كل يوم بل وفى كل ساعة .

ومن أمثال هذا النبل وهذه العظمة فى الاسلام ما عمد اليه النبى الكريم من تكليف بلال ، وكان زنجيا ، اعلان انتصار المؤمنين بعد غزو مكة من اعلا الكعبة ، وقد أوكل صلوات الله عليه هذا الشرف لهذا الزنجى مع انه كان هناك صفوة من كبار المسلمين مثل أبو بكر وعمر وعلى وغيرهم من رؤساء القبائل . وقد طلب محمد من بلال فعل ذلك لما اداه بلال من تضحيات فى سبيل الاسلام . وكان عمر ينادى بلالا باسم « سيدنا بلال » .

وقصة اخرى يذكرها التاريخ فى هذا الصدد . فقد ارسل عمرو بن العاص ، فاتح مصر ، وفدا الى بلاط المقوقس للتفاوض برئاسة عبادة بن الصامت ، وكان اسود اللون . ورفض المقوقس اجراء المفاوضات مع هذا الرجل الاسود وطلب أن يتحدث اليه عضو آخر من أعضاء الوفد . ولكن الجميع رفض هذا الطلب وردوا بان عبادة هو رئيسهم وانه أعلمهم وأذكاهم وانه لذلك قد عين من قبل رئيس الجيش لاداء هذه المهمة . وهنا ابدى المقوقس دهشته وسأل أفراد البعثة عما دعاهم الى قبول رئاسة هذا الرجل الاسود الذى يتعين ان يكون آخرهم . وكان ردهم عليه انه قد يكون أسود فى نظره ولكنه فى نظرهم رجل عظيم يستحق أن يترأسهم لسبقه فى اعتناق الاسلام ولذكائه وبراعته فى الشئون السياسية .

واختتموا ردهم علي المقوقس بان سواد الجسم لا يعد فى الاسلام عيبا ولا يحول دون تولى الناس المناصب الرفيعة .

وفى احدى المرات اعطى عمر لاسامة ابن زيد نصيبا من الغنائم اكثر مما أعطاه لابنه . وعندما اشتكى الابن رد عليه عمر قائلا ان أباه كان أثيرا لدى الرسول لانه كان من اوائل من اعتنق الاسلام ، وادى له من الخدمات اكثر مما اديت انا .

وتاريخ الاسلام زاخر بالاعمال الجليلة التى اداها رجال سود البشرة وآخرون ممن لم تكن له عصبية مبتلية . وقد كان الاسلام قد أزال قيود الولادة وامتياز الاسر كما الغى الحسب والنسب والفواصل الجغرافية وعدم المساواة الاقتصادية والتمييز حسب اللون .

أما ميثاق الامم المتحدة الخاص بحقوق الانسان فقد نص فى مادتيه الاولى والثانية على ما يلى :

« كل البشر خلقوا أحرارا ومتساوين فى الكرامة والحقوق . وقد وهب الناس العقل والضمير وعليهم أن يتعاملوا بعضهم البعض بروح من الاخوة » .

« لكل انسان الحق فى التمتع بكل الحقوق والحريات التى يتضمنها هذا الميثاق بدون تمييز من أى نوع كالجنس واللون والذكورة والانوثة واللغة والدين والرأى السياسى والاصل القومى أو الاجتماعى والملكية والميلاد أو غير ذلك . ويجب ألا يكون هناك تمييز على أساس الوضع السياسى أو التشريعى أو الدولى للدولة أو للاراضى التى يتبعها الانسان سواء كانت دولة مستقلة أو موضوعة تحت الوصاية أو تحكم نفسها بنفسها أو خاضعة لاى حد من حدود السيادة » .

والمتتبع لما يجرى فى العالم يدرك أن هذه المساواة غير قائمة وانها ليست الا حبرا على ورق وانها لا تمارس فى اى دولة من دول الغرب ، فى ناحية من نواحى الحياة على أقل تقدير .

« للبحث تتمة »

أصحاب الجنّة

الأستاذ محمود محمد الشريف

فكرت قبل أن أبدأ الكتابة حول « أصحاب الجنة » أن اختار لها عنوانا آخر هو « أهل الجنة » ولكننى لم أجد أعظم ولا أدق من كلمة (أصحاب) عند الحديث عن هؤلاء السعداء الذين سيدخلون الجنة فى الحياة الأخرى ذلك أن هؤلاء السعداء سوف يحيون هناك فى الجنة حياة دائمة ولن تكون اقامتهم هناك اقامة مؤقتة لفترة من الوقت بل ستكون حياتهم فيها حياة خالدة فى نعيم مقيم فى جنة عالية وهم فوق ذلك أصحاب هذه الجنة وهى ملك لهم كما توضح هذا العديد من آيات القرآن الحكيم :

« تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا » (سورة مريم الآية ٦٣) .

- « رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم . » (الآيات ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ من سورة الشعراء) .

ويتحدث القرآن الكريم عن هؤلاء السعداء أصحاب الجنة فى سورة الزمر ويصور موكبهم السعيد وهم فى طريقهم الى دار الخلود فيقول :

« وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين . وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » .

وفى سورة الزخرف يتحدث القرآن الحكيم عن هؤلاء السعداء أصحاب الجنة ورثة النعيم الدائم فيقول :

« الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون .وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون » .

فالله سبحانه وتعالى اذن قد اورثهم الجنة وهم اصحابها وهى ملك لهم وليسوا ضيوفا عليها وهذه فى نظرى قمة السعادة الحسية والمعنوية معا .

وقد أطلق الله سبحانه وتعالى على دار الثواب فى الآخرة لفظ الجنة والجنة لغة هى الحديقة ذات الشجر وايضا ذات النخيل .

وقد وصفها الله فى آيات القرآن الكريم بانها ذات أنهار وأشجار وفواكه ولحوم وأزواج مطهرة « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » .

ولقد تحدث القرآن الحكيم فى كثير من آياته عن أصحاب الجنة وذكر النعيم الذى ينتظرهم والسعادة التى أعدها الله لهم . وتحدث أيضا الرسول الكريم محمد عليه صلوات الله

وسلامه فى كثير من أحاديثه الشريفة عن الجنة وعن عدد من أصحابها السعداء الذين سيدخلونها .

وسيكون بحثنا فى البداية قاصرا على أصحاب الجنة كما يصورهم القرآن الكريم ثم بعد أن نقدم لك يا صديقى القارىء هذه الصورة المشرقة لهؤلاء السعداء التى صورها الخالق الأعظم فى كتابه العظيم سننتقل بك الى الحديث عن أصحاب الجنة كما ذكرهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى كثير من أحاديثه النبوية الشريفة .

وقبل ان نبدأ هذه السلسلة عن أصحاب الجنة أحب أن أوضح نقطتين دار حولهما كثير من الكتاب الاوربيين بصفة خاصة :

١ - يقول هؤلاء الكتاب ان الجنة روحانية محضة ونعيمها نعيم روحانى غير مادى ولكن الواضح من آيات القرآن الحكيم أن نعيم الجنة سيكون نعيما ماديا ملموسا ومحسوسا وسيكون أيضا نعيما معنويا . فمن النعيم المادى المحسوس سيكون فى الجنة على سبيل المثال اشجار وانهار ولبن وعسل وفواكه وأزواج مطهرة ومن النعيم المعنوى الرضا النفسى والسعادة بلقاء الله ورضائه عليهم .

وسيكون النعيم لكل انسان حسب درجته من التقوى والايمان كما تشير الى ذلك هذه الآيات من سورة الواقعة :

« اذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . اذا رجت الارض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة . والسابقون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم . ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين » .

٢ - ويقول هؤلاء الكتاب أيضا ان البعث سيكون بالروح لا بالجسد ونستطيع أن نرد على هؤلاء ونقول ان الانسان روح وجسد وهو لا يكون انسانا الا بهما معا ولاشك أن الحشر بالاجساد هو الحشر المعقول « وان المكافآت الأخروية على الشكل المادى هو الأمر الذى يمكن أن يقام عليه الدليل وأن تضرب له الأمثال » .

وهناك نقطة هامة نحب أن نؤكدها قبل أن نبدأ هذا البحث .

وهى أن الخلود فى الجنة أمر مؤكد كما توضحه آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن أصحاب الجنة وأنهم سيكونون « خالدين فيها أبدا » .

ولكن هناك سورة واحدة فى القرآن الكريم كله تحدثت عن خلود أصحاب الجنة حديثا قد يفهم منه البعض أن هؤلاء السعداء لن يكونوا خالدين فيها . هذه السورة هى سورة هود وتقول الآية ١٠٨ منها :

« وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » .

ولكن معنى هذه الآية يؤكد خلود أصحاب الجنة اذ ان الاستثناء هنا يقتصر على أنواع النعيم لهؤلاء السعداء . ومعنى الآية « أن الذين كتب الله لهم السعادة بايمانهم وتوحيدهم وصالح أعمالهم سيدخلون الجنة ويخلدون فيها تخليدا دائما فلا يخرجون منها وهذه مشيئة الله وارادته فى اسعادهم حيث يرون ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الا ان شاء الله أن يشملهم رضوان منه أكبر فينزلهم المنازل الرفيعة ويتجلى عليهم بذاته القدسية ويعطيهم عطاء غير مقطوع ولا ممنوع وهؤلاء هم أصحاب الدرجات العلا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين »

وسوف نركز فى هذه السلسلة على تحديد واضح لاصحاب الجنة : من هم ؟ ولماذا استحقوا هذا النعيم المقيم ؟ وما هو الطريق الى الجنة ؟ مع عرض لكل أنواع النعيم التى سينعم بها هؤلاء السعداء فى الجنة .

أولا : المتقون

وقد تحدث القرآن الحكيم فى كثير من آياته عن هؤلاء السعداء الذين سيدخلون الجنة .. فتحدث أول ما تحدث فى سورة البقرة عن المتقين فقال :

« الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون »

ولنسأل أنفسنا الآن : من هم المتقون ؟ وما هى صفات هؤلاء السعداء الذين كتب الله لهم الجنة جزاء لهم على تقواهم فى الحياة الدنيا .. وسنحاول أن نقدم لك يا صديقى القارىء عرضا شاملا لصفات هؤلاء السعداء قبل أن نقدم لك صورة مشرقة سعيدة للسعادة والنعيم اللذين ينتظرانهم فى الجنة دار الخلود .

ان التقوى ببساطة هى تجنب المعصية الكبرى التى لا يغفرها الله قط وهى الشرك بالله وكذلك تجنب ما دونها من المعاصى وهذا جانبها السلبي .

أما جانبها الايجابى : فانه القيام بكل واجب افترضه الله تعالى . واذا ما حقق الانسان التقوى فقد فاز ودخل فى نطاق الآية القرآنية الكريمة :

« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

أما هؤلاء الذين أشركوا بالله ولم يتجنبوا معاصيه فقد وصفهم القرآن تارة بانهم « فجار » وتارة أخرى بانهم « طاغين » . ففى سورة « ص » نقرأ قوله تعالى :

« أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار »وتتحدث سورة «ص» عن المتقين فتقول «هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب» ثم تتحدث عن الفريق الآخر المقابل للمتقين فتقول « هذا وان للطاغين لشر مآب »

ويهمنا فى هذا المقال الحديث فقط عن المتقين . ومن يتصفح آيات القرآن الحكيم يجد ان القرآن قد ربط بين التقوى وبين كثير من الصفات الفاضلة وفى التعاليم السماوية نجد مثلا أن القرآن قد ربط بين التقوى والوفاء بالعهد .. وبينها وبين الجهاد فى سبيل الله .. وبين التقوى والاصلاح فى الارض .. وبينها وبين العطاء والكرم .. وبين التقوى والحذر من مكايد الشيطان .. وبينها وبين الاحسان .. وبين التقوى والصبر وبين التقوى وصوم رمضان .

وهناك الكثير من آيات القرآن الحكيم التى تقدم لنا تحديدا دقيقا لصفات المتقين وسنقف معا عند هذه الآيات لنرى ماهى هذه الصفات الواضحة لهؤلاء السعداء أصحاب الجنة .

ا - فى بداية سورة البقرة - كما أوضحنا - نجد تحديدا لصفات المتقين فى هذه الآيات : « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون »

ها هى أمامنا الآن صفات واضحة للمتقين . ان المتقين فى هذه الآيات هم :

١ - الذين يؤمنون بالغيب : وهم الذين يؤمنون بكل ماغاب عنا وأخبرنا الله ورسوله به كالملائكة والجن والبعث وتقدير الأرزاق والأعمار وغير ذلك .

٢ - ويقيمون الصلاة : يأتون بها كاملة الاركان حسا ومعنى.

٣ - ومما رزقناهم ينفقون : ينفقون فضلة أموالهم فى سبيل البر والاحسان .

٤ - والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون :

أى يؤمنون بالقرآن ويؤمنون بما أنزل من كتب قبل القرآن كالتوراة والانجيل الصحيحين ويؤمنون بالدار الآخرة وما فيها من عقاب وثواب ايمانا راسخا مع الاحساس به كانهم يرونها - وقد أفرد الله الآخرة بالذكر هنا رغم دخولها فى عالم الغيب لاهميتها وخطر انكارها .

ب - ثم نجد تحديدا آخر واضحا للمتقين فى سورة البقرة مرة أخرى فى الآية رقم ١٧٧ عندما نقرأ قوله تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » صدق الله العظيم

فالمتقون هنا فى آية البر يظهرون أمامنا بوضوح .. ان هؤلاء السعداء هم :

١ - من آمن بان الله وحده هو المعبود الحق مع الايمان بآياته والقيام بكل ما فرضه وأوجبه واجتناب كل ما نهى عنه وحرمه

٢ - واليوم الآخر : مع التصديق اليقين بأن الحياة الدنيا هى السبيل الى اليوم الآخر وان الناس بعد ذلك محاسبون على أعمالهم .

٣ - والملائكة : وقد قرر القرآن أنهم عالم غيبى ليس ماديا من طبيعته أن يبرز فى العالم المادى وانهم ذوو وظائف تتعلق بالأنفس والأرواح وزعها الله عليهم ينفذون بها ارادته . فمنهم من يبلغ الوحى والتكاليف والرسالات ومنهم من يؤيد الله به الانبياء ويثبت المؤمنين ومنهم من يقبض الأرواح عند الموت الى آخر الوظائف التى وزعها الله عليهم .

٤ - والكتاب : أى جميع كتب الله المنزلة لهداية الامم

٥ - والنبيين : وهم كل من دعوا الى الله والى وحدانيته وعبادته . أما الرسل فهم الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة وهناك أنبياء لم يجعلهم الله رسلا .

- وآتى المال على حبه : أى حبب الله اليه الانفاق بعد أن وقاه شح نفسه وأعطى المال الى :

- ذوى القربى : أى أقارب المعطى خصوصا المحتاجين منهم

- واليتامى : من مات أبوهم وهم صغار محتاجون

- والمساكين : المحتاجين الذين لا يسألون شيئا لانكسارهم

- وفى الرقاب : أى ينفقون أموالهم فى فك رقاب العبيد بشرائهم وعتقهم .

- والسائلين : الفقراء الذين لا يستطيعون صبرا على فقرهم فيسألون مضطرين

٧ - وأقام الصلاة : أى أقامها كاملة حسا ومعنى .

٨ - وآتى الزكاة : وايتاء الزكاة فى مواعيدها أمر واجب لتطهير المال وحفظ الانسان وزيادة رزقه

٩ - والموفون بعهدهم اذا عاهدوا : والوفاء بالعهد خصلة من خصال الخير

١٠ - والصابرين : فى الباساء ، فى ما يصيب الانسان فى غير نفسه كفقد عزيز أو فقد مال

والضراء : فى ما يصيب الانسان نفسه كالمرض مثلا .

وحين الباس : أى عند شدة القتال فى سبيل الله

ثم تنتهى الآية بهذه الكلمات الخالدة « وأولئك هم المتقون ». أى أن الذين تتوافر فيهم هذه الصفات الحميدة هم السعداء من المتقين أصحاب الجنة .

جـ - ثم نقف فى سورة آل عمران أمام تحديد جديد للمتقين. تقول الآية ١٣٤ فى هذه السورة « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله

يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون »

المتقون هنا اذن هم :

١ - الذين ينفقون فى السراء والضراء : أى ينفقون فى حال اليسر والعسر .

٢ - والكاظمين الغيظ : باخفائه بالصبر حتى لا يظهر أثره عليهم .

٣ - والعافين عن الناس : الذين يتجاوزون عن اساءة المسىء مع القدرة عليها .

٤ - والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون : أى الذين اذا فعلوا خطيئة كبيرة كالزنا مثلا أو ظلموا أنفسهم بذنب صغير تذكروا بقلوبهم فطلبوا مغفرة الله لذنوبهم موقنين أنه لا يغفر الذنوب سواه وتابوا ولم يصروا على فحشهم .

د - اما سورة الانبياء فتحدد المتقين بانهم « الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون » أى الذين يخافون ربهم رغم أنهم لم يروه بأعينهم والخائفون من أهوال يوم القيامة . تقول الآية ٤٨ والآية ٤٩ من هذه السورة

« ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون »

هـ - أما سورة القصص فتتحدث عن المتقين وتقول : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » .

فنجد أن المتقين هنا هم الذين لا يريدون تكبرا على الحق وعلى الناس ولا فسادا فى الأرض .

و - وتتحدث سورة الزمر عن المتقين فتقول . « والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك المتقون »

- والذى جاء بالصدق : هو رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام .

- وصدق به : اى المؤمنون الذين صدقوا برسالته .

ونجد هنا ان المتقين هم كل من آمن برسالة الاسلام .

ز - وفى سورة « ق » نجد تحديدا آخر للمتقين

« وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب »

فالمتقون هنا منهم :

١ - الاواب . وهو الذى يرجع الى الله بالطاعة والتوبة .

٢ - والحفيظ : وهو الحافظ لحدود ربه

٣ - والذى يخشى الرحمن بالغيب : أى الذى يخاف الله رغم أنه لم يراه

٤ - والذى جاء بقلب منيب : أى الذى جاء بقلب مقبل على طاعة الله لا يعرف سواه .

ح - وفى سورة الذاريات نجد تحديدا جديدا للمتقين :

« ان المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »

المتقون هنا اذن هم الذين كانوا فى الدنيا من هؤلاء الناس.

١ - الذين كانوا محسنين . أى محسنين لأعمالهم ثم يبين الله بعض هذا الاحسان بعد ذلك .

٢ - والذين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون : الذين كانوا يكابدون العبادة فى أوقات الراحة مشغولة قلوبهم بربهم فلا ينامون الا قليلا من الليل .

٣ وبالأسحار هم يستغفرون : اى كانوا يشتغلون قبل الفجر بالاستغفار

٤ - وفى أموالهم حق للسائل والمحروم : والسائل هو الذى يطلب الصدقة والمحروم هو المتعفف عن طلبها .

ط - وأخيرا نقف عند سورة الليل التى نجد فيها حديثا عن « الأتقى » وهو أشد الناس تقوى وكيف أن الله سينجيه من عذاب النار وتصف سورة الليل الأتقى بانه « الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الأعلى »

اى أن الاتقى هو الذى :

١ - يؤتى ماله يتزكى : أى يعطي المساكين ماله قاصدا تطهير نفسه من دنس الشح والمعاصى .

٢ - وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلي: أى أن هذا الأتقى لم يعط المال هذا رياء ولا ردا لمجاملة لأحد سبق أن أسدى اليه نعمة فاراد أن يجازيه عليها لكنه فعل ما فعل طلبا لرضاء الله الأعلى رفيع المنزلة .

* * *

عزيزى القارىء

كانت هذه جولتنا اليوم مع المتقين .. مع هؤلاء السعداء أصحاب الجنة وقد اخترت لك عددا من سور القرآن الكريم التى حددت لهم صفات محددة ..

ولقاؤنا القادم ان شاء الله سيكون مع النعيم المقيم الذى ينتظر هؤلاء السعداء هناك فى الجنة .. سنتحدث ان شاء الله بالتفصيل عنهم وهم هناك فى دار الخلود فى العدد القادم . ولنتذكر دائما قول الرحمن الرحيم فى كتابه الحكيم :

« وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب ».

من أخلاق القرآن

الثبات

فضيلة الدكتور احمد الشرباصي

تقول اللغة ان الثبات هو دوام الشيء ، وهو ضد الزوال والرجل الثبيت هو الفارس الشجاع ، والثابت العقل ، والعالم الثبت هو الثقة فى العلم واستثبت تأنى ، فمادة « الثبات » تدل على الاستقرار والرسوخ ، وعلى ضد التزلزل والاضطراب ، وفيها أيضا معنى القوة ، ولذلك يقال : ثبته الله أى قواه

والثبات خلق من أخلاق القرآن نحتاج اليه أشد الاحتياج ، لان طريق العبادة والطاعة طويل لابد له من ثبات واستقرار ، وطريق العمل والسعى الحميد فى الحياة طويل لابد له من ثبات واستقرار ، وطريق الحرية والعزة والكرامة طويل لابد له من ثبات واستقرار ، وطريق الأبطال وتحقيق الامال بكريم النضال طريق طويل لابد له من ثبات واستقرار ، ولذلك نادى الله جل جلاله عباده الاخيار بقوله : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »

وقد أخبر الله تبارك وتعالى عباده بأن الثبات صفة كريمة من صفات المؤمنين ، تتحقق لهم عن طريق الاهتداء بهدى القرآن المجيد ، وبالاقبال على طاعة الله والاعتصام بحبله وهداه ، فقال فى سورة النحل : « قل نزله **روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » ، وقال فى سورة محمد : « يأأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ومتى من الله تعالى على عبده بالتثبيت فقد تحقق لهم الثبات**

كما أخبر الحق سبحانه بأنه قد من على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بنعمة الثبات ، وانما تحقق الثبات لرسول الله بفضل الله ، وبما آتاه من وحيه وبما قص عليه وذكر له فى قرآنه الكريم من آيات وانباء وعظات ، ولذلك يقول فى سورة الفرقان : « وقال الذين كفروا

لولا نزل عليه القرآن جملة واحده كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا »ويقول فىسورة هود : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك» ويقول فى سورة الاسراء : « ولولاأن ثبتناك لقدكدت تركن اليهم شيئا قليلا » فالله تعالى قد أقر رسوله على الحق ، وحصنه به ، وعصمه منموافقة الكافرين وكان رسول الله يدرك خير الادراك فضل الله العظيم عليه فى هذا التثبيت ، ولذلك كان يدعوفيقول : «اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين »

ومن المواقف المشهودة التى تحتاج الى الثبات ، والى الاعتصام بحبل الله القوى المتين موقف الجهاد ومقاومة الاعداء، ولذلك جاء فى سورة الانفال : « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » والثبات فى الجهاد قوة معنوية لها قيمتها ، فقد يكون السلاح والعتاد في أيدى المجاهدين ، وفيهم الكثرة والقوة الحسية ، ومع ذلك يظلون فى حاجة الى ماهو أهم وهو القوة المعنوية المتمثلة فى الثبات ، والبصراءبأمور النضال يقررون ان الثبات يكون فى كثير من الأحيان السبب القوى والاخير للنصر والفوز ، فالجيوش تتقاتل وتتصارع ، والاكثر منها صبرا ودواما واستمرارا هو الذى يتغلب ويفوز ولعل هذا هو الذى جعل القرآن المجيد يحذر تحذيرا قويا من ترك الثبات فى القتال ويتهدد من يتنكر لهذا الخلق الكريم بالعقاب والعذاب ،فيقول فى سورة الانفال « يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير » •

ونوه خير تنويه بالذين لا يضطربون ولا يتزلزلون، ولا يهابون ، فقال فيهم فى سورة آل عمران : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » •

وقد ربط القرآن الكريم برباط دقيق بين الثبات الحسى والثبات المعنوى ، حين يتوافر الايمان واليقين لدى أهله ، ولذلك قال للمؤمنين فى شأن غزوة بدر :

« اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت بهالاقدام ، اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » •

فالقرآن يجمع هنا بين الربط على القلوب ، وهذا هو الثبات المعنوى ، وتثبيت الأقدام •• ـ وهذا استقرار حسى ـ فالذين آمنوا بربهم لا يستخفون بأسباب الثبات الحسى ، كما لا يستخفون بأسباب الثبات المعنوى ، بل يجعلون شعارهم كما ذكر القرآن فى سورة آل عمران :

« وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين، وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، واسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » •

وكما ذكر فى سورة البقرة :ـ « ربنا أفرغ علينا صبرا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » •

ومن أروع مواقف الثبات فى تاريخ الاسلام ، ثبات القلة المؤمنة فى اليوم العصيب الشديد : يوم غزوة أحد، وكأن القدر أجرى على لسان الرسول فى أول الغزوة ما يشير الى ضرورة هذا الثبات ، حيث قال للرماة الذين طالبهم بحماية ظهر الجيش من فوق الجبل : « ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل اليكم ، وان رأيتمونا قد هزمنا القوم فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل اليكم » •

والحق الذى لا شك فيه انه لم ينقذ المسلمين من حرب الابادة والافناء فى هذه الغزوة ـ غزوة أحد الا ثبات الطائفة القليلة من المجاهدين المخلصين •• فحينما أشيع بين المحاربين أن الرسول قد مات ، تخاذل بعض المقاتلين ، ولكن أنس بن النضر هتف بأعلىصوته يقول: « يا قوم ، ان كان محمد قد

قتل فان رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء » .. ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل ، وكان لأنس من المسلمين أشباه ونظائر ثبتوا وقاوموا ، وفى هذا نزل قول الله تعالى فى سورة آل عمران :

« **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين** » .

ولقد ضرب رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ المثل الأعلى فى ثبات النفس ، وثبات الحس فى غزوة أحد .. فقد أصيب فى وجهه وشفتيه وأسنانه ، وسال الدم على وجهه الشريف ، وتعب كثيرا ، حتى صلى الظهر قاعدا بسبب الجراح التى نالته ، وحينما جاء عدو الله « أبى بن خلف » يقول : أين محمد ؟ لا نجوت ان نجا . قال الصحابة .. يا رسول الله ، هل يعطف عليه أحدنا ليقتله ؟ فقال دعوه .. فلما اقترب من الرسول تناول الرسول الحربة من أحد الصحابة ، وبكل ثبات واطمئنان طعنه بها طعنة قتلته .

ومن هنا قال المقداد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم أحد : « والذى بعثه بالحق ما زلت قدمه شبرا واحدا ، وانه لفى وجه العدو ، تفىء اليه طائفة من أصحابه مرة ، وتفترق عنه أخرى ، وهو قائم يرمى عن قوسه ، ويرمى بالحجر ، حتى انحازوا عنه » .

وبعد غزوة أحد ، وفى اليوم التالى مباشرة ، أمر الرسول بالخروج لتعقب فلول الأعداء المشركين ، وقال : « لا ينطلقن معى الا من شهد القتال بالأمس » .

ولقد دعا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عقب غزوة أحد دعاء فيه الرجاء من الله بأن يحقق فى نفوس المؤمنين معانى الثبات والاطمئنان . تقول السيرة : لما كان يوم أحد وانكفا المشركون ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استووا حتى أثنى على ربى عز وجل» فصاروا خلفه صفوفا ، فقال :

« **اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قاربت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك .**

اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول . اللهم انى أسألك النعيم يوم العيلة ، والأمن يوم الخوف ، اللهم انى عائذ بك من شر ما أعطيتنا ، وشر ما منعتنا ، اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا ، وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين

اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين ، والحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا نادمين . اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ، ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب ، اله الحق » .

رواه احمد والنسائى وابن كثير فى سيرته .

وما دمنا قد عرضنا لأقوال الرسول الكريم فى الاطمئنان والثبات ، فلا يليق بنا أن ننسى موقف الرسول الخالد الذى علم به الدنيا كلها كيف يكون الثبات على الحق ، والاستمساك بالعقيدة ، وذلك يوم قال : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .. ولا عجب ولا غرابة ، فانه رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، الذى ثبت الله قلبه ، وقواه وجعله راسخا فى ثباته كالجبال ، فقام بأعباء الرسالة ، ونشر الدعوة وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها الا هالك . ولذلك يقول له رب العزة فى سورة هود « **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ، وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ، ولله غيب السموات**

والأرض ، واليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون » .

وكما دعا القرآن الى ثبات القلوب وثبات الأقدام ، وثبات الحس والنفس فى ميدان النضال والجهاد ، دعا الى « ثبات الكلمة » ، وثبات الكلمة هوالاتيان بها على وجهها صادقة واضحة صريحة ، يدعو اليها الحق ويوجبها العدل ، ويحث عليها الانصاف ، ولذلك قال سيد الخلق رسول الله – عليه الصلاة والسلام – : « أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر» ولقد قال القرآن الكريم :

« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء »

وهكذا لا يفر الانسان من الكلمة الطيبة ما استطاع اليها سبيلا ، وهو فى قوله وحكمه ورأيه لا يخادع ولا ينافق ، ولا يتذبذب أو يتلون ، ولا يفر من أداء واجبه ، لأنه أمانة لا تجوز خيانتها ، ولا يفر من اسهامه بعلمه أو جسمه أو ماله فيما يندبه اليه دينه ، ولا يفر من موطن البأس اذا كتبه الله عليه أو عرضه له .

ولقد حذر القرآن من التنكر لخلق الثبات والدوام على الحق فقال فى سورة المائدة :

« ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » . وقال فى سورة محمد ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم » .. وقال فى سورة الحج : « ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به ، وان أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين » وقال فى سورة التوبة « ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » . وقال فى سورة النساء « الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ، وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ، فالله يحكم بينكم يوم القيامة ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ، ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ، مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » .

انها صور مجسمة لطوائف تنكروا لخلق الثبات فكانوا من الخاسرين ، ولم ينتفعوا بهدى القرآن حين ذكر الناس بأن الفرار رذيلة منكرة ، ومع ذلك لا تجدى ولا تنفع ، كما قال الله تعالى فى سورة الأحزاب :

« قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذن لا تمتعون الا قليلا » .

وكما قال فى سورة الجمعة « قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم » .

والصوفية على طريقهم – فى فلسفة الأخلاق – يصورون الثبات تصويرا خاصا له صلته بعلاقة الانسان المتعبد بربه المعبود جل جلاله ، فيقول مثلا محمد بن الفضل البلخى : **« أصل الثبات على الحق دوام الفقر الى الله تعالى » .**

ولعل هذا يذكر بقول ابن عطاء الله السكندرى :

« أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات » .

وقد عرف رجال هذه الأمة ما للثبات فى مواقف الهول من مكانة ومنزلة وهذا شاعر يصف مجاهدا شهيدا فيقول فيه :

وقد كان فوت الموت سهلا فرده اليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف الضيم حتى كأنه هوالكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت فى مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر
تردى ثياب الموت حمرا فما أتى لها الليل الا وهى من سندس خضر

وهذا شجاع ثابت آخر يقول عن ثباته :

فان تكن الأيام فينا تبدلت بنعمى وبؤسى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للذى ليس يجمل
ولكن صحبناها نفوسا أبية تحمل ما لا يستطاع فتحمل

ان أفضل زينة للمجاهد المؤمن هو أن يتحلى على الدوام بخلق الثبات .

فضيلة الصبر

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوي

الصبر فى اللغة . الحبس والكف — قال تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » آية ٢٨ سورة الكهف — أى احبس نفسك معهم — والصبر كلمة يرددها اللسان فتنقش فى العقول . فاذا وقرت فى القلب واستقرت فيه . تقبل الانسان المصائب وتجرعها من غير أن يظهر عليه ألم أو يشكو لاحد . وحبس نفسه عن الجزع وكفها عن السخط ومنع لسانه عن الشكوى من البلاء ورضى بالقضاء . وتقبل كل ماهو مكروه بصمت وادب . واعتماد وتوكل علي الله كما يتقبل كل ما هو محمود والله عز وجل اذا أحب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه ، وفى الحديث النبوى الشريف — الصبر نصف الايمان ولله در القائل .

الصبر مثل اسمه مر مذاقته ..
لكن عواقبه احلى من العسل

والصبر اسم من أسماء الله تعالي جل شانه وصفة من صفاته عز سلطانه، فمن جهل حقيقة الصبر فقد جهل شطرا من شطرى الايمان ، لان الايمان نصفه صبر ، ونصف شكر — فقد سمى الله سبحانه نفسه — الصبور — أى ملهم الصبر لجميع الخلائق ، والصابر على ما لا يرضاه من الناس ، لا يعجل العقوبة للمذنب ، ولا تستفزه معاصى الضالين .

والصبر علي أوجه .. صبر على طاعة الله ، وصبر علي محارمه ، وصبر على المصيبة — قال صلى الله عليه وسلم — الصبر عند الصدمة الاولى — وقال علماء الصوفية — الصبر لله عناء ، والصبر مع الله بقاء والصبر فى الله بلاء ، والصبر عن الله جفاء

والصبر بالله هو الاستعانة به قال تعالى « واصبر وما صبرك الا بالله » آية ١٢٧ سورة النحل — والصبر لله ، هو أن يكون الباعث علي الصبر محبة الله ورضاه ، كما فى صبر يوسف عليه السلام عن طاعة امراة العزيز ، وقال بعض العلماء — صبر يوسف عليه السلام عن طاعة امراة العزيز . أكمل من صبره علي القاء اخوته اياه فى الجب وتفريقهم بينه وبين أبيه ، لان هذه أمور جرت على غير اختياره ، ولا صلة له فيها . أما صبره عن المعصية ، فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس فكان صبره اختيارا وايثارا لما عند الله — والصبر مع الله هو ثبات العبد الذى ابتلى ، مع الاحكام الدينية ، وتمسكه بالشريعة الاسلامية والاقامة على حدودها واطاعته أوامر الله واجتناب نواهيه ، وجعل نفسه وفقا على أوامر الله ومحبته ، قال صلي الله عليه وسلم « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتي الشوكة

يشاكها • الا كفر الله بها من خطاياه » رواه البخاری ومسلم .

والصابرون رجال مؤمنون قلوبهم عامرة بالايمان متصلة بالله تعالى اتصال المعرفة واليقين ، فلا تفزعهم المحن ولا تعصف بهم النزلات ولا تهزهم نوائب الدهر ولا تستفزهم الايام بحوادثها المفجعة ، لانهم عرفوا الله حق قدره وثبتوا على ايمانهم كالجبال الرواسی لا تهزها العواصف ولا تؤثر فيها الرياح العاتية ـ والله عز وجل يقول ـ ولنبلونكم بشیء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ـ من آية ١٥٥ سورة البقرة

يعلم الله المؤمنين انه لابد من الاختبار لهم والامتحان بالشدائد والاخطار والنوائب ، لان معالی الامور لا تكتسب الا بالصبر والمثابرة

والصبر الشاق علي النفس يعظم الاجر والثواب ، لانه يدل على قوة القلب وتثبيته فی مقام الصبر ـ وفی الحديث القدسی ـ اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ، ماذا قال عبدی عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده . فيقولون . الهنا حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتی أنی بنيت له بيتا فی الجنة وسميته بيت الحمد

وجاء فی سير العرب ، أن ذر الهمداني لما مات ، وقف أبوه على قبره وقال : رحمك الله يابنی وجعل أجری فيك لك . والله ما بكيت عليك وانما بكيت فوالله لقد كنت بی بارا ولي نافعا وكنت لی محبا وما بی اليك من وحشة ، وما بي الى احد غير الله من فاقة . وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل . ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك . يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه . فليت شعری ماذا قلت وماذا قيل لك ، ثم رفع رأسه الى السماء . وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك . اللهم اني قد وهبت ما جعلت لي من الاجر الى ذر . صلة منی له فلا تحرمنی ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بی وبه . اللهم قد وهبت اساءته لي . فهبلی اساءته اليك فانك أجود مني وأكرم . اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا . وجعلت لی عليه حقا قرنته بحقك فقلت « أشكر لی ولوالديك الى المصير » آية ١٤ سورة لقمان ـ اللهم انی قد غفرت له ما قصر فيه من حقي فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم ، فلما أراد الانصراف من على قبره قال . يا ذر . قد انصرفنا وتركناك . ولو أقمنا عندك ما نفعناك ـ والامام الغزالی رحمه‌الله يعرف الصبر فيقول . الصبر هو ثبات باعث الدين فی مقاتلة باعث الشهوة وهذا الثبات نتيجة قتال قائم فی النفس بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال . ولكن حين ينتصر باعث الدين يكون الصبر . والله تبارك وتعالي خلق الصبر وجعله سببا للنجاة من الهلاك والخسران . فقال تعالى « والعصر ان الانسان لفی خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » سورة العصر ـ أی أوصى بعضهم بعضا بما فيه الخير والبركة التی تهدی الى الجنة ، وصبروا عن المعاصی التي تشتاق اليها النفس . وعلى الطاعات التی يشق عليها أداؤها وعلى ما يبتلی الله تعالي به عباده من المصائب ورضوا بقضاء الله ظاهرا وباطنا ـ وقد أمر الله العباد بالصبر لما فيه من المنافع الدنيوية والاخروية لهم فقال تعالي (يأيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا) آية ٢٠٠ سورة آل عمران ـ وأثنی سبحانه وتعالى علي الصابرين فقال تعالی« والصابرين فی البأساء والضراء وحين الباس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » آية ١٧٧ سورة البقرة ـ البأساء : اسم من البؤس ، وهو الشدة والفقر . والضراء ما يضر الانسان من نحو مرض أو قرح أو فقد مال وأهل ، وفسروا الباس باشتداد الحرب ، والصبر يحمد فی هذه المواقف كلها ـ وساق الله تعالى البشرى للذين صبروا وأوجب لهم الجزاء الاوفى فقال تعالي « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » آية ١٠ سورة الزمر وأنبأ الله الخلائق فی كتابه الكريم بان سكنى الجنة والفوز بها والتهنئة من الملائكة ، ستكون للصابرين الذين صبروا لله وطلبوا بصبرهم رضا الله وثوابه ، قال عز وجل (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » آية ٢٢ لغاية ٢٤ سورة الرعد

والصبر ينير القلوب ويثبتها علي ايمانها ويخفف المصائب ـ وفی الحديث ـ الصبر ضياء ـ وروى مسلم عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله عز وجل انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني فی مصيبتی وأخلف لی خيرا منها الا أخلف الله له خيرا منها

جاء فی سير العرب أن عائشة رضى الله عنها ، بعدما دفن أبوها ـ أبوبكر

الصديق - قالت : نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها . وللاخرة معزا باقبالك عليها . ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده . فان كتاب الله تعالي قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة ، وانا تابعة له فى الصبر . فاقول : انا لله وانا اليه راجعون ، ومستعيضة باكثر الاستغفار لك . فسلام الله عليك غير قالية لحياتك ولا رازئة على القضاء فيك

وسئل الجنيد رحمه الله عن الصبر فقال : الصبر هو تجرع المرارة من غير تعبيس ، وقال الامام على رضى الله عنه : الصبر مطية لا تكبو وهو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وأنشد الشبلي فى حقيقة الصبر

عبرات خططن فى الخد سطر

فقراه من لم يكن قط يقرا

صابر الصبر فاستغاث به الصبـ

ـر فصاح المحب بالصبر صبرا

واشد الصبر صبر المحبين وانشد بعضهم فى هذا المعنى :

صبرت ولم أطلع هواك علي صبرى

وأخفيت ما بى منك عن موضع الصبر

مخافة أن يشكو ضميرى صبابتى

الى دمعتي سرا فتجرى ولا أدرى

والصبر هو مفتاح الفرج فى الدنيا ويهدى الى الخير والخير يهدى الي الجنة والثواب فى الاخرة - عن ابن عباس رضى الله عنه قال : اول شىء كتبه الله فى اللوح المحفوظ. اننى انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى ومن استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائى ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائى فليتخذ ربا سواى

ومن لم يصبر ويعتمد علي الله فقد أصيب بمصيبتين ، لانه يصاب أولا ، ثم لا يتذرع بالصبر فيضيع ثوابه ، فقد اخرج ابن ماجـة فى سنته قالت فاطمة بنت الحسين عن أبيها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب

وقال القرطبي رحمه الله - من أعظم المصائب المصيبة فى الدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا اصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فانها أعظم المصائب ، لان بموت الرسول انقطع الوحى ، فانقطع الخير وظهر الشر وكان أول ظهوره ارتداد كثير من العرب عن الاسلام وادعاء مسيلمة الكذاب النبوة ، ولقد انشد أبو العتاهية :

اصبر لكل مصيبة وتجلد

واعلم بان المرء غير مخلد

او ما ترى أن المصائب جمة

وترى المنية للعباد بمرصد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة

هذا سبيل لست فيه باوحد

فاذا ذكرت محمدا ومصابه

فاذكر مصابك بالنبي محمد

وينافى الصبر شكوى الله ، لا الشكوى الى الله ، واظهار البلوى من غير وجه الشكوى لا ينافى الصبر ، كما قال الله تعالى فى قصة أيوب عليه السلام « انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب » آية ٤٤ سورة ص . اى صابرا على البلاء . تواب مطيع رجاع راضى - مع انه سبحانه وتعالي اخبر عنه بقوله « وأيوب اذ نادى ربه انى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين » آية ٨٣ سورة الانبياء - وما أحسن قول الشاعر :

واذا اعترتك بلية فاصبر لها

صبر الكريم فانه بك ارحم

واذا شكوت الى آدم انما

تشكو الرحيم الي الذى لا يرحم

والله عز وجل ذكر كلمة الصبر فى قرآنه الكريم فى أكثر من تسعين موضعا وذلك لما فيه من الخير للكل والبركة للمجموع ولانه يجلب رضا الله ومحبته

فاللهم ارزقنا يقين الصبر ليقينا شر ذلك اليوم الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى ربه صابرا محتسبا راضيا مطيعا ، واغرس فى نفوسنا حقيقة الصبر فلا نضجر ولا نتضرع الا اليك ، حتي نستحق رضاك وننال ثوابك الذى وعدت به الصابرين فى قرآنك الكريم . فقلت سبحانك : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . ويطاف عليم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا . قوارير من فضة قدروها تقديرا ، ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا . عينا فيها تسمى سلسبيلا » من آية ١٢ سورة الانسان لغاية آية ١٨

من
كنوز
القرآن

مناقب الأمة الإسلامية

فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة

بينا فيما سبق أن التكليف بالاحكام عام فى جميع المكلفين الا ما خص به صلى الله عليه وسلم بدليل .

كذلك المزايا والمناقب التى منحهاالله سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلمهى أيضا عامة فى الامة اعطى الله الامة الاسلامية منها نموذجا . وقد نسب الشاطبى الى ابن العربى انه قال ان سنة الله جرت أنه اذا اعطى الله نبيا شيئا أعطى امته منه واشركهم معه فيه. وقد ذكر الشاطبى المزايا التى منحها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم واعطى امته نموذجا منها فابلغها الى الثلاثين.

أولا : الوراثة العامة فى الاستخلاف على الاحكام المستنبطة . وكان من الجائز أن يتعبد الله الامة بالوقوف عند ما حد من الاحكام بالنص من غير استنباط . باعتبار آن عمومات النصوص واطلاقاتها كافية فى معرفة التشريع لكنه سبحانه تفضل على عباده بالخصوصية التى خص بها نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال له « لتحكم بين الناس بما أراك الله » . وقال فى الامة « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » فكان للعلماء اعمال الرأى الصحيح لاستنباط الاحكام من معانى النصوص وطرق دلالتها المتعددة كما ثبت لرسولهم أن يحكم بين الناس بالرأى الصحيح الذى أقره الوحى عليه . ثم ذكر بعد هذه الثلاثين وجها التى منحها اللهللامة كما تفضل بكل منها على نبيه وهى :

١ - الصلاة من الله تعالى . فقد قال سبحانه فى النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله وملائكته يصلون على النبى » الآية وقال فى الامة « هوالذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور » . وقال « أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » .

٢ - الاعطاء الى الارضاء قال تعالى فىالنبى « ولسوف يعطيك ربكفترضى» وقال فى الامة « ليدخلنهم مدخلا يرضونه » ، قال « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

٣ - غفران ماتقدم وما تأخر قالتعالى « ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » . ولما نزلت هذه الآية قال الصحابة هنيئا مريئا فمالنا ؟ فنزل « ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم » فعم ما تقدم وما تأخر .

٤ - وفى الآية الاولى اتمام النعمة للنبى صلى الله عليه وسلم « ويتمنعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » وقالفى

الامة « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » .

٥ – الوحى وهو النبوة قال تعالى « انا أوحينا اليك » . وفى الامة « الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة . ووجه كون الرؤيا جزءا من ستة واربعين من النبوة أنه صلى الله عليه وسلم كانت له الرؤيا الصادقة قبل الوحى ستة اشهر يرى فيها الرؤيا الصادقة كفلق الصبح ثم جاء الوحى بعدها واستمر ثلاثا وعشرين سنة . وفى الثلاث والعشرين سنة ستة وأربعون جزءا لان فى كل سنة ستة اشهر مرتين . فتكون نسبة الستة اشهر ظرف الرؤيا الصادقة الى ست وأربعين كجزء واحد من النبوة والوحى . وقد استبعد بعضهم دلالة الحديث على أن الرؤيا من آحاد الامة كذلك . لان النبوة حقيقة شرعية خاصة لا يتدرج تحتها جزئى بمجرد الرؤيا الصادقة . والظاهر انه صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك تبشيرا للامة بصدق الرؤيا ورفعة شأن صاحبها ولا حرج على فضل الله تعالى .

٦ – نزول القرآن على وفق المراد قال تعالى « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجهه الله الى الكعبة وفى الامة قال عمر « وافقت ربى فى ثلاث : قلت يارسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى فنزلت : «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » . وقلت : يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله آية الحجاب قال : وبلغنى معاتبة النبى صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت : انانتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرا منكن فانزل الله « عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن » الآية .

ومثل ذلك حديث التى ظاهر منها زوجها فسألت النبى صلى الله عليه وسلم : ان زوجى ظاهر منى وقد طالت صحبتى معه وقد ولدت له أولادا ، فقال عليه السلام : « قد حرمت عليه » فرفعت رأسها الى السماء فقالت : الى الله اشكو حاجتى اليه ثم عادت فاجابها ثم ذهبت لتعيد الثالثة فانزل الله «قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله » ونزلت براءة عائشة رضى الله عنها من الافك على وفق ما أرادت . اذ قالت : وأنا حينئذ أعلم انى بريئة ، وان الله مبرئنى ببراءتى ولكن والله ما ظننت ان الله منزل فى شانى وحيا يتلى ولشانى فى نفسى كان أحقر من ان يتكلم الله فى بامر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فنزلت الآيات ببراءتها وقال هلال بن أمية وقد رمى زوجته بالسوء : والذى بعثك بالحق انى لصادق فلينزلن الله ما يبرىء ظهرى من الحد فنزل « والذين يرمون أزواجهم » الآية . ولا شك أن ذلك خاص بزمانه صلى الله عليه وسلم لانقطاع الوحى بلحاقه بربه .

٧ – الشفاعة : «قال تعالى «عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » . وقد ثبتت شفاعة هذه الامة كقوله صلى الله عليه وسلم فى أويس « يشفع فى مثل ربيعة ومضر » وصدر الحديث « سيكون فى امتى رجل يقال له أويس ابن عبد الله القرنى وورد « أئمتكم شفعاؤكم » .

٨ – شرح الصدر قال تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » . وقال فى الامة « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » .

٩ – الاختصاص بالمحبة لانه صلى الله عليه وسلم حبيب الله . وجاء فى الحديث انه خرج ونفر من أصحابه يتذاكرون فقال بعضهم : عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا . وقال آخر . ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه . وقال آخر : آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال : « قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك . وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا أول شافع وأنا أول مشفع ولا فخر وانا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر » . وفى الامة « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » الآية .

١٠ – وجاء فى هذا الحديث انه أول من يدخل الجنة وان امته كذلك .

١١ – وانه اكرم الاولين والآخرين وقد جاء فى الامة « كنتم خير أمة اخرجت للناس » .

١٢ – انه جعل شاهدا على أمته واختص بذلك دون الانبياء عليهم السلام . وفى القرآن الكريم « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . فهو وحده يشهد على امته . وغيره هو يشهد معهم .

١٣ – خوارق العادات معجزات وكرامات للنبى صلى الله عليه وسلم . وفى حق الامة كرامات .

١٤ – الوصف بالحمد فى الكتب السابقة وبغيره من الفضائل ففى القرآن « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وسميت أمته الحمادين .

١٥ – العلم مع الامية قال تعالى . « هو الذى بعث فى الاميين رسولا

منهم » وقال « فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله » .

١٦ - مناجاة الملائكة ففى النبى صلى الله عليه وسلم كان الملك يكلمه بالوحى وفى الامة روى أن بعض اصحابه كان يكلمه الملك كعمران بن الحصين .

١٧ - العفو قبل السؤال قال تعالى « عفا الله عنك لم أذنت لهم » وفى الامة « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم » .

١٨ - رفع الذكر قال تعالى : « ورفعنا لك ذكرك » قالوا معناه قرن اسمه باسمه فى عقد الايمان وفى كلمة الاذان فصار ذكره صلى الله عليه وسلم مرفوعا منوها به . وقد جاء من ذكر الامة ومدحهم والثناء عليهم فى القرآن وفى الكتب السابقة كثير . وجاء فى بعض الاحاديث عن موسى عليه السلام انه قال : اللهم اجعلنى من امة احمد لما وجد فى التوراة من الاشادة بذكرهم والثناء عليهم .

١٩ - ان معاداتهم معاداة لله وموالاتهم موالاة الله قال تعالى « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله » . وفى الحديث « من آذى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة » ومفهوم هذا ان من والى الله وليا فقد والاه . وقال تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ومفهومه من لم يطع الرسول لم يطع الله .

٢٠ - الاجتباء قال تعالى فى الانبياء « واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم » وفى الامة « هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج » . وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام مصطفى من الخلق اخرج الترمذى « وأنا أكرم ولد آدم على الله ولا فخر » . وقال فى الامة « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » .

٢١ - التسليم من الله ففى الاحاديث اقراء السلام من الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام . وقال تعالى : « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » ، « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » .

وقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم فى خديجة « اقرأ عليها السلام من ربها ومنى » والحديث أخرجه فى التيسير عن الشيخين « أتى جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها اناء فيه ادام أو طعام او شراب فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » والقصب اللؤلؤ المجوف .

٢٢ - العطاء من غير منة قال تعالى « وان لك لاجرا غير ممنون » وقال فى الامة « فلهم أجر غير ممنون » .

٢٣ - التثبيت عند الحاجة « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا » وفى الامة « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .

٢٤ - تيسير القرآن عليهم قال تعالى « ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » . قال ابن عباس علينا أن تجمعه فى صدرك ثم ان علينا بيانه . علينا أن نبينه على لسانك . وفى الامة « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

٢٥ - جعل السلام عليهم مشروعا فى الصلاة اذ يقال فى التشهد السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

٢٦ - أنه سمى نبيه عليه الصلاة والسلام بجملة من أسمائه كالرءوف الرحيم وللامة نحو المؤمن والخبير والعليم والحكيم .

٢٧ - أمر الله تعالى بالطاعة لهم . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » وهم الامراء والعلماء وفى الحديث « من اطاع اميرى فقد أطاعنى » . وقال « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

٢٨ - الخطاب الوارد مورد الشفقة والحنان كقوله تعالى « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » وقوله « فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به » .. « واصبر لحكم ربك فانك باعيننا » وفى الامة « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم » ، « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، « يريد الله أن يخفف عنكم » « ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما »

٢٩ - العصمة من الضلال بعد الهدى وغير ذلك من وجوه الحفظ العامة فالنبى صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله من ذلك كله وجاء فى الامة « لا تجتمع أمتى على ضلالة » وجاء « احفظ الله يحفظك » وفى القرآن « لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين » .

٣٠ - امامة الانبياء ففى حديث الاسراء انه صلى الله عليه وسلم أم الانبياء فى الصلاة ونصه كما فى مسلم « وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى . واذا عيسى قائم يصلى واذا ابراهيم قائم يصلى فحانت الصلاة فأممتهم » .

أما فى الامة ففى حديث نزول عيسى عليه السلام الى الارض فى آخر الزمان « ان امام هذه الامة منها وانه يصلى مؤتما بامامها .

قال الشاطبى : ومن تتبع الشريعة وجد من هذا كثيرا يدل على ان أمته نقتبس منه خيرات وبركات وترث أوصافا وأحوالا موهوبة من الله تعالى ومكتسبة والحمد لله على ذلك .

ولكن ينبغى أن تعلم أن هذه المزايا والفضائل التى اختص الله بها الامة المحمدية لا تنال عينا الا بالتمسك بما جاء به من النور والهدى والعمل بما سنه لامته . واتباع هديه بالاقتداء به فى كل ما قال وفعل . نسال الله تعالى التوفيق والسداد انه سميع مجيب .

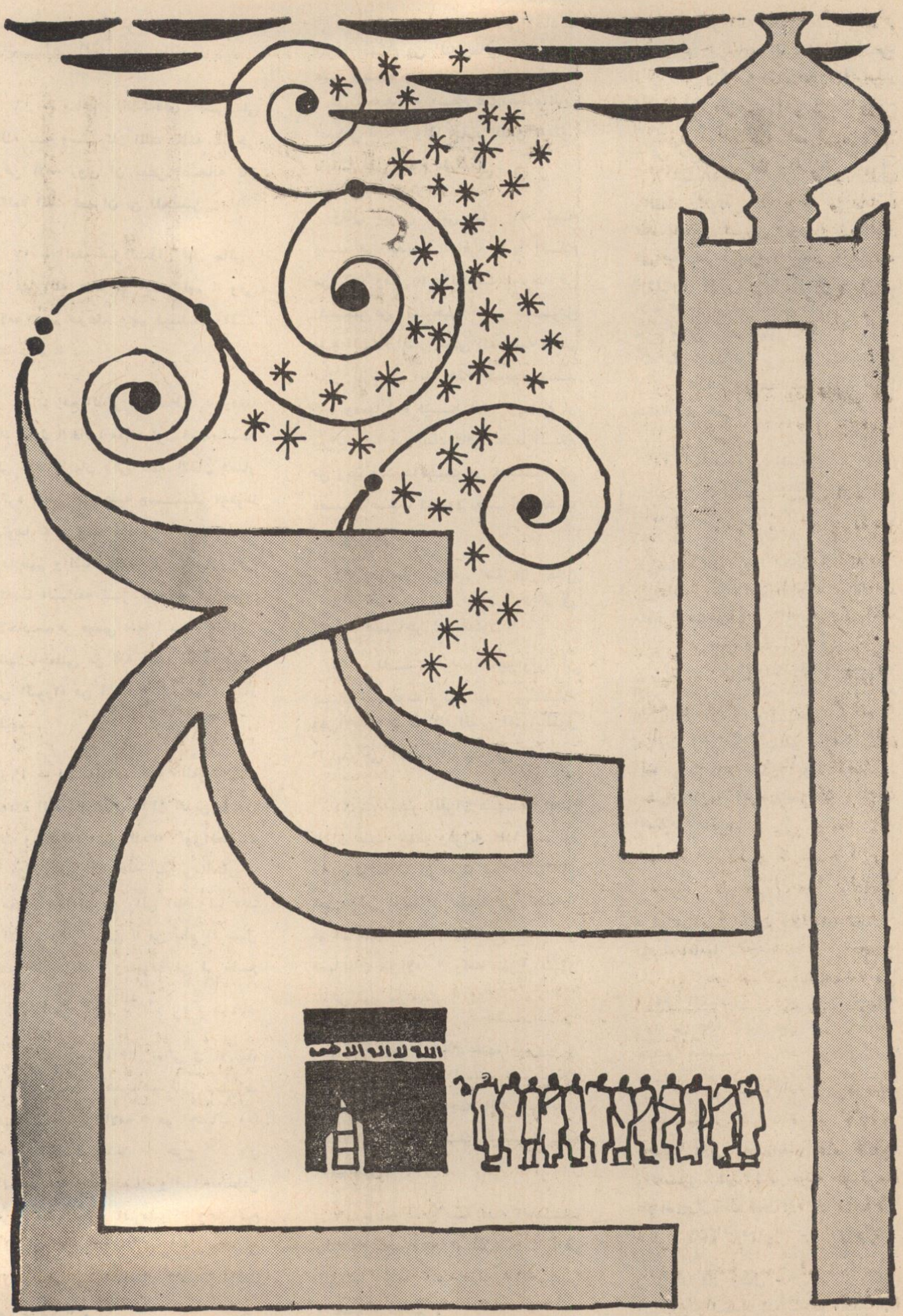

لماذا شرع الله الحج ؟

فضيلة الشيخ عبد الغني الراجحي

رحلة الحج رحلة سماوية علوية ، ليست بالجسم والآلات لارتياد الفضاء والوصول الى الكواكب وترويض الاكوان لارادة الانسان ، ولكنها رحلة سماوية علوية ، بالروح والفكر والقلب والاحاسيس والمشاعر ، الى آفاق رحيبة من السمو والصفاء والشفافية والفناء فى ذات الله ومرضاته ، والمثول بين يديه فى بيته المحرم وبلده الامين ، حول الكعبة ، وفوق عرفات ، وبين الصفا والمروة ، وفى رحبات منى والمشعر الحرام ، وزمزم والمقام ، والروضة الطاهرة النبوية ، وبدر وأحد ، والخندق والحديبية .

هذه المناسك والبقاع الطاهرة المقدسة التى أفنينا حياتنا فى القراءة عنها والدراسة لها ، فيما قرأنا ودرسنا من كتاب الله وسنة رسوله ، فلم نستطع أن نتذوق حلاوة ما قرأناه عنها وأن تحتل علميا ووجدانيا بؤرة شعورنا ، ومداركنا ، الا بعد أن حججناها وتواجدنا بها ، وتسامينا فى مراتب العلم والمعرفة الى درجات المعاينة والممارسة على الطبيعة ، تزداد الانطباعات الدينية والاحاسيس الاسلامية وكادة وقوة ، تنشرح الصدور ، وتبتهج القلوب ، والنفوس ، ؟ عس أنها كانت ظامئة فارتوت ، وجائعة طاوية فشبعت ، وحائرة ضائعة فاهتدت ، ملأها برد اليقين وثلج الايمان ، وعزة العبودية والطاعة ، وكرامة الوصول الى الله ، والضيافة فى بيته ورحابه وعلى موائد كرمه ، أرواح مجردة ، ملائكة فى هيئة آدميين يباهى بهم الله ملائكة فى السماء ، طائفون عاكفون ركع سجود ، يحفون بالكعبة ، ويحيطون بها احاطة السوار بالمعصم ، يدورون حولها من ركن الى ركن ، ضارعين خاشعين متهافتين عليها وعلى الحجر الاسود بملابسهم البيضاء ، كما يتهافت الفراش الابيض حول ضوء المصباح يلامسه ويقبله ، فلا تملك نفسك حين ترى هذا المنظر من أن تتذكر هذه الصورة العلوية السماوية الرائعة التى صورها القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم » .

لعلنا لا نعدو الصواب اذا قلنا ان الحكمة فى تشريع الحج وفرضه على من استطاع اليه سبيلا ، لا تبتعد عن هذه المعانى كثيرا ، فالقيام بالحج وأعماله ، والتردد بين مناسكه وشعائره ، عملية توكيد وترسيخ ، للايمان بالله ورسله واليوم الآخر ، زيارة ومشاهدة للينابيع الاولى التى نبع منها الايمان والاسلام ، وهبط فيها الوحى والقرآن ، ومارس الرسول فوقها نشر الدعوة ، وتبليغ كلمة الله ، وتعبيد الطريق أمامها بالجهاد والنضال ، لتعم المعمورة ، وتستوعب الخليقة ، لتخرج الناس جميعهم من الظلمات الى النور ، وتهديهم صراطا مستقيما .

شكرانا لله ، وعرفانا بالجميل ، واحتراما للارض الطيبة التى نبع منها هذا النبع الاصيل ، الذى لا حياة للبشرية ولا سعادة للانسانية فى دنيا أو آخرة ، ما لم تنهل من مناهله ، يذهب الحجاج الى مناسك الحج وشعائره ، يصلون الحاضر

بالماضى ايمانا واسلاما ،يربطون وجودهم الحاضر بالوجود الأول ، متواردين على معنى واحد ومثل عليا واحدة ، من يوم أن بزغ فجر الاسلام الى أن يرث الله الارض ومن عليها، أمة واحدة وملة واحدة لايصلح آخرها الا بما صلح عليه أولها، فمن استطاع أن يحج ولم يفعل ، فليمت ان شاء يهوديا أو ان شاء نصرانيا ، لانه حرم نفسه من هذه المعانى التى تبنى منه مع غيره وحدة اسلامية مترابطة برباطات عقائدية لا تبلى جدتها ، بل تزداد على الايام ومواسم الحج قوة وكادة وفاعلية .

ان المسلم أينما كان فى مشرق أو مغرب أو شمال أو جنوب ، يستقبل الكعبة بصدره ووجهه فى اليوم والليلة خمس مرات فى خمس صلوات مفروضات ، لاتصح صلاته الا بذلك ، وتلك هى اشارة البدء . ومفتاح الطريق ، وكلمة السر ، نحو رحلة مباركة ميمونة ، نهاية مطافها الالتقاء وجها لوجه بهذه البنية المباركة ، كعبة الله ، للطواف حولهاواستلام حجرها الاسود وتقبيله ، والحجر الاسود ، كما جاء فى الآثار ، يمين الله فى الارض .

انها - مناسك الحج - رحمة مهداة من الله لعباده ، يعمدون اليها مترحلين من سجن المادية والحياة الزائفة ، الى باحة الروحانية ونعيم الحياة الحقيقية ، فاذا كان الله يقول فى حديثه القدسى فى المساجد عامة « ان بيوتى فى أرضى المساجد ، وان ضيوفى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، فحق على المزور أن يكرم زائره » فما بالك بالمسجد الأم ، المسجد الحرام ، قبلة المساجد كلها ؟ وما بالك بزائر ربه فيه ، النازل ضيفا عليه فى رحابه ، يرجو رحمته ويخشى عذابه ، عائذا لائذا ، تائبا نائبا ، متعلقا بأستار الكعبة كالفريق يتعلق بطوق النجاة ؟ انه يخلق من جديد . انه يرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ، كما وردت بذلك الآثار .

انك لاتشعر وانت فى ضيافة الله وعند بيته المحرم وفى مناسك الحج وشعائره أنك رحلت بنفسك الى الوراء أربعة عشر قرنا من الزمن فقط ، حيث بدأ الاسلام ، ونزل القرآن ، ومارس خاتم المرسلين أداء رسالته ، ولكن لابد لك أن تشعر انك رحلت بنفسك وأحاسيسك الدينية الى ما قبل ذلك بقرون من الزمن ، حيث كان ابراهيم واسماعيل وهاجر ، وحيث لا تستطيع وأنت بمناسك الحج الا أن تعاين بصماتهم وآثارهم وذكرياتهم على أديم هذه المناسك وهياكلها ، وان تشم عبير هذه الذكريات وأريجها يعطر جو هذه البقاع ، فلا يسعك الا أن تستشعر وحدة الاديان ، وأن المحمدية والابراهيمية ملة واحدة ، وأن الدين عند الله الاسلام وأن الله تعالى يقول فى شأن هذا الترابط :

« وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل »

ويقول :

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين »

ويقول :

« ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين »

رمزم التى انبعها الله لاسماعيل رحمة به وانقاذا من الظما ولفح الهجير ، وحجر اسماعيل ، ومقام ابراهيم ، والصفا والمروة وتردد هاجر بينهما لترى من فوقهما نجدة وانقاذا من ماء أو غذاء أو عمران لما أزم وليدها جوعا وعطشا وهى لا تملك له من الامر شيئا، والجمرات الثلاث حيث رجمت هاجر ابليس لما أراد أن يخذلها وأن يحذرها من ذبح ابراهيم لاسماعيل ، ثم رجم اسماعيل له لما حاول معه هذه المحاولة ثم رجم ابراهيم له لما حاول للمرة الثالثة والاخيرة هذه المحاولة الخسيسة .

وبناء البيت نفسه ، والدعوة الى الحج والأذان به فى الناس عقب الفراغ من البناء ، يسند ذلك كله صراحة الى ابراهيم واسماعيل فى قول الله سبحانه فى كتابه المجيد :

« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا

وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم »

ثم يقول تعالى فى سورة الحج :

« واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

بل انك تستطيع وأنت فى مناسك الحج أن ترجع بأحاسيسك الدينيه ومواجدك الاسلامية ، عبر رحلة طويلة من الزمن ، الى ما قبل ابراهيم واسماعيل ، حيث قيل فى تاريخ هذا البيت الحرام ، انه بنى لاول أمره على أيدى ملائكة السماء خططوه وحددوه فى الارض قبالة البيت المعمور فى السماء ، وانه كان معروفا للخلق محجوجا قبل تجديد ابراهيم لبنائه المذكور فى القرآن الكريم ، وحيث قيل فى عرفات أنه تعارف آدم وحواء عليه عقب خروجهما من الجنة ، وتستطيع أن تعتبر عرفات ووقفة الحجيج عليه فى مكان واحد وزمان واحد ، ولباس واحد ، وشعار واحد ، على اختلاف ألسنتهم والوانهم واقطارهم ، تطبيقا عمليا واقعيا للتعارف بين بنى آدم وحواء ، احياء لذكرى التعارف الاول بين والديهم ، وامتثالا حيا للتعارف الذى نص القرآن الكريم عليه فى قول الله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير »

انه سجل خالد للتوقيع عليه من اولاد آدم وحواء أثناء تعارفهم فوقه فى أيام الحج اعترافا بوحدة الاصل ووحدة الملة والدين ووحدة الله الواحد القهار .

ان البشرية تترك عليه بصماتها تباعا من أول الخليقة ، الى الذرية من الامة المسلمة ، الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وتستطيع أخيرا أن تدرك أن الله اختص هذه البقاع بهذه الامجاد لتكون مركز الثقل ، ومصدر الاشعاع ، ومنطلق القيم الروحية الصحيحة التى تقود وتسود ، وتأخذ بيد البشرية الضالة فى متاهات الحياة الى أقوم السبل المفضية الى سعادة الدنيا والآخرة .

ومن جعل الحياة بغير دين

فقد جعل الشقاء لها قرينا

ان العرب بهذه القيم الروحية والامجاد الدينية دخلوا التاريخ .. نعم ، كان الاسلام نقطة تحول لا فى تاريخهم فحسب ، ولكن فى تاريخ البشرية جمعاء .

لقد بزغ فجر الاسلام فى جزيرة العرب وفى العالم يومئذ دولتان جبارتان على مشارف الجزيرة تتنازعان السيادة وتعيثان فى الارض فسادا ، شرقية فارسية وغربية رومانية ، فما هو الا قليل حتى اداالتهما وورثتهما دولة الاسلام والعرب ، فملأت الدنيا حكمة وعلما وانسانية وعدالة ، ونحن اليوم بانتفاضتنا وانطلاقتنا العملاقة فى وضع شبيه بوضع الامس ، على مشارف بلادنا العربية الاسلامية شرقا وغربا دول قوية متنافسة متعادية .

فماذا على التاريخ لو أعاد نفسه وكرر وقائعه فبرز العرب والمسلمون من جديد على مسرح الحياة قوة جديدة لها كيانها وفاعليتها ووجودها العزيز الكريم القائد البناء .. ؟ ان الجواب عند العرب والمسلمين أنفسهم ، وفى هذه المناسبة من المعانى والاتجاهات يقول السيد الرئيس جمال عبد لناصر :

« يجب أن يكون للحج قوة سياسية ضخمة ، يجب أن يكون مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأى فيها وعلماؤها فى كل أنحاء المعرفة ليضعوا فى هذا البرلمان الاسلامى العالمى خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها فى مجال رفعة شأن الاسلام والمسلمين حتى يحين موعد اجتماعهم فى العام القادم من جديد » .

حقق الله آمال العرب والمسلمين ونصرهم على أعدائهم من الصهاينة والمستعمرين ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .

ذو الحجة .. وذكرياته الخالدة

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

فى هذه الأوقات الطيبة ، تشرق آمال محببة ، تصافح القلوب فى شهر ذى الحجة المحبوب ، أن هلاله الألاق ، يحمل الى دنيا الناس بشائر أشراق وارهاصات خير ووفاق .

وحيث تشيع فرحة المؤمن فى كيانه ، تتملك كل مشاعره ووجدانه ، يسرع فى خطاه ، مستجيبا لمولاه ،

((لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

ها هى ذى أيام ذى الحجة ...
فأية ذكريات حملت قداستها الى عوالم الحياة ؟

وأية آداب نادت بها الضمير الانسانى من بعيد ؟ ...

وأية آمال وأشواق تنتظر مقدم هذه الأيام الطاهرة وترتقب مطلعها الحبيب ؟

وتطالعنا أشهر الحج المعلومات فتومىء مؤشراتها الطيبة أنه لا رفث ولا فسوق ولا جدال فيها ، قال تعالى :

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب » .

والذين تزودوا بزاد التقوى هم أولوا الألباب الذين أتم الله تعالى عليهم نعمته فكانوا أهلا لزيارة بيته الكريم واستجابوا لنداء ربهم الأعلى :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

هؤلاء الذين يشكلون الصفوة الطاهرة المنيبة لربها هم أولاء من أجلهم قبل سواهم كان يوم الأضحية الأكبر ويوم الفداء العظيم عيدا لهم ، عيدا بتمام نعمة الاسلام عليهم .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)) .

ذلك أن أركان الاسلام كما هو معلوم من الدين : الشهادتان ، والصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بنى الاسلام على خمس شهادة الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

واذا نظرنا الى كل ركن من هذه الأركان التى أمر الله بها وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عنها لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد أحاط كل ركن من هذه الأركان بسياج من عنايته منيع كما أعطى لمن يقوم به شرفا عاليا ، وعيدا عظيما عقب كل واحد منها .

أولا : بالنسبة للركن الاول وهو الاساس الأصيل لبقية الاركان وهو (الشهادتان) نرى ان صاحبه قد عصم بالشهادتين ماله ونفسه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » .

فكان هذا بمثابة التكريم لصاحب الشهادتين وكأنه عيد دائم لحياته كلها .

ثانيا : بالنسبة للركن الثانى وهو « الصلاة » فقد جعل الله سبحانه لمقيمها علاوة على ما بها من فضائل جعل الله عيدا لصاحبها كل أسبوع وهو : « يوم الجمعة » ، يكفر الله له فى ذلك اليوم الخطايا التى ارتكبها طيلة الأسبوع تكريما له وعيدا .

ثالثا : بالنسبة للركن الثالث وهو « الزكاة » جعل الله فيها تطهيرا للمال وصاحبه وتزكية كريمة وصلاة من النبى صلى الله عليه وسلم ورحمة وحفظا لهم من كل شر ، ونموا وبركة فى الخير فحياتهم كلها أعياد قال تعالى :

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » .

رابعا : فى الركن الرابع وهو « الصوم » جعل الله فى نهايته عيدا للفطر ذلك هو يوم الجائزة كما يسمى فى السماء .

خامسا : بالنسبة للركن الخامس وهو **« الحج »** الذى نحن بصدد الحديث عنه جعل الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الذين هاجروا فى الله ونزحوا من بلادهم القاصية ، وتحملوا المشاق ، واستعذبوا عذاب السفر ، ووعناء الطريق لا يحفزهم الا الحب فى الله ولا يدفعهم الا الايمان الصادق الذى أشرق من قلوبهم ، فاجتمعوا على الحق ، وطوفوا بالبيت واستسلموا يمين الله فى الأرض يقبلون الحجر الأسود مصلين فى مقام أبراهيم مرتوين برحيق زمزم المختوم ساعين بين الصفا والمروة . محلقين رؤوسهم ومقصرين راجمين الشر كل الشر فى ابليس اللعين .

وهناك .. وعلى عرفات يقفون جمعا طاهرا كلهم قلوب بريئة ووجوه مضيئة ، وأكفهم المتعلقة بالسماء ، متماوجة بالدعاء كأنها أغصان تداعبها نسائم الربيع أو أعلام متعلقة فى الأجواء تتراوح مع الهواء ..

جعل أبواب السماء لهم متفتحة ، وفيوضات الله عليهم متوالية ولهم عقب يومهم غد مشرق وعيد كبير يكبرون فيه ربهم على ما هداهم ويشكرون على النعمة مولاهم .

وأية نعمة أعظم من تلك النعمة التى يرجعون بها كيوم ولدتهم أمهاتهم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه فيما رواه البخارى ومسلم قال : **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .**

ويقول صلى الله عليه وسلم :

« الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

ولكن ما هى سمات الحج المبرور الذى ليس له جزاء الا الجنة ؟ نريد أن نعرفها معرفة حقيقية حتى اذا ما وضحت معالمها وائتلقت حقيقتها سرنا على منوالها حتى يكون عملنا نافعا ، وفهمنا للامور مشجعا ودافعا ، وتلك السمات هى :

أولا : النية وهى الأساس المتين الذى ينبنى عليه هذا العمل الضخم والمجهود الجبار الذى يغسل الأوزار ، فلن يقبل حج الا اذا كان صاحبه ناويا به أداء الواجب عليه مخلصا ،غير مشرك به شيئا من أمور دنياه ، ولا يبتغى من وراء حجه مظهرا ولا يريد من سفره ربحا فى تجارة أو أى عمل دنيوى .

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

الثانى : أن تكون النفقة حلالا لا تشوبها شائبة حتى يحفظ ذلك المال الذى ينفقه فان دخول أى مال حرام يفسد المال الحلال ، ويعود الحاج غير مغفور له قد أحبط الله عمله من غير أن يشعر بما قدره له العليم الخبير .

فنفقة الحج انما هى فى سبيل الله فلا بد أن تكون نقية صافية لا يكدرها دنس الحرام .

الثالث : أن ينفق الحاج عن سعه وطيب نفس على قدر طاقته فلا اسراف ولا تقتير وانما اعتدال على شرط أن يكون فى أوجه الحلال ، فهؤلاء الذين يذهبون ويجعلون نصب أعينهم أن يعودوا الى بيوتهم ببضاعة ثمينة تستنفد جل مالهم بعد ما حبسوه عن الفقراء لقد ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

الرابع : الصبر والاحتمال لا بد للحاج أن يتجمل بالصبر على كل ما يجده من مشاق وما يعانيه من تعب ونصب فى هذا السفر الطويل ، فلا بد أن يضع نصب عينيه أن كل تعب يصيبه أو مشقة ترهقه سيقابلها أجر مضاعف وثواب جزيل ولن ينال هذا الأجر والثواب الا اذا كان صابرا لله وحامدا وشاكرا .

الخامس : التواضع والخشوع فلا بد للحاج أن يتسم بالتواضع ويخلع عنه رداء الكبرياء الذى لا يكون الا لله وحده فهو فى موقف يوحى بالتواضع والانكسار .

وما لباس الاحرام الا مظهر صادق للمساواة بين الغنى والفقير والرئيس والمرؤوس لا فضل لأحدهم على الآخر الا بما استقر فى قلبه من تقوى لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى

السادس : حسن المعاملة فلا بد للحاج أن يكون لين الأعطاف وأن يخفض جناحه لمن معه ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به ان دعاهم لأمر دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة فلا يكون فظا غليظا ، ولا متنافرا وانما يكون متآلفا ، محبا متعاطفا .

السابع : تجنب الحاج الرفث والفسوق والجدال امتثالا لقوله تعالى :

« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

و « الرفث » هو الفحش فى الكلام وغيره
و « الفسوق » هو الخروج عن طاعة الله
و « الجدال » هو الخصام والنزاع وكل ما يوغر صدر اخوانه من غليظ الكلام بل لا بد أن يكون مسالما لهم عن طيب قلبه ونقاء ضميره .

الثامن : على كل حاج أنعم الله عليه بهذه النعمة أن يشكر الله دائما على أن هداه لهذا وما كان ليهتدى لولا أن هداه الله ، ويتمنى لغيره ما يتمناه لنفسه من عود حميد لهذا المكان الذى باركه الله ، وليتحدث دائما مع اخوانه الذين يرجى منهم أداء هذه الفريضة بما يشوقهم الى زيارة البيت الحرام فاذا ما هدى الله به رجلا كان خيرا من حمر النعم .

وأما هؤلاء الذين يعودون ويقصون على أخوانهم ما وجدوا من وعثاء السفر ومشقة الطريق فهؤلاء قوم خانهم التوفيق اذ ربما يكون كلامهم هذا سببا فى الصد عن سبيل الله .

التاسع : الثقه فى قبول حجه ، فيجدر بكل مؤمن قصد بيت الله للنسك أن يؤدى هذه المناسك مؤمنا واثقا فى أن الله سبحانه وتعالى سيقبل عمله وسيحقق به أمله .

فاذا ما عاد الى بلده لا بد أن يعتقد أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه تصديقا لما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأن الله دائما عند ظن العبد به فليحسن كل ظنه فى الله سبحانه وتعالى .

العاشر : المحافظة على ما اكتسبه من ثواب بعد هذا المجهود الضخم والسفر الطويل والأعمال الجليلة والطاعة والانقياد ، ومشاهدة هذه الامكنة وغير هذه من كل ما يغمر الانسان بالثواب ، وينـد به عن طريق العذاب ، حرى بكل ذى سمع وبصر وقلب ووعى أن يحافظ على هذه النعمة التى أنعم الله بها عليه فقد عاد كيوم ولدته أمه مغسولا من الذنوب مبرأ من العيوب ، مطلا على حياة جديدة كلها بشر وأمل وهدى ونور حرى به أن يبدأ حياته الجديدة بالاعمال النافعة المفيدة التى تزيده ايمانا على ايمانه وتزيده يقينا على يقينه الذى ترعرعت شجرته فى قلبه الطهور بعد أن حج حجه المبرور .

تلك هى السمات الصحيحة التى يجب أن تتسم بها هذه الرحلة التى يقطعها المسلم لربه سبحانه كلها طهارة وايمان ونقاء نفس واذعان ، ترتبط بها كلية الانسان وجزئيته لله رب العالمين .

انه قد طوف بأول بيت وضع للناس ، ومن ساعة دخوله أصبح آمنا لأنه مثابة للناس وأمنا ،

والأمن والطمأنينة ليستا فيما يظهر من أمور الحياة فحسب بل الأمن والطمأنينة كذلك شعور نفسى تهدأ به الحياة كل الحياة .

قال تعالى :

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

فى
حج بيت الله

الأستاذ حسن الشيخة

لنا وقفة فى كل عام ، فى هـــذا الاوان ، نحيى فيها الركن الخامس من أركان الاسلام ، وهـــو حج بيت الله الحرام

فى الحج تتعارف الشعوب الاسلامية ، وتشعر النفوس بالاخاء والمســـاواة ، فكلهم عارى الرأس ، يستره ازار ورداء لا فرق بين غنى وفقير ، وعبد وأمير ، كما أن فيه تعظيم المسلمين لمهد دينهم ، وذكرى أول امرهم ، كما ان فيه عدة مصالح اجتماعية ، ومنافع اقتصادية « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » . « ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات »

تنقسم العبادات الى ثلاثة أقسام ، بدنية محضة كالصلاة والصوم ، فان القصد من كل منهما التذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى بالنفس ، ولا دخل للمال فيهما ، ومالية محضة كالزكاة والصدقة ، وان القصد منها نفـــع المتصدق عليهم بالمال ، ومركبة منهما كالحج ، فان فيه الخضوع لله تعـالى بالطواف والسعى وغيرهما من الاعمال ، وفيه ايضا انفاق المال فى هـــذا السبيل .

هذه الفريضة التى تحتـــاج الى الاستطاعة فى البدن والمال معـــا هى الفريضة التى يكتنفها التاريخ من كل أطرافها ، فان الدين الاسلامى قد نبع من بين صخور ورمال ، وصحراوات وجبال ، وفرضية حج هذه الاماكن انما كانت مرة واحدة فى العمر لما فيها من المشقة والنصب ، وقد روى عنـــه صلوات الله عليه انه قال : « يا أيهـــا الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا : فقال رجل أكل عام يارســـول الله ؟ فسكت صلى الله عليه وسلم حتى قالها الرجل ثلاثا ، فقال عليه الصلاة والسلام لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم : أى انه فرض مرة واحدة فى العمر .

اما تخصيصه بالاشهر المعلومات وهى شوال والقعدة ، وعشر ذى الحجـــة فلانها الايام التى تجلى فيها المـــولى سبحانه على الناس بما لم يقع فى غيرها من الايام ، من بقية العام ، فقـــد ذكر المؤرخون ان آدم وحواء تعارفا فى هذه الايام ، وفيها قبلت توبة آدم ، وفيهـــا حقن الله ذلك الدم الطاهر ، دم اسماعيل أو اسحاق ، ولذلك جعل أول طرفيها عيدا هو عيد الفطر ، والطرف الآخر عيدا هو عيد النحر فهى أيام بهيجـــة لهذه الذكريات الصالحات الباقيات .

يجىء بعد ذكر اشهر الحج ــ الاحرام ، لاظهار التذلل والعبودية باظهار الشعث والغبرة ، وترك الرفث والفسوق ، والمنع من أسباب الزينة والارتفاق ، لانه مبدأ النسك والعبادة ، فهو للحج أو العمرة كتكبيرة الاحرام للصلاة ، فكان المصـــلى يحرم عليه ما كان مباحا له قبل تكبيرة الاحرام ، فكذلك المؤدى لاحد النسكين بالاحرام ، بترك ما كان مباحا له مـــن قبل من الزينة والطيب ، ولبس المخيط وغير ذلك .

الاحرام الزامى لمن وصل الى ميقات من المواقيت أو مر به ، وهـــو مختلف باختلاف المكان ، فمثلا أهل مصر والشام والمغرب ميقاتهم « الجحفة » بضم الجيم وهى قرية بين مكة والمدينة وهى خربة الآن ، ويقرب منها القرية المسماة برابغ ويكفى فى الإحرام محاذاة الميقات فى البحر ، وليس المرور عليه ورؤيته رأى العين .

من صحائف التاريخ المشرقة فى الحج الطواف بالبيت وهو أحد ركنى الحج ، والبيت أشرف مكان فى الارض ، جعله الله حرما آمنا ، يلوذ بحماه الخـــائف والضعيف ، أعده المـــولى للطائفين والعاكفين والركع السجود ، والطواف حوله قيام بالخدمة والعبـــودية ، يلجأ الطائف الى ربه ، ويقرع باب احسانه

وافضاله ، يتطلب الصفح عن السيئات والعفو عن الزلات .

هذا البيت معظم منذ ان أقام قواعده ابو الانبياء سيدنا ابراهيم الخليل ،هو وابنه اسماعيل ، كما قال تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » ، لذلك كانوا فى الجاهلية يعظمونه ، ويعدون سدانته وخدمته من أشرف القربات ، واحفل الصالحات وهذا شاعر من قبيلة جرهم يتفجع من ترك قبيلته سدانة البيت الحرام بقوله شعرا :

وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بهذا البيت والامر ظاهر

الى ان يقول :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيس ولم يسمر بمكة سامر
بل نحن كنا أهلها فابادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

ومن تاريخ تعظيم هذا البيت انه لما باعت قبيلة خزاعة سدانته التى كانت لها بزق خمر عيرها كثير من الشعراء على ذلك . وقال احدهم :

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت
بزق خمر فبئست صفقة البادى
باعت سدانتها بالنزر ، وانصرفت
عن المقام وظل البيت والنادى

كان وقوف سيدنا ابراهيم وهو يبنى البيت على حجر ، هذا الحجر كان يقوم عليه ايضا الخليل فيما بعد حين نزوله وركوبه لما كان ياتى الى زيارة هاجر ، وولدها اسماعيل ، ولهذين السببين ، وقوفه على الحجر وهو يبنى واتخاذه محط رحاله حين يزور هاجر وابنها ، امر الله تعالى باتخاذ مقام ابراهيم « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » ، تيمنا بهذا المكان الطاهر ، وتبركا بموضع وقف عليه رسول كريم ، هو ابو الانبياء ابراهيم الخليل .

اما السعى بين الصفا والمروة ففيه زيادة النشاط والتباعد عن الكسل ، وهذه هى فائدته النفسية ، أما مايقوله المؤرخون فى هذا السعي فهو ان آدم وحواء استقرا عليهما ، وروى ان الصفا سمى بذلك لانه جلس عليه آدم صفى الله وسمى المروة بهذا الاسم لان امرأته حواء جلست عليه .

أما الوقوف بجبل عرفات فهو الركن الثانى من ركنى الحج ، بعد الطواف بالبيت الذى تقدم الكلام عليه ، ويوم عرفة هو اليوم الذى اتم الله فيه النعمة على المسلمين ، وانزل على نبيه صلوات الله عليه قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » ، فتذكارا لهذه النعم الجليلة اتخذ ذلك اليوم عيدا ، ومجتمعا عاما للمسلمين ، وانما كان هذا الوقوف بعرفات خاصة لانه حصن مكة ، ويشرف على البيت الحرام ، فكان بذلك من الاماكن المقدسة ، وشعائر الدين .

ارى ان العمرة بحاجة الى بعض القول فيها ، الماما بحقيقتها .

هى تخالف الحج فى أمور كثيرة ، منها انها ليس لها فى السنة وقت معين ولما كانت مكة محط الرحال ومجمع الامم الاسلامية ، وملاذ اللاجئين ، ياتون اليها رجالا وعلى كل ضامر . شرعت العمرة فى جميع السنة حتى لا تتعطل مصالح الناس ، ولا تنتظر الركبان والوفود كما هو الشان فى الحج من هذا الانتظار ، فى الاشهر المعلومات ، وليس فيها وقوف بعرفة ، ولا نزول بمزدلفة ، ولا رمى جمار ، ولا جمع بين صلاتين ، ولا خطبة ، ولا طواف قدوم ، واركانها ثلاثة ، الاحرام ، وطواف الزيارة ، والسعى بين الصفا والمروة ، وهى بذلك اسهل النسكين ، وأيسر الحسنيين .

لا ينبغى لمن يتكلم عن الحج والعمرة اجمالا فى تشريعهما ، وفيما احتوياه من تاريخ للاسلام ، أن يترك موضوعه دون أن يذكر شيئا عن زيارة قبر الرسول صلوات الله عليه .

هذه الزيارة مندوبة شرعا ، بل هى أفضل المندوبات ، وقد ورد فيها أحاديث منها ما روى عنه « من حج فزار قبرى كان كمن زارنى فى حياتى » ، الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة التى وردت فى هذه الزيارة .

ومن آداب هذه الزيارة أن يقول « السلام عليك يا نبى الله ورحمة الله وبركاته ، اشهد انك رسول الله ، فقد بلغت الرسالة ، وأديت الامانة ، ونصحت الامة ، وجاهدت فى أمر الله حتى قبض الله روحك حميدا محمودا .. فجزاك الله خير الجزاء ، وصلى عليك افضل الصلاة وازكاها » .

ثم يتوجه الى قبر الصديق ابى بكر قائلا « السلام عليك يا خليفة رسول الله ، السلام عليك ياصاحب رسول الله فى الغار ، السلام عليك يا رفيقه فى الاسفار ، السلام عليك يا أمينه فى الاسرار .. جزاك الله عنا افضل ما جزى اماما عن أمة نبيه ، لقد خلفته باحسن خلف .. وقاتلت أهل الردة والبدع ، ومهدت الاسلام ، ووصلت الارحام » .

ثم يتحول حتى يوازى قبر عمر رضى الله عنه قائلا « السلام عليك يا أمير المؤمنين ، يا مظهر الاسلام ، يا مكسر الاصنام ، فقد نصرت الاسلام والمسلمين حيا وميتا ، تكفلت الايتام ، ووصلت الارحام ، وقوى بك الاسلام ، وكنت للمسلمين اماما مرضيا ، وهاديا مهديا » .

وبعد هذه الزيارات ياتى البقيع .. فيزور العباس ، ومعه الحسن بن على وزين العابدين ، وابنه محمد الباقر ، وابنه جعفر الصادق ، ويزور أمير المؤمنين سيدنا عثمان ، وقبر ابراهيم ابن النبى ، وجماعة من أزواج رسول الله صلوات الله عليه ، وعمته صفية ، وكثيرا من الصحابة والتابعين ، كالامامين مالك ونافع .. وكل هذه القبور فى البقيع فى موضع المشاهد والمزارات ، وبهذه الزيارات ، تتم الصالحات .

الفداء ودعوة السماء

فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق

شرعت الضحايا فى السنة الثانية من الهجرة النبوية ، وفيها كانت أول أضحية شهدها المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث خرج الى المصلى فأدى صلاة العيد وخطب الناس ثم رجع فضحى بكبشين أملحين أقرنين ، ووضع رجله على صفاحهما ، وقال « اللهم ان هذا منك واليك »

فالاول ضحى به عن نفسه وعائلته الكريمة ، والثانى عن أمته ، واقتدى به المسلمون فى سائر الاقطار والامصار ، وبقيت سنة فى الناس الى اليوم الموعود فهى تذكار لما أنعم الله به على ابراهيم عليه السلام من فداء ابنه اسماعيل ، وتشبها بالحجيج فى هداياهم بمنى ، وتشوقا الى ذلك الجمع الاكبر ، ولفتح مكة الذى كان نواة لكل خير جرى على هذه الامة ، وتقريب القربان نسك سرى فى جميع الامم التى خلت ، وفى هذا يقول الحق سبحانه : **« لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه »** وانما الذى شرع فى هذه الامة نسك على هيئة خاصة فى أيام النحر الثلاثة .

محاسن الضحايا

ومن محاسن الضحايا ان الله جلت قدرته لم يجعل كل حيوان صالحا للذبح ، بل لم يجعل الذبح بالصيد ، لان كل احد لا يقدر على الاصطياد ، فيسر الله عليهم الامر وجعله ميسورا لان حفظها الى وقت النحر فيه حرج ومشقة والغالب على الصيد قلة الشحم واللحم ، ولان الذبح شكر للنعمة ، ومن قضية القياس لسائر أنواع الشكر ان يجود الانسان بروحه فاذا لم يجعل الجود بروحه شكرا لهذه النعمة ، فلا اقل من ان يذبح .

والله الحكيم لم يجوز التضحية بالصغار من النعم ، لانها لم تدخل تحت تعكيف العبد بما يتقرب به وقلما ينتفع بها ، فاذا بلغت الابل والبقر مبلغا يحمل عليها ويعمل ، جازت التضحية ، والعجب فى أمر القرابين أنها تقام بالدماء دون الابدان ، وهى باقية على ملك المالك ، ان شاء تصدق بكلها ، وان شاء ، أطعم بها كلها ، وان شاء أمسكها ، وهذا من خواص هذه الامة ، وفى سائر الامم كان ما يتقرب به العبد يخرج من ملكه ومن الانتفاع به لاحد ، أما فى شريعتنا فقد بقيت القرابين على ملكنا رحمة بنا وفضلا من الله علينا ، ولقد كانت القرابين فى سائر الامم الماضية تأتى نار من السماء فتحرقها ، وأما فى هذه الامة فقد حفظ الله لها قرابينها ، فأراد سبحانه أن يكثرها لها لتكون فداء لصاحبها يوم القيامة ، فأمر عباده بالتقرب بذبح الأضحية ، والتقوية بمنفعة الدر والنسل حتى لايبخلوا ولا يقعدوا عن أقامتها ، وكان الله تعالى يقول :

« عبدى اكتفيت منك بأن تتقرب الى بما حرمت عليك وبما يتناوله كلبك فى الصيد ثم بخلت على بذلك فما أبخلك وما أضيق صدرك »

ثم العجب كل العجب بأن قربان سائر الامم تأكله النار أما قرباننا فانه يأكل النار وما ذلك الا لفضل الله وعظيم منته .

أضاحى رسول الله

عن ابى رافع رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ان رسول الله كان اذا ضحى اشترى كبشين سمينين اقرنين **املحين** ، فاذا صلى وخطب الناس اتى بأحدهما وهو قائم فى مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية وهو يقول :

« اللهم ان هذا عن أمتى جميعا ممن شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ » ثم يؤتى

بالآخر فيذبحه بنفسه ويقول : « هذا عن محمد وآل محمد » ثم يطعمهما المساكين ، ويأكل هو وأهله منهما ، فمكثنا سنين وليس رجل من بنى هاشم يضحى حيث كفاه الله المؤنة برسول الله صلى الله عليه وسلم والغرم

مفردات الحديث

يقول الامام النووى رضى الله عنه ، الاقرنان هما اللذان لكل واحد منهما قرنان حسنان ، والاملحان يقول فيهما ابن الاعرابى « ان الاملح هو الابيض الخالص » ويرى الاصمعى « ان الاملح هو الابيض المشوب بشىء من السواد ويقول أبو حاتم « ان الاملح هو الذى يخالط بياضه حمره » ويقول الكسائى « هو الذى فيه بياض وسواد والبياض أكثر » ويرى العلامة الخطابى صاحب معالم السنن الذى لو وزن بالجوهر أو كتب بالذهب لكان قليلا فى حقه أن الاملح « هو الابيض الذى فى خلل صوفه طبقات سود » ومعنى قوله ليس فى بنى هاشم رجل يضحى يعنى ممن لم يجد سعة ، ولولا ذلك لضحى ، ويقال مثل ذلك فى فقراء الامة المحمدية ، اكتفاء بتضحية رسول الله عنهم ، وظاهر أن يكتب لهم مثل ثواب من ضحى ما دام المانع لهم قلة ذات اليد ، والغرم بضم الغين المعجمة وسكون الراء معناه الخسارة ، وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل فى مسنده ، وقد سكت عنه الحافظ فى التلخيص ، وقال الهيثمى اسناد احمد والبزار حسن ، وعن النعمان بن أبى فاطمة رضى الله عنه أنه اشترى كبشا أعين أقرن ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم رآه فقال ، « كأن هذا الكبش الذى ذبح ابراهيم » فعمد رجل من الانصار فاشترى للنبى صلى الله عليه وسلم من هذه الصفة فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم فضحى به ، وروى ابن ماجه من طريق يونس بن ميسرة بن حلبس ، قال خرجت مع أبى سعيد الزرقى صاحب رسول اله صلى الله عليه وسلم الى شراء الضحايا ، قال يونس فأشار ابو سعيد الى كبش أدغم ليس بالمرتفع ولا المتضع فى جسمه فقال لى اشتر لى هذا ، كأنه شبهه بكبش رسول الله صلى الله عليه وسلم اسناده صحيح ، وقوله أدغم هو الذى يكون فيه أدنى سواد خصوصا فى أذنيه وتحت حنكه قاله الحافظ السيوطى .

وفى حديث الباب أحكام ، منها أن المسلم الفقير الذى لا يمكنه التضحية لا يحرم من ثواب الضحية لان النبى صلى الله عليه وسلم ضحى عنه ، وانه يجوز للرجل ان يضحى عن نفسه وعن أهل بيته ، وأن يشركهم معه فى الثواب ، ويستحب للامام أن ينحر أو يذبح بالمصلى ، وهو سنة للامام خاصة عند مالك .

قال مالك فيما رواه ابن وهب ، انما يفعل ذلك لئلا يذبح أحد قبله ، زاد المهلب وليذبحوا بعده على يقين ، وليتعلموا منه صفة الذبح ، قال النووى فى شرح المهذب ، الافضل يعنى لغير الامام أن يضحى فى داره بمشهد أهله ، وذكر الماوردى أنه يختار للامام أن يضحى للمسلمين كافة من بيت المال ببدنة فى المصلى ، فان لم يتيسر فشاة ، وانه ينحرها بنفسه ، وان ضحى من ماله ضحى حيث شاء ، وثبت فى حديث الباب عن نافع أن ابن عمر كان يذبح أضحيته بالمصلى يوم النحر ، وأن يذبح المضحى أضحيته بنفسه ولا يوكل فى ذبحها الا لعذر ، وثبت فى صحيح البخارى أن أبا موسى أمر بناته أن يضحين بأيديهن ، ويستحب اضجاع الغنم فى الذبح وانها لا تذبح قائمة ولا باركة لانه أرفق بها ، ولهذا جاءت الاحاديث وأجمع عليه المسلمون ، ويجوز للرجل أن يستعين فى ذبح أضحيته بالغير حيث ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان برجل فى ذبح أضحية ، ولا يذكر عند الذبح الا الله وحده ، وهذه بعض أحكام الضحايا سقناها للعبرة والتذكرة .

وفى ختام هذا المقال ، نتوجه الى الله جلت قدرته ، أن يجعلها أعيادا باسمة سعيدة على الامة العربية والاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها ، وأن يعيدها عليها بالامن والامان ، وهى رافلة فى حلل السعادة ، متظللة بظلال الحرية والاطمئنان ، ترفرف عليها راية النصر ، تحت سلطان القدر ، بفضل ايمانها ونفوس أبنائها ، وسواعدهم القوية التى ترفع كل يوم فى ميدان البطولة علم الحرية ، فتغرس فى ميدان الشرف مجد الآباء الغر الميامين وبطولة أحفادهم الفاتحين ، الذين كتبوا بدمائهم وثيقة الشرف فى سجل الخالدين .

حكمة النحر و شرعة النسك بالحيوان

الدكتور علي صافي حسين

لقد قضت مشيئة الله سبحانه ، فى جميع تشريعاته ، وجرت سنته فى كل فرائضه وأحكامه ، التى أوحى بها الى رسله وانبيائه ، ان يكون لكل تشريع من تلك التشريعات غاية سامية ، تطمئن لها قلوب ذوى البصائر والنهى .. ولكل حكم من هاتيك الاحكام حكمة بالغة تبهر ذوى الضمائر الحية وأرباب العقول المستنيرة .

ولا عجب ، فان القوانين الوضعية ، والتشاريع الاجتماعية ، التى يضعها افراد او جماعات من بنى الانسان ، لايتم اصدارها، ولا تصبح سارية المفعول ، أو واجبة التطبيق الا اذا صحبتها فى كل اجراءات اصدارها مذكرات تتضمن الظروف والملابسات والعوامل والمؤثرات التى اقتضت وجودها وعملت على اخراجها الى حيز الوجود ، وان تكشف تلك المذكرات الايضاحية عن الغاية منها ، أو المصلحة التى اقتضت اصدارها .

والقصد من هذا كله أن أقول ان كل حكم شرعى جاء به القرآن او تضمنه الانجيل او التوراة او الزبور أو غير ذلك من الصحف السماوية لابد أن يكون له حكمة بالغة ، غير ان هذه الحكمة قد تكون ظاهرة واضحة يدركها العقلاء ويفهمها العالمون، وذلك اذا ماكانت تلك الحكمة منوطة بالحياة الواقعية اجتماعية كانت ام فردية ، وقد تكون غامضة خفية لايعلمها الا الله ومن اصطفى من الانبياء والمرسلين ، وقليل من العلماء العاملين الذين عناهم القرآن فى قوله سبحانه « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم » وذلك اذا ماكانت تلك الحكمة تتعلق بالحياة الاخروية ، وما قد يؤول اليه أمر الانسان وقت الحشر والنشر ، أو يوم يبعثون ..

والغرض من هذا التقديم ان أقول ، ان مشروعية الاحتفال بيوم النحر وسنية الاضحية تنطويان دون شك على حكمة بالغة ومغزى عظيم .

وقد رايت ان من الخير أن اعرض بشىء من التفصيل الى الاطوار التى مرت بها سنة الاضحية ، قبل الكشف عن طبيعة الحكمة ، ونوع المغزى لتلك السنة أو ذلك التشريع فاقول :

كانت الاضحية فى طورها الاول تعرف باسم القربان وكان اول من اصطنعها نفر من ولد آدم لصلبه ، كما حكى ذلك القرآن ، حيث جاء فى صورة المائدة ، قوله تعالى « واتل عليهم نبا ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر »

وقد أطلق المفسرون على الذى تقبل منه القربان اسم هابيل ، كما دعوا الذى لم يقبل الله منه قربانه باسم قابيل ، وقد ذكر ابن‌كثير وغيره من المفسرين أن هابيل كان صاحب ضرع ، وقابيل كان صاحب زرع ، وان هابيل قد تقرب الى الله بكبش اعين اقرن ابيض . واما قابيل فقد جاء بحزمة سنبل ، وقد وقف الاثنان ينتظران امر السماء ، فنزلت النار على قربان هابيل فاكلته ، ولم تمسس قربان قابيل وكان أكل النار للقربان فى ذلك الزمان يعتبر عنوان الرضا وبرهان القبول

وقصة ابنى آدم هذه دليل قاطع وبرهان ساطع على أن النسك أو القربان قد شرع أول ما شرع فى المال والنشب لا فى النفس والولد ..

ثم اخذ القربان على مر الايام وتعاقب الاعوام ، صورة اخرى تنطوى على كثير من العنف والشدة وقلة العطف وكثرة القسوة – من جهة – وعلى كثير من البذل وعظم التضحية – من جهة اخرى ، اذ أصبح القربان بعض بنى الانسان .. بل أقول انه – أعنى القربان – كان يختار من أعز الابناء وآثرهم لدى الآباء وخير شاهد ، واصدق دليل على هذا الذى قلناه ماحكاه القرآن عن ابراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما السلام ، اذ قال تعالى وهو أصدق القائلين فى معرض قصصه عن خليله ابراهيم فى

سورة الصافات « فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى ارى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم »

وليس لدى فى كل ما رجعت اليه من الكتب والمصنفات ، دينية أو تاريخية ما يثبت أو ينفى أن اتخاذ القربان من الابناء كان بوحى من السماء ..

وأغلب الظن - أن التقرب بالابناء أو غيرهم من بنى البشر الى الله الواحد الاحد ، أو غيره من الكائنات التى أخذت عند بعض الامم فى مختلف العصور صفة التقديس ، قد نشا عن غلو بعض المذنبين فى التكفير عما اقترفته أيديهم من آثام اذ ان المذنب اذا ما استشعر عظم ذنبه بالغ فى أعمال البر ، وزاد فى فعل الخير ، رغبة فى الظفر من الله بالعفو والغفران وقد يكون ناجما عن شدة الحاجة او فرط الرغبة وعظم الشغف بامر يرجوه او يتمناه شخص ما ، كان ينذر ذلك الانسان بان يقدم أحد أبنائه قربانا الى الله ، اذا ما وهبه البنين - مثلا - كالذى حدث لعبد المطلب جد النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

اما ماذكرناه آنفا من الآيات القرآنية التى تشعر بان التقرب بالانسان كان مامورا به فى شرع ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فانه يمكن التاول فى ذلك بان يقال : ان سنة القربان بالانسان كانت تقليدا اجتماعيا قبل أن يبعث ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولما لم يكن قد نزل عليه وحى يحرم ذلك الفعل أو ينهى عنه قبل أن يرى فى المنام انه يذبح ولده ، فقد فهم تلك الرؤية على أنها أمر له من الله بذبح ابنه .. والدليل على أن التقرب بالابناء لم يكن قد نزل به وحى من قبل على ابراهيم عليه السلام كونه لم يتم تنفيذ امر الرؤية من جهة - وكون الله سبحانه وتعالى قد فدى ابن ابراهيم بذبح عظيم - من جهة أخرى - اذ لو كان التقرب بالابناء مامورا به فى شرع ابراهيم لما حدث الفداء ..

وأيا ما كان ، فان سنة التقرب بالابناء ، قد ظلت تقليدا دينيا فى شتى الاقطار وعند مختلف الامم حتى جاء النبى محمد صلى الله عليه وسلم بشرعه القويم ودينه الحق المبين ، ليخرج به الناس من ظلمات الجهل والفساد الي نور الهداية والرشاد ... ولا غرو فقد حارب الاسلام الرذيلة وناصر الفضيلة ودعى بنى الانسان الى القيم الروحية والمثل الخلقية .. وقد تجلى ذلك فيما جاء به القرآن من تعاليم ومبادىء وتشريعات تكفل لبنى الانسان - اذا هى طبقت وعمل بمقتضاها - الامن والطمانينة ورغد العيش والهناءة فى العاجلة وفى الآجلة السعادة الابدية والنعيم المقيم ..

والذى يعنينا هنا - من تلك السنن العظيمة والتشريعات القويمة التي جاء بها الاسلام - وهو شرعة النسك يوم النحر بالحيوان بدلا من الانسان ، فقد نزل على النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فى سورة الكوثر (فصل لربك وانحر) وقد فهم بعض الفقهاء هذه الآية على معنى الامر ، حيث قرروا ان النسك بالاضحية يوم النحر واجب على كل رب اسرة مستطيع وفهمها البعض الآخر على وجه الندب وعليه فتكون الاضحية عند أصحاب هذا الرأى الاخير سنة مؤكدة ..

ومهما يكن من شان الامر والندب أو السنة والوجوب ، فان الذى لاشك فيه هو أن النسك بالاضحية يوم النحر امر دعى اليه القرآن وعمل به النبى عليه الصلاة والسلام .

وبعد هذا العرض الموجز - فى غير افراط ولا تفريط - للسور التى الفينا عليها سنة الاضحية بالحيوان أو الاطوار التى مر بها القرآن منذ عهد ولدى آدم حتى بعث النبى محمد عليه الصلاة والسلام - ننتقل بعد ذلك - الى تبيان الحكمة البالغة أو المغزى العظيم لشرعة النسك بالاضحية يوم النحر فنقول :

ان أول ما يتبادر لاولى النهى وأرباب الالباب ، حالة التأمل الذهنى ، وقت الصفاء الفكرى ، من معانى حكمة النسك بالاضحية ، هو ذلك المثال الخلقى المنوط بالبذل والسخاء وقت اليسر والعسر على السواء .. أو التضحية بالمال والنشب اذا ما اقتضى ذلك أمر انسانى أو عمل اجتماعى - اعنى - ان الانسان اذا ماتعود النسك بالاضحية يوم النحر فانه يتعود - دون شك - نتيجة للاخذ بتلك السنة - بذل كل مرتخص وغال فى سبيل الله ، والدين ، والوطن ، وخير بنى الانسان بوجه عام .

وهناك معنى آخر يقع فى الروع أو يدور فى الخلد عندما يتدبر ذو اللب شرعة نحر الحيوان بدلا من الانسان - وأعنى بذلك المعنى - تلك الذكرى ذات الاشعاعات العاطفية والاثارات الوجدانية التى تعيد الى الاذهان صورة ذلك الموقف العظيم الذى تجلى فيه صدق ايمان ابراهيم وفرط اخلاصه فى صدعه بأمر ربه من جهة وحسن طاعة الابن لابيه ، وحرصه على ارضائه من جهة أخرى .. وكلا الحالين - يعد فى رايى - غاية فى السمو الروحى ومثلا أعلا أجدر أن يحتذى فى السلوك الخلقى الاجتماعى والفردى على السواء ..

وبعد هذا كله يبقى لحكمة النحر - فى الجعبة - معانى أخرى روحية واجتماعية ، دينية ودنيوية بعضها يقع فى هذه الدار والبعض الآخر يتحقق فى دار القرار قد احجمت عن ايرادها فى هذا المقال ، خشية الاسهاب والاملال .

الهدى من شعائر الاسلام

الاستاذ محمد حسن عبد العزيز

عرفت المجتمعات الانسانية منذ نشأة الانسان ومعرفته لربه ، شعيرة تقديم الأضاحى تقربا اليه رغبة فى مثوبته .

وينبئنا القرآن الكريم بالقربان الذى قدمه ولدى آدم عليه السلام فيقول تعالى :

« واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر »

ـ ٢٧ سورة المائدة

وعرفت كل امة ذات دين التقرب الى الله بذبح الحيوانات من بهيمة الأنعام . ويشير الى ذلك القرآن الكريم :

« ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام »

ـ ٣٤ سورة الحج » ـ

وعرف الاسلام هذه الشعيرة أيضا . كما يشير الى ذلك قوله تعالى :

« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير . فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها . فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون »

ـ ٣٦ سورة الحج ـ

وفضلا عن ذلك . فقد أتتاب الناس من ضلالات الجاهلية والطوطمية والمجوسية والوثنية والصابئة والمانوية وعبدة الكواكب والحيوانات . فقدموا القرابين باسم آلهتهم التى عبدوها من دون الله .

والهدى فى اللغة بسكون الدال وتخفيف الياء أو بكسر الدال وتشديد الياء . هو جمع هدية بالتخفيف . وهدية بالتشديد أو مأخوذ من اهدى أو من الهديه بمعنى العطية وهو ما يهدى الى الحرم من الانعام .. الابل . والبقر . والغنم . بقصد التقرب الى الله باراقة دمائها احياء لشعيرته وقياما بما انتظمته فريضة الحج من مناسك . كما فى قوله تعالى :

« وأتموا الحج والعمرة لله . فان أحصرتم فما استيسر من الهدى . ولاتحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله »

ـ ١٩٦ سورة البقرة ـ

وقد أجمع العلماء على أن الهدى لا يكون الا من الأنعام . ويشترط خلوه من الامراض والعيوب ويجوز لصاحبه ان ياكل منه . ولا يقوم مقامه التصدق بثمنه . أو الاطعام بما يساوى قيمته الا اذا عجز من يلزمه الهدى عن ثمنه او كان ثمنه زائدا عن ثمن المثل . وحينئذ يجوز صيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا عاد الحاج الى بلده .

ومكان الذبح منى او مكة . وزمانه ايام عيد النحر الاربعة .

فعند الحنفية ـ عند طلوع فجر يوم العيد ويستمر الى قبيل غروب شمس اليوم الثالث ، وزادوا ان يكون الذبح نهارا . فلا يصح الذبح ليلا فى اليوم الاول اما فى غيره ففى صحة الذبح

ليلا خلاف . والمشهور انه لا يجزىء واشترطوا أن يكون الذابح مسلما .

وعند المالكية ـ يبدأ وقتها فى اليوم الاول بعد تمام ذبح الامام ويبتدىء وقتها للامام بعد الفراغ من خطبة صلاة العيد . او مضى زمن قدر ذبح الامام اضحيته ان لم يذبح الامام . ويستمر وقتها لآخر اليوم الثالث ليوم العيدويفوت بغروبه ومن ذبح فى اليوم الثانى فلا يلزم ان يراعى مضى زمن قدر الصلاة . بل يذبح اذا ارتفعت الشمس. واذا ذبح قبل الفجر اجزاه . فاذا ذبح احد قبل الامام متعمدا لا تجزئة وعليه اعادة ذبح اضحية اخرى . اما اذا لم يتعمد . بأن تحرى أقرب امام لم تبرز أضحيته ، وظن انه ذبح فذبح بعده وتبين انه سبق الامام اجزاه ، فاذا تأخر الامام بعذر شرعى انتظره الى قرب الزوال ، بحيث يبقى على الزوال ما يسع الذبح ، ثم يذبح ولو لم يذبح الامام ـ وزادوا ان يكون الذبح نهاراً فى اليوم الاول والرابع . اما الذبح فى الليلتين المتوسطتين فمكروه تنزيها .

وعند الحنابلة ـ يبتدىء وقت الذبح بعد صلاة العيد . ويصح الذبح بعد الصلاة وقبل الخطبة ، والأفضل أن يكون بعد الخطبة . ومن كان فى جهة لا يصلى فيها العيد كالبادية وأهل الخيام ممن لا عيد عليهم ـ فبعد مضى زمن قدر صلاة العيد. فان فاتت صلاة العيد بالزوال . ضحى عند الزوال . وآخر وقت ذبح الأضحية اليوم الثانى من أيام التشريق . فأيام النحر عندهم ثلاثة . يوم العيد . ويومان بعده ، ويجوز فى ليل يومى التشريق التاليين ليوم العيد . وانما الافضل أن يذبح فى النهار .

وعند الشافعية ـ بعد مضى قدر ركعتين وخطبتين بعد طلوع الشمس ليوم العيد وان لم ترتفع الشمس قدر رمح والافضل تأخيره الى مضى ذلك من أرتفاعها ويستمر الى آخر أيام التشريق الثلاثة . ويصح الذبح ليلا او نهارا بعد دخول وقتها . الا انه يكره فى الليل الا لحاجة .

كالاشتغال نهارا بما يمنع من التضحية أو لتحقيق مصلحة كسهولة حضور الفقراء ليلا .

وبصفة عامة يجوز الاشتراك فى الاضحية اذا كانت من الابل أو البقر . ويصح اشتراك سبعة فى بقرة او ناقة بحيث لا يقل نصيب كل منهم عن سبع . ولا يجوز لاكثر من سبعة ويجوز لأقل .

وعلى مذهب الامامين مالك والشافعى رضوان الله عليهما . اذا أتى الحاج بالافراد فلا هدى عليه ، الا اذا شاب حجه محظورة فيلزمه . وحينئذ لا يجوز له ان ياكل منه او أن يهدى لاصدقائه وهو مخصص كله للفقراء .

والهدى منه ما هو واجب . وهو الذى يلزم المتمتع . ومنه ما هو متطوع به رغبة فى ثواب هذه الشعيرة .

والحكمة فى مشروعيته . اظهار الحجاج شكر الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام كما فى قوله تعالى :

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام »
ـ ٣٨ سورة الحج ـ

ومنها المساهمة فى حل مشكلة الفقراء فى الاراضى المقدسة . مما يشجع على البقاء فيهما والقيام بعمارة بيت الله الحرام . وفى ذلك يقول الله تعالى على لسان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام :

« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم

ـ ٣٧ سورة ابراهيم ـ

وفى هذه المناسبة من العام الماضى . نبهت فى مقالى بمجلة منبر الاسلام الفراء عن الاخطاء الشائعة عند ذبح الهدى والقائه فى الطرقات دون توزيع فتتعفن ويترتب على ذلك تلوث الجو وتعرض الصحة العامة لاخطار هائلة خصوصا فى شدة الحر . بالرغم مما يقوم به رجال الصحة

من وسائل التطهير ، وقلت ان ذلك لا يرفع عن صاحبة أثم المحظور الذى يكون وقع فيه . وانه يجب اتخاذ الاجراءات الكفيلة لحفظ لحومها حتى يتسنى أطعام الفقراء منها على مدار العام .

ولعل السبب فى ذلك يرجع الى تضخم عدد الذبائح نتيجة تضخم عدد الحجاج وزيادتها على استهلاك الفقراء فى تلك الايام . كذلك لعدم مراعاة كثير من الحجاج التأكد من سلامة هديهم من عيوب العجف والمرض . فلا تقبل نفوس بعض الفقراء الانتفاع بها فتهمل .

ومن هنا تعطلت الحكمة من الهدى . وقد نادى كثير من العلماء ورجال الاصلاح بضرورة معالجة هذه المشكلة ووضع النظام الدقيق الذى يحقق الغرض من تقديم الهدى .

ولذلك ـ فانه ينبغى أن يبدأ على الفور فى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحفظ لحوم الهدى ليتسنى توزيعها على الفقراء والمحتاجين فيأكلوا منها على مدار العام

وضرورة التنبيه أيضا الى ان يكون الذبح فى مكان مخصوص « السلخانة » فتتم داخلهعمليات الذبح والسلخ يأخذ صاحب الهدى من ذبيحته ما يريد أكله ويوزع منه على الفقراء ما يمكن توزيعه ويبقى الباقى لحفظه فى أماكن الحفظ « الثلاجات » ليوزع على الفقراء بعد ذلك بواسطة المسئولين فى الحكومة الحجازية كذا بيع جلودها وتوزيع ثمنها ايضا على الفقراء .

وفى اجتماع المسلمين فى أشرف بيت وضع للناس لأداء فريضة من اشرف الفرائض وقد اختلفت الوانهم وتعددت لغاتهم وتوحدت عقيدتهم مما يجمع كلمتهم ويذكرهم بفداحة الواقع الذى تعيشه الامة الاسلامية اليوم .

وقد انتهكت حرمة بيت الله المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله صلى الله عليهوسلم ومعراجه ومثوىالشهداء من صحابته .

ان ما وقع من عدوان يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الاقصى واعتداء على قداسته . وان الحرم الابراهيمى فى الخليل مسجد اسلامى مقدس وكل اعتداء على اى جزء منه يعتبر انتهاكا لحرمته وقدسيته .

وان اسباب وجوب القتال والجهاد التى حددها القرآن الكريم قد أصبحت كلها متوافرة فى العدوان الاسرائيلى . بما كان من اعتداء على ارض الوطن العربى الاسلامى وانتهاك لحرمات الدين فى أقدس شعائرها وأماكنها . وبما كان من أخراج المسلمين والعرب من ديارهم . وبما كان من قسوة ووحشية فى تقتيل المستضعفين من الشيوخ والنساء والاطفال .

ولما ثبت من أن الصهيونية تعادى كل دين غير يهودى .

ولهذا كله فان الجهاد بالاموال والانفس قد صار فرضا عينيا فى عنق كل مسلم يقوم بهعلى قدر وسعه وطاقته مهما بعدت الديار .

ولا علينا نحن المسلمين الا أن ننتظر المعركة فى اقرب وقت ، وقد بدا الحل السلمى اقرب الى الاستحالة . وان نعبىء كل الطاقات العربية والاسلامية الشعبية والحكومية وحشدها وتنظيمها لاستخدامها فى معركة التحرير سياسيا واقتصاديا وتدعيم المنظمات الفدائية الفلسطينية ومساعدتها وامدادها بالمال والسلاح والمتطوعين لممارسة حقهم فى النضال المسلح .

وأخيرا ونحن نخوض حربا مقدسة فى سبيل الله يجب علينا أن نعمل بقول الله سبحانه وتعالى: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم »

ولتكن أرواح الشهداء هديا تقدمه الى الله سبحانه وتعالى .

والله الهادى الى الصراط المستقيم .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « بنى الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج لمن استطاع اليه سبيلا »

والرسول الاعظم يبين لنا فى هذا الحديث الشريف أن الاسلام مقام ومشيد على خمسة اعمدة ، تعتبر هى الاساس المتكامل لبناء صرح الاسلام الشامخ ، فهى الدعائم القوية والاسس المتينة لاقامة هذا البناء الخالد العظيم .

ومن بين هذه الاعمدة الخمس اداء فريضة الحج من كل قادر مستطيع قال تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين »

والحج رحلة فيها مشقة محببة الى القلب ، مستعذبة الى النفس ، وفيها متعة لذوى القلوب الطاهرة النقية المؤمنة ، الذين يستعذبون المشقات حبا فى الله ، وحبا فى رسول الله ، ولا عجب فى هذا ولا غرابة فهى رحلة العمر ، فرضها الله مرة واحدة فى عمر الانسان كله ، ورغم ما فى الحج من تضحيات بالمال والجهد ، ومفارقة للاهل والخلان ، فاننا نجد القلوب متلهفة متشوقة لاداء تلك الفريضة ، وكيف لا .

والحاج يعود من هذه الرحلة المباركة وقد غفرت ذنوبه ، وكفرت سيئاته وعاد كيوم ولدته أمه ، كما أخبرنا بذلك الصادق الامين (صلى الله عليه وسلم) فى قوله : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »

والحج الذى يكفر الذنوب ، ويمحو السيئات ، ويزيل الخطايا . هو الحج المبرور الذى يعتبر من افضل الاعمال وأعظمها كما بين لنا ذلك المصطفى (صلى الله عليه وسلم) حين سئل :

« أى العمل أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » . وربما يتبادر الى ذهن القارىء العزيز استفهام عن دلائل الحج المبرور ، فأجيبه بان دلائل الحج المبرور : ان يرجع صاحبه زاهدا فى الدنيا ، راغبا فى الاخرة ، ملتزما للطاعة ، مبتعدا عن المعصية ، متعففا عن الفحش من العمل أو القول ، يعامل الناس معاملة حسنة ، ويحب لغيره ما يحب لنفسه ، ولا يضمر شرا لاحد ، ويترك أساليب الخداع والنفاق ،

وعموما ، يتحلى بمكارم الاخلاق . فمن تحققت فيه هذه الخصال عاد من حجه وكانه ولد من جديد ، ليبدأ صفحة جديدة مشرقة بصالح الاعمال ، مضيئة بجميل الخلال ، حتى يكون من الفائزين الذين سيدخلون الجنة متعلقين بأستار الكعبة كماقال صاحب الشفاعة العظمى (صلى الله عليه وسلم) فى الحديث الشريف : « ان الله تبارك وتعالى وعد البيت بان يحجه فى كل سنة ستمائة الف حاج فان نقصوا كملهم بالملائكة ، وان الكعبة تحشر يوم القيامة كالعروس ليلة زفافها ، وكل من حجها يتعلق باستارها ، ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها »

وهناك فى أماكن الحج المقدسة حيث يتوافد المسلمون من مشارق الارض ومغاربها ، من كل فج عميق ، متلهفين الى تلك الاماكن الطاهرة التى سطعت عليها الانوار المحمدية ، وأشرقت عليها الرسالة الاسلامية ، هناك تتحقق أروع المبادىء الانسانية من مساواة وترابط وتآلف ، فيلتقى المسلمون بجمعهم الالفة والمحبة على قدم المساواة ، وقد اتجهوا بقلوبهم الى خالقهم وبارئهم ، لسانهم واحد ، ودينهم واحد ، ونبيهم واحد وربهم واحد ، وكتابهم واحد ، لا يسخر غنيهم من فقيرهم ، ولا يستبد قويهم بضعيفهم ، بل ترى اعلام الانسانية خفاقة عليهم ، وروح المودة سارية بينهم ، ونور الديمقراطية يشع من نفوسهم ، كلهم سواسية كأسنان المشط ، ليس لعربى فضل على اعجمى ، ولا لابيض فضل على أسود الا بالتقوى ، يدعون ربهم رغبا فى رحمته ، ورهبا من نقمته ، وهم له خاشعون ، ينادون ربهم بنداء واحد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك .

هنـــاك حيث تمتلىء بطاح مكة ، وتزدحم المناكب حول الكعبة ، ولا يبقى مكان لقـدم فى عرفات ، وقد زحفت القوى البشرية المسلمة تلبيـــة لأذان الخليل ابراهيم ، الذى أمره خـــالق الخلـــق ، ومالك الملك ، بان يؤذن فى الناس بالحج ، ويدعوهم لزيارة أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين بقـــوله عز من قائل : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهـــم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفـــوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » ولقد ملأت الدهشة نفس الخليل ابرهيم . وقال : يارب : كيف أؤذن فى النـــاس بالحج ؟ وماذا عسى أن يبلغ صوتى فى هذه الآفاق ؟ فيجيبه المولى القدير : يا ابراهيم . عليك الأذان وعلينا البلاغ عليك أن تؤذن وعلى أن أبلغ صـــوتك لمن اريد .

هناك فى مواقف الحج الرائعة يتجلى الحق تبارك وتعالى على عباده القاصدين بابه ، يرجون رحمته ، ويخشون عذابه ويباهى ملائكتـــــه الابرار ، ويقول : يا ملائكتى ما طلب هؤلاء ؟ فتجيبـــــه الملائكة : يا ربنا . أنت أعلم بهم منا . انهم يطلبون منك العفو والمغفرة ، فيقول أحكم الحاكمين جل شانه : اشـــهدكم ياملائكتى انى قد عفوت عنهم ، وغفرت لهم وأنا الغفور الرحيم

يروى أن رجلا من الصالحين يسمى « محمد بن المنكدر » رضى الله عنه حج الى بيت الله ثلاثا وثلاثين حجة ، فلما كان آخر حجة حجها قال وهو بعرفات : الهى أنت تعلم انى قد وقفت فى موقفى هذا ثلاثا وثلاثين مرة ، فواحدة عن فرضى ، والثانية عن أبى ، والثالثة عن أمى ، وأشهدك يارب انى قد وهبت الثلاثين الباقية لمن وقف فى موقفى هذا من أمة محمد (صلى الله عليـــه وسلم) ولم تتقبل منه . فلما نزل من عرفات وتوجه الى المزدلفة أخذته سنة من النوم فسمع هاتفا فى منامه يناديه : يا ابن المنكدر . أتتكرم على من خلق الكرم ؟ أتجود على من خلق الجود ؟ ان رب العزة جل شانه يقول : « وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام » « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

فهنيئا لمن لبى نداء الخليل ابراهيم ، واستجاب لدعوة العلى العظيم ، وامتثل لأمر رسولنا الــــكريم ، فحظى بتلك النفحات المباركات ، وعاش فى رحاب هذه التجليات الطيبات ، ورضى عنه رب الارض والسموات أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

اذا آتاكم كريم قومه فاكرموه

روى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله عليه السلام رداءه فألقاه اليه ، وقال له : « اجلس على هذا » فأخذه جرير ووضعه على وجهه ، وجعل يقبله ويبكى ، ثم لفه وأعاده الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك . اكرمك الله كما اكرمتنى فنظر النبى (صلى الله عليه وسلم) يمينا وشمالا ثم قال : « اذا أتاكم كريم قومه فأكرموه »

المؤتمر الإسلامي العام يوم الحج الأكبر بعرفات

فضيلة الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب

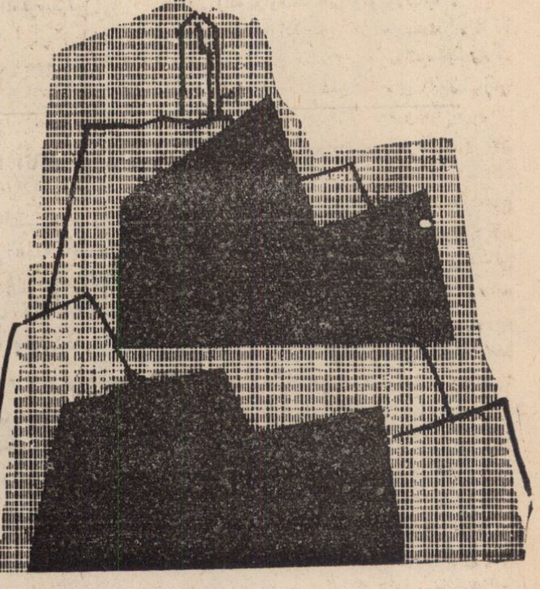

المؤتمرات اليوم اصبحت سمة الشعب التقدمي ، وشعار الأمم الحضارية ، لأنها تطبيق للديمقراطية السليمة وتمثيل للمساواة الهادفة ، وكشف عن الاغراض النبيلة التى تنهض بالمجتمع ودعم للاراء السليمة التى ترتفع بسمعة الأمة ، والمؤتمرات حركة نظامية ايجابية ، لدعم الراى الثاقب والفكر الناضج والعقل الراجح واختيار ارجحها تقدما وخيرها انتاجا واقواها فعالية ولذلك عنيت الأمم الكبرى بتنظيم المؤتمرات ، اذا ما ارادت سن قانون أو نشر مبدأ أو تعديل رأى أو النهوض بالشعب ، ليكون ذلك أسرع ايجابية ، وأعدل فى القضية ، وأنصف للراى ، وقد سبق الاسلام العالم فى تنظيم هذه المؤتمرات بصفة دورية قاطعة وجعلها جزءا متمما لشعائر دينه وقيام تعاليمه ، فى حدود أخلاقية عالية ، وفى اطار نظامى بديع ، تسيطر على تنظيم الفكر والراى وتدبير شأن المجتمع ، كوسيلة من وسائل العمل الايجابى ، والتنظيم الاجتماعى والعدالة السياسية ، لان الاسلام دين عصرى حضارى ، يعتمد على المؤتمرات العامة والخاصة فى شرح مبادئه وفهم أسراره وتطبيق شئونه والاسلام دين تقدمى بمعنى كلمة التقدمية لأنه كشف عن حقيقة الانسان ورفع قدره ، وأعطاه حقه فى صورة رائعة قوية ، حتى لاتكون هناك طبقية ولا عنصرية ، ولا ميزة للاون الابيض على الاسود ، ولا لأمة على أمة الا بما قدموا للانسانية من صالح الاعمال ، وقد أعلن ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قائد المسلمين فى مؤتمر عام على ملأ من الناس ، حيث قال صلى الله عليه وسلم « أيها الناس ، ان ربكم لواحد ، وان نبيكم لواحد وان دينكم لواحد وان كتابكم لواحد وان آباكم لواحد ، كلكم من آدم وآدم من تراب لا فرق بين أبيض وأسود ولا بين

عربى وعجمى الا بتقوى الله وصالح العمل » وتلا قوله تعالى « يا ايها الناس اناخلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » والاسلام دين اجتماعى بطبعه ، مدنى بعمله ، سياسى بعدله ولا غرو اذاقلنا انه دين المؤتمرات المكشوفة ودين التجمع العلنى ، لذلك نجدتعاليمه مبنية على الجماعة « جماعة ذات قيادة » ، وشعائره الكبرى مركزة فى اطار المؤتمرات ذات الصبغة السياسية المنظمة ، فالصلاة اليومية التى يؤديها المسلم خمس مرات فى اليوم والليلة يجب ان يؤديها بعضهم فى جماعة ، فى حيهم على هيئة مؤتمر صغير ، ليقفوا على شئون حيهم لدراسة مشاكله ووضع الحلول الذاتية لمعالجته ، وقد جعل الاسلام لذلك حافزا على ذلك التجمع اليومى كقول رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ، « صلاة الجماعة تزيد علي صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة » وكذا صلاة يوم الجمعة الاسبوعى فى المسجد الجامع لجميع اهل المدينة اوالقرية فى صورة مؤتمر عام لاهل المدينة وفى صورة تنظيمية بديعة حيث يستعد الناس فى ثياب نظيفة وفى رداء جميل وفى سمت حسن تنبعث منهم نفحات طيبة من الروائح الزكية ، وقد جلسوا فى صفوف مرتبة منظمة متجهين الى قبلة واحدة ينتظرون خطبة المؤتمر التى اعدت للبحث والمناقشة علنا ، وتصل الى كل الاسماع ويدكرون امورهم ويحلون اقضيتهم على ملأ منهم ، صعد امير المؤمنين عمر بن الخطاب المنبر يوم الجمعة وخطب فى مؤتمر الجمعة مطالبا بتقليل المهور ، لان مهر فاطمة بنت محمد سيد العالمين كانت دراهم معدودات فقامت اليه امراة من صفوف النساء بصوت جهير ، سمعه كل من فى المسجد ، مه يا عمر ، مه يا عمر ، انت تقول درهما والله يقول قنطارا يقول تعالى فى كتابه الكريم « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا » فقال عمر ، اصابت المراة واخطا عمر ، وبهذا حقق عمر فعالية مؤتمر الجمعة ، ذلك المؤتمر الحتمى الذى يعقد كل اسبوع فى كل حى لقول الله تبارك وتعالى « يايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » وان ننسى فلا ننسى يوم عيد الفطر وعيد الأضحى حيث يخرج جميع اهل القرى والمدن الى الخلاء او الصحراء او مكان فسيح كالمسجد الكبير ، ليسع كل اهل القرية ، فيعقد مؤتمر على مستوى المدينة او القرية ويمهد له بالتكبير ثم الصلاة ثم القاء خطبة المؤتمر ، التى أعدت اعدادا خاصالتوثيق الاخوة الاسلامية والدعوة الى المحبة واشاعة التسامح والمعروف بين الناس ، وتبادل التهانى وصلة الرحم ، والعطف على الفقراء ومساعدة المحاويج والاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله ، وشكر الله على نعمه وعظيم احسانه على عباده ، وغيرذلك من الامور التى توثق الترابط بين المسلمين وجمعهم على كلمة الهدى والتقى ، وان يكونوا على سواء ، وبعد ذلك ينفض المؤتمر ليقوم اعضاؤه بالتزاور وتبادل التحيات ، وبذلك تظهر فرحة العيد ، وتتم الصالحات ، اما المؤتمر الاكبر ، المؤتمر العالمى الذى يعقده المسلمون كل عام فوق ارض عرفه بمكة المكرمة دار الاسلام والسلام ، منذ جعلها مثابة للناس وامنا ، مؤتمر عام بمكة يجمع الشعوب الاسلامية على اختلاف الوانهم ولغاتهم ، ياتون من كل قطر ليؤدوا شعيرة الحج والعمرة ، يقصدون البيت الحرام ، ويطوفون بالكعبة المعظمة ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويقفون بعرفات وقد خلعوا جميع شعاراتهم الخاصة ولبسوا شعارا واحدا « قطعة قماش بدون خيط تغطى اسفل الجسم ، وقطعة اخرى تغطى الجسم من اعلى وتوضع فوق الكتفين » والراس مكشوف والذراعان عاريان ، حفاة الاقدام ، فى مساواة تامة ينادون الها واحدا ، وربا واحدا « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » وفى هذا الموقف الرهيب الخاشع ، التى توجهت القلوب فيه نحو ربها ومالك امرها حيث يتجلى الله على عباده ، فى ذلك اليوم ، ويباهى بهم ملائكته ويقول ، يا ملائكتى انظروا الى عبادى ، قد تركوا اوطانهم وفارقوا عيالهم واموالهم واتونى من كل فج عميق شعثا غبرا ضاحين . اشهدكم يا ملائكتى انى قد غفرت لهم جميعا فيفيضون من عرفات وقد تطهروا من كل الذنوب والاوزار ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه » وموقف عرفة هذا « هو الحج الاكبر » وموقف عرفه هو « الحج » فمن لم يقف بعرفة فلا حج له ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم«الحج عرفة» لانهذا المؤتمر العام هو المقصود من الحج والسر الكبير فى هذا الاجتماع العظيم ، حيث تتبادل الاراء ، وتتبادل المنافع ، ويقف المسلمون على شئون الشعوب الاسلامية الاخرى ، ويستطيع الاقوياء مساعدة الضعفاء ، فاذا عرفنا شعبا مستضعفا ساعدناه واذا لمسنا فى شعب فقرا اغنيناه ، واذا وجدنا فى شعب جهلا علمناه ، واذا عرفنا شعبا قد استبد به جبار عتى ، او مستعمر غبى خلصناه من استبداد المستبدين ،وظلم الظالمين هذا هو سر المؤتمر الاسلامى العام ، الذى رتب له الاسلام الامر عن طريق الحج ببيت الله يقول تعالى فى كتابه الكريم « واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » .

ان فريضة الحج التى فرضها الله على كل مسلم موسر ، يستطيع السفر الى البيت الحرام بنفسه وماله ولديه الاستطاعة الكافية ليؤدى الفرض الاجتماعى الخطير والعمل السياسى العظيم الذى حتمه الله عليه لاحياء كلمة الاسلام وعزة العروبة، فى هذا المؤتمر الهائل ، فى هذا المؤتمر العظيم ، المليء برجال المسلمين واعيان الاسلام ، واصحاب الكلمة الفاصلة فيه ، هذا المؤتمر الذى يجب ان يستغله المسلمون فى توحيد كلمتهم وجمع رابطتهم وحل مشاكلهم ، وتكتل صفوفهم فى سائر شعوبهم ، لان الدين لم يشرع الا لخدمة الانسانية جمعاء والاخذ بيدها الى طريق الخير والفلاح ، فما احوجنا الى هذا المؤتمر العظيم ليجتمع اقطاب المسلمين لبحث شئون العالم الاسلامى اليوم وابراز احقاد الاستعمار على الاسلام ، فيعملوا على جمع الكلمة وتوحيد الصف والوقوف امام العدو الزاحف على بلاد المسلمين، نعم ما احوجنا الى هذا المؤتمر فى هذا الوقت العصيب ، حيث نفث اليهود سمومهم ، ورفعوا رءوسهم ودخلوا الاماكن المقدسة وهودوا مدينة القدس . ويريدون ان يهدموا بيت المقدس ليعيدوا هيكلهم القديم ، يجب انتكون رحلتنا لهذا المعنى السامى من حكمة الحج وسر الوقوف بعرفة ، ولانكتفى باقامة الشعائر من طواف وسعى وننصرف عن الهدف الاسمى من الحج وهو الدعوة الى توحيد الصف واذكاء روح الفداء وتنمية عناصر التضحية ، استعدادا لمعركة العدو ، الذى عزم على التوسع فى

البلاد العربية وطردها من ديارها ، واحتلال قراها ومدنها ، وهو الآن يزحف علي الاماكن المقدسة الاخرى

يا معشر المسلمين ، لا تجعلوا الحج طقوسا دينية ، وامرا باهتا بعيدا عن حكمته التى ارادها الله من موقف عرفة العظيم ، لا نريد أن يكون الحج شعارا للرهبنة ، بل نريده رحلة كشفية رحلة للجهاد فى سبيل الله ، رحلةلجندالله ليتعرف على جند الله فى المسلمين ، ليعملوا على تخليص العرب والمسلمين من براثن اليهودية الظالمة وغشم الصهاينة الملاعين ، نريد ان نجمع المال لشراء الاسلحة ونجمع المال للانفاق على الفدائيين ، نريد ان نجمع المال لتجنيد أصحاب الاقلام الاسلامية، لتخليص اهالى فلسطين من اغلال اليهود ورد أموال العرب من خزائن صهيون ، نريد ان يكون الشعار يوم عرفة لبيك اللهم لبيك ، لبيك اللهم للجهاد ، لبيك اللهم لتخليص القدس وعودة فلسطين ، لبيك اللهم لطرد صهيون من بلاد العرب والمسلمين، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، لك الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ـ هذا هو معنى الحج الاكبر ، ولا سر سوى ذلك والا كان جسما بلا روح وشجرة بلا ثمر .

ان الرسول فى حياته جعل من مؤتمرالحج طريقا للتغيير،طريقا للتقدم ، طريقا للنهوض بالانسانية واستغل موقف الحج لتوجيه المسلمين للطريق السليم والمنهاج الصحيح ، ففى السنةالثامنة فتحت مكة ودخل الناس فى دين الله افواجا فاراد الرسولصلى الله عليه وسلم ان ينظف الحج من خرافات الجاهلية وان يجعل من البيت الحرام مثابة للناس وامنا ، وان يتخذ منه طريقا للدعاية الاسلامية ، ومكانا لنشرتعاليم الدين الصحيح ، فلما فتحت مكة فى السنة الثامنة من الهجرة اطمان الرسول صلى الله عليه وسلم لنجاح الدعوة الاسلامية ، وامن الثورة المضادة من الداخل وفى السنة التاسعة من الهجرة تجمعت الروم لقتال المسلمين فى استعداد ضخم من الجند والعدة ، خرج الرسول لقتال الروم فتغلب عليهم وقهرهم ، وعاد الى المدينة منتصرا ، فاطمان الرسول صلى الله عليه وسلم ، لحسن اعداد جيشه وقوته الروحية العالية وبلوغ ذروة الفداء ، مع انه فقد فى هذه الغزوة بعض قواده ، كعبدالله بن رواحه ، وجعفر بن أبى طالب، فاراد النبى صلى الله عليه وسلم أنيحج فى هذا العام حيث امن العدو الداخلى والخارجى ، ولكنه رأى أن يحج المسلمون بعونه ، وان يرسل بدلا منه أميرا للحج ، ليقوم بتنظيم شئون الحج وازالة ما علق به من أوشاب الجاهلية وتنظيف الحج من الخرافات الاولى ، فاختار أبا بكر رضى الله عنه ليكون أميرا للحج « فلما قامت قافلة الحجاج بامارة ابى بكر رضى الله عنه، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يعلن الدستور الجديد للاسلام وانيقرأه عليهم فى موسم الحج ، وأن يرتب لهم أعمال الحج على النظام الاسلامى الذى أراده رب العالمين ، لان الحج كان عبادة قديمة ولكن المشركين شوهوا جماله فقدكانت النساء والرجال تطوف حول البيت عراة ، وكان المشركون يحضرون موسم الحج ويتوجه بعضهم الى الاصنام لندائها ،فكره الرسول أن يحج بهذه الصورة البعيدة عن روح الاسلام فعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على تطهير الحج ونظافته من

سخافات قريش وأوضار الجاهلية ، وفى رواية اخرى خرج على كرم الله وجهه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدرك أبا بكر فى الطريق ، فلما رآه ابو بكر قال له ، أأمير ام مأمور ؟ فقال بل مامور ، قال بماذا ؟ قال بوحى نزل على رسول الله وأمرهام ، يريد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبلغ للناس فى موسم الحج ، فلما جاءوا عرفة او منى ، قامعلى بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم « فقال » « ايها الناس انه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو الى مدته ـ ثم تلا عليهم الآيات منسورة براءة «التوبة» التى أولها : « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » ـ الى ان قرأ: « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحجالاكبر ،انالله برىء من المشركين ورسولهفان تبتم فهو خير لكموان توليتم فاعلموأانكم غير معجزى الله » ـ الى ان قرأ قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله »الى أن بلغ قول الله تعالى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا ان الله مع المتقين » وما انتهى على رضى الله عنه من هذا البلاغ المحمدى ، حتى وجم المشركون ونكست رءوسهم ، وبدا عليهم الخزى وظهر فيهم الحزن ، وتصاغروا وتضاءلوا لانهم أصبحوا امام قوة الاسلام القاهرة ، وعظمة الدين الظاهرة فلم يجدوا بدا من اعلان الاسلام والتسابق الى اعتناقه ، فتوافدوا الى المدينة ركبانا ومشاة ، وتزاحموا بالمناكب ومدوا أيديهم للايمان بالله ورسوله ، وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، وبذلك طهر الحج من الارجاس والادناس ، ومن الخرافات والعرى ، واصبح حجا خالصا للاسلام والمسلمين ، فالاسلام جعل منمواقف الحج بمكة والبيت الحرام ، وبمنى وبعرفات ، منابر يصدر منها صوت الحق وينبعث النور والهدى ، ولاتجد صوتا أعلى من صوت الاسلام فى موسم الحج والدعوة الى تقدمه وتنظيم أمره ، وحل مشاكل البشرية ، وكسر قيودها والارتفاع بكرامة الانسان وفضله الى القمة العليا ، فمن طريق تلك المؤتمرات التى تتردد بينجنبات المسلمين كل اسبوع ، وكل عام ، وعن طريق المؤتمر العام بمكة فوق أرض عرفة نستطيع أن نقود الاسلام الى الامام، وأن ننهض به حتى يعود الى سيرته الاولى قوة وعظمة وحضارة فائقة وحركةدائبة ، فوق سلم الرقى الانسانى العظيم ، وقوة واحدة ، وكتلة متماسكة ، لا نظير لها بين العالمين .

وفى السنة العاشرة من الهجرة خرج رسول الله صلىالله عليه وسلم بنفسه لحج بيت الله ومعه مائة الف من المسلمين أو يزيدون بعد أن وثق من تطهير مشاعر الحج من كل ما يخالف عقيدة الاسلام وأن شعيرة الحج أصبحت خالصة للمسلمين ، لا يشاركهم فيها أحد بصوت أو رأى ، وقصد بحجة البيتالحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا فطاف بالكعبة ثم سعى بين الصفا والمروة وفى ليلة اليوم الثامن من ذى الحجة نزل المزدلفة بمنى ، وفى ليلة التاسع من ذى الحجة نزل بعرفات ، عند الصخرات ، فلما كان وقت العصر ، أمر من ينادى بالحجاج بالانصات فان الرسول صلى الله عليهوسلم سيلقي كلمة بين المسلمين ، فانصت الناس واتخذ الرسول حوله مبلغين لخطبته، حتى يصل القول واضحا الى أسماع المسلمين ، فخطبالرسول صلى الله عيه وسلم فوق ناقته القصواء خطبة شاملة جامعة ، أكمل بها دستور دينه ، واتم بهارسالته ، ووضحت الاغراض

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمستقبل المسلمين العظيم وكانت تلك الخطبة « التى سماها المسلمون بعد « بخطبة الوداع » خطبة رائعة ووثيقة خطيرة وكلمة حددت اهداف الاسلام العليا وقطعت جهيزة كل كلام حول الاسلام ، وقد ورد فى صحيح الخبر ان الوحى نزل بعدها بقول الله تبارك وتعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ..

وساعرض على انظار المطلعين الكرام نموذجا من هذه الخطبة القيمة ، التى اصبحت اساسا كليا فى التشريع ، وبيانا واضحا لحكم المسلمين ، وسندا يرجع اليه فقهاء الدين ، وهاكم هذا النص المبارك :

١ ـ « ايها الناس ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا » ..

٢ ـ « من كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع « باطل » ولكن لكم رؤوس اموالكم لاتظلمون ، ولا تظلمون وانكم ستلقون ربكم فيسالكم عن أعمالكم الاهل بلغت اللهم فاشهد »

٣ ـ « ان لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا ، ان لا يوطئن فرشكم غيركم وان لا يدخلن بيوتكم من تكرهونه ، ولا ياتين بفاحشة ، فان فعلن فاعضلوهن واهجروهن ، وانهن عوان « معينات » عندكم لا يملكون من امرهن شيئا فاستوصوا بالنساء خيرا ، واتقوا الله فى الضعيفين ، النساء «والرقيق» الاهل بلغت اللهم فاشهد

٤ ـ « انما المؤمنون اخوة ، فلا ينبغى لمؤمن ان ياخذ مال اخيه الا عن طيب خاطر ونفس ، الا ترجعون بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، وان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث فلا وصية لوارث ولا وصية فى اكثر من الثلث ، والولد للفراش ومن ادعى الى غير ابيه او تولى غير موالية ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين الاهل بلغت اللهم فاشهد ..

٥ ـ « أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم من ادم وادم من تراب ، لا فرق بين عربى وعجمى الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، وان الشيطان قد يئس ان يعبد بارضكم هذا ابدا ، ولكن رضى ان يطاع فيماسوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم الاهل بلغت اللهم فاشهد ..

٦ ـ « ان النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان الاهل بلغت اللهم فاشهد ..

ايها الناس اسمعوا قولى هذا فانى لا أدرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابدا الا هل بلغت ، الا هل بلغت، فقال الناس نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد ..

٧ ـ « أيها الناس اسمعوا واعقلوا كلامى هذا فانى قد بلغت وقد تركت فيكم أمرين ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنة رسوله الاهل بلغت ، فقال الناس نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد ..

وكان الناس اذا سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاهل بلغت » يقولون نعم ، عقب كل فقرة من ذلك ، فيقول الرسول اللهم فاشهد » ..

بهذا الموقف الرائع ، وتلك الوثيقة البالغة ، عظم شان مؤتمر عرفة ، وارتفع شان موقف عرفات ، وهذاهو الهدف الاسمى من اقامة المؤتمرات فى الاسلام ، وهذا هو سر اجتماع كافة المسلمين يوم الحج الاكبر بعرفة ، لذلك يجب علينا معشر المسلمين ، ان ننتهز هذا الاجتماع الالهى هذا المؤتمر الشعبى الهائل ، وان نستغله فى هذا الاوان لتوكيد الرابطة الاسلامية وجمع الصفوف ، والاعداد لمعركتنا مع اليهود ، حتى نطهرهم من ضفاف نهر الأردن ومرتفعات جولان وصحراء سيناء وان نطردهم من القدس ، القبلة الاولى للمسلمين وملتقى الاسراء والمعراج ، ليلةدعوة الرسول الاعظم ، لشهود الملا الاعلى ، يجب أن يرتفع صوتنا بالجهاد العام يوم عرفة ، وان نعلنه بايمان وقوة ، وان نطلب الاستشهاد فى هذه الحرب المقدسة ، وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، واخرجوهم من حيث اخرجوكم ، فقد قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم فقاتلوهم ، حتى لا تضيع الحكمة ويذهب السر من هذا المؤتمر الاسلامى العظيم ، اقلبوا الجو عليهم سعيرا وجحيما ، ولا تستسلموا لهم أبدا ، ولا تجعلوهم يطمئنون لعيش أبدا فى بلاد العرب فانهم غرباء عن أوطاننا ، أعداء لديننا ، خصماء لكتابنا ، اذكروا بصوت عال ان الايمان هو حب الاوطان ، ومن لايحب وطنه فقد كره دينه ، ارفعوا أصواتكم بقول « لا اله الا الله والله أكبر والعزة للمسلمين » وارفعوا صوت الجهاد ، فان الجهاد ركن من أركان الاسلام ، ومن ترك الجهاد لعنه الله وغضب عليه ، واطلبوا من الله النصرة والعون يؤتكم النصر ، ويؤتكم كفلين من رحمته الرحيم، فلا تهنوا وتداعوا الى السلم ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ، وبالله النصر والتأييد والحمد لله رب العالمين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز

وعلت كلمة التوحيد

الأستاذ عبد الحكيم النجار

للاعياد ذكريات مقدسة اقترنت بشئون تتصل اتصالا مباشرا بالمجتمع الاسلامى ، وتحدد لجمهور المسلمين ٠ المظهر والكيفية والزمن والمكان، فعيد الفطر المبارك عقب انتهاء فريضة صوم رمضان ، وعيد الأضحى يحمل معانى التضحية والمكابدة والايثار والبذل ٠٠ عقب فريضة الحج ٠ لذلك تعتبر الأعياد أياما مباركة مشهودالها فى تاريخ الاسلام٠٠ وتتميز بالغبطة والسرور ٠ ودفء الايمان والاستقرار ٠٠ ولأنها من أيام الله تسرى فيها الفرحة عامة بين أبناء القبلة الواحدة في شتى بقاع الأرض ٠٠ بين جماهير المؤمنين ٠٠ تربطهم جميعا وحدة الامل والألم ٠ وفيها تحصيل لثمرة البذل والجهد فى طاعة الله ٠٠ وحراسة دينه وتثبيت دعائمه٠

وهنا يستعرض الانسان ما صدر منه وما نفذه من الأعمال والتضحيات ٠٠ ليسرى نورها فى نفوس البشر مسرى الكهرباء بعد الذى اصابهم طوال عام كامل ملئ بالمشاق والكفاح فى خضم الحياة ٠٠

وأبرز ما تتجلى فيه الفرحة فى الأعياد الاسلامية ، تجمع الحشود المؤمنة ، التى تغمرها نور الايمان ويجمعها الرباط الروحى ليشدها الى عالم السماء فتسعى الى ربها عند

مطلع الشمس فتذكره وتشكره وتحمده وتمجده ، منطلقة اليه ، متوجهة الى رحابه الواسع الشاسع ، منذ أن فتح الرسول العظيم مكة وتهاوت أمامه صروح الوثنية وانهارت الأصنام حطاما ، وبعد أن تم للمسلمين الفتح الأكبر .. وعلت كلمة التوحيد ملء الفضاء الى اليوم الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .. لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه .. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

من أجل ذلك يفتح المسلمون قلوبهم وعيونهم على سنا نور هذا النداء الاسلامى ، ليعطيهم زادا من العظمة والنضال .. وأسباب النصر .

يا رب ..

أين نحن اليوم من الأمس ، اننا نتطلع الى اليوم الذى نجد فيه سبعمائة مليون مسلم فى بقاع الأرض .. وقد اتحدوا وأقاموا لأنفسهم عيدا اسلاميا يدرسون فيه تاريخهم وعظمة دينهم ، وأسباب ضعفهم . وما أحوجنا الى ترديد كلمة الله التى تفتح العيون على النور .. وتعمر الصدور بعواطف الخير وأحاسيس البر ، وتعلم المؤمن كيف يعيش سيدا قائدا .. لا تابعا مقودا .. وكيف يرضى المنية دون الدنية ، ويؤثر الآخرة على الأولى .. وصدق ربنا اذ يقول **(يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .**

ونحن نستقبل عيدنا الأكبر ، تحضرنى ذكريات وذكريات .. وخواطر مع الساعين والراحفين للوقوف بعرفة .. يوم النور . يوم ينسى الانسان الحياة الدنيا ..

متجه بكل حواسه ومشاعره وقلبه الى رحاب الله الى الملأ الأعلى فيسرح فى عالمه الآخر .

العمل الفدائى

ان التجمع الاسلامى ، أصبح واضحا وجليا الآن ، وان المدد المعنوى والتعاطف الروحى ، أصبح حقيقة ساطعة لمعركتنا المقدسة .. أمام الخطر الصهيونى ، وأصبح واجبنا واضحا .. الى تحطيم معنويات الوجود الصهيونى فى فلسطين وفى الأرض العربية جميعها .. وتفتيت وسحق حلمهم فى التوسع اليهودى ، وسرقة الأراضى العربية .

ولا ينبغى أن يقع العمل الفدائى على شباب فلسطين وحدهم ، ولا على شباب العرب وحدهم ، ولكنه واجب جميع القادرين عليه فى العالم الاسلامى ..

أليست القدس مثل مكة والمدينة المحمدية ، ذات الحياة والروح ، فى حمى العقيدة الاسلامية ..

لقد تجمعت قلوب المسلمين وتحددت خطة سيرهم .. ووعينا الدرس .. واتجهنا الى الله ..

ونظرنا الى غد مشرق .. الى النصر حتى النهاية .

فى شعبنا طاقات

لقد وهب الله المنطقة التى نعيش فيها من الخير ما لم يهبه لسواها من بقاع الأرض ، فهى منطقة الارتكاز للكرة الأرضية ، وملتقى قارات العالم العامرة ، وتضم أرضها الكنوز المعدنية المختلفة ، وتنطوى بحارها وأنهارها على نعم عديدة وتتمتع سماؤها وأجواؤها بالصفاء والسكون ..

وفى شعبها طاقات روحية هائلة وامكانيات نفسية ضخمة ، ومن هنا اختارها الله لتكون مهد الديانات ، ومهبط الرسل ومنبع العلم والحضارة ، شعت منها الهداية المحمدية على سائر الأرض ، وظل العالم يقتبس منها ألوان الحضارة وأنواع المعرفة .

تربية وتقوية

وهنا نستعرض سؤالا ..

لم لا نهتدى بهدى الاسلام عندما نضل الطريق ؟

سؤال يطرحه كثير من أصدقائى وغير أصدقائى .. وهو سؤال جدير بالتأمل وخاصة اذا ما ألقينا

نظرة على أمم الأرض فى قارتها وجزرها .

فان العقل البشرى ليتألم ويبلغ به الأسى ، حينما يرى الانسانية يصطدم بعضها ببعض فى كل مناسبة وتكاد تتحطم السفينة بين الأعاصير والأمواج .. لولا لطف الله ..

ولقد كان على الحضارة والمدنية أن تقوم بحلول المشكلات البشرية بدلا من أن تعقدها . ومن عجب ان هذه الحضارة ، وهى نور – لها أحيانا نار تحرق الأخضر واليابس ..

وهذا هو ضلال الطريق .. طريق السلام الانسانى – الذى يحسه ويتألم منه كل عربى .. حين يسأل هذا السؤال ..

لم لا نهتدى بهدى الاسلام عندما نضل الطريق ؟

ولعل من الواضح جدا أن السؤال يحمل الجواب ، فليس الاسلام دينا طائفيا .. ولا دينا عصبيا ، وانما هو دين انسانى يأخذ بيد البشرية جميعها الى مبادىء السلام والتعاون والمحبة ويحطم استغلال الانسان لأخيه الانسان ..

ولعل ما نظمه الاسلام للمجتمع تربية وتقوية ، يبدو واضحا جليا فى الحج ، فقد فرض على المسليمن أن يلتقوا فى مؤتمر عام – فرض عليهم فى هذا الجو الصافى النقى أن يتفاهموا ويتدارسوا شئون الحياة .. وأن يعالجوا مشاكلهم ويحددوا خطة سيرهم الى معركتهم المقدسة لاجلاء اليهود عن أراضيهم ، وحماية بيت المقدس ..

ولو ان مؤتمرات الشعوب ، بل ومؤتمرات الأمم التى تعقد بكثرة فى هذه الأيام لا على مستوى ما تقوم به هيئة الأمم لا تصلت البشرية المتجردة الا من انسانيتها العامة بفطرتها المطلقة الى معانيها ومثلها الحرة .. على منهج مؤتمر الشعوب الاسلامية بنوره الفياض .. وبروحانيته الربانية ، على المدى الأعلى الأخلد فى ساحة الله الواحد الاحد بلا غرض خاص ، ونازعة تنزل بالمجتمع عن مثله العليا ، ولو انهم نهجوا منهج الاسلام فى حسن الدوافع ، وسليم الأهداف .. وبيض الأفكار والخواطر .. وطيب الوسائل ، لصح للسلام أن يعمر الأرض وأن يأخذ الركب الانسانى حظه من أمن الحياة واستقرارها .

والمسلمون لم يجتمعوا فى هذه اللحظات الحاسمة فى تاريخ حياتهم ومستقبل أممهم كافراد وجماعات وذلك الا دعاة الى مزيد من التماسك والقوة والى مزيد من الصفاء والنقاء ، وسوف يكون التقاؤهم فى هذا المؤتمر بعون الله على الايمان وفى سبيل خير أنفسهم وخير أمتهم .. فى تحقيق النصر .. وتحطيم قوى البغى والعدوان .

وان الشعب العربى لا يستطيع أن يملك أمامه الآن سوى سبيل النضال حتى الموت تأكيدا لحقه فى الحياة .. والله فى الله عظيم .. وتحية للمجاهدين الثوار الذين حولوا النكسة من أن تكون انهيارا واستبانوا وسط ظلمة النكسة نور الفجر الجديد .. تحية للشعب العربى الأبى فى كل مكان .

« ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم » .

التاريخ الاسلامى

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى
دوله وشعوبه

الجزر الإسلامية فى المحيط الهندى

الدكتورة عنايات الطحاوى

جزائر الكوموره وموريشيوس والمالديف

تمهيد :

لقد كان للزيارات المتتابعة التى يقوم بها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية برئاسة السيد سكرتير عام المجلس الى دول العالم الاسلامى فى كل من قارتى افريقيا وآسيا وبخاصة بعض جزر المحيط الهندى مثل جزر (مالديف) فى الزيارة السابقة وجزر موريشيوس فى الزيارة الحالية (يناير سنة ١٩٦٩) أثر عظيم فى زيادة معلوماتنا عن هذا الجزء من العالم الاسلامى الذى لم نكن نحسبه من قبل ضمن العالم الاسلامى فى شىء وكنا نجهل فعلا أن الاسلام تصل نسبته الى ١٠٠٪ من عدد السكان فى جزر مالديف مثلا ٠ ولكننا بعد أن اندمجنا فعلا بسكان هذه الجزر وعشنا بين أهلها بعض الوقت عرفنا عن حقيقة وعلم مدى انتشار الاسلام فى هذه الجزر ومدى محافظة الاهالى على قواعد الاسلام الرئيسية وتقاليده فحمدنا الله ودعونا بأن نحظى بزيارة المزيد من انحاء العالم التى لم نرها من قبل والتى تضم بين جوانبها أخوة لنا فى الدين حتى نوثق علاقاتنا بها ونربط ما بين أجزاء هذا العالم بعضه ببعض ونصل الى هدفنا الأكبر وهو الوحدة الاسلامية الكبرى

(انه على كل شيء قدير)

ونبدأ بهذا المقال فى الحديث عن جزائر الكومور ثم جزر موريشيوس وريونيون فجزر مالديف ولهذه الجزر بقية سنتناولها باذن الله فى المقال القادم •

اولا : جزائر الكومور Komor

وهى عبارة عن مجموعة من الجزر اكبرها (جزيرة كومور الكبرى) ثم جزيرة موهيل ثم جزيرة ما يوت فجزيرة انجوان •

وتقع هذه الجزر بين خطى عرض ١١ ونصف درجة مئوية ، ١٣ درجة مئوية جنوب خط الاستواء وبين خطوط طول ٤٣ درجة مئوية و٤٥ درجة مئوية شرقا وعليه فهى تقع بين الطرف الشمالى لجزيرة مدغشقر وساحل موزمبيق الشمالى •

وتبلغ مساحة هذه الجزر حوالى ٨٧٤ ميلا مربعا وهى جزر بركانية وبعض البراكين بها لازال نشيطا مثل جبل كارتالا فى جزيرة كومور الكبرى وارتفاعه ٧٦٧٦ قدما فوق سطح البحر كذلك تمتاز جزيرة موهيل باعمدة البازلت التى يبلغ ارتفاعها حوالى ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر • اما بقية الجزر فتنتشر بها اللافا والرماد البركانى •

ومن حيث المناخ فان المطر يختلف من جهة الى اخرى وذلك تبعا لاختلاف طبيعة الرياح واتجاهها من ناحية واختلاف درجة الارتفاع من جهة اخرى •

وكذلك تتفاوت كمية المطر من عام لآخر •• وتبعا لاختلاف المطر أيضا من مكان الى مكان يختلف النبات وتتتابع نطاقات النبات الطبيعية من غابات المانجروف على السواحل الى الغابات المدارية فى الداخل التى تصل الى منسوب ١٣٠٠ قدم فوق سطح البحر ثم الغابات المعتدلة التى تصل الى ارتفاع ٥٨٠٠ قدم فوق سطح البحر • وتتباين أيضا طرق الانتاج فى الجزر تبعا لتباين المناخ والنبات فيزرع النارجيل فى الاقاليم الساحلية المنخفضة الحارة وكذلك قصب السكر • أما الأرز فيزرع على المنحدرات وكذلك البن والكاكاو •

وقد اتجه المواطنون الآن الى زراعة البذور الزيتية والسيزال والفانيليا والقرنفل • وتربى الماشية والماعز فى الجهات المرتفعة التى تخلو من ذباب تسى تسى والواقع أن اكثر الأراضى الزراعية لايملكها زراعها فالشركات الزراعية والملكيات الكبيرة القليلة السكان تتحكم فى اكثر من ٣٥٪ من مساحة الجزائر تاركة بقية الارض الزراعية موزعة على صغار الملاك بمتوسط ١ ١/٤ فدان لكل مزارع مما ادى الى هجرة الكثير من سكان الجزر الى شمال شرقى مدغشقر والى جزر زنجبار وهذه الهجرة بعضها دائم وبعضها فصلى •

السكان فى جزائر الكومور

تتكون عناصر السكان من العرب الذين نزحوا اليها منذ القرن الثامن أو التاسع الميلادى ومن الفرس الذين جاءوا اليها من شيراز فى القرن الخامس عشر كما جاءها الافريقيون كارقاء وقدم اليها أيضا عنصر الملايو •

وبعد ان استوطن كل هؤلاء الجزر توالت عليها هجرات الأوربيين من برتغاليين وهولنديين وفرنسيين وجاءها أيضا بعض الهنود والصينيين

وتتفاوت كثافة السكان من جزيرة لأخرى فهى ٥٠ نسمة فى الميل المربع فى جزيرة موهيل ، ١٢٥ نسمة فى جزيرة مايوت ، ١٧٥ نسمة فى جزيرة كومور الكبرى ، ٢٨٠ نسمة فى جزيرة انجوان •

ويبلغ عدد السكان حوالى ربع ميون نسمة جميعهم من المسلمين مع قلة من المسيحيين تبلغ حوالى ١٥٠٠ نسمة

ومن حيث التاريخ السياسى لهذه الجزر فقد كانت تحكم بواسطة العرب الذين جاءوا اليها منذ القرن التاسع الميلادى واختلطوا باجناس الجزر الأصليين من (الملجاشيين) وتكون منهم جميعا الجنس الكومورى الحالى •

ولكن فى سنة ١٩١٢ صارت هذه الجزر مستعمرات فرنسية وهى ممثلة فى الجمعية الوطنية بباريس وبها جمعية اقليمية ومجلس حكومى يتكون من ثمانية وزراء يرأسهم (السيد محمد الشيخ) الذى انتخب رئيسا سنة ١٩٥٧

وعاصمة الجزر مدينة دزاودزى فى جزيرة مايوت وأهم الموانى موروني فى جزيرة كومور الكبرى •

الاسلام فى جزر كومور

دخل الاسلام جزائر كومور مع دخول العرب اليها منذ القرن العاشر الميلادى والمسلمون يتبعون المذهب

الشافعى ولغتهم السواحلية وقد غزاهم امراء كلوة على الساحل الأفريقى فى القرن الحادى عشر واستولوا على بلادهم . وكان يحكم جزائر الكومور بين القرنين السادس عشر والعشرين عدة سلاطين لكل منهم سلطنة حتى قضى عليهم جميعا الاستعمار الفرنسى فقد استولى البرتغاليون على انجوان وبقية الجزر فى أوائل القرن السادس عشر وثار عليهم الاهالى . ثم جاء اليها محمد بن عيسى من شيراز مع جماعته واستقر ابنه فى انجوان وتلقاه الأهالى بالترحاب وشيد المساجد فى القرى وانشأ فيها سلطنة اسلامية

واهالى الجزر جميعا شديدو التمسك بالأسلام وأهم الطرق الدينية القادرية والنقشبندية وفيها حوالى ٦٧٠ مسجدا وزاوية صغيرة .

وجزيرة أنجوان يتكلم بعض اهلها اللغة العربية

ثانيا : جزر موريشيوس

تقع جزر موريشيوس الى الشرق من جزيرة مدغشقر بحوالى ٥٠٠ ميل على خط عرض ٢٠ درجة مئوية جنوبا فى المحيط الهندى وخط طول ٥٧٫٥ درجة مئوية شرقا

وتقدر مساحة هذه الجزر بحوالى ٨٠٠ ميلا مربعا وهى جزائر جبلية ذات أصل بركانى وقد نتج عن نفتت مقذوفات اللافا البركانية تربة غاية فى الخصب ويتفاوت المطر الذى تحمله رياح الجنوب الشرقى ما بين ١ الى ١٫٥ مترا على السواحل الجنوبية الشرقية خمسة أمتار عند منطقة تقسيم المياه وهى اكثر جهات الجزر ارتفاعا ثم يقل المطر على السواحل الغربية ويصل الى ٨٥ سنتيمترا

وتتعرض الجزر لعواصف مدمرة تسمى (السيكلون) وقد كانت هذه الجزر معروفة للبحارة العرب منذ القرن العاشر الميلادى .

سكان جزر موريشيوس :

يبلغ عدد سكان موريشيوس قرابة المليون نسمة كما يبلغ متوسط كثافة السكان حوالى ٩٠٠ نسمة فى الميل المربع ومعظم السكان ينتمى الى أصل هندى وصينى . هذا فضلا عن الزنوج الذين جاءوا من شرق افريقيا وغربها ويقدر عددهم بحوالى ١٥٠٫٠٠٠ نسمة واستقروا على السواحل الشرقية حيث توجد مزارع القصب وقد نزحت نسبة من هؤلاء لغربى الجزيرة ليعملوا كمزارعين صغارا أو صيادين للاسماك

كذلك كان غنى هذه الجزر وخصب تربتها ووفرة الزراعة بها سببا فى نزوح بعض أهالى مدغشقر اليها والأستقرار فيها .

يضاف الى ما تقدم الأوربيون من البيض ويمثلون الطبقة العليا وهم من أصل فرنسى أو بريطانى

ويعمل السكان فى الزراعة وصيد الأسماك وخاصة فى الشرق والجنوب . أما السكان المسلمون من الهنود والصينيين فمعظمهم يعيش فى الغرب ويعملون بالتجارة كما يشغلون الوظائف الأدارية والبعض منهم يعمل فى المزارع الخاصة الصغيرة المساحة أو يمارس صيد الأسماك

واذا ما تحدثنا عن اقتصاديات جزر موريشيوس فان قصب السكر يحتل المرتبة الأولى فهى تنتج نحو ٦٠٠٫٠٠٠ طن سنويا منه ويمثل السكر ومشتقات صناعته الأخرى نحو ٩٥٪ من قيمة الصادرات . ويشغل قصب السكر ٨٥٪ من الأراضى الزراعية وهو يزرع على المطر فى السواحل الشرقية والجنوبية حيث التربة البركانية الخصبة . كما يزرع على السواحل الغربية على الرى . وكثير من صغار الزراع الذين يملكون أقل من خمسة أفدنة يزرعون أيضا قصب السكر .

والى جانب قصب السكر ادخل الفرنسيون فى القرن التاسع عشر زراعة الشاى وخاصة فى الجهات المرتفعة كذلك يزرع الطباق . وتشغل الغابات مساحة حوالى ١٠٠ الف فدان

وجزر موريشيوس حاليا مستعمرة انجليزية احتلها الانجليز سنة ١٨١٠ من الفرنسيين وقد كانت معروفة للبحارة العرب منذ القرن العاشر الميلادى وذهب اليها الملاويون فى القرن الخامس عشر ثم عرفها البرتغاليون فى أوائل القرن السادس عشر وكان أول من استعمر هذه الجزر الهولنديون سنة ١٥٩٨ وفى سنة ١٧١٠ تركوها واحتلها الفرنسيون ثم احتلها الأنجليز سنة ١٨١٠ وسلمت رسميا الى بريطانيا سنة ١٨١٤ وعاصمة جزر موريشيوس (بورت لويس) وتتمتع بموقع طبيعى على خليج ولها مرفأ صالح لرسو السفن .

وجزر موريشيوس لها أهمية استراتيجية فى المحيط الهندى حيث تمر بها الطرق الجوية بين افريقيا وسيلان من جهة وقارة استراليا من جهة أخرى .

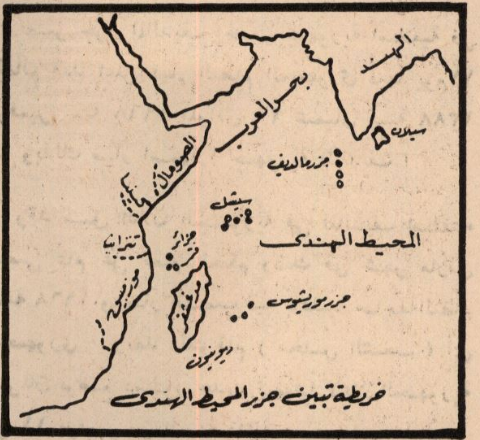

خريطة تبين جزر المحيط الهندى

ثالثا : جزر ريونيون

الى الجنوب الغربى من جزر موريشيوس تقع جزر (ريونيون) ومساحتها ٢٥١١ كيلو مترا مربعا وهى على بعد ٤٢٠ ميلا من مدغشقر وتقع على خط عرض ٢١ جنوبا ، ١/٢ ٥٥ شرقا وهذه الجزر بركانية وبها بركان نشيط فى جنوبها الشرقى على حين تنتشر البراكين الخامدة فى شمالها الغربى .

وتتراوح الأمطار بين متر ونصف الى ثلاثة أمتار . وأغزر أجزاء الجزر أمطارا سواحلها الشمالية الشرقية وأقلها أمطارا السواحل الجنوبية الغربية وذلك لاستقبال السواحل للرياح . والحرارة تميل الى الارتفاع ولكنها تقل تبعا لارتفاع السطح حتى تتعرض البقاع الداخلية المرتفعة لسقوط الصقيع بها فى فصل الجفاف .

ويبلغ عدد السكان حوالى نصف مليون نسمة وكان أول من هبط بها من الناس الفرنسيون سنة ١٦٣٨ فاستخدمتها شركة الهند الشرقية الفرنسية لتموين السفن المارة بالأغذية والمياه . ونقل اليها الرقيق من أفريقية وبعد الغاء الرق وفد اليها عدد كبير من جزائر كومور ومن موزمبيق والهند والصين الهندية والصومال الفرنسى ومدغشقر وبلغ عدد هؤلاء المهاجرين حوالى ثلث سكان الجزيرة . ولما اكتظ الساحل بالمهاجرين أخذ الأوربيون الذين عرفوا بالبيض الفقراء ينتقلون للداخل وبدأ سكان السواحل يقتحمون المناطق الداخلية الجبلية وأخذوا يمهدون طرقاتها ويستغلون أرضها استغلالا شجعهم على الاقامة فيها .

وسكان الساحل خليط من الأوربيين المتباينى الأصل ومن الأرقاء من الأفريقيين الذين حرروا . هذا فضلا عن الأسيويين الذين ينتمون لعناصر شتى وتوجد أيضا عناصر خلاسية .

وتبلغ كثافة السكان ٢٥٠ نسمة فى الميل المربع ويقطن المنحدرات الداخلية الزنوج والبيض والعناصر الخلاسية .

من حيث الأهمية الاقتصادية

تتنوع الغلات فى جزر ريونيون تنوعا كبيرا فكان البن أول المحاصيل التجارية فى النصف الاول من القرن الثامن عشر مما أدى الى جلب عدد كبير من الأرقاء للقيام بزراعته . وحين هبطت أسعار البن تحول الزراع الى زراعة البهارات . وحتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أخذ قصب السكر يحتل المرتبة الأولى بين محاصيل الجزر وكان يشغل ثلثى مساحة الاراضى المزروعة .

كما أقبل السكان أيضا على تربية الماشية والماعز

وطهر الاهالى الأحواض الداخلية من الغابات وزرعوا الكروم والخضروات والذرة والطباق والبن وبعض الفواكه

ومع تنوع الغلات الزراعية فان قصب السكر يتزعمها حيث يمثل ٨٠٪ من صادرات الجزر ويزرع فى السهول الساحلية اكثر منها فى الداخل .

وجزر ريونيون احدى المقاطعات الفرنسية وعاصمتها (سانت دنيس S. T. Denis) وقد احتلتها فرنسا منذ سنة ١٦٤٣ .

الاسلام فى جزر موريشيوس وريونيون

الاسلام فى جزر موريشيوس وريونيون تبلغ نسبته حوالى ٣٠٪ من عدد السكان وذلك نظرا لما بها من نشاط التبشير المسيحى ولوجود عدد كبير من السكان ينتمى الى الهندوس والى الاوروبيين ·

ويقدر عدد المساجد فى جزر موريشيوس بحوالى ٥٠ مسجدا اكبرها فى العاصمة تتقاسمها المذاهب السنية والشيعة وفيها أيضا بعض المدارس الاسلامية وجمعية اسلامية ·

اما جزر ريونيون ففيها أيضا بعض المساجد الاسلامية فى العاصمة سان دنيس وفى مدينة سان بيتر كما توجد بها أيضا جمعية اسلامية ·· وستزداد معلوماتنا من ناحية الشعب والدين الاسلامى فى هذه الجزر بعد عودة بعثة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وزيارته لهذه الجزر باذن الله

رابعا : جزر مالديف (جمهورية المالديف)

تقع جزر مالديف فى المحيط الهندى على بعد ٦٥٠ كيلو مترا من الساحل الغربى لجزيرة سيلان وتتكون من ١٠٨٧ جزيرة مرجانية منها ٢١٤ جزيرة آهلة بالسكان ·

ويبلغ عدد السكان فى الجزر المعمورة حوالى ١٣٥ر٠٠٠ نسمة وكلهم مسلمون ويعتمدون فى حياتهم على صيد الاسماك فهو الحرفة الرئيسية هذا فضلا عن بعض النباتات التى تنمو بريا وتتغذى عليها حيواناتهم وقد قطعت بعض الغابات وحلت محلها زراعة الشاى أو الأرز أو الذرة ولكن بنسبة بسيطة ·

وسكان المالديف من أصل سيلانى ويتكلمون لغة وطنية مستقلة ولها حروف وقواعد وهى مشتقة أصلا من اللغة السنسكريتية واللغة البالية

وجزر المالديف مقسمة اداريا الى ١٩ مجموعة وعلى رأس كل مجموعة حاكم معين من قبل الحكومة والعاصمة هى جزيرة (مالى)

التاريخ السياسى لجزر المالديف

تعتبر جزر المالديف احدث جمهورية اسلامية فى العالم فقد اعلن قيام النظام الجمهورى فيها يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٨ الموافق ٢٠ شعبان سنة ١٣٨٨ هـ وبذلك صار اسمها (جمهورية المالديف)

وقد سبق اعلان الجمهورية فى المالديف استفتاء شعبى عام على نظام الحكم وذلك فى شهر مارس سنة ١٩٦٨ واختار الشعب فيه بأغلبية ساحقة النظام الجمهورى · وبعد ذلك قام (مجلس الشعب) أى البرلمان بوضع دستور جديد تمهيدا لاعلان الجمهورية فى ١١ نوفمبر من السنة ذاتها · وفى شهر سبتمبر ١٩٦٨ انتخب (السيد ابراهيم ناصر) الذى كان رئيسا للوزراء اختير رئيسا للجمهورية طبقا للدستور الجديد

وبذلك انتهى الحكم الملكى السابق للنظام الجمهورى وانتهى حكم الملك محمد فريد الأول ·

وعلى الرغم من أن جزر المالديف دولة صغيرة جدا فانها كانت دولة ملكية عريقة منذ اقدم عصور التاريخ المالديفى فقد ذكر المؤرخ العربى المسعودى فى كتابه (مروج الذهب) أن المالديف كانت مملكة مستقلة فى القرن الرابع الهجرى · ويذكر المؤرخون أن النظام الملكى كان سائدا فيها منذ أن استوطنت وعمرت منذ حوالى ٢٠٠٠ سنة وأن هذه الجزر اعتنق أهلها الدين الاسلامى فى منتصف القرن السادس الهجرى ·

وفى خلال ال ٨٠٠ سنة الماضية التى انقضت بعد ان اعتنق المالديفيون الاسلام تتابع على عرش المالديف ملوك وملكات ارتقى بعضهم الى مصاف الأبطال العظام منهم على سبيل المثال السلطان (محمد تكرفان) الأعظم الذى حرر البلاد من الاستعمار البرتغالى فى القرن السادس عشر الميلادى بعد احتلال دام ١٦ سنة ·

والسلطان (على رسجفان ·· الذى استشهد وهو يخوض معركة الدفاع عن الوطن ضد الغزو

البرتغالى أيضا • ثم السلطان (حسن عز الدين) الذى حرر الوطن من الاحتلال الملابارى فى القرن الثانى عشر •

ومن الملكات الشهيرات فى تاريخ المالديف السلطانه (خديجة رهندى) التى حكمت البلاد مدة ٣٥ سنة فى القرن الرابع عشر الميلادى وقد كانت رحلة الرحالة العربى الشهير ابن بطوطة الى هذه الجزر اثناء حكمها وقد تحدث عنها كثيرا فى كتابه (تحفة الأنظار)

وقد فرضت بريطانيا حمايتها على هذه الجزر سنة ١٨٨٧ غير أن هذه الحماية طوال فترة استمرارها كان لها وضع متميز مختلف عن نظام الحماية المعروف اذ انه لم يكن لبريطانيا فى أى وقت من الأوقات حاكم ولا مندوب سام ولا أى مسئول آخر يباشر السلطة الفعلية باسمها وانما كان المالديفيون هم الذين يحكمون البلاد فالحماية لم تكن الا نوعا من التبعية القانونية التى حدت من حريتها فى انشاء العلاقات مع الدول الاخرى وقد كانت بريطانيا تريد من وراء ذلك المحافظة على مصالحها فى المنطقة وفرض سيطرتها على المحيط الهندى

ومهما كان نوع الحماية فانه صورة من صور الاستعمار ولذلك لم تقف جزر المالديف صامتة عن المطالبة بالحرية وقد بذلت محاولات كثيرة طوال فترة الحماية للتخلص منها والحصول على الاستقلال فنالت الاستقلال الذاتى سنة ١٩٤٨ ثم حصلت على الاستقلال الكامل فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٦٥ وانضمت الملاديف للامم المتحدة فى نفس العام سنة ١٩٦٥ .

دخول الاسلام جزر المالديف وانتشاره فيها

أما كيف دخل الاسلام هذه الجزر فتلك قصة تدل على ما يتمتع به الاسلام من وضوح وبساطة وملاءمة للفطرة الانسانية وبطل هذه القصة احد الدعاة الذين وهبوا انفسهم لله وكرسوا جهودهم لنشر دينه واسمه (الشيخ الحافظ ابو البركات يوسف البربرى) وهو من بلاد المغرب

وقد وصل هذا الشيخ الى المالديف فى منتصف القرن السادس الهجرى مع بعض التجار العرب الذين كانوا فى ذلك الوقت يقومون برحلات تجارية منتظمة بين الجزيرة العربية من جهة وبين موانى الهند وسيلان والمالديف من جهة أخرى • وعندما نزل الشيخ (ابو البركات) الى العاصمة ووجد أهلها على الديانة البوذية طلب مقابلة السلطان فلما حضر بين يديه دعاه الى الاسلام ولكن السلطان أبى فى أول الأمر ان يترك دين أبائه وأجداده ومازال

الشيخ يعرض عليه الاسلام ويجادله بالحكمة والموعظة الحسنة حتى شرح الله صدره للاسلام فأسلم على يديه وأمر الشعب باعتناق الاسلام وكان ذلك فى اليوم الثانى من شهر ربيع الثانى سنة ٥٤٨ هـ (سنة ١١٥٣ م) ومنذ ذلك الحين وجزر المالديف اسلامية تبلغ نسبة المسلمين فيها ١٠٠٪

والشعب المالديفى شديد التمسك بأهداب الدين والدستور المالديفى لايسمح لغير المسلمين بالاستيطان فى المالديف • والأفطار فى شهر رمضان بلا عذر شرعى يعد جريمة يعاقب عليها القانون كما ان استيراد المشروبات الروحية أو صناعتها ممنوع منعا باتا • ومع أن صيد السمك هو مصدر رزق أغلب السكان فان الخروج الى الصيد صباح يوم الجمعة ممنوع خوفا من فوات صلاة الجمعة

وتوجد بين جزر المالديف والجمهورية العربية المتحدة علاقات وطيدة منذ أزمان طويلة أهمها رابطة الدين والعقيدة ثم الروابط الثقافية التى تتمثل فى الطلبة المالديفيين الذين يدرسون فى جامعة الأزهر والجامعات المصرية الأخرى والمعاهد والمدارس وقد وفدت أولى البعثات المالديفية الى مصر منذ أكثر من خمسين عاما

ويقوم المجلس الأعلى للشئون الأسلامية بدور هام فى توثيق تلك الروابط الروحية والثقافية ومن جهوده فى هذا اهداؤه للمالديف مكتبة اسلامية واسطوانات المصحف المرتل ورعايته للطلبة المالديفيين بالجمهورية العربية المتحدة •

قضية فلسطين
من بدايتها الى ذروتها

الأستاذ
عثمان عبد السميع العدل

– ١٥ –

● مشهد اخر على طريق الحقيقة .. فى « نيوتن ميرنز » .

● نموذج من نماذج الفكر العنصرى الاستعمارى ..

● اسرائيل تحمى مصالح الغرب فى الشرق الاوسط .

● التحالف الذى اكتمل بين اسرائيل والاحتكارات الاقتصادية .

● تفسير السلوك الانسانى . « بالحافز النفسى والاقتصادى » ؟.

***

فى لقائنا السابق ، وقفنا وقفة تأمل على طريق الحقيقة – تحصيلها ونشرها – بكل المهابة وكل الوقار وكل الأمانة التى تتسم بها رسالة الصحفى كما يجب أن تكون . لقد كان من دواعى الأمل حقا أن تكسب قضية فلسطين أصدقاء جدد ، ومنهم المستر آدم شانغ مدير أخبار تليفزيون فرموزا والذى شاء القدر أن يزاملنى فى رحلة عمل فى بريطانيا .

ولعله ليس جديدا أن تقف بعض أجهزة الاعلام والصحافة فى بريطانيا موقف عداء من قضية الحق العربى ، وليس جديدا أن تساند بكل ضراوة العدوان الاسرائيلى واستمرار احتلال المناطق العربية فيما بعد الخامس من يونية ١٩٦٧ .

وفى هذا اللقاء فاننى استأذن – استطرادا لما سبق – أن أضع أمام القارىء نقطتين اساسيتين :

أولاهما : تتصل مباشرة بأجهزة الاعلام وبالدعاية فيما يختص بالقضية .

أما الثانية : فانها تلقى الضوء على الأولى وتفسر كلا من موقف الصحافة الغربية وموقف الحكومات الغربية ، وتضع كثيرا من النقط فوق الحروف :

وهنا أورد مشهدا من المشاهد المتتابعة فى «نيوتن ميرنز» ، تلك الضاحية التى بالقرب من جلاسجو حيث السواد الأعظم من السكان من اليهود ، الذين يملكون معظم الأسهم فى شركات صناعة السفن بترسانة نهر الكلايد ، ومصانع الحديد والصلب فى المدينة الصناعية ، ويوجهون من بعيد أو من قريب دفة الصحف والاذاعة والتليفزيون ، ومن ثم يتسلطون على أذهان الناس وأفئدتهم .

كان المشهد هو حوار دار حول قضية فلسطين وتطرق الى موقف دول الغرب منعكسا فيما تذيعه صحف ووكالات أنباء من مواقف معادية للعرب . ومرة اخرى كنت أنا طرفا فى الحوار بينما كان الطرف الآخر هو المستر « همفرى بارون » المحاضر بكلية طومسون للتليفزيون وأحد العاملين باعداد البرامج فى الـ .ب.ب.سى للتليفزيون

قال المستر بارون ردا على سؤال لى ، « اننا بكل صراحة نتعاطف مع اسرائيل لاعتبارات تتصل باقتصادنا ، كما تتصل برواسب خلفها التاريخ .

فقلت أولا : ماذا تعنى « برواسب التاريخ » ؟.

قال : تذكر بالطبع الحروب الصليبية والهزيمة التى لقيها العالم المسيحى الغربى على أيدى المسلمين ، اننا مازلنا فى قرارة نفوسنا حتى - دون أن ندرى - نكن للمسلمين شعورا بالمرارة يدفعنا الى مساندة اليهود .

قلت : لاسمع أولا الى تعليلك للسبب الاول وهو العامل الاقتصادى ، قبل أن ادلى برأيى فيما سقته عن رواسب التاريخ .

فاخرج صندوق سجائره وراح يشعل لفافة التبغ فى صمت مثير ، وكنت اشعر انه يحاول اختيار كلمات مناسبة .. ثم تحدث قائلا :

انك تعلم مدى ما للغرب من مصالح فى المنطقة العربية وفى مقدمة هذه المصالح البترول ، وقناة السويس ، ذلك الطريق الحيوى بين الشرق والغرب .

قلت : ان أحدا لم ينكر على دولة غربية أن ترعى مصالحها فى الوطن العربى بشرط ألا يمس ذلك الحقوق الشرعية للشعوب العربية .

فلم يحدث أن حيل دون مرور سفن بريطانيا - مثلا - فى قناة السويس طالما أن ذلك لا ينطوى على مخالفة للقانون الدولى للملاحة . كذلك فان استثمارات البترول التى تملكها دول الغرب فى مناطق كثيرة من العالم العربى ليست مطروحة للتساؤل أو للمراجعة الا بقدر ما تقوم به الاحتكارات الغربية من سوء استغلال ، أو من نشاط يمس فى الصميم صالح الشعوب العربية .

وهنا قاطعنى المستر بارون بقوله : « اننى أريد أن أوضح نقطة هامة من وجهة النظر الغربية ألا وهى وجود اسرائيل بوضعها الراهن يكفل ضمانات استمرار حصولنا بالكامل على « بترولنا » .

قلت مصححا : « تعنى البترول العربى ؟ » .

فأجاب بارتباك : نعم - أعنى على نحو ما - البترول الذى نملك أدوات استخراجه وعقودا تحملها الشركات تعطيها امتيازا للتنقيب .. ومن وراء ذلك ضرورة ملحة تضع البترول بين الاحتياجات الاستراتيجية للشعوب الغربية ، ومن ثم فان دول الغرب على استعداد لان تفعل أى شىء فى سبيل ضمان استمرار حصولها على البترول .

قلت : دعنى أولا اعقب باختصار على ما سقته عن « رواسب التاريخ » وهو عامل نفسى كان بين دوافع الغرب - حسبما تقول - لوقوف هذا الموقف المعادى من العرب !.

« اننى أولا أعبر عن شعور بالمرارة عميق ، اذ أسمع بأن هناك بين المثقفين والصحفيين فى بريطانيا من يشعر بأن اختلاف الدين يمكن أن يكون سببا فى العداء . ولو اتخذنا هذا الافتراض أساسا فلماذا لم يوجه هذا العداء الى

اليهود الذين - كما تقول كتب الدين المسيحى - قد صلبوا المسيح ؟! » .

واضفت قائلا : « ان العرب لم يعادوا اليهود ، كيهود ، انهم فقط يدافعون عن حق مقدس ، يصدون العدوان الاسرائيلى ولقد قامت اسرائيل قاعدة للعدوان وللتوسع فى أرض عربية .

كذلك فانها قامت كدولة عنصرية ، أى أن الحركة الصهيونية - وهى حركة سياسية - قامت بتجنيد اليهود فاتخذت بذلك طابعا عنصريا لاانسانيا ، وبالتالى فان التعاطف مع تلك الحركة ، وما تبلورت اليه الآن من دولة تتخذ العنف اسلوبا للبقاء على التوسع ، يعد أيضا موقفا عنصريا لا انسانيا ، وهو أيضا امتداد للحروب الصليبية بحوافزها العنصرية المقيتة ، وان الدين المسيحى نفسه برىء - فى رأيى - مما ارتكبه ملوك انجلترا وفرنسا وقادتهم العسكريون فى الحروب الصليبية من فظائع فى المنطقة العربية ، كما ان الدين المسيحى ، بما ينطوى عليه من دعوة للتسامح والاخاء برىء أيضا من ذلك الموقف المتشدد الذى تتخذه صحافة الغرب الآن من الحقوق الشرعية للاجئين ، ان لم يكن بمعارضتها ، فبمجرد الصمت المريب » .

تلك كانت النقطة الاولى ..

أما النقطة الثانية والتى تلقى الضوء على النقطة الاولى وتفسرها ، أى تفسر كلا من « موقف الصحافة الغربية » وموقف الحكومات الاستعمارية « وتضع كثيرا من النقط فوق الحروف ، فانها ذلك العامل الاقتصادى ، ولكن ليس كما ساقه المستر بارون خلال ذلك الحوار الذى دار بيننا فى « نيوتن ميرنز » وان كان لا يخرج اساسا عما أورده ذلك الصحفى فى صراحة غريبة .

وهنا أشير الى موقف من أبرز مواقف زعماء الغرب عداء للعرب ، وهو موقف الرئيس الامريكى السابق « ليندون جونسون » - وكانت انتخابات الرئاسة الامريكية التى فاز فيها خلفه عن الحزب الجمهورى ريتشارد نكسون تدور رحاها فى الوقت الذى جرى فيه ذلك الحوار - ان هذا الموقف يشرح بصورة صارخة موقف الاستعمار الغربى منذ مؤتمر الاستعمار القديم عام ١٩٠٧ فى لندن وباريس وبروكسل حتى الآن ، فقد وقف « جونسون » يدافع بشدة مستخدما فى ذلك كل امكانيات الولايات المتحدة الامريكية ، عن العدوان الاسرائيلى على الدول العربية ويكرس احتلال الاراضى العربية بالقوة ، ومن ثم أصبح عهد جونسون من أكثر العهود الأمريكية ولاء لاسرائيل وعداء للعرب وهنا تتضح عدة نقاط أساسية تشرح هذا الموقف على نحو صارخ :

١ - ان هدف غالبية اليهود الامريكيين هو تحقيق أوثق اتصال مصلحى بين الامبريالية الامريكية والحركة الصهيونية متمثلة بشكل رئيسى فى اسرائيل ، أى أن هدف الشركات الاحتكارية هو أكبر قدر من الالتقاء مع القاعدة الصهيونية ، لايمانها بانها ستكون - فى المستقبل - الطرف الوحيد فى الوطن العربى الذى سيقبل تنفيذ مخططاتها فى أى وقت .

٢ - ان اسرائيل قفزت بعد حرب يونيو ، الى دور الحليف الرئيسى الذى لا ينازع الاستعمار الامريكى فى الوطن العربى ، حتى لقد اخذ الصدام العربى الأمريكى الى حد بعيد صورة صدام عربى صهيونى ، وأصبحت المعركة مع الصهيونية الى حد كبير معركة مع الاستعمار الأمريكى . ولذلك فقد أصبح دور الولايات المتحدة طرفا اساسيا فى الصراع القائم بين العرب واسرائيل دون أن تعبر عنه مجموعة المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية لرجال المال الأمريكيين ، ليس فى الشرق الأوسط فحسب بل فى كل بقاع الأرض .

وقلت ان عهد جونسون يبلور هذا اللقاء بين المصالح الصهيونية ومصالح الغرب الاحتكارية مما جعل جونسون نفسه يبدو صهيونيا أكثر من الصهيونيين ..

هنا قاطعنى المستر « بارون » بقوله :

١ - السلوك الانسانى كله مرده الى الحافز النفسى أو الاقتصادى ، ومن ثم فان موقف الصحف الغربية وموقف « ما تسميه » بالحكومات الاستعمارية يتمشى مع ذلك المنطق . فقلت : اننى سأتمشى معك - جدلا - فى الحوار « المنطقى » حول السلوك الانسانى وحوافزه ، وانى اتفق معك فى انه لابد أن يكون وراء السلوك الانسانى حافز ما نفسيا كان أو اقتصادية ، ولكننا يجب أن نضع أيضا شرطا أساسيا وهو أن يكون بناء « والا يكون شريرا . فحافز اللص أن يحصل على مال غيره » دون وجه حق ، وأن نمكن لصا بأن يسرق لهو ضرب من السرقة أيضا واعتداء على حقوق الغير وانتقل سريعا من هذه النقطة لاقول أن الحافز النفسى هنا أيضا حافز شرير فهو عنصرى ولا انسانى اذا ما عدنا بالذاكرة الى ما أشرت اليه من « رواسب التاريخ »

كذلك فان أبسط مبادىء المنطق تقول الممكن أن تكون أكثر ازدهارا لو أن الاستعمار لم يتخذ هذا الموقف العدائى السافر للعرب بتكريس اسرائيل قاعدة للعدوان والتوسع .

وقال المستر « بارون » انها قضية معقدة ، وقلت انها لكذلك فعلا ولكنها فى رأيى مستحيلة .

وانتهى الحوار مع الصحفى البريطانى الذى كان على الأقل - وهذه شهادة حق - صريحة مع نفسه ومعى . كان يتخذ خطا معاديا سافرا دون مواربة . لقد كان على الأقل « تجربة » على طريق البحث عن الحقيقة .. ونموذجا « للعقلية الاستعمارية » التى تحولت الى « مزاج نفسى واسلوب حياة »

انها حلقة فى ملحمة « فلسطين القضية » فى « الفكر الغربى » حيث من المفيد جدا أن نتعرف على هذا الفكر المعادى لنتبين مواضع أقدامنا على خط المواجهة ..

والواقع أن هذه التجربة والمثال الذى اتخذناه وهو حكومة جونسون - الرئيس الامريكى السابق - تضعنا بالضرورة أمام « سؤال كاشف » على مزيد من التفاصيل عن هذا التحالف الذى اكتمل فى عهده بين الصهيونية متمثلة فى اسرائيل والاحتكارات الاقتصادية الامريكية :

كيف تم التحالف ؟ ولماذا ؟ ..

سؤال نجيب عليه فى الحلقة القادمة انشاء الله ..

« للبحث بقية »

مكانة فلسطين في العالم الإسلامي

الأستاذ محيي الدين الألوائي

— ١٩ —

اهمية الشرق العربى فى السياسة العالمية

ان منطقة الشرق العربى قد استرعت انظار الدول فى العصور القديمة ، بكونها مهد الحضارات والأديان وملتقى القارات الثلاث . آسيا وأفريقيا ، وأوربا . واذا كانت هذه القارات الثلاث قد شكلت السياسة العالمية منذ عهود طويلة من تاريخ العالم ، فقد كان لهذه المنطقة بموقعها الجغرافى ومكانتها الحضارية وازدهارها بالخيرات الطبيعية ، أهمية كبرى فى تكوين التاريخ الحديث وتشكيل السياسة العالمية وعواملها ، وبالاضافة الى العامل الجغرافى والتاريخى ، فهناك عدة عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية ربطت اقطار هذه المنطقة بروابط وثيقة ، فجعلت منها مجموعة واحدة ذات أهمية بالغة فى مجال السياسة الدولية .

وقبل ظهور النظام الصناعى الحديث كانت موارد الشرق الطبيعية تغمر اوربا وسائر بقاع العالم القديم المعروف حينذاك .

وجدير بالذكر أن الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية كانتا تتقاتلان منذ أوائل القرن الثالث فى المنطقة ، وادى هذا القتال الى اخلال الاستقرار فيها ، وبذلك لم تعد طرق القوافل التجارية مأمونة ، فركدت تجارة أوربا مع الشرق ونتيجة لذلك عانت الامبراطورية الرومانية متاعب مالية واصاب المدن الأوربية الكساد لتوقف الحركة التجارية وهى كانت عماد حياتها . ومنذ ذلك الحين دخلت أوربا فى فترة « العصور المظلمة » التى سادتها الفوضى والاضطرابات ، واصبحت أوربا منعزلة عن حضارة الشرق الفنية وبعدت عن مراكز النشاط الاقتصادى وكسدت تجارتها واستمرت هذه الفترة من القرن السابع الى القرن التاسع . وفى هذا الوقت كان الاسلام مسيطرا على منطقة الشرق العربى ، فساد الاستقرار فى أحوالها وعمت خيراتها وتقدمت العلوم والفنون والآداب فى المدن العربية الاسلامية التى احرزت شهرة عالمية .

واذا كانت السلع الشرقية جزءا رئيسيا فى حياة الغرب اليومية ، وكان الشرق العربى هو الطريق الرئيسى المباشر الموصل الى خيرات الشرق كله ومنتجاته ، فقد أصبح الاستيلاء على المواقع الاستراتيجية الجغرافية وعلى طرق المواصلات البرية والبحرية فيه ، والتدخل فى أوضاعه السياسية محل تنافس الدول الاوربية منذ فجر نهضتها الحديثة . وفى مطلع القرن العشرين تفجر البترول فى الشرق العربى ولم تلبث ان ذاعت انباء هذا التحول الاقتصادى فى أوربا التى كانت على عتبة التطور الصناعى ، وتطلعت الى استثمار رءوس الأموال الضخمة فى الخارج . وكانت صناعة البترول تعنى استثمارا واسعا لرءوس الأموال وجنى الأرباح الضخمة الخيالية .

ومنذ مطلع القرن العشرين تعاظم اهتمام كل من انجلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، بالشرق العربى ، وظهر التنافس بينها من أجل الاستحواذ على البترول العربى والتأثير

على حكام المنطقة . وهـذه العوامل ساعدت على تحويل هـذه المنطقة الى عامل مؤثر فى مجريات السياسة العالمية وايجاد نزاع عنيف من قبل شركات البترول من أجل الاستحواذ على امتياز استغلال منابع البترول فى الشرق العربى . ومما زاد من أهمية بترول المنطقة فى أوائل العقد الثانى من القرن العشرين ، أن الحكومة الانجليزية قررت احلال البترول محل الفحم ، كوقود لسفنها الحربية ، ومعنى هذا أن مصادر البترول لها قيمة استراتيجية خطيـرة فى السياسة البريطانية وبمقتضى هذه السياسة ازدادت أهمية الشرق العربى واحتـل مركزا رئيسيا فى السياسة الانجليزية.

وسرعان ما ظهرت نتائج السياسة البريطانية المذكورة ، فقدتملكت البحرية الانجليزية وحدهاحوالى ٥٦٪ من أسهم شركة البتـرول الانجليزية الايرانية ، وكانت الخطوة التالية التى هدفت اليها السياسة البريطانية هىسيطرةالحكومة الانجليزية على البترول فى العراق . ولما أظهرت الحـرب العالمية الاولى بصورة جلية ، أن البترول عنصر أساسى فى احراز النصر وترجيح كفة الجيوش المتحاربة ، وخاصة بعـد استحداث الاسـلحة الميكانيكية ، كالدبابات والمصفحات واستخدامها على نطـاق واسع فى الميادين الحربية ، وهـذه تعتمد اعتمادا كليا على المنتجـات البتـرولية فى تسيير حركاتها . وبدأت أمريكا أيضـا فى التدخل السـافر فى الشرق العربى ، وصحب هذا التدخل تغير كبير وخطيـر فى السياسة الامريكية فىالشرق الاوسط .

وبعد أن كانت الحكومة الامريكية قد قررت الابتعاد عنمشكلات المنطقة،نراها منذ سنين تحيد عن هذا المبدأ ، فتلج بالتـدخل فى مشكلاتها . واستطاعت شركات البترول الامريكية الكبرى فيما بعد أن تحصل على كثير من الامتيازات البترولية فى بلاد الشرق العـربى ، فصارت المصـالح البترولية الامريكية تهيمن على أكثر من ٦٠٪ من مجموع انتاج المنطقة فى عام ١٩٥٨ بعد أن كانت لاتملك منه شيئا منذ ثلاثين عاما .

ومن هنـا يتبين لنا أهمية بترول العالم العربى والاسلامى ، فى الشرق الأوسط ، للدول الغربية ومكانة الشرق العربى والاسـلامى فى السياسة الاقتصادية لها . وان ٨٥٪ من مجموع وارداتدول غرباوربا، البترولية،تستورد من دول الشرق العربى ، وكذلك نجد أن حوالى ٨٥٪ من هذه الكمية تنقل الى أوربا عبر قناة السويس وخط الانابيب السعودية من لبنان ، وبذلك صـارت رفاهية أوربا مقـرونة بمنطقة الشرق العربى وطرقه وثرواته . وشاهد العالم ان غلق قنـاة السويس ونسف خطوط أنابيب البترول المارة بسـوريا فى نوفمبر عام ١٩٥٧ أدى الى نشوب أزمة البترول الحادة فى دول أوربا وأمريكا .

وتتضح لنـا أهمية منطقة الشرق العربى فى السياسة العالمية منالفقرات التالية التى وردت فى خطاب الرئيس الامريكى سابقا أيزنهـاور عند تقديمه مشروعه الخـاص بالشرق الاوسط : « ... وان الشرق الاوسط يحوى نحو ثلثى مصادر البترول المعروفة فى العالم الحاضر وهو يسـد عادة حاجات دول عديدة فى أوربا وآسـيا وافريقيا من البترول ، ثم قال : وهذه الحقيقة تؤكد أهمية الشرق الأوسط القصـوى .. وأضاف قائلا : واذا ما خضعت المنطقة لسيطرة قوى أجنبية معادية ، فيكون لها أثرها البالغ الضار على حياة أمتنا الاقتصادية وعلى مستقبلها السياسى » .

وقد زرعت بذور التوتر الراهن فى الشرق العربى فى مطلعهذا القرن عندما نشب تنافس بينبريطانيا وفرنسا فى أعقاب الحرب العالمية الاولى للسيطرة على الشـام التى كانت تشمل حينئذ الجمهورية العربية السورية الحاضرة وفلسطين وشرق الاردن ، ولبنان ، ففى عام ١٩٢٠ تقرر فيما بين الدول الحلفاء لوضـع سوريا ولبنـان تحت الانتداب الفرنسى ووضع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطانى ، ولسنا بحاجة الى أن نشرحبالتفصيل الأهداف الاستعمارية الكامنة فى السيطرة على هـذه المنطقة الحية الاستراتيجية . ومن الحقائق المرة التى لا يتسرب اليها الشـك أن فلسطين كانت قبل الانتداب البريطانى عليها ماهولة بالعـرب وانهم يسكنونها بصورة متصلة منذ عشرات القرون ،وأن قرار الحكومة البـريطانية لخلق وطن قومى يهودى فى فلسطين كان بمقابل تقـديم دعم صهيونى عالمى للاستعمار الغربى فى الشرق العربى ، كمـا قال اللورد كتشنر : « ان فلسطين قاعدة استراتيجية هامة لحماية قناة السويس فى مصر » .

ومنذ أن ولدت اسرائيل فى قلب الشرق العربى أصبحت بالنسبة له ، بل للشرق كله ، مصدر ازعاج مستمر ، كما أنها تشكل .مركز تهديد لحـرية الدول العربية ، وقاعدة استعمار غربى دائمة فى المنطقة ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا . ويتضح من هـذا كله أن وجود دولة اسرائيل المزعومة فى الشرق العربى ، استمرار لنفوذ الدول الغربية فى منطقة الشرق الاوسط بطريقة غير مباشرة ، نظـرا لأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية فى السياسة العالمية . ومن هنا نستطيع أن نقول : ان اسرائيل ليست غاية فى ذاتهـا بل هى وسيلة مدبرة ومحكمة للتاثير على حرية بلدان المنطقة ، وربطها بقواعد الاستعمار الذى ينافس دائما للوصول الى مصـادر خيـرات الشرق واستغلال مواردها الطبيعية ، فكيف يجوز فى الأفهام الحرة أو فى المنطق السليم أن يدخل شعب حر فى مفاوضات او مصالحات مع هذه الوليـدة المزيفة الرابضة على قلب الشرق العربى الأصيل .

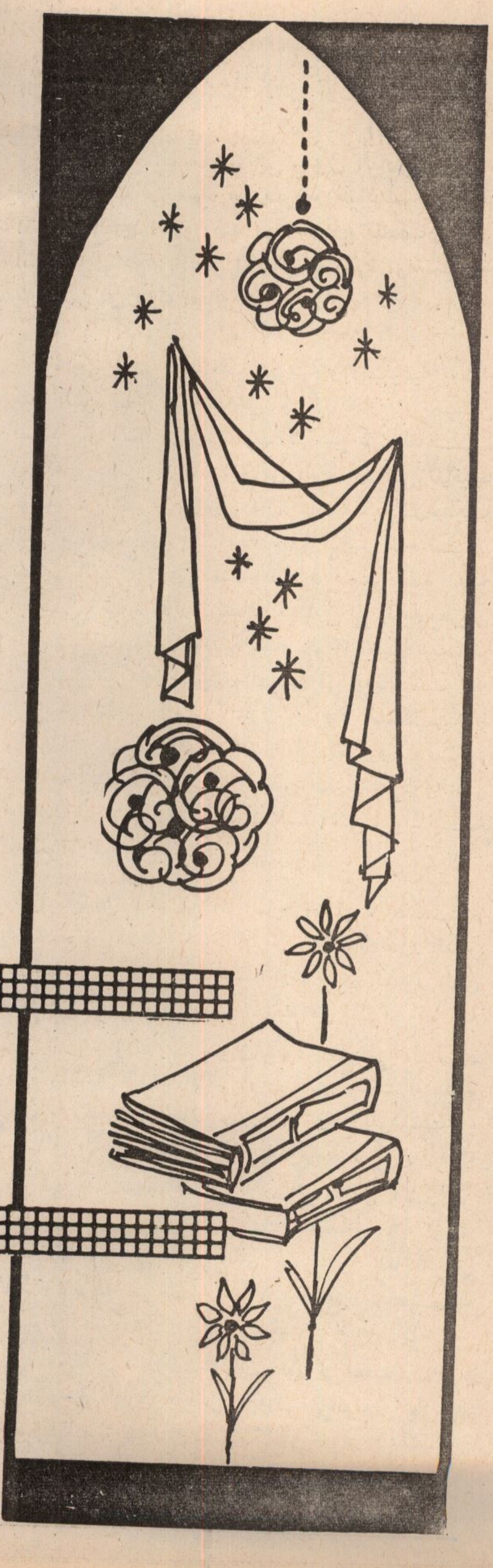

فكر وفن ..

أدب • شعر • قصة

مسرحية • فن إسلامي

مصر و الفتح العربي

بمناسبة العيد الألفى للقاهرة

الأستاذ عبد المنعم حمادة

الحديث عن العيد :

يتحدث العالم كله عن العيد الالفى للقاهرة ، التى تعتبر أكبر عواصم العالم الاسلامى كله والتى لعبت دورا هاما فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، وكتبت انصع الصفحات فى سجل التاريخ العربى ، والتى كانت فى فترة من فترات حياتها الطويلة المشعل الذى انبثق منه أول شعاع للحضارة التى انتشرت فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، واستضاءت به كثير من دول العالم .

وهاهى بعض الصحف اليومية والاسبوعية ، سواء منها التى تصدر فى الداخل أو فى الخارج ، تخصص صفحة أو اكثر من صفحاتها لتكتب عن القاهرة ومظاهر حضارتها المختلفة فى العصور التى تعاقبت عليها حتى اليوم .. ولم تكن الصحف هى وحدها التى سارعت الى المساهمة بامكانياتها للاحتفال بمرور الف عام على انشاء قاهرة المعز لدين الله الفاطمى ، فهذه وزارة الثقافة تسارع الى اقامة معرض عالمى للكتاب بهذه المناسبة التاريخية العظيمة ، تساهم فيه كثير من دور النشر والطباعة فى الجمهورية العربية المتحدة ، وفى الدول العربية الشقيقة ، والهيئات الدولية كهيئة الامم المتحدة ، واليونسكو ، وجامعة الدول العربية ، وبعض المكتبات ودور النشر فى الدول الاجنبية كالاتحاد السوفيتى ، والمانيا الديموقراطية وفرنسا .

وليس من شك فى أن الغاية الأولى لما تصدره الصحف ، أو لاقامة هذا المعرض واشتراك دور النشر والهيئات الدولية فيه ، هى اظهار مدى التطور الذى حدث فى الطباعة ، ومدى التقدم فى الثقافة العامة وفى العلوم والمعارف ، وان يكون ذلك فى القاهرة ، وفى مناسبة عيدها الألفى وهى التى كانت الشعاع الذى يلتمس به الحائر سبل الهداية والرشاد ، ووسائل الخروج من ظلمات يعلو بعضها فوق بعض ، ومن ضلالات تغمر النفس الانسانية ، بل وتغمر المجتمعات كلها ، وتضيق عليها الخناق .. لقد كانت القاهرة هى النور الذى يسلك به التائه طريق العلم والمعرفة ، ويسير على ضوئه فى مسالك التقدم والحضارة .. فليس عجيبا بعد هذا ان تشيد الصحافة بذكر القاهرة ، وان يقام فى عيدها الالفى هذا المعرض الدولى كمظهر من مظاهر التقدم الفكرى ، وتحية لها من الدول والهيئات التى تعرف الفضل لاصحابه .

واذا كانت الدولة قد آثرت ان تكون مظاهر الاحتفال بهذا العيد فى أضيق الحدود ، فقد راعت فى ذلك الظروف التى تمر بها البلاد فى هذه الايام، فان ما اصبنا به من نكسة لم تكن متوقعة على الاطلاق تحتم علينا ان ننهج سياسة معينة فى حياتنا العامة والخاصة ، وفى تفكيرنا وتأملنا ، وفى أعمالنا وتصرفاتنا ، وفى انتاجنا واستهلاكنا وفى افراحنا وأتراحنا ، حتى يتم القضاء على آثار العدوان البغيض ونطهر أرضنا السليبة من رجس أولئك الصهاينة وعبثهم بالقيم الروحية والانسانية التى أقرت لعبادة خالق السماوات والارض ، وباعث الانبياء والرسل لهداية البشرية الى الخير والحق .

واذا كانت مظاهر الاحتفال بالعيد الالفى للقاهرة تقام فى أضيق الحدود لهذه الظروف ، والى ان تنقشع السحب ، وتظهر الشمس بنورها الساطع يضفى على الشرق العربى الأمن والطمأنينة ، ويبعث فى جنباته الراحة والهدوء .. اذا كان هذا قد حدث فى العيد ، فلابد ان نشير الى أمرين :

الاول : أن هذه الحدود الضيقة فى الاحتفال ، انما هى لفترة محدودة بالقضاء على آثار العدوان ، وان هذه المظاهر لابد ان تتسع — ان شاء الله — حتى تصبح فى أعظم مظاهر الابهة والعظمة والتنسيق التى تتفق وتاريخ القاهرة المجيد .

الثانى : اننا لانريد لمجلة منبر الاسلام ، التى تعتبر اكبر مجلة اسلامية فى الشرق ، ان لم تكن فى العالم كله ، والتى تصل الى كل مكان فى البلاد العربية والاسلامية ، والى دول كثيرة فى كل قارة من قارات العالم ، والتى تحمل رسالة الاسلام الى هذه الاماكن والدول باللغة العربية ، أو مترجمة الى لغات مختلفة . نقول اننا لانريد لهذه المجلة ان يمر العيد الالفى للقاهرة دون ان تشير اليه ، وتساهم فيه ، ونرجو أن نبدأ هذه المساهمة بهذا القسم الأول من الحديث عن مصر والفتح العربى .

مصر قبل الفتح :

وليس من شك ان مصر تعتبر من أعظم الدول حضارة ضاربة فى اعماق التاريخ ، فقد كان المصريون القدماء أول من اهتدوا الى اسس الحضارة التى نهج الانسان منهجها وسار على طريقها ، وعبر بها الحدود الى سائر أقطار العالم ، ولقد كان فى مقدمة أسس هذه الحضارة اقامة الدولة ، والاهتداء الى الكتابة ، وممارسة الزراعة ... وكان من مفاخر أولئك القدماء انهم ادركوا ما يمكن ان تجنيه البلاد من خير عظيم اذا ما تم الاتحاد بين اقاليمها المختلفة ، ولذلك اتجهت الى انتهاج سياسة موحدة ، واثبت التاريخ ان فكرة الوحدة السياسية بدأت بالفعل عند احد الامراء ويدعى (نارمر) ..

وتقبل المصريون فكرة هذه الوحدة قبولا حسنا حيث رأوا فيها أمرا قد يحقق لهم القوة والعزة ، غير ان الأمر لم يسلم من وجود بعض المناوئين لها ، ولم يقف نارمر امام هذه المناوأة مكتوف اليدين ، ولكنه ناضل بشجاعة وبسالة ، وضرب بشدة على ايدى هؤلاء المناوئين حتى رضخوا واذعنوا للاتجاه الجديد ، وبذلك تمكن من وضع حجر الاساس الذى أقيم عليه البناء عاليا شامخا فى عهد (مينا) الذى يرجع اليه الفضل فيما وصلت اليه مصر فى ذلك الوقت من حضارة ورقى .

ويقول الدكتور محمود محمد الجوهرى :(ليس هناك أى خلاف بين العلماء والمؤرخين ، على أن مجتمعنا فى التاريخ ، كان فى طليعة المجتمعات التى نشأت منذ انبثق مجد الحضارة فى العالم

مارس مجتمعنا القديم ، حركة الانتقال من الحياة البدائية الى الحياة المدنية قبل غيره من المجتمعات ، وقد مارس مجتمعنا القديم هذه الحركة عن طريق الوحدة منذ وجدت على ضفاف النيل دولتان ، احداها فى الوجه القبلى ، والثانية فى الوجه البحرى قبل الاف السنين اذ جاء (مينا) أو (مصرايم) فوحد بينهما وتقبل المصريون هذه الوحدة قبولا حسنا ، لانهم رأوا فيها اساسا لحضارة جديدة يعيشونها ويجنون ثمارها .. وكانت هذه الوحدة المصرية القديمة ، أول حركة فى التاريخ ظهرت فيها ملامح مجتمع جديد

— ١١ عاما فى طريق الحرية والاشتراكية والوحدة للدكتور محمود محمد الجوهرى ص ٩ —

وليس من شك فى ان قدماء المصريين كانوا هم الذين انشأوا اقدم دولة اهتمت بالعلم والمعرفة والتربية ، فلم يحدثنا التاريخ عن شعب من شعوب الأرض اهتم بهذه النواحى اهتمام المصريين بها ، حتى لقد تركوا تراثا زاخرا فى الادب ، وعلوم الفلك ، والحساب ، والهندسة ، والطب ، والكيمياء ، كما كانوا هم أول من بذلوا جهودا فى ضبط النيل ، وتنظيم

الرى ، وحفر القنوات واقامة السدود ، وتربية الماشية ، والعناية بالصناعة ، والاشتغال بالتجارة .

يقول الدكتور محمود محمد الجوهرى : (عن طريق هذه الوحدة — التى اشرنا اليها من قبل — نظم المصريون القدماء انتاجهم الزراعى . وهم الذين كانوا قد مارسوا الزراعه كاول وسيلة اكتشفها الانسان للانتاج ، ثم ما لبث هذا التنظيم أن امتد تلقائيا الى التفكير المنظم فى مجالات العلم ،بوصفه وسيله لمعرفه ، وفى مجالات الدين بوصفه اساس العقيدة .. وعن طريق الدين والعلم كليهما ، ظهر المجتمع المصرى القديم ، وظهرت فى حياة هذا المجتمع مبادىء جديدة على الناس ، فحاولت الشعوب الاخرى أن تعد نفسها اعدادا جديدا على غرار ما صنع المصريون القدماء ، ثم ظهر التنافس بين هذه الشعوب ، ومن هذا التنافس انطلقت أولى شرارات الحرب فى هذه المنطقة وعلى ضوء هذه الشرارات ، ظهرت فى مجتمعنا القديم قيادات عسكرية عظيمة كقيادة (احمس) الذى طرد المعتدين ، وحقق انتصارات تركت آثار امجادها على ملامح هذا المجتمع كما ظهرت قيادات روحية جديدة بالنسبه لعصرها كقيادة (اخناتون) التى ربطت بين فكرة الوحدة الوطنية ، وبين فكرة التوحيد فى المجال الدينى ، وهكذا ظهرت لاول مرة فى التاريخ ملامح مجتمع يسمو بتفكيره فوق مصالح الحياة الدنيا الى ما فوق هذه الحياة من اسرار الكون ، ولقد اتخذت هذه الملامح على مر الزمان . صورا شتى فى البحوث العلمية أو الفلسفية التى تركت طابعها أو ملامحها فى الآثار الخالدة التى لم تنقطع دهشة العالم الحديث من عظمتها

ولم يقض المصريون القدماء حياتهم فى عزلة عن العالم ، وانما كان لهم اثر كبير فى خدمة الحضارة الانسانية ومساندة جيرانهم من سكان الوطن العربى ، ولقد بين الميثاق هذه الحقيقة فى حديثه عن جذور النضال المصرى فى قوله . **(ومصر بالذات لم تعش حياتها فى عزلة عن المنطقة المحيطة بها .. بل كانت دائما بالوعى — وباللاوعى فى بعض الاحيان — تؤثر فيما حولها وتتأثر به كما يتفاعل الجزء مع الكل ، وتلك حقيقة ثابتة تظهرها دراسة التاريخ الفرعونى صانع الحضارة المصرية والانسانية الأولى كما تؤكدها بعد ذلك وقائع عصور السيطرة الرومانية والاغريقية**

والواقع أن عصور السيطرة الرومانية والاغريقيه اظهرت بجلاء تام مدى الاتصال المستمر بين مصر وجيرانها .. والواقع أن مصر ، فى هذه الفترة وهى الفترة التى سبقت الفتح العربى كانت معروفة لهؤلاء الجيران ، وخاصة بلاد العرب ،معرفة تامة ترجع الى عوامل كثيرة (فبين مصر وبلاد العرب — كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل — صلات ترجع الى اقدم الحقب .. ذلك ان مصر كانت دولة بحرية منذ عهد الفراعنة ، فكانت اساطيلها الحربية والتجارية تشق عباب البحرين الابيض والاحمر من اقدم عصور التاريخ ، وكانت سفن هذه الاساطيل تذهب الى الجنوب من بلاد العرب تحمل اليه التجارة وتجىء منه بمختلف السلع .

ولم تكن الاساطيل البحرية وحدها اداة هذه الصلات القديمة المتصلة على القرون بين مصر وبلاد العرب . بل كان برزخ السويس اداة اتصال بينهما لم تنقطع فى عصر من العصور ..

(ومؤرخو العصور القديمة يذكرون ان هذا الاتصال ادى الى استقرار عدد غير قليل من العرب بوادى مصر منذ عهد الفراعنة ، والى استقرار جالية من المصريين عند واحة على طريق القوافل ، وان هذه الجالية كانت النواة التى نشأت حولها مدينة يثرب ، مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام .)

(لم تكن صلة التجارة وحماية القوافل هى وحدها التى ربطت بين العرب والمصريين فى العصور القديمة ، بل ربطت بينهما كذلك صلة رحم ان نسيها أهل اليمن لم ينسها أهل الحجاز ، وما كان لاهل مكة بخاصة أن ينسوها ، فاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام أبو العرب ، وهاجر ام اسماعيل مصرية صميمة .

وقد يلفت النظر ان المقوقس حاكم مصر كان اجمل الملوك والامراء ردا على رسالة النبى واكثرهم مجاملة له . وقد بعث مع حاطب بن ابى بلتعة رسول النبى اليه بكتاب يشير فيه انه يعتقد ان نبيا سيظهر ، ولكنه ظن انه سيظهر فى الشام ويذكر انه استقبل رسوله بما يجب له من اكرام وانه بعث بهدية : جاريتين ، وبغلة بيضاء ، وحمار ومقدار من المال ، وبعض خيرات مصر .. وقد

اصطفى محمد – صلوات الله وسلامه عليه – مارية القبطية احدى الجاريتين لنفسه ، فولدت له ابراهيم فرفعها الى مقام زوجاته ، ثم كان يقول : استوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة ورحما

– الفاروق عمر : للمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل – الجزء الثانى – ص ٦٥ ومابعدها –

هذه هى بعض النواحى الهامة التى ذكرها كاتبنا الكبير المرحوم الاستاذ محمد حسين هيكل فى كتابه عن الخليفة الثانى ، عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – والتى توضح فى صورة لاغموض فيها ولا ابهام ، مدى التقارب الذى كان بين الشعبين : العربى فى شبه الجزيرة ، والمصرى فى وادى النيل ٠٠ والواقع ان مصر فى ذلك الوقت – قبل الفتح العربى مباشرة – كانت عبارة عن ضيعة من الضياع التابعة للرومان الذين استولوا عليها عام ٣٠ قبل الميلاد ٠٠ والواقع ان الرومان كانوا (يستنزفون خيراتها ، ويسلبون ثرواتها ، ويفرضون الضرائب على أهلها بلا رحمة ولا هوادة ، ويسلبون الاهالى اموالهم ، واثاث بيوتهم ، وممتلكاتهم ، دون رادع من عقل ، ولا وازع من ضمير ٠

وكان المصريون ملزمين بايواء من يمر بهم من الموظفين الملكيين أو العسكريين من الرومانيين ، وكانوا مجبرين على توفير اسباب الراحة لهم فى حلهم وترحالهم ٠٠ بل كانوا مضطرين الى فتح بيوتهم لهم فى أى ساعة من ساعات الليل أو النهار ٠

– الاسلام فى المشارق والمغارب للدكتور جمال الدين الرمادى ص ٨٣ –

هذا الضياع الذى كان يحسه المصريون ، وهذا الحرمان الذى كانوا يقاسونه وهذا النهب الذى كانوا يعانون منه ولا يجدون ما يحول دونه ، وهذا الضيق الذى كان يحيط بهم ويسد عليهم مسالك الطمأنينة والهدوء ٠٠ كان هذا كله ، الى جانب ماكانوا يسمعون به من شجاعة العرب ، وتعاطفهم والأخوة التى الفت بين قلوبهم ٠ وحبهم للعدل والمساواة ، وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وما كانوا يسمعون به من تعاليم جاء بها دين جديد ، بعث به نبى جديد يدعو الى عبادة اله واحد لا شريك له ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ٠٠ كان هذا كله سببا من الاسباب القوية ، بل كان كل الاسباب التى دفعت المصريين دفعا الى التطلع بصبر نافد ، وشوق شديد الى التخلص من هذا الاستبداد والتحرر من هذا الاستعباد والظلم كما كان سببا من الاسباب القوية التى شدت انتباه العرب الى مصر وملأت قلوبهم شوقا الى أرضها ، وملكت عليهم تفكيرهم فى فتحها لتكون قوة وسندا للدعوة الاسلامية ولقد حقق الله أمالهم ، وجعل تحرر المصريين وخلاصهم وفتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب

التفكير فى الفتح :

ولقد جاء ذكر مصر فى القرآن الكريم فى اكثر من موضع ، ذكرها وذكر ماكانت تمرح فيه من بحبوحة العيش فى التعقيب على ماكان من غرق فرعون وقومه : (**ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ٠ ان ادوا الى عباد الله انى لكم رسول أمين ٠ وان لاتعلوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين ٠ وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلونى ٠ فدعا له أن هؤلاء قوم مجرمون ٠ فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون ٠ واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون ٠ كم تركوا من جنات وعيون ٠ وزروع ومقام كريم ٠ ونعمة كانوا فيها فاكهين ٠ كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين سورة الدخان : الأيات من ص ١٧ – ١٩ وذكرها فى حديث فرعون لقومه (ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون) الى غير ذلك من الآيات ٠**

صورة الزخرف الاية ٥١

وكانت هذه الاحاديث فى القرآن ، الى جانب صلات العرب بمصر فى التجارة والسياسة والنسب من أقوى الاسباب التى اثارت فى نفوس المسلمين فى شبه الجزيرة العربية صورة مصر الطبيعية ، كما اثارت فى نفوسهم صورة من تاريخها العظيم منذ أقدم العهود ٠٠ وكانت من أقوى الاسباب التى دفعت عمرو بن العاص الى أن يستاذن خليفة رسول الله عمر بن الخطاب فى فتح مصر ، وكان ذلك فى عام ١٨ من هجرة رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – وهو ما يقابل عام ٦٣٩ من

ميلاد المسيح عليه السلام ، وفى ذلك يقول الدكتور الرمادى :

(عندما وصل عمر بن الخطاب الى الجابية عام ١٨ للهجرة (٦٣٩ م) طلب منه عمرو بن العاص ان يأذن له فى السير الى مصر ، وقال له : انها اكثر الارض أموالا ، واهلها – يقصد الرومانيين الذين سيطروا على ازمة الحكم فى البلاد – اعجز الناس عن الدفاع عن انفسهم ، واضاف قائلا : انك ان فتحتها كانت قوة للسلمين وعونا لهم

الاسلام فى المشارق والمغارب : الدكتور جمال الدين الرمادى

وعلى الرغم من أن عمر بن الخطاب كان مترددا فى قبول ما عرضه عليه عمرو بن العاص ، والاذن به الا ان عمرو بن العاص لم ييأس من تردد أمير المؤمنين وأخذ يتحين الفرصة المناسبة لاعادة الطلب ، ومازال بأمير المؤمنين وخليفة رسول الله يغريه على قبول هذا الفتح حتى اذن له مع شىء من التحفظ ، اذ اخبره برسالة قد يبعث بها اليه فى الطريق وعليه ان ينفذ مافيها من تعليمات .. وكان عمرو بن العاص فى العقد الخامس من عمره أو يزيد عليه قليلا ، حين فكر فى فتح مصر ، وكان شجاعا متفوقا فى الفروسية وفنون الضرب بالسيف ، قوى البنية ، مع رجاحة فى العقل ، وسعة فى الحيلة ، وفصاحة فى اللسان ، وكان جريئا فى الحروب داهية فى السياسة وكان قديرا على مغالبة الصعاب ، ولذلك ما ان اذن له عمر ابن الخطاب حتى سار فى اربعة آلاف مقاتل من المسلمين ميمما وجهه شطر وادى النيل .. وقد كتب القدر لعمرو بن العاص أن يكون الظفر نصيبه ، وأراد الله أن تدخل مصر فى حمى الاسلام ، وان تصبح الدرة الغالية فى تاج الامبراطورية الاسلامية

والى احاديث قادمة ارجو ان يكتب الله لنا التوفيق والسداد .

تحديات

الأستاذ أنور الجندى

هذه حقائق هامة ، أرجو أن توضع بين أيدى الباحثين والدارسين للتراث والعاملين لتجديده وذلك فى مجال الانتفاع بالمراجع المختلفة فى فنون الدراسة وألوان البحث المختلفة . وهى حقائق توضيحية نحاول أن نوسع بها الأفق ونضىء الأضواء الكشافة فى طريق البحث العلمى الخالص .

ذلك أن بعض الكتب القديمة من التراث ، قد كتبت فى ظروف مختلفة ، وقصد بها الى تزجية الفراغ فجاءت هذه الكتب حافلة بالقصص والفكاهة وضمنت خليطا من المتعة والتسلية ، وحاولت أن تجمع الطرائف وأحاديث الأندية وروايات الرواة الذين انتشروا فى القرن الثالث فى أنحاء العالم الاسلامى وفى عواصمه من القصاص والمداح ، هؤلاء الذين ملأوا أجواء الحياة بعشرات الحكايات التى تضمنتها من بعد كتب المحاضرات والاقاصيص ، هذه الكتب التى كتبت لغاية خاصة ، لا يجوز أن تترك بغير تذكير بأنها لاتصلح وحدها كمراجع لدراسة عصر من العصور أو تصور حالة المجتمع الاسلامى فى ضوءها .

وفى مقدمة هذه الكتب : كتاب الاغانى الشهير بأجزائه ومجلداته العديدة ، وكتاب ألف ليلة وليلة . وقد كان يمكن أن يقع هذان الكتابان فى مكانهما المعروف من كتب الثقافة والعلوم والابحاث الجادة لولا تلك المحاولة التى قام بها بعض الناشرين الغربيين الذين جاءوا الى البلاد العربية منذ منتصف القرن التاسع عشر ، واهتموا اهتماما كبيرا باذاعة هذين الكتابين واعادة طبعهما بكميات كثيرة ، وألوان فاخرة

في وجه الأدب والتراث العربي

بالاضافة الى ذلك الاهتمام الذى وجه الى الشعر المنسوب الى العلامة الفلكى الأشهر . عمر الخيام

وقد شكلت هذه الظاهرة فى نظر البـاحثين المنصفين بالاضـافة الى اهتمامات المبشرين والمستشرقين لشخصيات معينة فى الأدب العربى والتاريخ الاسلامى وابرازها والعنـاية بها ، والحملة على شخصيات أخرى واثارة الشبهات حولها ، كل هذا شكل ظاهرة جديدة تحتـاج دوما الى الكشف عنهـا والتذكير بها .

فقد كان العرب والمسلمون دوما فى مراحل اليقظة والنهضة يتحركون فى مجال تجدد فكرهم بحرية مطلقـة ودون ضـاغط ، ولكنهم فى مرحلة اليقظة الحديثة كان النفوذ الاستعمارى قد سيطر على معظم اجزاء العالم الاسلامى والأمة العربية ومن هنا فقد حدث نوع من التداخل والضـغط بالنسبة لما يبتعث من التراث وما يترجم من الآداب الأوربية فلم يكن للفكر الاسلامى العربى حريته المطلقة وقدرته المحررة فى تقبل ما يجده موافقا لمجارى فكره ولقيمه الاساسية ، من خلال هذا التحدى جرى ذلك الضغط على نشر بعض الـكتب وفى مقدمتها ألف ليـلة والأغانى والشعر المنسوب الى عمر الخيام .

« ألف ليلة »

حاولت حركة التبشير والتغريب التى رافقت النفوذ الغربى والاستعمار أن تجعل من كتاب ألف ليلة وليـلة « وثيقة » لدراسة صورة المجتمع الاسلامى ولذلك فقد ترجم الى مختلف اللغات وأثيرت حوله اهتمامات كبرى ، وذلك ضمن المخطط المدروس والمنفذ الذى يشمل الاغانى ورباعيات الخيام وغيرها من المؤلفات المملوءة بالصور الاباحية فى محاولة خطيرة لالقاء ظلال من الشك علي سلامة الفكر العربى الاسلامي ومحـاولة لاثارة هـذه الموجة من الشك والاباحة عن طريق بعثها من « تراث » العرب والمسلمين أنفسهم . ويتميز كتاب ألف ليلة فى نظرهم بأنه يعطى صورة لمختلف الطبقات فى المجتمع ويخلط بين الأمير والصعلوك والتاجر والشرير ، وانه لا يقف بالصورة عند مجتمع السراة والولاة .

والمعروف أن كتاب ألف ليلة ليس وثيقة تاريخية وليست له مصادر أساسية وانما هو مجموعة من القصص الخيالية التى جمعت ورويت فى ظل اضطراب المجتمع الاسلامى وضعفه ، وقد تولى ترجمته المستشرق الفرنسى غالان عام ١٧٠٤ ومن ثم انتشر بصورة مذهلة فى جميع اللغات الأوربية وأعيدت طبعاته فى الانجليزية والالمانية وغيرها .

وكانت الصورة التى أولت هـذا الاهتمام أن الشرق كان يعيش فى الحريم والترف والبخور والخمـور ، وهذه هى الصورة التى أغرت كثيرا من الكتاب الغـربيين بالرحلة الى الشرق ورددت كلمات الاعجاب والتقـدير ، فقد كتب جوته وبايرون وغيرهما كلمات تحمل معنى التطلع الى الصورة المغلفة بالضباب للشرق والتى رسمتها الف ليـلة فى نفوس وعقول هؤلاء الكتاب وقد ظنوا أنها حقيقة وان المجتمع كله يعيشها .

وفى ظل هذه الصورة كون الغرب رأيه فى الشرق ، وحاول أن يستخرج منها قواعد للاجتماع والاسرة والمفاهيم ، وكان فى ذلك مخطئا أشد الخطأ فلم يكن الشرق فى حقيقته يعيش هـذه الصورة ، ولم تكن مفاهيم الترف والجنس والشهوات هى التى تسيطر عليه أو توجه فكره ، ولقد عرف الغرب عنـدما زار الشرق كيف أن هذه الصورة لم تكن واقعية ، وان قيم العرب والمسلمين كانت لا تزال حية قوية ومفاهيمه سليمه ، وذلك بالرغم من الضعف الذى كان قد انتاب الدولة ، والفساد الذى حل بالطبقات العليا منه أما الطبقات الوسطى والدنيا فلم يكن قد أصابها الانحراف وان كانت قد تقوقعت وتجمدت .

وعرف بالتأكيد عن طريق البحث العلمى النزيه أن « ألف ليلة » لم يكن الا مجرد صور خيالية تمثل الاساطير والاحلام والاوهام التى كانت تعيش فى خيـالات القصاص وهى فى مجموعها مستمدة من تراث الاساطير الشرقية والغربية القديمة، وقد استطاعت براعة الرواة أن تخلق منها جوا عصريا فتضم اليها أسماء جديدة .

ولذلك فقد كانت محاولة دعاة التغريب فى اعتبار ألف ليلة وليلة صورة واقعية للمجتمع الاسلامى العربى ، مضللة وكاذبة أساسا ولا تعتمد على سند علمى ، وان محـاولات المستشرق « لين » فى أن يتخذ من هذا الكتاب أساسا لشرح عادات العرب والمصريين وكتابة بحث تاريخى عن المجتمع الاسلامى ليست الا محاولة زائفة تخدم أغراض التبشير والاستـعمار والتغريب والغزو الثقافى ، وكذلك كان مستر « بيرتون » غير منصف حين اعتبر أن ألف ليلة يستطيع أن يقدم لاهله طباع المسلمين

وعاداتهم وأخلاقهم وذلك على حد قوله لتكون لديهم « الحنكة الضرورية ليحكموا المسلمين والواقعين ضمن امبراطوريتهم » وقد كشف هذا عن الاتجاه الاستعمارى وبقى أن نقول أنه بهذا الاعتماد على ألف ليلة فان المستعمرين لم يعرفوا حقيقة المجتمع العربى الاسلامى ولم ينفذوا الى جوهره . ولان ألف ليلة من صنع القصاص والرواة - وهم غالبا غير حائزين على قدر من الثقافة تؤهلهم لفهم مقومات الفكر العربى الاسلامى فان ما يجرى فيها من حوار ساذج لا يمثل حقيقة العقلية العربية الاسلامية ، ومن هنا ، كان خطأ اعتبار الاحاديث التى جرت فيها بانها مصدر لاستخلاص قيم معينة حيث يقال بأن « حكاية الوزير نور الدين بن شمس الدين » هى أكثر بدائية وفيها حرية الاطفال على حد تعبير المستشرقين وعلى ضوء هذا الكتاب الملفق الذى لا يعرف مؤلفه ولا تاريخ تأليفه تقوم نظريات غريبة تحاول أن تصطبغ بطابع العلم والبحث المجرد ، وأن تجد من يدافع عنها ويتبناها من دعاة التغريب والشعوبية كالقول بأن العرب عاطفيون يحبون من أول نظرة .

وقد بلغ الأمر فى استغلال ألف ليلة الى حد أن أضاف بعض المترجمين اليها ما ليس فيها من أقذع عبارات الوصف الجنسى كما فعل المستشرق الانجليزى الدكتور مارد روس فى أوائل القرن فاخفى معالم الأصل وحول ألف ليلة الى كتاب لاثارة الشهوة والغريزة الجنسية .

« الأغانى »

كان كتاب الاغانى فى مقدمة الكتب التى حرص التغريب على أن تكون مرجعا أساسيا لدراسة الادب العربى والحياة العربية فى القرنين الاول والثانى وعليه اعتمد كثير من الكتاب الذين قالوا : ان العصر الثانى الاسلامى - كذبا - كان عصر شك ومجون . وقد حاول بعض دارسى الأغانى أن يعتبروه « مصدرا لتصوير حياة » وجرت محاولات كثيرة للكشف عن جوانب الشعوبية والتحامل والخطأ الوارد فيه وانه لا يصلح كمرجع تاريخى لتصوير الأمة العربية ولا مرجعا أدبيا لأنه اقتصر على لون واحد من الادب فى عصره هو أدب الاغانى بينما حفل الادب العربى فى عصره بفنون عديدة مختلفة

وأبو الفرج الاصفهانى مؤلف الاغانى ليس مؤرخا وقد وصفه العلامة اليوسفى بأنه كان اكذب الناس لانه كان يدخل سوق الوراقين وهى عادة الدكاكين وهى مملوءة بالكتب فيشترى منها شيئا كثيرا من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها « كما ذكر عنه صاحب معجم الادباء ج ٥ ص ١٥٢ قوله « كان شأنه فى معاقرة الخمر ووصف النساء شأن الشعراء والادباء الذين كانوا فى عصره أو قبله حيث يقدم دقاقين الخمارين وجلهم من اليهود او الصائبة والمجوس ، وقد عرف - أى مؤلف ألف ليلة - بمعاقرته للخمر ، ولم تكن له عناية بنظافة جسمه وثيابه » كما قال عنه الصابى فى كتابه الذى ألفه فى أخبار الوزير المهلبى « وكان ابو الفرج الاصفهانى وسخا قذرا لم يغسل له ثوبا منذ فصله الى أن قطعه ، وكان الناس يحذرون لسانه ويتقون هجاؤه ويصدون عن مجالسته ومعاشرته على كل صعب فى أمره لانه كان وسخا فى نفسه ثم فى ثوبه وفعله » وحكى القاضى ابو على المحسنى التنوخى فى كتابه « نشوار المحاضرة » ان أبا الفرج كان أكولا نهما وكان اذا ثقل الطعام على معدته تناول خمسة دراهم فلفلا مدقوقا ولا يؤذيه ولا تدمع له عيناه وبعد ساعة أو ساعتين يفصد »

أمثل هذا يصلح كتابه مرجعا ، اننا ننظر الى الكاتب قبل أن ننظر الى الكتاب ، فاذا كان أمينا شريفا نزيها قبلنا منه والا رفضناه وذلك وفق منهج « الجرح والتعديل » التى رسمته ثقافتنا العربية الاسلامية وجاء المنهج العلمى الحديث على قاعدتها .

وقد أشار الدكتور زكى مبارك فى كتابه « النثر الفنى » الى مكانة الاصبهانى وكتابه الاغانى يقول : وشهرة الاصبهانى وكتابه مستفيضة ، وانما أريد أن أنص على ناحيتين فى الاصبهانى وكتابه لم أجد من تنبه لها من الباحثين ، ولهاتين الناحيتين أهمية عظيمة فى فهم الحياة الادبية وسيكون لهما أثر عظيم فى دعوة المؤلفين الى الاحتياط حين يرجعون الى كتاب الاغانى يلتمسون الشواهد فى الأدب والتاريخ ، الناحية الاولى خاصة بالاصبهانى ، تلك الناحية هى خلقه الشخصى فقد كان الاصبهانى مسرف أشنع الاسراف فى اللذات والشهوات ، وقد كان لهذا الجانب فى تكوينه الخلقى أثر ظاهر فى كتابه ، فان كتاب الاغانى أحفل كتاب بأخبار الخلاعة والمجون ، وهو حين يعرض للكتاب والشعراء يهتم بسرد الجوانب الضعيفة من أخلاقهم الشخصية ويهمل الجوانب الجدية اهمالا ظاهرا يدل على أنه كان قليل العناية بتدوين أخبار الجد والرزانة ، والتجمل والاعتدال ، وهذه الناحية من الاصفهانى أفسدت كثيرا من آراء المؤلفين الذين اعتمدوا عليه ونظرة فيما كتبه المرحوم جرجى زيدان فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية وماكتبه مؤلف حديث الاربعاء تكفى للاقناع بأن الاعتماد على كتاب الاغانى جر هذين الباحثين الى الحط من أخلاق الجماهير فى عصر الدولة العباسية وحملها على الحكم بأن ذلك العصر كان عصر فسق وشك ومجون .

ولا شك أن اكثار الاصبهانى من تتبع سقطات الشعراء وتلمس هفوات الكتاب جعل فى كتابه جوا مشبعا بأوزار الاثم والغواية وأذاع فى الناس فكرة خاطئة هى اقتران العبقرية بالنزق والطيش .

أما الناحية الثانية فهى خاصة بكتاب الاغانى : تلك هى نظم ذلك الكتاب ففى مقدمته عبارات صريحة فى الدلالة على أن مؤلفه قصر اهتمامه أو كاد على امتاع النفوس والقلوب والأذواق . فهو كتاب أدب لا كتاب تاريخ وأريد بذلك أن المؤلف أراد أن يقدم لاهل عصره أكبر مجموعة تغذى بها الاندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ، وانه ليحدثنا فى المقدمة بأنه أتى فى كل فصل من كتابه يفقر اذا تأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة الى مثلها ، ومتصرفا فيما بين جد وهزل ، وأخبرنا بعد ذلك انه اهتم بالغناء الذى عرف له قصة تستفاد وحديثا يستحسن ، وعلل ذلك بقوله : اذ ليس لكل الاغانى خبر تعرفه »

وهذه كلها شهادات باحثين متصفين فى تقدير كتاب الاغانى ووزنه بميزان الانصاف وهذه صورة مؤلفة وحقيقة جوهره ، ومن هنا كان علينا أن نذكر اخواننا الباحثين دائما أن يتنبهوا الى هذه الحقيقة ، حقيقة ان كتاب الاغانى ليس له قيمة تاريخية وانه لا يصلح مرجعا علميا فقد كان مؤلفه منحرفا وكان اتجاه الاغانى واضحا انه لا يرسم صورة المجتمع كله ، وانما يرسم ذلك الجانب القليل المضطرب منه . وهنالك رأى بأن الاصفهانى له يد فى تكوين هذه الاخبار التى ساقها لشخصيات كتابه وانه وضعها فى قوالب يغلب عليها اللهو والمجون « فهو لم يخلقها كلها ولكنه نفخ فيها من روحه » .

أما الشعر المنسوب الى الخيام فموعدنا به الحديث القادم بإذن الله .

وحدة التشريع والقضاء في البلاد العربية

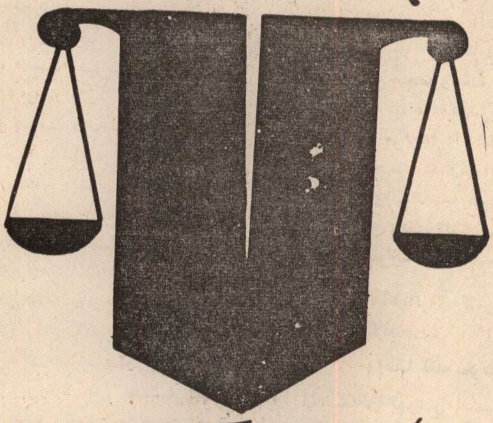

الأستاذ محمود كمال

« ان الاسلام ... يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة ... ويبقى محتفظا بكامل ماله من قوة الحياة ، « ولا يجوز » أن تهدم الخلافة هذا الهيكل العظيم من العلم الاسلامى .. فهو الذى أعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتا ، وشريعته تفوق فى كثير من تفاصيلها الشرائع الاوربية » .

الدكتور انريكو أفساباتو

فى المقالين السابقين تحدثنا ، فيما تحدثنا فيه ، عن خصائص الشريعة الاسلامية ، ثم تكلمنا عنها من الناحية التاريخية ، وبقى أن نتكلم عنها من الناحية الاجتماعية ، وذلك قبل أن نتطرق الى صميم موضوع وحدة التشريع فى ذاته .

١ – الشريعة الاسلامية من الناحية الاجتماعية ..

ا – وسنعرض ، أول ما نعرض ، فى هذا الصدد ، الى كون الشريعة الاسلامية شريعة « عالمية » ، بخلاف سائر الشرائع المعروفة لدى الأمم الأخرى اذ أن كل شريعة منها قاصرة على الأمة التى شرعت لها .

وتفسير كون الشريعة الاسلامية « عالمية » هو أن أحكامها لم تنزل من عند الله خاصة بأمة من الأمم بذاتها ، ولا بقوم من الأقوام دون غيرهم ، ولكنها جاءت عامة صالحة لكل أمة فى الارض ، ولكل زمان من الأزمنة ، مهما طال ذلك الزمان أو قصر ، وذلك لأن مصدر تلك الأحكام جميعا هو الكتاب الكريم ، ثم السنة المحمدية ، ولأنها ، كما شاءت ارادة الله ، كلية ، أصيلة ، بمعنى أنها أصول تستمد منها أحكام جزئية ، فرعية ، متناسبة مع الأوضاع السائدة فى كل أمة على حدتها ، وفى كل زمان من الأزمنة ، وهى ، فى الوقت نفسه ، متصفة بأنها سرمدية ، متينة البنيان لا يضعفها الزمان ، ولا يبليها الجديدان ، دائمة ، رغم ما أصاب الأقطار العربية ، فأصابها وهى هى أيضا بالتبعية من غارات قاسية وحشية من الروم والفرس والتتار والمغول والترك والصليبيين ثم المستعمرين فى العصر الحديث ، باقية ما بقيت الحياة ، غير متغيرة غير قابلة لأى تعديل ، مهما يكن ، قليلا كان أو كثيرا .

أما الأحكام الجزئية ، الفرعية ، المستمدة منها ، والتى يجب أن تكون داخلة فى نطاقها ، ومتفقة معها فى روحها وفى أهدافها ، فان لولاة الأمور فى الأمة ، أى أمة ، ان يصدروا منها ما يشاءون مما يكون متمشيا مع الظروف الاجتماعية ، ومسايرا للعرف السائد ، وللعادات والتقاليد المرعية .

ولما كان العرف ، وكانت الظروف الاجتماعية ، والعادات والتقاليد المرعية لدى أى أمة ، من الأمور المتغيرة من زمان الى زمان ، ومن مكان الى مكان ، بتغير الأوضاع العامة ، فان هذه الاحكام التى يشرعها ولاة الأمور تكون متغيرة كذلك .

وبداهة فكون الشريعة الاسلامية « عالمية » أمر متفق تماما مع طبيعة الأشياء ، لأن الدين الاسلامى نفسه ، الذى جاء بهذه الشريعة ، « عالمى » شامل أمم الأرض جميعا ، دون استثناء والدعوة الى الاسلام عامة ، جامعة للناس كافة ، والرسالة المحمدية موجهة للعالم قاطبة ، وذلك مصداقا لقوله ، سبحانه وتعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » و « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » .

ب – العدل ، والمساواة ، وتكافؤ الفرص ..

والواقع ان العدل بين الناس فى المعاملة ، بأوسع معانيها ، والمساواة بينهم فيما لهم من حقوق ، وما عليهم من واجبات ، ومنحهم فرصا متكافئة فى سائر مناحى الحياة ، بالقدر الذى يتفق مع الأوضاع الاجتماعية السليمة ، والعرف السائد – ثم ضرورة شمول الافراد والمجتمعات بالحماية فى الأنفس والأموال ، والأعراض ، وغيرها – نقول ان الواقع هو أن هذه الامور كلها هى الاهداف الأصيلة لكل قانون من القوانين سواء ما كان منها مستمدا ، أصلا ، من الشرائع الدينية ، أم ما كان من وضع

الانسان نفسه ، وهو ما يعبر عنه بالقوانين الوضعية .

فالشريعة الاسلامية ، والقوانين الوضعية تتفق كلها فى أنها تهدف الى هذه الغايات والأغراض ، التى تكفل للناس السعادة ، والأمن ، والاستقرار فى الحياة .

ولكن الفارق فى هذا الصدد ، بين الشريعة الاسلامية ، والقوانين الوضعية يتركز فى أن الشريعة دينية ودنيوية ، تعنى ، أكبر عناية ، بالدين وبالدنيا ، وبالأخلاق والفضائل ، أما القوانين الوضعية فلا تعنى الا بماديات الحياة ، من حيث تنظيم المعاملات ، وتحديد الجرائم ، حسب وجهة نظرها ، وما تفرضه لها من عقوبات ، وغير هذا وذاك من أعمال دنيوية ، ولا تهتم بالأخلاق والفضائل الا اهتماما ماديا مجردا ، فى أضيق الحدود .

كذلك يتركز الفرق بينهما فى أن الشريعة أكثر دقة وأحكاما ، وأسمى تقديرا وتعبيرا ، وأشمل للمعانى كافة ، وأتقن صياغة بما يصل الى مرتبة الكمال ، فضلا عن أنها لا تخطىء ، ولا تنحرف ، ولا يشوبها عيب أو نقص فى أى ناحية من نواحيها لأنها من عند الله العليم بالبشر وطبيعة الحياة .

أما القوانين الوضعية فقد تنحرف فى مقاصدها وغاياتها ، وقد تخطىء فى تعبيراتها ، أو فى صياغة نصوصها ، وقد يشوبها نقص أو عيب من ناحية أو نواحى معينة .

فاذا حدث شىء من هذا القبيل ، وحدوثه أمر محتمل ، دائما ، لأن الانسان عرضة للخطأ ، والزلل ، عن قصد أو عن غير قصد ، فان العدالة المرموقة التى يطلبها الافراد والجماعات ، ويصبون اليها ، لا تتوفر ، فى أمثال هذه الحالات ، ولا تجعل الحفاظ على المثل العليا أمرا مقدورا .

ولعل هذا هو المعنى الذى ينصرف اليه التعبير المتعارف عليه من أن « العدالة الانسانية عدالة نسبية » .

٢ – وحدة التشريع فى البلاد العربية ..

١ – قلنا ، من قبل ، فى مناسبة سرد تاريخ الشريعة الاسلامية أن البلاد العربية – ونعنى بها الجزيرة العربية ، وسائر الامصار التى أظلها الاسلام منذ الفتوحات الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين ، ثم فى عهد كل من الدولتين الاموية والعباسية – وقد مرت بها أزمان متطاولة كانت الوحدة بينها قائمة ، وشاملة ، وكانت الشريعة الاسلامية هى وحدها السائدة ، وهى وحدها الحاكمة ، ونظر اليها العرب والمسلمون ، أيضا ، نظرة ملؤها الحرمة والتقديس ، وقد بقيت الحال كذلك حتى فى الأوقات التى نزلت فيها بالدولة العباسية النوازل ، وانتابها الضعف الى غايته ومداه ، فتفتت الى دول ، أو فل الى دويلات ، وامارات ، منفصلة ، بعضها عن بعض ، ومستقلة ، بعضها عن بعض ، بل ومتنازعة بعضها عن بعض ، ولم تتغير أوضاع هذه الشريعة فتصبح غير سائدة ، فى هذه البلاد ، سيادة كاملة وغير حاكمة فيها حكما تاما ، الا منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، حيث دخل الاستعمار تلك البلاد ، وتحكم فى رقاب العباد ، وتسلط على أقدار هذه الأمصار ، ثم افقدها استقلالها ، وعدا على حرياتها ، وأحل ما حلله ، وحرم ما حرمه ، وفق صوالحه وان تعارضت مع صوالحها ، ومقدساتها ، ومن ذلك كان عدوانه على الشريعة ، اذ لم يبق عليها باعتبارها هى الوحيدة السائدة ، والتى يجب أن تسود ، وانما حدد نطاقها ، وأشرك معها قوانين أخرى مستمدة من تشريعات أجنبية ، رغم ما فى ذلك من تضارب مع بعض أحكام هذه الشريعة ، ورغم ما فيه من استهانة بالعرف وبالعادات والتقاليد .

والواقع أن توافر الوحدة التشريعية فى البلاد العربية ، فى الأزمنة الماضية قد جعل توافر الانسجام والتطابق أمرا ملموسا وواضحا بين الشعوب العربية قاطبة فى العقليات ، وفى النفسية ، وموازين الحياة ، ومقاييسها ، واعتباراتها المختلفة ، بل لقد دل أكثر من ذلك ، على أن كل شعب منها يمتزج بالشعوب الأخرى « امتزاجا كاملا لتكون كلا لا يتجزأ » .

ومثل هذا الانسجام ، والتطابق ، والامتزاج ، جعل الأمور تجرى على نسق واحد ، وأسلوب واحد ، ووتيرة واحدة ، سواء فى المعاملات ، مثل البيع والشراء ، أو فى العبادات ، كالصلاة والصوم والزكاة ، أو فى شتى التصرفات الشرعية الاخرى ، كالهبات ، والوصايا ومسائل الاحوال الشخصية ، من زواج وطلاق ، وغيرهما ، وعلى الجملة فان هذا التطابق يكون طابع كل عمل من الأعمال الفردية ، والجماعية ، على سواء .

ب – ومن هذا البيان ، الذى دلت عليه ، وأكدته ، الاوضاع التى كانت سائدة فى البلاد العربية فى الأزمنة الماضية ، سواء أكانت أزمنة قوة ومنعة ، أو أزمنة ضعف وتفكك يتبين فى جلاء ووضوح ، أن عودة الشريعة الاسلامية الى تبوء مركزها السابق ، التى كانت عليه من حيث اعتبارها الشريعة الوحيدة الحاكمة والسائدة ، هو خير أساس تقوم عليه ركائز الوحدة الشاملة بين الدول العربية كلها .

وعلى هذا الرأى كثير من رجال القانون الاعلام ..

– وأيضا لقد ذكرت لجنة القانون المدنى بمجلس الشيوخ المصرى فى تقريرها عن اقتباس بعض أحكام من الشريعة الاسلامية أنها « لا ترى فى الرجوع الى الشريعة الاسلامية ، على هذا الوجه ، أى مساس باستقرار المعاملات ، بل ترى فيه تمكينا لأسباب الاستقرار عن طريق تقصى التقاليد الصالحة التى ألفها المتعاملون فى البلاد منذ مئات السنين »

– وأخيرا فقد ورد فى الميثاق أنه « قد أصبح محتما أن تعاد صياغة النظرية العامة للقانون » . وأنه « يجب علينا ... أن نعنى بكشف حقيقة الدين وتجلية جوهر رسالته ... لكى تكون الشريعة الغراء مصدرا أساسيا للتقنين » .

وهذا اقرار رسمى بحتمية عودة الشريعة الى مكانتها العليا فى البلاد العربية .

جـ) واتماما للحديث عن الآراء التى أبديت ، فى صدر هذا الموضوع ، أذكر أنى اطلعت على آراء أخرى يرى أصحابها أن الوحدة السياسية ينبغى أن تكون السابقة ، ولسوف تتلوها الوحدة التشريعية ، وتجىء فى أعقابها .

وقد لا تجد شعبا عربيا الا ويتمنى مثلها فى تمنياته ، ان تتم هذه الوحدة المرموقة ، اليوم قبل غد ، ولكن الكافة يتصورون أن الأمل فى قيامها قد يبطىء بنا كثيرا ، أو قد يمتد الى أجل أطول مما نظن أو نتوقع ، واذن فان الأنسب ، فى الظروف الحاضرة ، هو أن نحاول الاتجاه الآخر الذى هو ، فى نظرنا ، أقرب مثالا ، وأيسر حالا .

ومن جهة أخرى فان البعض يدعون الى وحدة التشريع ، لا على أنه وحدة الشريعة الاسلامية ، حسبما كان الحال فى أيامنا المجيدة الماضية ، ولكن على أنه وحدة القوانين القائمة الآن ، بمعنى أن تكون القوانين المصرية المعمول بها فى الوقت الحاضر ، مثلا ، هى نفسها القوانين المعمول بها فى سائر الأقطار العربية الأخرى .

وهذا العمل ، ان تم ، فانه تم بفضل الأوضاع القائمة الآن ، وفيه خير ، ولكنه ليس هو الذى ننشده ، ونتلهف عليه ، وليس هو مناط آمالنا التى نسعى اليها تمهيدا للوحدة السياسية .

وبداهة فان آمالنا ان تعلقت بالشريعة الاسلامية ، فما ذلك الا لأنها بعض من ديننا القويم الذى ينطوى على المثل العليا فى أرقى مراتبها ، وأسمى غاياتها . ويجعل الانسجام تاما ، بين هذه البلاد ، كما أوضحنا سابقا » .

د) والناس يتساءلون عن الوسيلة التى يمكن أن تحقق الآمال فى عودة الشريعة حاكمة فى البلاد العربية قاطبة ، والرأى أن تقوم الجامعة العربية بعقد اجتماعات من ممثلى هذه البلاد ، لوضع الترتيبات الابتدائية للنهوض بهذا العمل الجليل المرتقب . الجامعة العربية كما نعلم هى حلقة الاتصال بين الدول العربية ولها بهذه الصفة أن تطرق كل باب فيه مصلحة عامة لها وفيه خير .

وقد يكون من أفضل المشروعات النافعة التى تعرضها الجامعة على هذه الدول هو تكوين هيئة أو هيئات من رجال الاختصاص فى الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، لدراسة النظم القانونية القائمة الآن ، والكيفية التى تتبع لامكان تطويرها تدريجيا ، تجنبا للطفرة ، وتمشيا مع مقتضيات البيئات، والظروف الاقتصادية ، والاجتماعية ، وغيرها .

هذا مع جعل الأبواب مفتوحة لما تستلزمه الضرورات المتطورة من تعديلات مناسبة .

على أن يراعى أن التمهيد للوحدة التشريعية كاملة يستدعي اعدادا يستغرق زمنا غير قصير ولتكن هناك اذا هيئات فى كل من الجامعات ونقابات المحامين ووزارات العدل وغيرها دائبة على النظر فى امكانيات النهوض بعبء المتابعة ، وبما يجب أن يتخذ من أجله من اجراءات ، تبعا للظروف المستجدة .

وعسى أن يكون الحديث المتكرر ، فى الاختصاص فى الشريعة الاسلامية ، وفى ظروفنا الحاضرة الموجعة لنظرة شاملة لكل ما من شأنه تقوية أواصر الوحدة العربية ، باعثا على اعطائه ما هو جدير به من أهمية فائقة ورعاية من قبل المسئولين وذوى الشأن كفيلة بالوصول فيه الى غاية محققة لآمالنا جميعا ان شاء الله .

٣ - وحدة القضاء ..

من الطبيعى أن تستتبع وحدة التشريع وحدة فى القضاء ، اذ أن مصدر الأحكام التى كان على القضاة أن يصدروها فيما يعرض عليهم من منازعات ، وقضايا ، واحد ، غير متعدد الشريعة .

وبداهة فان اجراءات التقاضى ، وحقوق الدفاع ، كانت بعضا من الشريعة نفسها ، يطبقها القضاة عند نظر قضاياهم .

وبسبب هذه الوحدة فى التشريع ، والاجراءات ، وحقوق الدفاع . لم يكن لزاما أن يختار القاضى من أهل القطر الذى يعين فيه ، بل لقد كان كثيرون منهم يعينون فى أمصار ليسوا من أهلها .

ومن هذا يتبين أن تاريخ القضاء فى الأقطار العربية هو تاريخ الشريعة نفسها ، فاذا كانت الشريعة سائدة فى البلاد العربية ، كان القضاء يجرى على شقها ويستمد أحكامه منها ، كما يتبع ما تقضى به من اجراءات .

وكان هذا هو الشأن أيام الخلفاء الراشدين ، وأثناء حكم الدولة الأموية ، ثم أثناء حكم الدولة العباسية الى حين ظهور المذاهب الفقهية .

وظلت الحال على هذا المنوال الى أن خرجت المذاهب الفقهية الى الوجود فى أوائل عهد الدولة العباسية حوالى سنة ١٢٠ هجرية ، وأخذت الأمصار تجرى فى الفتاوى والأحكام القضائية على أساسها فكان فقه الامام أبى حنيفة النعمان سائدا فى العراق وبعض الأمصار الاخرى كما كان فقه الامام مالك سائدا فى المدينة والحجاز عامة وفى الاندلس وغيرها أيضا وكما كان فقه الامام الشافعى سائدا فى مصر .

وقد أخذت الأمصار تولى القضاة من اتباع المذهب السائد فيها ، ثم لقد كان بعضها يولى قضاة من المذاهب الأربعة حتى يجد المتخاصمون من يفصل فى منازعاتهم وفق مذهبهم .

وقد اتسعت سلطة القضاء ، مع الأيام والسنين ، حتى لقد شملت القضايا المدنية ، ودعاوى الأوقاف ، وتنصيب الأوصياء ، والمظالم ، والحسبة ودار الضرب ، وبيت المال - بل لقد كان بعض القضاة يقومون بقيادة الجيوش فى الحرب أحيانا .

وقد عنينا فى السطور المتقدمة من هذا المقال بالاشارة الى أن العدل والمساواة ، وتكافؤ الفرص كلها من سمات الشريعة الاسلامية ، وصفاتها الملازمة لها .

والآن ، وفى صدد الكلام عن وحدة القضاء ، يسوغ لنا أن نضرب أمثلة على ما كان قضاة الاسلام يتوخونه من العدل والمساواة بين الناس ، مهما اختلفت أقدارهم ، وتباينت أوزانهم ، وما كانوا يتحرونه من صدق الكلمة ، والتزام الحق المطلق ، قدر طاقة الانسان ، ارضاء لله والواجب ، وراحة النفس ، والضمير وابتغاء القدوة الحسنة يرسمونها للناس فى حاضرهم ، ويخططونها لهم فى مستقبلهم ، فيضعون ، بذلك كله ، حجر الأساس فى رفعة الأمة الاسلامية ، واعتزازها بأنها « خير أمة أخرجت للناس » .

ومن الامثلة على عدل القضاة :

١ - شغل ابو يوسف أحد الصاحبين مركز « قاضى القضاة » فى بغداد أيام هارون الرشيد وكان هذا المنصب يماثل منصب وزير

العدل » فى وقتنا الحاضر ، وتولى القضاء لخلفاء ثلاثة « المهدى ، والهادى والرشيد » ، وبلغ اسمى مكانة فى عهد الأخير منهم ، حتى لقد كان يدخل عليه راكبا بغلته .

واختصم اليه الهادى فى بستان ، وكان ظاهر الأمر أن البستان للخليفة ، ولكن الحق ظهر بانه لخصمه ، فلما سأل الخليفة أبا يوسف عما صنع قال له : « خصم أمير المؤمنين يسألنى أن احلفه أن شهوده على حق ، قال الهادى : وترى ذلك ؟ قال أبو يوسف : ان ابن ابى ليلى كان يراه ، قال الخليفة : أرد البستان عليه » أى على خصمه .

وكان هذا القول من أبى يوسف تحايلا على عدم مصارحة الخليفة بانه لم يكن صاحب حق فى البستان .

ــ ولما كان هو ــ الخليفة ــ دائنا أيضا لهذا الرجل فانه يطلب أن يقسط له مثلهم ، فطلب منه القاضى شاهدين عين اسميهما ، وامتنع الشاهدان ، فأمضى القاضى ما ثبت لديه ولم يدفع الى المعتضد شيئا » .

٢ ــ واختلف الخليفة العباسى ، أبو جعفر المنصور ، مع زوجته أم المهدى وجعل لها أن تختار قاضيا يفصل بينهما ، فاختارت غوث بن سليمان ، قاضى مصر ، ووكلت خادما لها يقوم بدلا منها فى الخصومة .

وقال القاضى للخليفة ما معناه انه لابد من المساواة بين الخادم ، وكيل الزوجة ، وبينه فى مجلس القضاء ، فانحط الخليفة عن مكانه وجلس مع الخصم ــ وحكم القاضى للزوجة .

٣ ــ وحكاية على ، كرم الله وجهه ، عندما خاصم يهوديا عند عمر ، رضى الله عنه ، فناداه عمر فى مجلس القضاء بكنيته « يا أبا الحسن » فرأى على أن فى هذا الأمر عدم مساواة بينه وبين خصمه حكاية معروفة .

رجال

ما بال هذه السماء قد أمسكت فما ينهل منها الحيا ولا يجود ؟ وما بال هذه الشمس تلهب أديم الأرض فتضطرم أحجاره ، ويتلظى حصاه ؟ وما بال السحب لا تشيم لها بارقة فى حواش الأفق تبعث الأمل فى موات النفوس ؟ وما بال الريح تهب لافحة محرقة ، تنسف كل خضراء ، وتذوى كل نبت ، وتهصر كل عود ، فتحيل كل هذا هشيما تذروه الرياح ؟؟

لقد تشققت الأرض وتفتت صفحتها جدبا وامحالا ، وران عليها ــ من طول ما ألهبها شواظ الشمس ، وما اختزنت من لهيبه ــ مسحة من السواد كأنها آثار الحريق ، فذابت الصخور فى ذرات من الرماد الأسود الداكن كأنما تفجرت عنه البراكين ، ثم أخذت تسفيه الرياح حتى غطت به وجه الأرض ، فأجدب كل خصيب ، وأمات من النبات كل حى !.

هذه الصورة المروعة تنقل الينا فى امانة وحرص ما وهى الجزيرة العربية فى ذلك العام البغيض ، الذى أطلق عليه عام الرمادة ، والذى طلع علينا به الزمن فى العام السابع عشر من الهجرة ، وفى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ولا يستطيع القلم أن يصور ما أصاب شبه الجزيرة العربية فى ذلك العام من امحال وجدب ، وما نشأ عن ذلك من جوع وفقر ، وما نجم عنه من لغوب ومسغبة ، فقد تضور الناس جوعا ولم يجدوا ما يمسكون به الرمق ، وهلك الزرع والضرع ، ونفقت قطعان كثيرة من الغنم والماشية ، وعجف ما بقى منها حتى بات الناس يعافون أكلها رغم ما يعانون من الفاقة والجوع ، وهام البدو على وجوههم يلتمسون لقمة العيش فى أى مكان ولو بالمسألة والتكفف ، وباتت الأسواق خالية من المشترين والبائعين حيث لا يوجد ما يباع ويشرى ، وتنكر الناس للناس فضاعت فضائل الكرم والسخاء والجود حيث لا يملكون ما يجاد به ، وضمرت الأجسام ، ولصقت الجلود بالعظام ، وجحظت العيون من الشدة والهول ، وجفت المدامع من الاعياء والجهد ، وطاشت الأحلام من الحسرة والألم ، وركب الناس الفزع والخوف من المصير المحتوم ، وضاقت بهم سبل النجاة ، فلم يجدوا مفزعا مما هم فيه الا أن تسيل بهم الأباطح الى المفزع الأخير ..

وما المفزع الأخير الا الرجل الذى ادخرته الاقدار لعام الرمادة ، والذى لولاه لهلك الناس فى هذه المجاعة ، وطوتهم بطون الأرض وهم أحياء ، أو طمرتهم الرمال السوداء السافية ، والذى لولاه لانقطع كل سبب بين عاصمة الاسلام فى جزيرة العرب وبين جنود الاسلام المنتشرين فى أنحاء فارس والشام ، فتعرضوا للنوازل ، وأحاط بهم الأعداء من كل جانب .

وكان عمر بن الخطاب هو المفزع الأخير للمسلمين ، وكان عمر بن الخطاب فوق مستوى الاحداث الخطيرة فى هذه الفترة الحرجة التى واجهت المسلمين أكثر من تسعة أشهر ، والتى اضطربت من هولها النفوس حتى بات يخشى منها على الامبراطورية الاسلامية الناشئة .

وقد واجه عمر هذه المحنة بما يعده رواة التاريخ من الاساطير ، وبما تنوء به قدرة البشر ، وبما يعتبر فى ممالك الساسة من معجزات ابن الخطاب !!

صنعوا التاريخ

الأستاذ محمود الجرسي

لقد عبأ عمر بن الخطاب كل أجهزة الدولة لمحاربة المجاعة والقضاء عليها ، حتى صرفه هذا عن التفكير فى المضى لاستكمال فتوحاته ضد الفرس والروم، وكيف ينازل جيوش هاتين الدولتين الكبيرتين وعاصمة الاسلام وما حولها من القرى والبلاد ومضارب البدو مهددة بالهلاك ، يحاصرها الجوع من كل مكان ، ويخيم على أرجائها شبح الفاقة ؟ وكيف تصدر منها تعليمات الجهاد وأوامره ، وهى فى شغل بما يقيم حياتها ، ويمسك أودها ، ويضمن لها الوجود ؟؟ لذلك أصدر ابن الخطاب أوامره مشددة الى امراء الجند فى الشام والعراق الا يقاتلوا عدوهم الا اذا أكرهوا على ذلك دفاعا عن أنفسهم ، وأن يكتفوا بالدفاع عن مواقعهم حتى تنجلى هذه الكارثة ، ثم التفت الى المدينة ـ عاصمة الاسلام ـ فرآها تعج بالألوف المؤلفة من البدو الذين وفدوا اليها هربا من الجدب فى البادية ، حتى ضاقت بهم رحابها ، وأشفت المدينة على مجاعة مهلكة ، بعد أن بذل أهلوها كل ما يدخرون لاطعام الوافدين عليهم ، وتطلعت الانظار جميعا الى خليفة المسلمين لترى ما هو صانع بهذا البلاء !!.. وقف عمر بن الخطاب وسط هذه المعركة الطاحنة كالقائد الذى يتقدم جنوده الى حومة الوغى ، شاهرا سيفه ، معرضا روحه للهلاك كواحد من جنوده .. فحرم على نفسه من الطعام ما يفتقده الناس جميعا ، حرم على نفسه وعلى أهل بيته السمن والزيت والودك حتى يجدها الناس ، وأخذ نفسه بنظام قاس من الجوع حتى يشعر بما يشعر به كل جائع من الحرمان ، وتغير لذلك لون جلده واسود ، وكان ابيض مشربا بحمرة ، وبات الناس يقولون بعد انتهاء المحنة : لو لم يرفع الله المحن عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هما بأمر المسلمين !!

روى الرواة أنه لما اشتدت المجاعة جىء الى عمر بخبز مفتوت بسمن ، فدعا رجلا بدويا فأكل معه ، فجعل البدوى يتبع باللقمة الودك الى جانب الصفحة ، فقال له عمر : كأنك مقفر من الودك ؟ فأجابه الرجل : أجل ، ما أكلت سمنا ولا زيتا ولا رأيت آكلا له منذ كذا وكذا الى اليوم ، فحلف عمر لا يذوق لحما ولا سمنا حتى يحيا الناس ، وظل على هذا العهد حتى زالت المحنة ، وجاد الحيا .

وقدمت سوق المدينة عكة من سمن ووطب من لبن ، فاشتراهما غلام له بأربعين درهما ، وذهب اليه الغلام ، فقال له : قد أبر الله يمينك ، وعظم اجرك ، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن فابتعتهما بأربعين درهما . قال عمر : أغليت ،فتصدق بهما فانى أكره أن آكل اسرافا ، واطرق هنيهة ثم قال : كيف يعنينى شأن الرعية اذا لم يمسنى ما يمسهم ؟؟.

بهذه الروح استقبل عمر بن الخطاب هذه المعركة الطاحنة ، ولم يبق فى بيت المال شىء الا دفع به اليها ليسد خلة الناس ، ثم رأى أن المال قد فقد قوته على الشراء اذ خلت أسواق الجزيرة مما يشترى .. فما جدوى المال اذن فى هذه المعركة ؟ وما جدوى أن يجوع عمر كما يجوع الناس ، وأن يعرض نفسه للحرمان المهلك ، والرعية فى حاجة اليه ليأخذ بيدها فى هذه المحنة ؟!

ولكنها نوازع النفس الخيرة ترى أن تشارك الناس حرمانهم ، وأن تعيش كما يعيشون ، وبدأ عمر يواجه هذه الكوارث التى بدت كالحة تخيف الناس ، وتنذرهم بأوخم العواقب ، ومن غير عمر فى هذه المواقف الحرجة ، ليسوس الناس ، ويحزم الأمر ، ويشرف على المعركة .

لقد تولى عمر ـ فى أول الأمر ـ اطعام أهل المدينة ومن اجتمع اليهم ، فكان يأدم الخبز بالزيت يجعله ثريدا، وينحر بين الأيام الجزور فيجعلها على الثريد ، وينثر الجفان فى أنحاء المدينة ليأكل الناس ، ويأكل معهم مما يأكلون ، وكان فى كثير من الأحيان يطبخ لهم بيده: رآه أبو هريرة يحمل جرابين وعكة زيت فرأى قوما مسنتين فطبخ لهم حتى شبعوا ، واشتد فى العشوة على نفسه وعلى أولاده ، حتى انه رأى يوما بطيخة فى يد بعض ولده ، فقال : بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين !! تأكل الفاكهة ، وأمة محمد هزلى !! فخرج الصبى هاربا يبكى ، فسكت عمر بعدما علم أنه اشتراها بكف من نوى ، ومر عام الرمادة على امرأة وهى تعصد العصيدة ، فقال :

ليس هكذا ، ثم اخذ المسوط فاراها ، وعمد الى الواجدين من أهل المدينة فالزمهم بان يطعموا بعض الأعراب على وجد وقال لو لم أجد للناس ما يسعهم الا ان ادخل على أهل كل بيت عدتهم فيقاسموهم انصاف بطونهم حتى يأتي الله بالحيا فعليت ، فانهم لن يهلكوا على انصاف بطونهم !!

ولما بلغت الضائقة مداها بعث يستنجد بعماله في العراق والشام ليغيثوا اخوانهم في شبه الجزيرة العربية ، وكانت كتبه الى هؤلاء العمال تفيض بالاسى والالم ، وتشعر بما يشعر به من عظيم التبعة والمسئولية امام الله وأمام ضميره نحو كل فرد من رعيته .

كتب الى عمرو بن العاص في فلسطين يقول : « سلام عليك : أما بعد ، أفتراني هالكا ومن قبلي ، وتعيش أنت ومن قبلك ! فياغوثاه يا غوثاه : يا غوثاه »

وأجابه عمرو بن العاص : « أما بعد فلبيك ، لأبعثن اليك بعير أولها عندك وآخرها عندي » وأرسل اليه الطعام من فلسطين على ألف بعير تحمل الدقيق ، وحمل عشرين سفينة من ثغر ايله بالدقيق والودك الى ثغور الحجاز ، وحملها غير ذلك خمسة آلاف كساء .

وبعث الخليفة الى معاوية بن ابي سفيان وابي عبيدة بن الجراح بالشام ، والى سعد بن أبي وقاص بالعراق بمثل ما بعث به الى عمرو بن العاص ، فاجابوه جميعا بمثل ما أجاب به عمرو ، وكان أبو عبيدة بن الجراح أسرع هؤلاء جميعا استجابة لنداء عمر ، وتلبية لاستغاثته ، سبقهم جميعا ، فقدم في اربعة آلاف راحلة محملة بالطعام ، فولاه عمر قسمته فيمن حول المدينة ، فاما فرغ من ذلك امر له عمر باربعة آلاف درهم ، فقال أبو عبيدة : لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين ، تطلبها ، واني قد وليت لرسول الله مثل هذا فاعطاني بعد أن قلت له مثل ما قلت لي ، وقبض أبو عبيدة المال ، وانصرف الى عمله بالشام .

وكذلك بعث معاوية بثلاثة آلاف بعير من الشام وثلاثة آلاف عباءة ، وبعث سعد ابن ابي وقاص بالف بعير من العراق محملة بالدقيق ، وكثر بالمدينة الطعام والكساء ، فولى عمر من يطعم الناس ويكسوهم في أمصار الدولة وباديتها ، وانصرف رسله الى أرجاء البلاد يخففون عن الناس ما هم فيه من ضيق ، ويستقبلون قوافل الطعام القادمة من الأمصار فيميلون بها الى البادية ، ينحرون الابل ، ويطعمون الطعام ، وتولى عمر بنفسه اطعام أهل المدينة ومن اجتمع اليهم من العرب ، وكثرت القدور والجفان في أرجاء المدينة ، يشرف عليها عمر بنفسه ، وياكل مع الناس مما ياكلون ، وكان ينحر على مائدته كل يوم عشرين جزورا يطعمها الناس ، وكان له عيون يجتمعون عنده اذا أمسوا ليرفعوا اليه أخبار الناس كل ليلة « وأمر ليلة بعد أن فرغ الناس من العشاء باحصاء الذين طعموا على موائده فكانوا سبعة آلاف رجل ، واحصيت العيالات التي لم تأت والمرضى والصبيان فكانوا أربعين الفا ، وزاد هؤلاء وأولئك بعد أيام ، فكان الذين تعشوا عنده عشرة آلاف ، والآخرون خمسين الفا ، وكان العمال يقدمون في السحر الى قدور عمر فيعملون حتى يصبحوا ، ثم توزع العصيدة ويوزع اللحم على المرضى والصبيان والعيالات ممن لا ينالون طعامهم على موائد أمير المؤمنين ، وكان عمر يتعهد هؤلاء جميعا بنفسه ليطمئن الى انهم حصلوا على ما يدفع عنهم غائلة الجوع ، وكان يرسل الدقيق والتمر والأدم الى منازل القادرين على هيئتها شهرا بشهر ، في نظام دقيق ، يزيد فيه وينقص على قدر ما عنده » .

اطمأن عمر بعد ذلك الى ما اتخذه من تدبير في تخفيف حدة الكارثة ، وبدأ الناس يلهجون برحمة عمر ، ورعاية عمر ، وسياسة عمر ، وضاعف عمر من رحمته ، فأمر جباته بالا يقبضوا الزكاة عام الرمادة بل أخرهم الى أن يرتفع الجدب ، فلما اطمأن الناس الى الحياة ، وبدأ القحط ينجلي أمر الجباة أن ياخذوا من كل قادر حصتين ، حصته عن عام الرمادة ، واخرى عن العام الذي بعده ، وأن يقسموا احدى الحصتين على المعوزين ويحملوا اليه الثانية » .

وزادت عناية عمر بالناس في هذه المجاعة حين فشا فيهم المرض ، وهلك منهم الكثيرون ، فكان يتعهد المرضى بالرعاية : يمر عليهم ، ويشجعهم ، ويواسيهم ، ويبعث بالاكفان الى الموتى ، ويصلي عليهم ، ويعزي اهليهم ، ولما اشتد الهول بالناس لم يجد عمر ملجا من الله الا اليه ، فكان يصلي بالناس العشاء طوال المحنة ، ثم يدخل الى بيته فلا يزال يصلي حتى آخر الليل ، ضارعا الى الله ألا يجعل هلاك الأمة على يديه .

ولم يقف توجه عمر الى مولاه عند هذا الحد بل أصدر أمره الى عماله في مختلف الاقاليم أن يصلوا بالناس صلاة الاستسقاء في يوم حدده ، وخرج هو بالناس في ذلك اليوم وعليه برد رسول الله ، فلما انتهى الى المصلى تضرع الى الله ، ومن خلفه الناس يتضرعون ، ويلحون في الدعاء ، ويبتهلون الى الله ، وكان بجواره وهو يتضرع العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخذ عمر بيده ورفع رأسه الى السماء وقال : «اللهم انا نستشفع بعم رسولك اليك » وراح عمر في بكاء طويل حتى اخضلت لحيته ، والعباس يبكي بجواره ، والناس يبكون ويتضرعون ، حتى استجاب الله ضراعتهم ، فنزل الغيث وأمطرت السماء .

هذا هو عام الرمادة الذي امتحن الله به المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب .. وهذا هو الهول الذي عاناه المسلمون في هذه الظروف ، ولولا ايمان عمر بالله ، وشدة حزمه ، وقسوته على نفسه ، وحدبه على الفقراء والمساكين ، وحسن تصرفه في معالجة هذه المشكلة الكبرى ، لكان لها أسوأ الأثر في تاريخ الاسلام ، ولتركت هذه المجاعة في نفوس الفقراء مرارة وحقدا ، ولانتهزها الأعداء للوثوب على الامبراطورية الناشئة ، لولا أن وقى الله الاسلام والمسلمين بخلافة عمر بن الخطاب .

أسلوبنا الثوري المفتوح

يلتقي مع توجيهات الإسلام

الأستاذ عبد المنعم الأدفوي

فى الدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ، أعلن القائد البطل الرئيس جمال عبد الناصر اننا نواجه امتحانا قاسيا فى مواجهة عدونا وهذا يتطلب أن تتسلح جبهتنا الداخلية بقسط كبير من الوعى والتقدير السليم للظروف بالاضافة الى صمودها وصلابتها ومناعتها .

وهذا الموقف الذى يتحتم علينا الالتزام به فى معركتنا المصيرية مع الصهيونية والاستعمار ، يلتقي تماما مع توجيهات الاسلام فى مواجهة اعدائه فى مختلف المعارك التى خاضها معهم .

ففى معركة بدر - كمثل لهذه المعارك - جرى حوار مفتوح بين الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة يستدعى دعم جبهة الاسلام فى ملاقاة مشركى قريش ، وكان منه فيما يتصل بالتقدير السليم للظروف .

الاعداد لكل الاحتمالات ، سواء كانت الحرب أو الحصول على عير قريش دون حرب .

ومن طبيعة النفس أى نفس حب السلامة ، وهو هنا يتمثل فى الحصول على تجارة قريش دون محاربتها ، ولكن الوضع كان يستلزم المواجهة اذا لم يكن بد من ذلك ، وهذا ما يتكشف من المحاورة التى جرت قبل بدء القتال حيث قام المقداد بن الاسود فقال يا رسول الله : امض لما امرك الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى « اذهب انت وربك فقاتلا ، انا ها هنا قاعدون » ولكنا نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فدعا له الرسول بخير .

وكذلك يتكشف التقدير السليم للظروف ومواجهة كل الاحتمالات قول سعد بن معاذ سيد الأوس يارسول الله قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك الله ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك ، وما نكره أن تلقى العدو بنا غدا .. انا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله .

وفى مجال التكتيك واتخاذ موقع استراتيجى فى المواجهة بعد ان تحتمت الحرب نزل جيش المسلمين ادنى ماء من بدر ، حيث يستطيع المشركون أن يسيطروا على الماء ، قال الحباب بن المنذر للرسول : اهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا ان نتقدم عنه أو نتأخر ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول : بل هو الرأى والحرب والمكيدة .. فقال يارسول الله : ليس لك هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فانى أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله .

وفى مجال الصمود والصلابة هيأ الرسول اصحابه للاستشهاد أو النصر فقال : والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة ، وذلك استجابة لقوله تعالى : يايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ، فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير »

وأكد الرئيس عبد الناصر فى المؤتمر القومى أن نضالنا لن يسمح بأى تخلخل فى الجبهة الداخلية ولا بأى مجال يستغله خائن لوطنه استطاع العدو الاسرائيلى تجنيده .

وفى هذا يقول القرآن الكريم : ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم

لا يالونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من افواههم،وما تخفىصدورهم اكبر »

ويقول : يا ايها الذين آمنوالاتتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ، قل ان كانآباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين »

ويقول بعد ان كتب الغلبة لهورسله: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولوكانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم او عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ، ورضوا عنه أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون

وهذا التوجيه الالهى ضد الخائنين لوطنهم وعقيدتهم ينطبق أيضا على الثورة المضادة التى قال عنها الرئيس: لن ترضى باى تغيير وتنتهز كل فرصة لتبث سمومها بين جماهير الشعب .

ونحن نرى من الواجب الا نسكتعلى حزب عملاء الاستعمار ، وعلينا ان نتصدى له ونقضى على افكاره وقواه ، وان نحاربه بكل ما أوتينا من قوة كما دعانا القرآن الى ذلك ، وان تكون الحرية كل الحرية لتحالف قوى الشعب العاملة : الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية ، ولا حرية لتحالف الرجعية ورأس المال .

وذلك لانه من الطبيعى الذى لايحتاج الى ايضاح أن تحالف قوى الشعب هو صاحب المصلحة الحقيقية فى المكاسب الاشتراكية واعزاز الوطن والقومية العربية ، ولهذا من الخطأ الفاحش أن نرجى تعاونا مثمرا أو غير مثمر مناعداء العقيدة والوطن .

وقد رفض الرسول عليه الصلاة والسلام تعاونا مثل هذا من المنافقين ، ففى غزوة أحد رأى الرسول كتيبةكبيرة فسأل عنها فقيل هؤلاء كتيبة عبداللهبن أبى من اليهود ، فقال : انا لا نستعين بكافر على مشرك وأمر بردهم لانه لا يأمن جانبهم لانهم مشهورون بالخيانة ، ولانه من غير المعقول أن يخلص العدو لمن يعاديه .

ولقد كان أول قرار للمؤتمر القومى هو : الا يعلو صوت فوق صوت المعركة لان الانتصار فيها يحقق لنا عزتنا وكرامتنا ووجودنا ويحفظ لنا قوميتنا وديننا ، وهما أغلى ما نملك فى الحياة

وهذا القرار يلتقى مع قداسةالعقيدة وما تتطلبه من بذل وتضحية تتمثلان فى تقديم المالوالدم فى سخاء تحقيقا لقوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »

ان المعركة مع العدو تتطلب الصبر والتضحية وتحمل الاعنات الشديد ، وهذا ما أشار اليه القائد فى مكاشفاته للشعب لان ذلك طبيعة المواجهة بين الحق والباطل « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا أن نصر الله قريب »

ان العاقبة لنا فى قتالنا مع الصهيونية والاستعمار ، مهما تشتدالمحن علينا ، وان كل ليل لابد أن يعقبه نهار كما قال الرئيس ، فقد روى عن خباببن الارت :

أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو فى ظل الكعبة متوسدا بردة له . فقلنا يارسول الله ادع اللهتبارك وتعالى لنا واستنصره . قال : فاحمر لونه أو تغير فقال : لقد كان منقبلكم يحفر له حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فينشق ، ما يصرفه عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون عظممن لحم أو عصب ، ما يصرفه عن دينه ، وليتمن الله تبارك وتعالى هذا الامر ، حتى يسير الراكب ما بين صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله تعالىوالذئب على غنمه ولكنكم تعجلون .

هذا هو طريقنا الى النصر ، وما بعد النصر استلهمته قرارات المؤتمر القومى من ذخيرة تراثنا المقدس ، وعليناالوعى اليقظ أن نقضى على كل منحرف ، وبالتقدير السليم للظروف على الثورة المضادة .

عبد الناصر صانع السلام

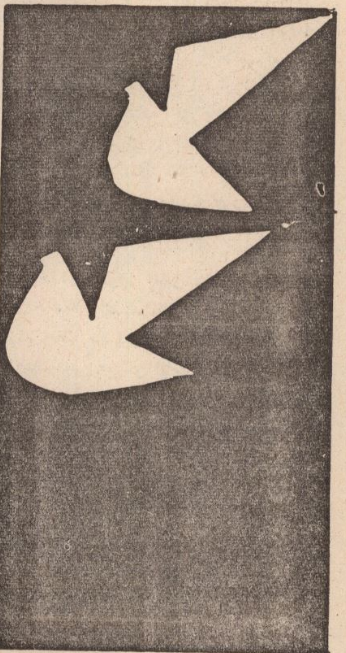

الأستاذ كامل عبد المجيد

((ان المعركة التى نواجهها الان هى أن نكون أو لانكون))

جمال عبد الناصر

يباشر مجلس الأمة الجديد ـ بعد أن تم تشكيله ـ مهامه فى ظرف من أدق الظروف التى واجهت البلاد منذ وقت غير بعيد ،وهذا المجلس الجديد يتحمل عبء مرحلة من أخطر المراحل التى يمر بها الوطن ، فعليه أن يواجه قضايا المصير ، وأن يبت فى أخطر قرارات تتصل بحشد كافة الطاقات المتاحة للمعركة ضد العدو وممارسة نضال متشعب الجوانب من أجل ازالة آثار العدوان وأسترداد الحق المغتصب .

وينعقد هذا المجلس الجديد فى وقت وصلت فيه أزمة الشرق الأوسط الى ذروة تتطلب حنكة ودراية سياسية واسعة فى علاجها ، وحسما وتصميما على المبدأ ، وكفاحا ومثابرة لاستكشاف كل الفرص المتاحة ، وجهدا لا يدخر من أجل استثمار كافة العوامل المواتية الى جانب تدعيم جبهة الصمود وتأكيد تماسكها تأهبالكل احتمال ، فى ظرف مشحون بعوامل الانفجار ، وفى وقت تنبىء شواهد عديدة الى أن الصدام وشيك وواقع لا محالة .

ومن هنا يكتسب المجلس الجديد خصائص تختلفكل الاختلاف عنالمجالس النيابية السابقة من حيث ما سوف يواجهه من أعباء ومسئوليات تتصل بصميم مستقبل الامة وتاريخها فى الأعوام القادمة .

وهذه الاعباء والمسئوليات الخطيرة ، جديرة قبل غيرها من المشاغل بان تشد انتباه أعضاء المجلس الجديد وأن تكون لها الأولوية والسبق فىالبحث والدرس والمناقشة ، حتىيكتب للمجلس ـ الذى يمثل ـ ارادة الشعب ـ ولأعضائه ممثلىالشعب ـ التوفيق المنتظر ، الذى نامله ونتمناه جميعا فى أداء الواجب المقدس الخطير على خير وجه وفى أكمل وانصع صورة .

ونحن هنا نضع نصب أعين المجلس الجديد افتتاحية هذا المقال ، التى يقول فيها صانع السلامبوضوح شديد : ((أن المعركة التى نواجهها الآن هى أن نكون او لا نكون)) . فاذا كنا قد عقدنا العزم على البقاء فلابد لنا من استرداد ما سلب منا وأن نغسل عن أرضنا وعن انفسنا ما علق بها من أدران حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧ .. لانه ((لكى نكون)) فلابد لنا أن ((نكون)) أو ((نبقى)) أعزاء وأن ((نحيا)) مرفوعى الرأس مرتفعى الجباه ، ولن يتاتى لنا ذلك الا بتمكننا من ازالةآثار العدوان واستعادتنا لما فقدناه فى لحظة من لحظات الضعف التي تنتاب الشعوب بعض الأحيان ـ فى معركة ١٩٦٧ ـتلك المعركة التى وان كانت درسا قاسيا لنا نحن العرب ، الا أنها كانت فى نفس الوقت جرسا يدق وضوءا أحمر يلتمع فى الظلام يوضح لنا وللشعب العربى كله المسار الجديد الذى ينبغى أن نسير فيه جميعا ، ويبين لنا أن طريق الوحدة الحقيقية والتضامن الفعلى والتآزر ـ النابع من المشاركة فى الكارثة ـ هو السبيل الأوحد امام الشعب العربى الواحد لكى يستعيد هيبته ويسترد مااغتصب منه ، وسبيلنا الى ذلك ووسيلتنا للوصول اليه هو العزم والتصميم .. والتضحية .. والصلابة .. وقوة الارادة .. والالتفاف حول مبدأ واحد والتفكير فى قضية واحدة ـ فى هذه الفترة بالذات ـ وهى الثار للشرف العربى باستعادة الأرض السليبة التى امتدت رقعتها وزادت فى عام ١٩٦٧ عما كانت عليه قبل ذلك فى عام ١٩٤٨ ، مهما كلفنا ذلك من ثمن ومهما بذلنا من

تضحيات .. تهون النفس ، وترخص الحياة ، ويهون كل شىء فى سبيل استعادة الحق السليب والانتقام من العدو الغادر والثار لاشرف المهان .

ولقد بدأ اخوة لنا هذا الواجب المقدس ، على أكمل وجه وفى أتم صورة ، فقدموا المثل على البذل والتضحية والفداء ، وأثبتوا لاسرائيل وللعالم أجمع أن العرب مهما بوغتوا ، وان العدو مهما تلقى من تأييد معنوى ومادى من قبل قوى الاستعمار والامبريالية ، فان ذلك لاينهى القضية ، ولا يمكن أن يكون خاتمة المطاف ، لأن هنـاك .. فى الضفة الغربية للاردن .. وفى سيناء . بل وفى الضفة الشرقية .. وفى غزة .. بل وداخل فلسطين المحتلة كلها .. هناك أبناء لنا رفضوا قبول الأمر الواقع وأثبتوا - ولا زالوا حتى هذه اللحظة يثبتون - للعدو ، أن العرب هم العرب، لم ولن يتغيروا . أقوياء .. لاتلين لهم قناة ولا يهين لهم عزم.. ولايسكتون - ولن يسكتوا - أبدا على الضيم والظلم والقهر والتآمر والاستبداد . وهذه الحقيقة يجب أن نحرص نحن العرب جميعا على أن نجعلها تلتف بالعدو من داخل الدول العربية جميعا ، فتخنقه وحدتهم وتقضى عليه فى البقعة التى اغتصبها من أرضنا ..

لقد كانت حرب حزيران ١٩٦٧ نقطة انطلاق جديدة وخلاقة نحو اسهام ابناء فلسطين مساهمة فعلية فى القيام بالدور الذى يجب أن يقوموا به لتحرير وطنهم السليب .. ودماؤهم الزكية التى تروى ثرى وطنهم السليب خير شاهد على أنهم قد بدءوا السير فى الطريق الصحيح ، وأنهم يحملون العلم نحو نهاية الطريق الطبيعية .. وهى تحرير فلسطين .

كما ان هجماتهم المتوالية والموفقة وانتصاراتهم على العدو المغتصب ، أصبحت تخنل قمة انتصار الانسان العربى على المؤامرة الاستعمارية الصهيونية .. ويضع أمام أسماع العالم حقيقة ، كثيرا ما حاول الصهاينة طمس معالمها ، وهى أن هناك جزءا مغتصبا من الوطن العربى اسمه فلسطين ، يحاول أبناؤه بكل الوسائل استعادته وهم يدفعون فى سبيل ذلك كل شىء .. الدم .. والمـال .. والاب .. والام .. والابناء .. كل شىء .. كل شىء .

وبعد هذا البعث الحقيقى لقضية فلسطين وارتفاع اسم الوطن السليب فى كل مكان فى العالم ، واقتران اسم هذا الوطن المغتصب بأسماء فتح ، والعاصفة ، ومنظمة تحرير فلسطين ، وغيرها من المنظمات الفدائية الفلسطينية .. وبعد الخسائر المتوالية للعدو وموجات الرعب والفزع التى أصبح يعيش فى ظلالها وتحت سماء ارهابها المحتل الغاصب . جن جنـون الصهيونية ، وفقد ساستهم صوابهم ، فبدأوا يكيلون الضربات الطائشه المحمومة يمينا ويسـارا فى كل مكان .. بل ويعلنون صراحة فى بياناتهم الرسمية المحمومة أن الضربات الى الأمة العربية لن تنتهى انتقاما من العمل الفدائى الفلسطينى الذى تؤازره وتتبناه الدول العربية . وكان آخر نوبات الفزع والرعب الاسرائيلى هو محاولة الانتقام من العرب بتدمير مطار بيروت الدولى .. انتقاما لعمل فدائى استهدف تحطيم احدى طائراتهم المدنية فى مطار أثينا ، ولكن يصدق المثل ، رب ضارة نافعة .

فقد كان هذا العمل الاجرامى ناقوس خطر يدق ليعلن لكل العرب أن وحدتهم ضرورية وحتمية لردع الصهاينة الاشرار ، وأن تضامنهم وتآزرهم الفعلى هو السبيل الامثل لوقف غلواء الصهيونية ودعاتها ومن يقف خلفها من دول العالم ..

كما أن هذا الحادث قد عرى الصهيونية وكشف اسرائيل أمام العالم أجمع كدولة باغية ظالمة مجرمة لايحد غلواؤها حد ولا تعترف بالقيم الانسانية والدولية ، ولا تقيم وزنا للرأى العالمى ..

وفى الواقع .. كان هذا الحادث دليلا جديدا يثبت لدول العالم الحر كله .. بل وغير الحر أيضـا .. أن اسرائيل قد فقدت صوابها .. وأن الصهاينة أهل غدر وخسة .. وأنهم يستمرءون العدوان .. لأنه سبب وجودهم وبقائهم فى هذا الجزء السليب من الوطن العربى .. كما أثبت للعرب جميعا أن الوحدة العربية والتضامن العربى هما السبيل الوحيد لمقاومة الغدر الصهيونى وعدوان اسرائيل .

وفى الحقيقة .. كان هذا الحادث هو القشة التى قصمت ظهر البعير .. فلم يحدث منذ حرب يونيو أن ضاق الخناق على اسرائيل مثلما حدث بعد اعتدائها على مطار بيروت . فقد أثار هذا العدوان فرنسا الى حد استفزاز قائدها العظيم الجنرال ديجول ودفعه الى اتخاذ قراره الايجابى الحاسم بوقف صفقات الأسلحة وقطع الغيار الفرنسية لاسرائيل بالاضافة الى وقف حصولها على طائرات الميراج . كما ساهم استنكار بابا الكنيسة الكاثوليكية للعدوان على المطار اللبنانى فى تجميع قوى الرأى العام العالمى ضد اسرائيل .

وهذا العدوان الذى لايمثل الا حلقة من سلسلة اعتداءات اسرائيلية عديدة زاد أيضا من ادراك الدول الكبرى الأعضاء فى مجلس الأمن لخطورة الموقف المهدد بنشوب حرب واسعة النطاق فى الشرق الاوسط . وهذا ما يدعو الى الاعتقاد بان هذا العدوان كان محاولة اسرائيلية لسكب الزيت على النار ومنع أى محاولة دولية لارغام اسرائيل على تنفيذ قرار مجلس الأمن وقرارات الأمم المتحدة فى موضوع حرب يونيو والمشكلة الفلسطينية

ومنذ بدأ الاتحاد السوفييتى اتصالاته الأخيرة بزملائه الاعضاء فى مجلس الأمن وحصل من فرنسا على تأييدها لاقتراحه الخاص بتنفيذ قرار مجلس الأمن ومن أمريكا وبريطانيا بدراسته ، كان واضحا ان اسرائيل قد أصيبت بحالة هستيريا وهياج عصبى وراحت تستعد وتحشد قواتها لتنفيذ عدة أعمال عدوانية ضد

البلاد العربية وراحت فى الوقت نفسه تلعب دور « البلطجى » الـذى تزداد شراسته عندما يتاهب الناس من حوله لوقفه عن الاستمرار فى جرائمه . ومن هنا راحت اسرائيل تهدد وتشتم وتلوح باستخدام القنابل الذرية ، كوسيلة من وسائل التخويف والضغط على الدول العربية وعلى العالم كله .. ولكن ذلك لا يعدوأن يكون سوى حالة من اسرائيل تنتجت عن كشف حقيقتها أمام العالم وافتضاح مخططاتها وأسـلوبها ، و « بلطجتها » .

وفى ختام هـذه الكلمة التى بدأها صانع السلام « بانالمعركة التى نواجهها الآن هى اننكون أو لا نكون » نتلقى منه الرد على هـذا التساؤل » لو العملية سينا بس سهل .. وموضوع ازالة آثار العدوان أكبر من الجلاء عن سينا .. العملية مصيرنا .. مصير العرب .. هل ستبقى الدولة المستقلة التىحافظت على استقلالها وعلى سيادتها ولم تدخل ضمن مناطق النفوذ والا حنتخلى عن هذا ؟. هل نتخلى عنالتزامنا العربى؟؟ الموضوع مش هو الجلاء عن سينا وحدها .. الموضوع أكبر من كـده بكثير .. الموضوع هو أن نكون أولا لا نكون » .

وقد صمم الشعب العربى فى مصر على أن « يكون » كما عقد العـزم على ذلك أيضا الشعب العـربى فى الوطن العربى كله .. وسوف نحقق هـذه الارادة وهـذا العز بالصـلابة وقوة الصمود وبالحفاظعلى استقلالنا والبعد عن مناطق النفوذ .. ونحن لا ينقصنا الايمان بانفسنا وبعـدالة قضيتنا .. وسنبذل فى سبيل تحقيق النصر كـل شىء مهما غلا الثمن ومهما كلفنـا ذلك منتضحيات .. فنحن أهل فداء وتضحية .. فى الماضى .. والحـاضر ، وفى المستقبل ، وفى كـل وقت .. سنبذل الدم ، والنفس ، والمال ، وكـل شىء ، نعم .. كل شىء ، حتى نكون أو لا نكون .. ونحن على ثقـة من أن الله سيمدنا بنصر من عنده ، وسـينتصر العرب وسيرتفع لواء الاسلام عاليا خفاقا .. وسنبيد دولة الظلم والبغى كمـا وعد الله عباده المؤمنين فى كتابه العزيز .. والله الموفق والمستعان .

فدائيون العرب

الأستاذ محمد ابراهيم الخطيب

نبت السنتكم أيها « الصـهاينة » الافاكون فهؤلاء العرب الابطال المناضلون فى ربوع أرضهم الطيبة التيلوثتموها هيهات أن يكونوا مخربين كما تزعمون فى تبجح لا مثيل له ، وانما هم وربالكعبة فدائيون يفتدون وطنهم الغـالى بالدم والروح ، وهم بذلك ينهجون نهـج الاسلام الذى جعل قتال العـدو ألوانا تتفق وماتقتضيه عوامل النصر والظفر. فان رأى جند الله أن الحرب فىجماعات أقدر على النصر من غيرها فليحاربوا فى جماعات وان رأوا أن يكون قتالهمفى جمع حاشد فليكن هذا الجمعالحاشد. وفى هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى « يأيها الذين آمنوا خذوا حذركمفانفروا ثبات أو انفروا جميعا » .

ولسوف ترون أيها « الصهاينة » ان الفـدائى العربى ـ كما يراه المنصفون فى عالم اليوم ـ انما هوذلك الرجلالذى ينقصه الخوف ويتجاهل كل الاخطـار ويعيش على أهبة الاستعداد لان يفعـل أصعب الاشياء وأعظمها وان يخـوض الاهوال كلها فى سبيل تحطيم الكابوس الصهيونى الامبريالى الذى قام بأشنع ما يقوم به حيوان ازاء انسان !

والفدائى العربى حين يندفع قذيفـة مهلكة ونارا محرقة وغضبا منتقما انما هو واحد من ملايين العـرب الذين يعيشون حياتهم اليـوم على احر من الجمر ، واحد من مـلايين تؤمن بان القضية العربية واضحة لكل ذى عينين وهى ـ فى كلمة واحدة ـ لا تزيد عن أن قوما غرباء جاءوا بحكم القوة الى أرض قوم مسالمين فاحتلوها غصبا وأجلـوا أهلها بشتى الافزاع والارهاب عنمنازلهم واستولوا على كل ما ملكت أيديهم ، فلم يجدوا أمامهم غير الصحراء موطنا ولم يبق عندهم من متاع الحياة شىء برغم ما فى الحياة من متاع ! وفى ظلال هذه المأساة سيمضى هذا الفدائى القـوى يؤمن بالحقيقة التى تقول : انه ماجدل بنافع لا فى الاصول ولا فى الفروع وان ما أخذ بالسيف لا يرده الا السـيف وقديما قيل :

السيف أصدق أنباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

وهيهات لمثل هذا الفدائى الشجاع فى سيناء وفىالقدس وفى غزة وفىأريحا وفى الخليل وفى مرتفعات جولان وفى كل أرض عربية دنسـتها الصهيونية

هيهات أن ينسى الصفحات المشرقة من مقاومة آبائه وأجداده وسط ظروف حالكة السواد بالغة الصعوبة ! - هل ينسى سنة ١٩١٩ التى عقد الفلسطينيون فيها أول مؤتمر لهم ليقرروا فيه وحدة فلسطين ضمن الوحدة العربية ورفض وعد « بلفور » ورفض الهجرة اليهودية ؟!

- هل ينسى سنة ١٩٢٠ التى حصل فيها أول صدام دموى فى القدس ؟

- هل ينسى ذهاب الوفد الفلسطينى الى هذه المدينة أوتلك بحثا عن حل عادل لقضية بلاده غير أنه كان يعود فى كل مرة خافقا بسبب أحقاد الحاقدين وأطماع المستعمرين ؟

- هل ينسى صورة المستعمر ذلك الذى كال بكيلين ومشى بوجهين حين ضغط على العرب أصحاب الارض وقساعليهم بينماوقف رفيقا صابرا مستخذيا أمام الفظائع التى ارتكبها «الصهاينة» عندما واجههم قرار ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين فى ربيع سنة ١٩٣٩ فقاموا ينسفون الابنية الحكومية ويدمرون الجسور والمحطات بل زادوا فجلدوا الضباط والجنود الانجليز وفتكوا ببعضهم ؟!

- هل ينسى الفدائي أن الاستعمار قد سهل لليهود عقب صدور قرار التقسيم وقبل انتهاء الانتداب البريطانى سنة ١٩٤٨ أن يستولوا على بلاد العرب حيفا وعكا ويافا وصفد وطبرية وقراها ؟

- هل ينسى أن الدول العربية قد اجبرت على عقد هدنة تقوى اليهود فى أثنائها على حين حرم العرب من تقوية نفوسهم ؟!

أبدا أيها « الصهاينة » لن ينسى الفدائى ذلك كله وأكثر منه . ومن هنا سيظل ينطلق مدافعا عن بلده عن بيته عن حقله عن كل شبر من أرضه عن تراث الآباء والاجداد وكيف لايكون كذلك وهو يعلم أن الفدائية عمل سبق اليه الآباء والاجداد فى مواجهة أعتى العتاة، فهؤلاء هم المصريون الذين بذلوا ما فى وسعهم لتوجيه الضربة القاضية الى المغول القابعين فى أرض العراق الشقيق لقد سعى الفدائيون اليهم وقاموا بدور جليل فى القضاء على أعداء الله والوطن العربى !

وكيف لا يكون الفدائى العربى اليوم كما نراه فى قوته الهائلة وقد عرف أن الفدائى اذا وفق فى مهمته يفعل مالايفعل جيش جرار لان الجيش يمكن الاحتراس منه ويمكن العلم بتحركاته وتجمعاته فيكون الاحتياط الذى يفسد على العدو خططه ويحبط تدبيره أماتحركات الفدائى فامر خفى يمكن كتمانه ومن السهل أن يظل سرا مكتوما لايصل الى الاعداء مهما طال الزمان ؟!

نعم كيف لا يكون الفدائى العربى كما هو عليه الان وقد عرف أن الفدائية قد اتخذت فى ظل الاسلام أساليب شتى هدفها خدمة القضية العادلة وتحقيق النصر على أعداء الحياة ! فها هو ذا « نعيم بن مسعود » يرى ان الفدائية المناسبة فى موقعة الاحزاب أن يسلك طريق الايقاع بين قبائل العرب ولقدكان بعمله هذا فدائيا بارعا ، وها هو ذا البطل الجرىء « الزبير بن العوام » القادم فى فتح مصر يلقى بنفسه من سور حصن « بابليون » على حامية فى الداخل ليوقع الذعر فى نفوس الحراس فيحملهم على التسليم وكان بهذا هو الاخر من أبرع الفدائيين الابطال !

ان الفدائية العربية اليوم تنظر الى ماضيها العريق وتستمد قوتها من قوة الاسلام ومبادىء الحق والعدل والعزة والسلام وكانى بالفدائى فى أرضنا الطاهرة قد نسى أعباء الحياة وحقوق الآباء والابناء ليتذكر حق الله والوطن ، وكانى به وهو ينطلق ساخرا بكل شدة قويا بصادق الايمان والرغبة الملحة فى العودة الى وطنه السليب كانى به يذكر جيدا أن الرجال مثل المعادن بعضهم تظهر صلابته فى الازمات الكبرى وانه بدون قدر كاف من الصلابة لا يستطيع الانسان الشريف أن ينجز أى قدر من أعماله العظيمة التى يسعى اليها .. وكانى به يمثل دور الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه حتى يكون الاستشهاد وساما لهم فى الدنيا ونورا يمشون به فى الاخرة .. فلقد قال محمد صلى الله عليه وسلم : « ان للشهيد عند الله تعالى ست خصال أن يغفر له فى أول دفقة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى بحلة الايمان ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر » وصدق الله تعالى اذ يقول : « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين »

وفى مجال تكريم الشهيد يروى جابر ابن عبد الله بن حرام قصة استشهاد أبيه الفدائى فيقول فيما يقول: أصيب يوم « أحد » فجعلت أكشف عن وجهه وأبكى وجعلوا ينهونني والنبى صلى الله عليه وسلم لا ينهانى وجعلت فاطمة بنت عمرو رضى الله عنها تبكيه فقال صلى الله عليه وسلم « تبكيه أولا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه » ويقول « جابر » فى رواية أخرى : لقينى رسول الله مرة وأنا مهتم فقال : « مالى أراك منكسرا ؟ » فقلت استشهد أبى يوم « أحد » وترك عيالا ودينا فقال : « ألا ابشرك بما لقى الله به أباك ؟ » قلت : بلى . قال « ماكلم الله أحد قط الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك فكلمه كفاحا أى «مواجهة» فقال : ياعبدى تمن على أعطك قال : يارب تحيينى فأقتل ثانية فقال سبحانه وتعالى : انه قد سبق منى أنهم لايرجعون فنزلت : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله » .

أيها الفدائيون العرب : بشراكم نصر وفتح قريب ، وبشراكم فى الاخرة فوز وأجر عظيم

أما أنتم أيها « الصهاينة » فلسوف تعلمون وما أظنكم الا عالمين أن هؤلاء الابطال المكافحين فى أرض العروبة فدائيون لا مخربون كما تزعمون فى تبجح لا مثيل له وسيظل هتاف كل منهم ملء الدنيا حين يردد :

ان نفسى نفس حر
ترى المذلة كفرا
أنا ماعشت لست أعدم قوتا
واذا مت لست أعدم قبرا

وغدا يبزغ الفجر ليطرد أمامه جحافل الظلم والظلام وغدا يعلو هتاف الحق « الله اكبر الله أكبر » وان غدا لناظره قريب !!

من **بدر** إلى **الخندق**

ثم تهاوت حصون المشركين واليهود

الأستاذ احمد وافى

أطاحت معركة « بدر » – فى السنة الثانية من الهجرة – برؤوس السادة والقادة من مشركى قريش « أفلاذ كبد مكة » كما قال يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ففدح المصاب فى قومهم وعشائرهم، وجللهم عار الهزيمة فى معركة انبعثوا لها غضابا مدلين بكامل عددهم ، وكانوا الفا أو يزيدون ، فلم يثبتوا لثلاثمائة من أصحاب محمد ، خرجوا خفافا لا يظنون أنهم ملاقون حربا – « فانما كانت بغيتهم عير قريش المقبلة من الشام ، وهى فى ثلاثين أو أربعين رجلا لا اكثر ، فلعلهم مصيبون منها بعض ما استكرهوا على تركه من متاعهم وأموالهم بأيدى المشركين فى مكة .. »

والحت على المشركين – ومافيهم الا من فقد عزيزا من اهله – نزعة الثأر لدمائهم وشرفهم ، فتداعوا واستعدوا ، طوال عام ، ثم خرجوا – السنة الثالثة من الهجرة – « بحدهم وحديدهم وأحابيشهم » – وعددهم ثلاثة آلاف ، غير من تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، ومعهم ظعائنهم (نساؤهم) النفوس الأنفة والغضب والحض على القتال ؟!

وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجهم فكان الرأى عنده أن يلقاهم المسلمون بالمدينة ، فان اقاموا بالموضع الذى نزلوا به « اقاموا بشر مقام ، وان دخلوها علينا – المدينة – قاتلناهم فيها » غير أن فتيانا ورجالا ممن لم يشهدوا بدرا وفاتهم حظ المشاركة فيها ، أو ممن شهدوها وفازوا بما أعد الله لهم من عظيم أجر وجميل ذكر ، قد غلبتهم حماسة الايمان والرغبة فى شرف الجهاد ، والاستزادة من فضل الله ، فقالوا ، بل نخرج اليهم لا يرون فينا جبنا أو ضعفا ، ولم يشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسرهم على رأى لا يرونه ، وهو الذى قرر مبدأ الشورى واحترام رأى الجماعة . فسار بهم وعدتهم ستمائة ، حتى اذا كانوا على الطريق بين المدينة وأحد ، انخذل عنهم المنافق عبدالله بن ابى بن سلول وكر راجعا الى المدينة بمن معه من أهل النفاق ، وهم حينذاك ثلث جيش المسلمين ؟!

وفى هذا الجو العاصفة رياحه ، التقى المسلمون بالمشركين على أرض « أحد » وكان هؤلاء قد سبقوا الى هناك فأقاموا ، ورتبوا ، واستجموا ! ..

وخط رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه المعركة التى لاتخفى عليه خطورتها تخطيط العبقرى الفذ فى فنون الحرب والقتال، فصف اصحابه وحدد مواقعهم ووضع منهم خمسين من الرماة على شعب فى الجبل ، وقال لهم : « احموا ظهورنا فانا نخاف أن يجيئونا من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوه ، وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا

تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينـونا ولاتدفعوا عنا ، وانما عليكم أن ترشـقوا خيلهم بالنبل ، فأن الخيل لا تقدم عليه .. ـ وقد التزم الجند والرمـاة مواقعهم وتحركاتهم التى ارتسمها لهم القائد العظيم ، وقاتلوا قتالا مسددا اصابوا به اعداءهم ، وظهروا عليهم ، فكانت للمسلمين بذلك : الدولة والريح .. » ..

على أنه بينما تدور الدائرة ـ هكـذا ـ عـلى المشركين ، وقع ـ فجأة ـ « لما أراد الله للمسلمين من تمحيص وابتلاء » أن افتتن الرماة بالنصر متمثلا فى انكشاف الاعداء وفرارهم وسـقوط لوائهم ، فتركوا مواقعهم ليصيبوا حظا من اسلاب المهزومين، خلافا لأمر رسول الله ووصاته ، فكانت تلك ثغرة ، أو سقطة ، غير مقدورة اهتبل المشركون فرصتها ، فأتوا المسلمين من وراء ظهورهم ، وأحاطوا بهم ، فاختل عندئذ الميزان ، ورجحت كفة المشركين بعد يأس ! ..

غير أن المشركين ما أفاقوا من نشوة هـذا النصر فى أعقـاب هزيمتهم المنكرة ، حتى أدركوا انهم انما اصابوا نصرا ، سهلا ، ليس لكثرتهم ولا لبطولتهم فضل فيه ! .. انه وليد مصادفة سنحت دون تدبير .

ولم يغب عن المشركين أن النصر كان قد انعقد تماما للمسلمين ، وانهم قد رأوا منهم ـ خـلال المعركة ـ ضروبا من الشجاعة والبأس ، وألوانا من البطولة والاقدام . تنخلع القلوب لها فزعا ورعبا ، وكاد أبو سفيان نفسه ـ زعيمهم وقائدهم الأعلى ـ أن يلقى حتفه بسيف أحد المجاهدين لولا أن رد الطعنة عنه المشرك شداد بن الاسود ، فنجا والموت على رأسه .

ولا شك فى أن المسلمين قد خسروا فى المعركة ، بعد انقلاب ميزانها بغتة ، عددا غير قليل من صفوة الأبطال وحيرة المجـاهدين ، ويكفى فى الدلاله على فداحة هـذه الخسـارة ، أن كان فيهم اسد الله : حمزة بن عبد المطلب ، عم رسـول الله الذى اشتد عليه حزنه وأساه ، فقال وهو ينظر اليه فى مصرعه : « لن أصاب بمثلك أبدا ، وماوقفت موقفا قط أغيظ الى من هذا .. » وقد كان فى مصرع هذا البطل العظيم وحده ما تشتفى به نفوسـهم المتلظية بالضغن والكراهية ، اذكان هو بذاته طلبتهم الاولى ، وهدف سيوفهم ومرمى ضرباتهم ، لماقد فعل بسادتهم وابطالهم والاعزاء من أهليهم . يـوم بدر ، .. ومن هنا ، فالثأر مايزال بعده معلقا فى رقابهم، صارخا فى آذانهم .. فليعدوا له الرجال والسلاح ، وليواعدوا المسلمين من اجله لمعركه أخرى ؟!

وحل الموعد بعد عام « السنة الرابعة للهجـره » فخرج المسلمون له وكذلك خرج المشركون يقودهم أبو سفيان ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ، وأقام واصحابه هنـالك أيامـا ذات عدد ، ينتظرون مقدم المشركين . فلا يجيئون ، حتى أقبل عليهم من أخبرهم أن ابا سفيان قد خار عـزمه فى الطريق فوقف بالمشركين ليقول لهم ان العام جديب ولا يصلح لما خرجوا له ثم حول عنان راحلته عائدا الى مكة ، وما كانوا اقل منه خورا ، ولا رعبـه فى عودة فرجعوا معه ، من غير لقاء ولا قتال ؟! ..

نحن نتصور المشركين وقتئذ على عما البحر من الحيره والقلق ومداوره الاراء ، وما نرانا فى ذلك بمبعدة عن الواقع الذى يعيشونه خلال عامين بعد موقعة احد ! ..

وانهم لعلى تلك الحال ، اذ هبط عليهم سته نفر من يهود بنى النضير الذين نكثوا عهد رسول الله، وغدروا به ، فأحاط بهم فى حصـونهم ، ثم اجلاهم عنها ، فتفرقوا بددا فى شتى مذاهب الارض ، وكان منهم هؤلاء النفر وعلى رأسـهم عدو الله حيى بن أخطب . وقد كانوا اووا الى خيبر ومنها خرجـوا ليؤامروا المشركين على رسول الله صلى الله عليـه وسلم ويكيدوا له ، ما وجدوا الى الكيد له سبيلا .

وكانوا قبل مقدمهم عـلى مشركى قريش يتوقعون منهم انبعاثا تلقائيا لمتابعه حرب محمد ليبلغوا منه ما بلغ منهم ، فلما لم يفعلوا، أهمهم ذلك . فجاؤوهم ليثيروا فيهم ما قد سكن من حفائظهم ولددهم .

واستطاعوا بما أوتوا من دهاء ، وسعة حيلـة ، وتزوير حديث . أن ينفوا من قلوبهم الحذر والشك فوثقوا بهم واصاغوا الحديثهم ،وتجاوبوامع مشاعرهم

وزادوا فى اغرائهم ، فقـالوا : ولن نكون وانتم وحدنا كذلك ، فان معنا ومعكم لعسكرا كبيرا مـن العرب الاقوياء ، فى العديد من القبائل والاحيـاء ، ليسوا اقل منا ومنكم عداوة له .. لقد اعددنا للامر عدته ، وعما قليل سترون أننا احكمنـــا التدابير ومهدنا السبيل ، وهيأنا لكم ايها العرب الاشاوس فرصة العمر للخلاص من الرجـل الذى ادال من هيبتكم ، وخضب يده بدمائكم . وأقام فى كل بيت من بيوتكم مأتما ، وانكم والله ، لو تركتموه لشأنه، يعلو ويستفيض لما ابقى منكم باقية ! ..

ومن ثم انعقد الحلف بين اليهود ومشركى قريش ليكونوا معهم يدا على محمد ، وتركوهم يعدون عدتهم

للمعركة الفاصلة ، وصدروا عنهم الى غطفان من قيس عيلان ومن بنى مرة ، ومن بنى فزارة ،ومن أشجع ، ومن سليم ، ومن بنى سعد ، ومن اسد ومن كل من يرون أن لهم عند المسلمين ،ثأرا قريبا أو بعيدا ، ومع هذه « الاحزاب »جميعا كرروامواقفهم فى قريش تخويفامن محمد ، والنذارابخطره الزاحف عليهم ، وامتداحا لآلهتهم ووثنيتهم ، وتحريضا للمشاركة فى حربه الخ ، فاستجابوا لما دعوهم اليه وواثقوهم عليه ؟!

وخرجت قريش فى عشرة آلاف ، وخرجت غطفان ومن معها ، واتجهوا بجمعهم الى مدينة رسول الله واثقين من النصر الذى عاقدهم اليهود عليه ، وعلى مشارف المدينة اقاموا معسكراتهم استعدادا لاشارة الهجوم المشترك ؟!

وحين انتهى نبأ هذا الحشد الكبير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر اصحابه بحفر « خندق » بحاجز بين المدينة والمشركين ،وعمل معهم فى حفره ، وكان عملا مجهدا لا سابقة لهم بمثله .

ونشط المنافقون - ومن ورائهم اليهود - فى بث الدعايات المثبطة بين المسلمين ولاحت بوادرها فى صور متعددة ، ثم كشف الله دخيلتهم واخزاهم بها فيما أنزل فيهم من آيات الكتاب الكريم .

وكان عدو الله حيى بن أخطب اكثر اليهود نشاطا وتحركا ، فمضى الى كعب بن أسد كبير بنى قريظة وصاحب عقدهم وعهدهم ، وكان موادعا لرسول الله على قومه ، حفيظا على عهده لم ينقضه ولا يريد أن ينقضه ، ايثارا للعافية والسلامة ، بعد الذى حدث لبنى قينقاع وبنى نضير ، ولكن حيى بن اخطب ، ذلك الداهية المختال ، مازال به حتى اخرجه من تعصيه وحذره ، ومن عهده كذلك ، مأخوذا بما قد أكد له بقوله انه جمع على عداوة محمد وحربه احزاب العرب كافة ، وان من ورائه « بحرا طاميا » من قريش وغطفان بقادتهم وسادتهم وعدتهم وحديدهم ، قد جاءوا على قلب رجل واحد ، لاستئصال عدو اليهود وعدوهم ؟

ونقض بنو قريظة عهدهم ، وطار الخبر الى رسول الله فكتمه عن اصحابه وجنده ، وأجال نظره وفكره فى الموقف العام » فاذا اليهود والمنافقون من اعلى ، والمشركون - باحزابهم المجتمعة - من اسفل ، وهذا الخندق الذى اختلط ترابه بعرق العاملين فيه قرابة شهر ، قداستطاع بعض اصحاب الخيل من المشركين أن يخترقوه من بعض مواضعه قفزا ، وكانت لهم مع المسلمين مصاولات نال فيها بعضهم من بعض ، والفريقان على حافتيه يتراشقان بالسهام ، فتصيب من هؤلاء وهؤلاء ، وقد طال لبث المسلمين فى مواقعهم بعيدا عن اهليهم ، ومنهم من اصبح لايتحرج من المجاهرة بضيقه وضجره منافقا أو مفتونا بالمنافقين ، واشتد الامر بالمسلمين عامة على ما ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله : **« اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر » الآيات - ١٠ - ١٣ من سورة الاحزاب»**

فى مواجهة هذا الموقف العسير ، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستعين له بالحيلة عن غير طريق القوة المعلنة ، وكان قد علم أن اليهود حينما كانوا يؤلبون غطفان ويزينون لهم الخروج للقتال ، وعدوهم بقسم من ثمار أرضهم فبعث الى غطفان من يهمس فى آذانهم : أن ليس بيننا وبينكم ما يدعو الى قتال نحن واثقون فيه من نصر الله ومدده ، وانما هو تدبير اليهود الاخباث قد اغروكم بمحالفة قريش ودفعوكم اليهم ، وان لنا مع قريش لشأنا لستم منه فى شىء ، وهم قوم غدر لا عهد لهم يتخذون منكم اليوم دروعا واضحية بعد ان هيضت أجنحتهم واعوزتهم القوة ، فاذا ما بلغوا بكم ماأرادوا وما هم ببالغيه قط ، ظهروا عليكم وسادوكم ، فلا يخدعنكم اليهود بما يظهرون لكم ولقريش من ود زائف ، فانهم اعداء العرب جميعا ، يبتغون لناولكم السوء والشر ، والهلاك ، فانصرفوا عنا غانمين !..
واذا كنتم خرجتم لقتالنا تطلبون مغنما ، أو موعودين بمغنم من عروض الدنيا ، فاننا اشفاقا على دمائكم التى نراها ستسفك فى سبيله على غير طائل ، لا نأبى مبادلة الرأى فى اعطائكم موادعين ، ما يشق عليكم تحقيقه محاربين .. الخ ..

وكان الغطفانيون قد أضجرهم موقف قريش واليهود ، وساءهم تراخيهم فى المبادرة الى الزحف كأنهم يهابونه ، ورأوا أن هذا الخندق الذى اقامه المسلمون - وهو كما قالوا مكيدة ما كانت العرب تكيدها - قد شد من ازر المسلمين وجعل الوصول اليهم بعيد المنال ، ذلك الى أن المسلمين ببلدهم لا يبالون طال الوقت أو قصر ، فامداداتهم موفورة متجددة ، ومؤنتهم ميسورة متتابعة ، وليس هكذا اعداؤهم القادمون من بعيد ، وقد نفدت مؤنتهم أو كادت ولا يلقون مددا .. لهذا تفتح الغطفانيون لسافرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبلوا الانصراف عن المدينة لقاء قسم من ثمارها ، وكتبوا بذلك كتابا ارسلوه الى رسول الله ، فعرضه على

زعيمى الأوس والخزرج ، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فأبياه قائلين مقالتهم الشجاعة الخالدة :

« يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا من ثمارنا ثمرة الا قرى أوبيعا ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟! والله مالنا بهذا حاجة ، والله لانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

وكان هذا هو الذى اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما ترك الامر اليهما امتحانا لايمان اصحابه ، وتحسسا لما انعقدت عليه عزائمهم بعد ما ظهر من تكالب العرب عليهم وغدر اليهود والمنافقين بهم .. أما واصحابه معه على هذا الايمان والتصميم وقوة العزم فليس ثمة غير الثبات فى لقاء الاعداء . اعتدادا بالحق ، واستبشارا بنصر الله .. !

وشاء الله أن توافى المسلمين بشارة النصر من صفوف الاعداء انفسهم عندما انسل منها نعيم بن مسعود الغطفانى ليلقى رسول الله معلنا اسلامه ، ومبديا استعداده للقيام بما يشاء من أمر ! ..

وكان نعيم بن مسعود يرقب الاحداث بعين يقظى وقلب مفتوح وانه لمن خير رجال غطفان ففارق قومه بليل حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يارسول الله انى قد اسلمت ، ولا احد من قومى يعلم باسلامى ، فمرنى بماشئت .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا أن استطعت فأن الحرب خدعة .»**

فخرج نعيم حتى اتى بنى قريظة وهم اصدقاؤه ، فقال : يابنى قريظة ، قد عرفتم ودى اياكم .. ان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم : البلد بلدكم ، فيه اموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لاتقدرون على أن تحولوا منه الى غيره ، وأن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فأن رأوا نهزة اصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه ! .. فقالوا له : لقد اشرت بالرأى ..

ثم أتى نعيم قريشا فقال لابى سفيان بن حرب ومن معه : أنه قد بلغنى امر قد رأيت على حقا أن ابلغكموه نصحا لكم .. أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد ارسلو اليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم ، فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم .. فأرسل اليهم : أن نعم .. فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ؟!

ومضى نعيم بعد ذلك الى غطفان ، فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ! .. وذهب نفر من قريش وغطفان الى يهود بنى قريظة فقالوا لهم : انا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى تناجزوا محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه ، فقالوا : لسنا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا ، فاننا نخشى أن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ، ولاطاقة لنا بذلك منه ؟!

وقالت قريش وغطفان : والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق ؟.. وأرسلوا الى بنى قريظة انا والله لاندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فأن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، . فقال بنو قريظة ، ان الذى ذكر لنا نعيم بن مسعود لحق . وارسلوا الى قريش وغطفان : أنا والله لا نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا ! ..

فرأت قريش وغطفان فى موقف اليهود غدرا وخيانة ، وخروجا من العهد ، فانخذلوا عن الهجوم وحدهم .. ثم بعث الله عليهم ريحا صرصرا فى ليال شاتية شديدة البرد جعلت تكفأ قدروهم ، وتطرح اخبيتهم ، فقام ابو سفيان فيهم قائلا : يامعشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الخف والكراع ، واخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ماترون .. فارتحلوا فانى مرتحل ؟ ..

فانقلبوا جميعا الى ديارهم شر منقلب ، وعادوا الى قومهم فى أسوا حال ؟ ..

وطلعت على المسلمين ، مرة أخرى ، شمس النصر مؤتلقة وضاحة الجبين ، وقال رسول الله لاصحابه وهو يسبح بحمد الله وشكره ، على ما قد اكرمه من تأييده ونصره : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا .. »

وصدق رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فقد كانت غزوة الخندق هذه آخر غزوات قريش ، وبها تهاوت حصونهم وحصون اليهود معهم ..

وان لهؤلاء اليهود المناكيد لحديثا آخر ..

الدين والسلوك الإجتماعي

الأستاذ محمد كمال الدين

— ٦ —

يعد الحج الى بيت الله الحرام ركنا من أركان الدين الاسلامى، وقد شرعه الله فى السنة السادسة من الهجرة النبوية ، وقام به الرسول فى السنة العاشرة منها وهى حجة الوداع التى نزل فيها قوله تعالى :

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » . المائدة ٣

والحج عيد من أعياد المسلمين الكبرى ، فيه يلتقى الناس من كل فج عميق ، متجهين الى قبلة واحدة ، بقلب واحد .. بدعاء واحد ، فى رحاب واحد . يبتهلون ويطوفون بالبيت العتيق ، وهى حكمة بالغة وقديمة — حكمة الطواف — .. حدثت عنها عائشة — رضى الله عنها — فقالت : لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم — عليه السلام — وهو يومئذ ليس بمبنى بل كان ربوة حمراء — ثم صلى ركعتين ثم توجه الى الله بهذا الدعاء « اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى .. فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك .. ولم يأتنى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل ما دعوتنى به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه » .

ولو استعرضنا التاريخ منذ بناء البيت الحرام لوجدناه دائما موضع التقديس فى الجاهلية والاسلام ، وكان موسم الحج لا يقتصر على التعبد فحسب بل يتعداه الى أن يكون موسما ثقافيا وتجاريا وسياسيا .. تستعرض فيه مشاكل المجتمعات العربية ، وتبحث قضاياها ، ولعل هذا بعض ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

ولقد شرع الاسلام فى الحج سلوكا جماعيا موحدا ، يحتذيه المسلمون فى تلك الأيام المعلومات — أيام الحج — وبها ينبغى أن يقتدى المسلمون فى جميع أقطارهم .. وعلى كافة مستويات أجناسهم ولغاتهم .. ففيها — كما فى جميع مبادىء الاسلام — قوام حياتهم، وصالح دنياهم وآخرتهم .

— ففى الحج كركن من أركان الدين حكمة بالغة ، وفى ترتيب مناسك الحج من احرام وطواف وسعى بين الصفا والمروة ، وحلق الرأس ، والوقوف بعرفة

ثم رمى جمرة العقبة ثم النحر ، والمبيت بمزدلفة ليلة النحر ، ثم بمنى ليالى التشريق الثلاث التالية لليلة النحر » ، فى هذه المناسك اقتداء بخطوات حج الرسول حجة الوداع ، وقيام بأمر من أوامر الله ، وبها يكتمل دين المسلم ، وهو فرض لمن استطاع اليه سبيلا .

– وفى الحج تكفير عن السيئات التى اقترفها المرء ، وفى هذا يقول الرسول الكريم: « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » ، ويقول أيضا : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، ويقول عمر ابن الخطاب « الوفد كثير ، والحج قليل فينبغى للانسان أن يبادر بأداء تلك الفريضة متى استطاع ولا يسوف فانه لايدرى متى يفجؤه الموت ، فمن بادر بأدائها قاصدا وجه الله تعالى فالجنة مثواه ، ومن أعرض عن أدائها فالجحيم مستقره ، ومأواه » . وفى حديث آخر للرسول يقول : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما » .

– والحج تذكير ببعض مواقف الآخرة ، وهو الموقف فى المحشر ، فالناس جميعا يقفون بعرفات وهم كاشفو رؤوسهم ، متجردين عن المخيط لا فرق فى ذلك بين غنى أو فقير كما انهم يقومون من قبورهم ويحشرون الى مكان واحد يسمى بالموقف ، ثم يحاسب كل واحد على ما قدمت يداه من خير أو شر ..

– وفى الحج استشعار للمسلمين بمعانى الاخاء والمساواة ، وهى مبادىء اسلامية جليلة ، وقد جاء فى خطبة وداع الرسول الكريم قوله : « أيها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذه .. أيها الناس انما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه .. أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عندالله أتقاكم؛ ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » .. وفى هذا يقول تعالى :

« انما المؤمنون اخوة » ويقول « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .

– وفى الحج دروس لمعنى التضحية ، احتذاء بقصة ابراهيم واسماعيل ، فى فداء اسماعيل بالكبش العظيم ، واقتداء بالرسول محمد حين ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده ، ووضع رجله على صفاحهما وسمى وكبر ، فلما ذبح الأول قال : « بسم الله الله أكبر اللهم ان هذا منك واليك، اللهم ان هذا عن محمد وآل محمد ، ولما ذبح الثانى قال : « بسم الله الله أكبر ، اللهم ان هذا منك واليك ، اللهم ان هذا عمن شهد لى بالبلاغ والتصديق ولقى الله لا يشرك به شيئا » .

وفى حديث آخر للرسول يقول : « من ضحى طيبة به نفسه محتسبا لأضحيته كانت له حجابا من النار » ، وقد تكون هذه التضحية – الى جانب كونها تضحية مادية واجبة – تضحية أخرى معنوية ، يترك فيها المسلم شهوات بدنه ، ونوازع شيطانه ، وكبح جماح نفسه .

– والمعنى الخطير للحج انه مؤتمر اسلامى شامل ، يلتقى فيه المسلمون من كل حدب وصوب ، يبحثون مشاكلهم ، ويضعون لها الحلول ، ويتبادلون التجارة والمنفعة ، ويتذاكرون درس الماضى وعبره ، يوحى بها مكان الوحى والرسالة ، وايام الاسلام فى عزه ومجده ، ويتدارسون أحوالهم وما ينبغى عليهم القيام به فى هذه الايام من توحيد للجهود ، وتقوية للصف ، وترك للفتن والأحقاد الداخلية والخارجية بينهم ، والعمل بما أنزل الله ، وما احتواه دينهم القيم ، ولعلهم يصلون بهذا كله الى سابق مجدهم وعزهم ، لعلهم أن يعلنوا الجهاد المقدس ، ولعل زعماءهم ملوكا ورؤساء وقادة أن ينهضوا نهضة رجل واحد فتكون لهم – عددا وعدة – الغلبة على عدوهم المشترك ، عدو دينهم ودنياهم ، اذا خلصت النيات ، وساد بينهم الوئام والاخاء .

من هدي الرسول

صلى الله عليه وسلم

الأستاذ الرفاعي البنا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الامة قائمة على امر الله لا يضرهم من خالفهم حتى ياتى امر الله » .

أخى المسلم :

الدين الاسلامى هو الاحكام التى وضعها الله سبحانه وتعالى لعباده مشتملة على جميع ما تصلح به حياتهم الدنيوية والاخروية صالحة لكل زمان ومكان .

شرع سبحانه وتعالي هذه الاحكام وفصلها نفصيلا واقام الادلة الناطقة الباهرة على صحتها وموافقتها لمصالحهم وأردف ذلك ببيان المنافع والثمرات الطيبة العائدة عليهم ماداموا عاملين بها واقفين عند حدودها يعرف ذلك من مارس هذا الدين ونظر فيه نظر المتدبر المنصف الباحث عن الحق حتى اذا تبين له اتبعه وكان به من المهتدين .

شرع جلت حكمته لنا هـذا الدين وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغه لنا فأخبرنا عليه الصلاة والسلام ان علامة ارادة الله تعالى الخير للعبد أن يفقهه فى الدين وان يهبه من الفطنة والذكاء ما يوصله الى ادراك حقيقة هذا الدين والى معرفة ما فيه من الاسرار والحكم البالغة والى العلم بانه الوسيلة العظمى الى نيل السعادة الكاملة فى الدنيا والاخرة فمن كان متفقها فى دين الله تعالى هذا التفقه فهو ممن أراد الله به خيرا كثيرا ينال حظه فى دنياه وآخرته ومن لم يكن كذلك فهو من المحرومين الذين ذكروا بآيات ربهم فاعرضوا عنها وتولوا مستكبرين وضلوا عن سواء السبيل . بعد ذلك أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : «وانما أنا قاسم» الى انه عليه الصلاة والسلام انما هو موزع عليهم جميع علوم الدين وموصلها اليهم مع التسوية بينهم فى تبليغها لهم لا تخص فريقا دون فريق ولا تاثير له فى تعيين مقدار نصيب كل واحد منهم بل انما ذلك التعيين لله سبحانه وتعالى وذلك قوله صلى الله عليه وسلم « والله يعطى » أى أن التفقه فى الدين انما هـو من الله وحده لان نعمة الذكاء والفطنة التى بها يكون التفقه والفهم الكامل انما يقدر عليها الله سبحانه وتعالى دون سواه فهو سبحانه الذى يجعل نصيب فلان من التفقه فى الدين بمقدار معين فيكون هو قسمه ونصيبه الذى يوصله اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغه كل على قدر ادراكه وذكائه الذى وهبه الله له واعتبر هذا الذى ذكرناه بمـا تعلمه من أمر المعلم مع من يعلمهم يظهر لك معنى الحديث الشريف واضحا جليا ألا ترى أن المعلم يلقى على المتعلمين المسائل محدودة مضبوطة من قبل القاء رتب أجزاءه ترتيبا ونسق جمله تنسيقا واسمعهم عبارته جميعا وسوى بينهم فى الاعلام والتعليم وبذل ما استطاع من أساليب الافهام والتفهيم ثم بعد ذلك يكون حظ كل متعلم مما تلقاه من معلمه بقدر استعداد فطرته وذكاء عقله وصفاء نفسه الذى فطره الله تعالى عليه ووهبه اياه فما اشبه هذا المعلم المخلص حينئذ بالزارع الخبير المجد يهيىء الاسباب ويعد الوسائل ويمهد المزرعة ثم يبذر الحب وينثره فيها بالتساوى والقسطاس ثم يسلم الامر ويفوض العاقبة الى الله الذى جعل لكل شىء قدرا وخص من فضله من شاء بما شاء من نعمته وهو العليم الحكيم هذا . ثم ان الفقه فى اللغة هو ان تتوصل بالامر الذى تعلمه الى الامر الذى تجهله فتجعل الشىء المعلوم لك الحاضر فى ذهنك وسيلة تتوسل بها الى احضار الشىء الغائب عنك فمن هذا يتبين لك أن الفقه أخص من مطلق العلم ويكون معنى تفقيه الله تعالى لمن يريد به خيرا هو انه سبحانه يفيض عليه من لدنه فيوفقه لصحة ترتيب ما فى نفسه من المعلومات ويلهمه نظم ما هو حاضر عندها من صحيح المقدمات ليعبر منها الى العلم بما هو مجهول له ويستنبط منها ما يتناسب معها ويشاركها فى حكمها وحكمتها . فاذا تلقى المتعلم من معلمه مسألة وعلم حكمها فعلى قدر ادراكه الفريزى يكون قدر فهمه لها فاذا كان ضعيف الفطنة فانه يفهمها ويقف ادراكه عند فهمه لما ظهر له منها لا يتجاوزه الى ما يماثلها من مسائل أخرى لم يسمعها من المعلم واذا كان قوى الفطنة ذكيا فانه يتخطاها ويقيس عليها أمثالها ويستنبط منها اشباهها والنـاس فى ذلك متفاوتون تفاوتا لا يتناوله عد ولا احصاء . على هـذا السنن وأمثل منه وأحكم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم المسلمين ويلقنهم احكام الله تعالى التى علمه اياها ويرشدهم الى تفهم ما أنزله عليه فى كتابه العلى الحكيم كان يلقى عليهم مايراه أنسب بحالهم الحاضرة ويقدم اليهم ماهم أحوج اليه من غيره يعدل بينهم فى التعليم ويسوى بينهم فى التقسيم والتوزيع ولكل منهم نصيب من عناية

النبى صلى الله عليه وسلم وتبليغه يعادل نصيب أخيه الآخر وهذا كما قدمناه لك معنى قسمته عليه الصلاة والسلام فى قوله « وانما أنا قاسم » أى موزع بينكم بتبليغ دين الله تعالى بالعدل وموصله اليكم على المساواة بعد أن تتساوى أنصبتهم فى قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم التبليغ بينهم وفى فهمهم لها فهما صحيحا تتفاوت حظوظهم فيما فهموه قوة وغيرها قلة وكثرة تفاوتا نشأ من تفاوتهم الخلقى فى الاستعداد والذكاء والافهام لا من تفاوتهم فى التبليغ والافهام وصدق الله حين يقول « الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » . وقال « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين » بسبب هذا الاختلاف كان منهم من يفهم المعنى الظاهر الجلى فهما سديدا من تبليغ النبى صلى الله عليه وسلم لا يتعداه الى ما هو حقى عليه لان استعداده لا يقوى على الوصول اليه . ومنهم من اذا فهم ما سمع تأمل فيه وتدبر وجال فكره فيه وامعن فى نواحيه حتى يدرك ما فيه من رموز واشارات صحيحة ويعرف ما اشتمل عليه من أسرار وحكم بالغة وتتجلى له المعانى التى هى وراء ما سمعه فيقيس الاشباه على الاشباه ويلحق النظائر بالنظائر ويستنبط من أصول دين الله الصالح لكل أمة فى أى زمان مايوافق المصالح الحاضرة مبينا للناس ما فهمه وما استنبطه موضحا لهم من اين استنبط وكيف استنبط لا يتهم بعد ذلك انه شرع لهم ما لم يأذن به الله فاذا أصاب فيما اجتهد فيه فبلوه منه وله عند الله أجران وان لم يصب ردوه الى الصواب وله أجر وعلى الجملة كانوا

فى تعرف احكام الدين واستنباط ماينطبق على مصالحهم المشروعة الحاضرة مؤتمرين بقول الله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » وقوله « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا » هذا هو الصراط المستقيم الذى سار عليه الصحابة رضى الله عنهم ثم اقتدى بهم فى ذلك خلفهم الصالحون من التابعين وتابعيهم ثم جاء من بعدهم الائمة المجتهدون فاهتدوا بهديهم واستنوا بسنتهم امامهم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذى جمع كل صلاح الدين والدنيا كما قال عز وجل « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وكذلك كانت قدوتهم الحسنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر لهم كتاب الله تعالى وترشدهم كيف يتعلمون ويعلمون كما قال الله تعالى جل ذكره « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » لعل الذين اجترءوا على الدين الاسلامى فاتهموه عمدا أو جهلا بانه كغيره من الاديان ان صلح فانما يصلح للارواح . أما الحياة الدنيا الزمنية فانه لا صلة بينه وبينها لانه خلو مما يصلحها ويقومها وان ما يدعيه له أنصاره فانما هو اشياء جافة جمدوا عليها وانها ان ناسبت كما زعموها له فانما هى امور قدم عهدها كانت لزمن سلف وامة قد خلت نقول اما ان حقيقة الاسلام الحنيف قد تبينت لهم فانه لا شك فيه ولا جدال على انها ماخفيت على بصائر أولى الالباب بعد أن أشرقت شمسها وبلغت الدعوة اليها مشارق الارض ومغاربها كما قال عز اسمه « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ثم أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك العاقبة الحسنى لمن اعتصم بهذا الدين الحنيف واطاعه والعاقبة السوءى لمن أعرض عنه وعصاه فاخبر أن هذه الامة المحمدية التى أكرمها

الله المتفضل بهذا الدين القويم ستستمر قائمة على أمر الله سائرة على تعاليم دينه ممتثلة أوامره ، مجتنبة نواهيه منفذة أحكامه حافظة لشرائعه وحينئذ يكافئها الله تعالى فى الدنيا بان يحفظها ممن يخالف دينها فيرد عنها كيد أعدائها ويدفع عنها شرورهم ولا يسلطهم عليها ولن يجعل الله لهم عليها سبيلا بل يجعلها مهيبة ملء قلوبهم وأعينهم ويجعل الفوز والنصر العزيز ونفاذ الكلمة وعزة السلطان وقوة الجانب لها عليهم ولكن هذه المكافأة الحسنى من الله تعالى لهذه الامة المحمدية انما تكون ما داموا معتصمين بعروة دين الله الوثقى عاملين بتعاليمه اما اذا نبذوه وراء ظهورهم وعصوا أوامره وارتكبوا محارمه فاذ ذاك يأتى امر الله وهو حكمه على من يعرضون عن دينه ويعصون أوامره وينتهكون حرماته بالذلة والصغار والفقر والحاجة وتسليط غيرهم عليهم جزاء وفاقا « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » وقال سبحانه « وماكنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون » .

فلينظر المسلمون بعد ذلك ليعلموا من أى شطر من شطرى هذا الحديث المبشر المنذر هم ؟ فان كانوا من شطره الاول قائمين على أمر الله شكروه سبحانه ان هداهم للايمان ووفقهم لما يرضيه عنهم ويرضيهم عنه واستوهبوه دوام توفيقهم وشكرهم له حتى يزيدهم من فضله كما وعد الشاكرين فى قوله « لئن شكرتم لازيدنكم واذا كانوا من شطره الثانى الذين نسوا الله فنسيهم واستهدفوا لامر الله يأتيهم بغتة وهم فى خوضهم يلعبون فخير لهم ان يتقوا الله وينظروا ما قدموا لغد ان الله خبير بما يعملون « الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » ندعو الله ان نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

الكلمة الطيبة

الأستاذ عبد العال شعيب

يهدف الاسلام الي أن تكون العلاقات بين أبنائه علاقة ود وحب ومودة ، حتى تجتمع كلمتهم ، ويتحد صفهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .. ونرى القرآن الكريم يؤكد هذه العلاقة بين المؤمنين ، حينما يجعلهم جميعا اخوة ، ومن شأن صفة الاخوة أن تشيع الحب والاخاء ، قال تعالى « انما المؤمنون اخوة »

ولاشاعة صفة الود بين الناس أسباب كثيرة ، وطرق شتى ، منها الكلمة الطيبة ، يطلقها المسلم فى وجه أخيه المسلم ، فينشرح لها صدره ، ويهش لها فؤاده ، وتفتح مغاليق قلبه ، ولذا سن أن يبدأ المسلم أخاه حين يلقاه بالقاء تحية الاسلام عليه : السلام عليكم ورحمة الله ، ويتحتم على السامع أن يرد التحية بمثلها أو بأحسن منها « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، ان الله كان على كل شيء حسيبا) وما أجمل كلمة السلام حينما يسمعها الانسان . انها تفجر فى نفسه ينابيع الايمان ، ولما كانت الكلمة الطيبة لها الاثر الكبير فى نشر الخير والمودة بين أبناء المجتمع الواحد ، فان أنبياء الله ورسله منذ بدء الخليقة ، كانوا يجعلون هذه الكلمة مفتاح كل قلب مغلق ، فكانوا يصلحون بها النفوس ، ويقومون بها العوج ، ويعمرون بها البلاد ويسعدون بها العباد ، ويملأون بها الدنيا صدقا وعدلا ، ونورا وهدى ، وحكمة وعلما ، وأمنا وسلاما ، ولقد وصفت كلمة الايمان فى القرآن بأنها كلمة طيبة ، تخرج الثمار النافعة ، مثل الشجرة الطيبة التي ثبتت أصولها فى الارض ، وامتدت فروعها فى السماء ، وكان من أحسن ثمراتها الاخلاق الفاضلة والاداب الرفيعة ، والاعمال الصالحة ، التى رضاها الخالق ، ويطمئن بها الخلق ، قال تعالى : « **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون** » وعلي النقيض من ذلك تماما نجد الكلمة الخبيثة تهدم أصل الايمان ، وتشيع فى المجتمع الفساد ، وتقطع ما بين أبنائه من وشائج القربى ، وتحيلهم أعداء متنافرين متباغضين فهى تهدم ولا تبنى وتدمر ولا تعمر ، قال تعالى : « **ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار** » والله تعالى هو الذى يثبت اللسان بالقول الطيب ، ويهدى القلب الي طريق النور « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** » .

ويحدثنا التاريخ الصادق عن أثر الكلمة الخبيثة فى تفرقة الصفوف المجتمعة ، وذلك حينما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وآخي بين المهاجرين والانصار أخوة تعدل صلة النسب ، حتى كان الواحد منهم يؤثر أخاه على نفسه ، ومدحهم المولي تبارك وتعالى بقوله : « **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » .

وكان الانصار قبل الاسلام متشعبين الي قبيلتين كبيرتين هما الاوس والخزرج ، وكانت بينهما فى الجاهلية عداوات طويلة ، وحروب متواصلة حتى جاء الاسلام فصهرها فى بوتقة واحدة ، واتخذ لهم اسما واحدا يدل على

مكانتهم فى الاسلام ، وينسيهم أسباب العداوة والبغضاء ، وهو اسم الانصار وحدث ان حقد يهودى مر على مجلسهم المتحد المتحاب ، فلقن غلاما غرا كلمة خبيثة ، وهي بيت شعر كانت الاوس قد قالته فى الجاهلية تهجو به الخزرج وعملت هذه الكلمة الخبيثة عملها فى هذه القلوب المؤمنة ، ووصل الامر الى درجة أن رفع كل واحد من القبيلتين سلاحه فى وجه الاخر ، وكادت تحدث فتنة هنيفة ، لولا أن أسرع غيور الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بما حدث ، فجاء مسرعا وهو غاضب ، كأنما فقىء فى وجهه حب الرمان من الغيظ والغضب لما حدث بين الاخوة المتحابين ، ولما رأوا وجه الرسول صلى الله عليه وسلم تساقطت السيوف من أيديهم ، واستبدلوا بها طيب العناق . وتذكروا انها كلمة خبيثة أريد بها تفريق هذه القلوب المؤمنة المتحدة المتعاونة المخلصة ، ونزل قوله تعالي تسجيلا لهذه الواقعة وتنبيها للامة الاسلامية فى كل زمان ومكان الى الحذر ممن يبثون السموم وينشرون الاحقاد فى الصفوف المتحدة ، **« يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وانتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »** وعقبت الآيات بذكر نوع من أنواع الكلمة الطيبة ، وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . قال تعالي **« ولتكن منكم أمة يدعون الي الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »** لهذا كان واجبا علي أهل الايمان أن يحرصوا على الكلمة الطيبة فى كل أمر من أمور دينهم وفى كل شأن من شئون دنياهم ، فاذا قالوا صدقوا ، واذا حكموا عدلوا ، واذا نصحوا أخلصوا فى النصيحة ، واذا رأوا بوادر نزاع وشقاق بين الناس سارعوا الى ازالته واصلاح ذات البين ، كل ذلك باللين والحكمة ، امتثالا لقوله تعالى : **« ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »** .

ولقد وسع الاسلام فى مفهوم الصدقة فلم يجعلها قاصرة على مجرد اعطاء مال لمحتاج لا يجد ما ينفقه ، مع ما لهذا الاعطاء من أثر عظيم عند الله ، بل وسع من مفهومها ليستطيع كل الناس أن يقدموا ألوانا من الصدقات ، تنفعهم يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وجعل من أنواع هذه الصدقات ، الكلمة الطيبة ، التى تدل علي طريق الخير ، والتي تنهى عن المنكر .. نقد روى عن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **« ليس من نفس ابن آدم الا عليها صدقة ، فى كل يوم طلعت فيه الشمس قيل يارسول الله : من أين لنا صدقة نتصدق بها ؟ فقال : ان أبواب الخير لكثيرة : التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتميط الاذى عن الطريق ، وتسمع الاصم ، وتهدى الاعمى ، وتدل المستدل عن حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك علي نفسك »**

ان توسيع مفهوم الصدقة من شأنه أن يفجر منابع الخير فى النفس البشرية وأن يربط المجتمع برباط الحب والمودة والاخاء ، وغاية المصلحين أن يكون الخير هو المسيطر على حياة البشرية فيعيش الجميع فى أمن لا يشوبه خوف وفى طمأنينة لا يهزها قلق ، وفى سعادة لا يشوبها شقاء ، وحينما امتن الله علي أهل قريش بنعمه عليهم امتن عليهم بنعمتين أساسيتين ، كان لهما الاثر الكبير فى حياتهم وهما الاطعام من جوع ، والامان الذى لا خوف معه قال تعالي **« لايلاف قريش ايلافهم ، رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى اطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف »**

ان المسلم فى حقيقة شأنه مهذب فى لفظه ، عف فى كلامه ، لا ينطق الا بحق ولا يحدث الا بصدق ، ولا يناجى الا فى نفع عام ، يعود أثره علي الافراد والجماعات ، يقدر الكلمة قدرها ويدرك مسئوليتها وعاقبتها ، ويتبين قبل أن ينطق بها ما فيها من خير وشر ، ونفع وضر ، حتى لا تتسبب كلمته فى أن تورده موارد التهلكة ، قال تعالى : **« وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ، أن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا »**

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث يصفين لك ود اخيك تسلم عليه اذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه اليه » والكلمة الطيبة مع الخصوم تكسر حدة الشر ، فلا يستشرى الضرر ، وبها يصير العدو وليا والخصم نصيرا » **قال تعالي « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم .**

أصول عمرية في حكم الولاة

الأستاذ صلاح عزام

مرة ثانية .. مع أمير المؤمنين عمربن الخطاب .. والحديث عنه مشوق دائما .. ومهم دائما .. فهو تلميذ صادق مع نفسه فى ولاء عميق للمدرسة المحمدية ..

ومن روائع صفحات حكم خلافة أمير المؤمنين ابن الخطاب .. ما كان بينه وبين أعوانه من حكام الولايات .. وكيف كان يحاسبهم وكيف يناقشهم أسلوب حكمهم .. وكان الميزان الفعلى والحكم فى العلاقة بين أمير المؤمنين وولاته .. الخط الاسلامى والمحافظة الدقيقة على تعاليم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ومن بين هذه الصفحات المشرقة ماننقله ليكون عونا لكل دارس لاسلوب الحكم الاسلامى .. ولكل دارس لتاريخ واحد من أخلص المدرسة المحمدية .. وكيف أجرى الحكم فى الدولة على هذا النهج فكان ما يسمونه الان معجزة .. وليس بمعجزة .. وانما هكذا كل من يتبع خطوات النبى صلى الله عليه وسلم ويطبق شريعته .

وكان رضى الله عنه يقول معنى واحدا لكل وال جديد مثل الذى كتبه الى عتبة بن غزوان أمير البصرة .

اغرب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا ان يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى فاتكم انما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم اليكم فيما أخذ عليكم واوفوا بعهد الله وقوموا على امره يكن لكم عونا وناصرا .

ومرة اخرى .. أوصى سعدا رضى الله عنه عندما ولاه الامارة فقال :

يا سعد سعد بنى وهيب لا يغرنك من الله أن قيل قال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله عز وجل لا يمحو السىء بالسىء ولكنه يمحو السىء بالحسنى فان الله ليس بينه وبين احد نسب الا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ..

الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رايت النبى صلى الله عليه وسلم منذ بعث الى ان فارقنا فالزمه فانه الامر .

هذه عظتى اياك ، أن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

ويخطب الناس يوما محددا علاقة الولاة بهم .

« يا أيها الناس انى والله ما أرسل عمالا اليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكنى أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ويقضوا بينكم بالحق ويحكموا بينكم بالعدل فمن فعل به شىء

سوى ذلك فليرفعه الى فوالذى نفس عمر بيده لاقصنه منه .

وكتب يوما الى الولاة قائلا :

واجعلوا الناس عندكم فى الحق سواء قريبهم كبعيدهم وبعيدهم كقريبهم اياكم والرشا والحكم بالهوى وان تاخذوا الناس عند الغضب فقوموا بالحق ولو ساعة من نهار » .

ويكتب مرة اخرى الى واحد من الحكام ..

« بلغنى أنك نزلت منزلا كؤودا لاتؤتى فيه الا على مشقة فاسهل ولا تشق على مسلم ولا على معاهد وقم فى أمرك على رجل تدرك الاخرة وتعف عن الدنيا ولا تدركنك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب اخرتك » .

وبهذه الكلمات وغيرها .. كان فهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الملهم الواعى لمسئولية الحكام والولاة

ومن أجل ذلك ايضا .. وبهذه المسئولية الضميرية التى كان يحملها فى عنقه سيدنا عمر . كانت مساءلته الصارمة العنيفة لهؤلاء الولاة . اذا ما خرج واحد منهم قيد أنملة عن الخط المحمدى .. ولا يقبل من واحد عذرا مهما كانت الظروف وذلك حتى يحفظ على الامة الاسلامية شعارها وأنوارها المضيئة . ويورث للتاريخ نظاما خالدا وحده .. لن يضلوا اذا اتبعوه ابدا .. لانه تطبيق حى لكتاب الله وسنة رسوله .

ومن أجل ذلك عندما بلغه أن سعد بن أبى وقاص قد بنى لنفسه قصرا فى الكوفة يحجب عنه اصوات الناس واتخذ له سورا وحجابا أرسل له من يحرق الباب ويتعرف على الحقيقة ويبلغه رسالة تقول :

« بلغني أنك بنيت قصرا اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال . انزل منه منزلا مما يلى بيوت الاموال واغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس عن دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت » .

ورواية أخرى يقول ابن جوزى عن ابن سعد كان عمر بن الخطاب استعمل النعمان بن فضلة على ميسان

وكان يقول الشعر فقال

الاهل أتى الحسناء ان حليلها
بميسان يسقى فى زجاج وضنم

وفى ابيات يقول فى ختامها

لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ عمر قوله قال نعم والله انه ليسوؤنى من لقيه فليخبره انى عزلته . وارسل له بذلك

ومواقف حسابية كثيرة . لعلها تكون ذات يوم باذن الله كتابا للناس نموذجا لحكم محمدى فريد .

دعاء ام المؤمنين : عائشة بنت ابى بكر
(رضى الله عنهما)

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم لعائشة (رضى الله عنها) : عليك بالجوامع الكوامل قولى: ((اللهم انى اسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه وما لم اعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم ، واسألك الجنة ، وما قرب اليها من قول وعمل، واعوذبك من النار وماقرب اليها من قول وعمل واسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد (صلى الله عليه وسلم) واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد (صلى الله عليه وسلم) واسألك ما قضيت لى من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الرحمين))

***

((دعائم وحدة الأمة))

وفى الحقيقة ان دعائم وحدة الامة تكاد أن تكون منحصرة فى كون الآمر مطاعا ، والمأمور مطيعا ، وذلك أس من أسس السياسة ، ومتى صحت تلك الوحدة حصل اعزاز الأمة ، وتوفر لها رغد العيش ، ولم تكن مغلوبة لسواها ، وهذا هو حياتنا ، ونحوها فى العمران البشرى ، والعكس بالعكس ، وثمة دلائل على ماكان للعرب فى عصر الجاهلية من حسن السياسة والخبرة بطرائقها ، والمجد الأثيل ، والعز التالد، بحيث ان كل قبيلة كانت تعتبر نفسها أمة برأسها ... ، لكنهم بالنسبة للأجنبى أمة واحدة ، ولذا لم يمكن للاكاسرة والقياصرة اخضاع العرب فى الجاهلية ولا ادخالهم تحت حيطة قهرهم وانما كانوا يتقونهم بتولية ملوك منهم فى غسان والحيرة لدفع بعضهم ببعض ، اشفاقا على تخومهم منهم ، يدلك على ذلك اتخاذ كسرى كتابا من العرب فى جملة كتاب ديوانه، مع أن شأن الأمة المغلوبة ضعف لغتها ، بل انمحاؤها تدريجيا بلغة الأمة الغالبة .

((من المواهب الفتحية لاستاذ اللغة العربية الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله))

عمارة المسجد

المسجد الحرام بمكة في عصر المماليك

الدكتور حسن الباشا

بعد أن قضى المغول على الخلافة العباسية فى بغداد فى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) انتقلت الى مصر زعامة العالم الاسلامى . وتأكدت هذه الزعامة بفضل الانتصارات الحربية التى أحرزها سلاطين مصر من المماليك الذين استطاعوا[1] أن يصدوا المغول فى عين جالوت فى سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) وأن يطهروا بلاد الشام جميعها من الصليبيين .

ولم يفت المماليك أن يكملوا هذه الزعامة الفعلية بالمراسم الشكلية فبعثوا الخلافة العباسية من جديد بالقاهرة وهكذا صارت القاهرة مقر الخلفاء العباسيين الذين كانوا يفوضون الى سلاطين مصر حكم بلاد الخلافة العباسية السابقة فضلا عما يفتحونه من الأقطار .

وقد ورد فى صيغة عهد الخليفة العباسى الى السلطان بيبرس أنه قلده .. **((الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمانية والفراتية وما يتجدد من الفتوحات غورا ونجدا))**

وورث المماليك – فيما ورثوا[1] – رعاية الحرمين الشريفين بمكة والمدينة وشرف خدمتهما . وصار من الألقاب التى يعتز بها سلاطين مصر لقب خادم الحرمين الشريفين وما فى معناه من الالقاب مثل خادم حرمى الله ورسوله ، وصاحب الأقطار الحجازية ، وملك الجهات الحجازية ، وسلطان اليمن ، والحجاز وسلطان بيت مكة العالى ، وسلطان البيت العالى الشريف بمكة ..

وكان سلاطين مصر من المماليك يبالغون فى الاحتفاء بالمسجد الحرام بمكة : فكانوا يوالونه بالعمائر اللازمة ، ويهدون اليه ثمين التحف ، ويوقفون عليه وعلى ما يتصل به الاوقاف الكثيرة .

وقد عنيت كتب التاريخ بذكر مظاهر هذه الرعاية وأخبارها وأورد صاحب كتاب مرآة الحرمين ملخصا لها .

وقد تم فى المسجد الحرام فى عصر المماليك عمارتان كبيرتان . وبدأت أولى هاتين العمارتين فى عهد السلطان الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق على اثر حريق مدمر اجتاح جزءا كبيرا من المسجد . وقد بدأ الحريق فى ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة ٨٠٢ هـ فى رباط عند باب الحزورة المعروف بباب عزورة بالجانب الغربى من المسجد الحرام ولم تلبث أن انتقلت الى سقف المسجد وعمت الجانب الغربى وأجزاء من الرواقين المقدمين من الجانب الشامى . وأدى هذا الحريق الى تخريب نحو ثلث المسجد وتدمير مائة وثلاثين عمودا .

ومما يسترعى الانتباه أن حريق المسجد الحرام بمكة حدث فى الوقت الذى كان فيه العالم الاسلامى يقاسى من أهوال تمرلنك وجيوشه من التتار الذين انصبوا كالحريق المدمر على المسلمين الذين بدوا كأنهم غافلون عما يتهددهم من أخطار حتى صدق ما قاله بعض الشعراء فيهم :

كم لى انبه مقلة من نائم
لم يهد غير سروره الاحلام
فكأنه اذ جئته مستصرخا
طفل يحرك مهده فينام

ولقد نكل عسكر تمرلنك بالمسلمين اشد التنكيل . من ذلك مثلا ما ذكره ابن اياس من انه لما أراد تمرلنك « أن يرحل عن دمشق جمعوا له أطفال المدينة الذين أسر أهلهم فكانوا ما بين ابن خمس سنين الى شهر وشهرين فركب تمرلنك واتى الى ذلك المكان الذى هم به خارجا عن المدينة فلما اتى اليهم وقف ساعة وهو ينظر اليهم ويتأملهم ثم قال للعسكر « سوقوا عليهم بالخيل » فساقوا بالخيل فماتوا أجمعين .

ومهما يكن من شىء فانه لما بلغ خبر الحريق السلطان فرج بن برقوق عهد الى الامير بيسق الشيخى بعمارة ما احترق من الحرم وأرسل معه الخواجا برهان الدين المحلى التاجر الكارمى وبعث معه عشرة الاف دينار لينفق منها على العمارة .

وقدم الامير بيسق مكة فى سنة ٨٠٣هـ وانتظر ريثما يرحل الحجاج ثم شرع فى العمارة .

وجوبه الامير بيسق بمشكلتين هما عدم توفر الرخام للاعمدة وتعذر الحصول على خشب الساج للتسقيف .

واستطاع أن يحل مشكلة الاعمدة فى نفس العام بعد أن استبدل بالرخام الحجر الاسود المنحوت فشيد به معظم الاعمدة كما استخدم بعض قطع الرخام المتخلفة من الحريق فشد بعضها الى بعض بالحديد وأقام بها بعض أساطين فى مقدم الجانب الشامى .

أما مشكلة التسقيف فقد تغلب عليها فى سنة ٨٦٧ هـ حين استبدل بالساج خشبا من العرعر جلب من الطائف .

وبذلك استطاع أن يعمر سقف الجانب الغربى الذى كان قد بقى دون اصلاح بعد تدميره فى الحريق ثم أتم نقشه .

أما العمارة الكبيرة الثانية التى تمت فى عصر المماليك فكانت فى عهد السلطان الاشرف برسباى فى سنتى ٨٢٥ و ٨٢٦ هـ .

وقد أسند الأشرف مهمة هذه العمارة الى الامير زين الدين مقبل القديدى وأوفده الى مكة .

وشملت هذه العمارة كل المسجد تقريبا اذ تم فيها اقامة عشرات العقود وتجديد كثير من أبواب المسجد وتعمير سقوفه وطلاؤها واصلاح سقف

رسم الحرم المكى الشريف على بلاط من الخزف

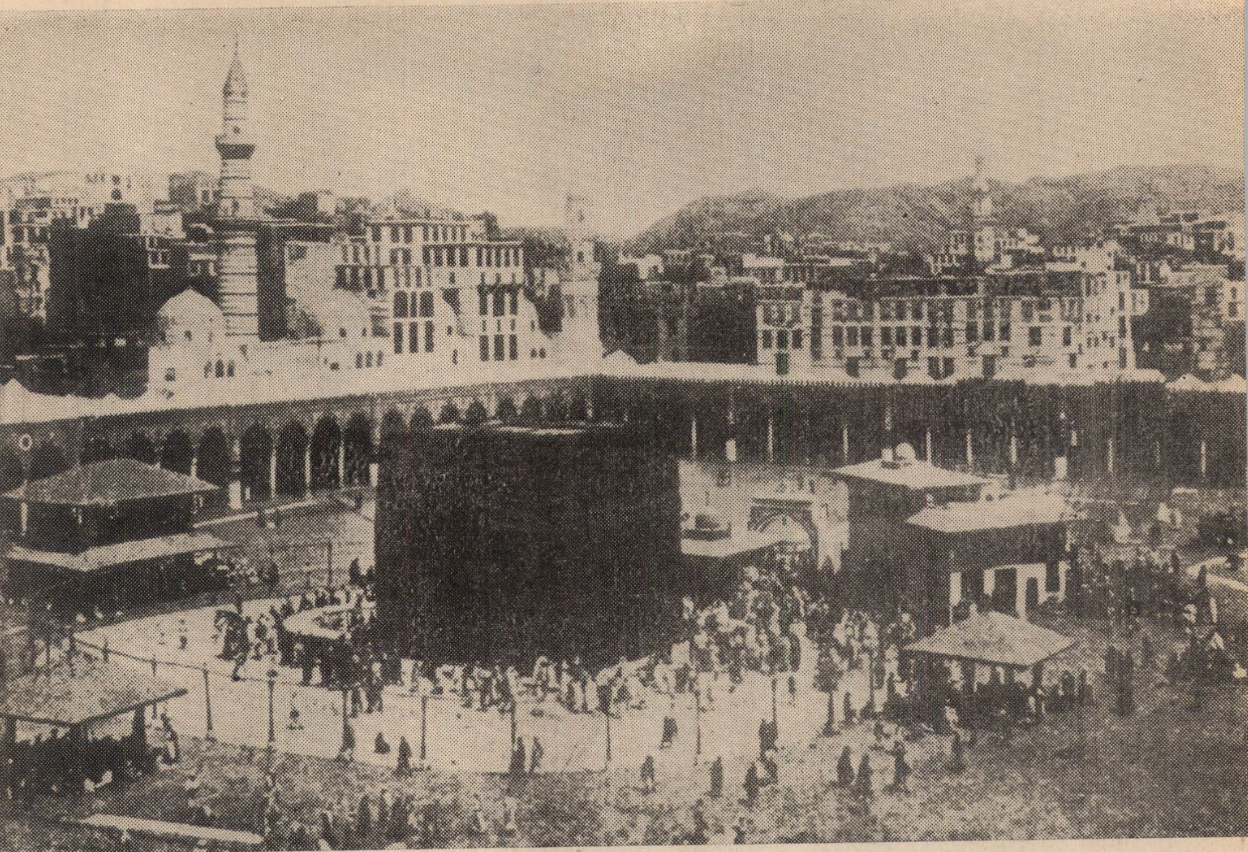

صورة الحرم المكى وفى وسطه الكعبة الشريفة

الكعبة ورخامها وأخشابها وحلق الحديد الذى تربط به كسوة الكعبة .

وبالاضافة الى هاتين العمارتين الكبيرتين أجرى بالحرم المكى وملحقاته طوال عصر المماليك عمائر كثيرة بغرض الصيانة والتجميل .

ففى عهد الناصر محمد بن قلاون زودت الكعبة الشريفة بباب من السنط الاحمر عليه من الفضة أكثر من خمسة وثلاثين ألف درهم وفى سنة ٧٦١ هـ أهداها الملك الناصر حسن بابا آخر من خشب الساج زيدت حليته سنة ٧٧٦ هـ حتى أصبح مقدارها يزيد على ٣٠٠٠٠ درهم ثم صار يزاد فى حليته على مر السنين

وفى أواخر سنة ٨٠١ هـ وأوائل سنة ٨٠٢ **بنى مقام السادة الحنفية .**

وقد أثار بناء هذا المقام بعض الخلاف بين الفقهاء اذ كان منهم المؤيد للبناء والمعارض ثم جرى عليه بعد ذلك كثير من العمائر .

وفى سنة ٨٠٧ هـ عمرت سقاية العباس فصارت على هيئة بيت مربع فى أعلاه قبة كبيرة وفى ثلاث جهات منها شبابيك من حديد ،وفى جانبها الشمالى من الخارج حوضان وفى وسط البيت بركة كبيرة تملأ بالماء من زمزم بواسطة قناة سماوية حتى يخرج الماء على شكل فوارة .

وفى سنة ٨١٠ هـ عمر السلطان الناصر فرج مقام ابراهيم عليه السلام فبنى فوقه قبة عالية من خشب قائمة على أربعة أعمدة دقيقة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد .

وفى سنة ٨١٤ أصلحت أجزاء من سقف الكعبة ورزازنها وعتبتها وكانت هذه الاجزاء قد تلفت بسبب مطر عظيم أدى الى تدفق الماء بشدة من باب الكعبة الى المطاف .

وكان من مظاهر رعاية سلاطين المماليك بالحرم المكى الشريف عنايتهم بكسوة الكعبة . ففى سنة ٧٥٠ هـ وقف عليها الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ثلاث قرى بالقليوبية هى بسوس وابو الغيط وسنديبس . وكانت الكعبة تكسى فى عصر المماليك بكسوة سوداء .

وقد وصف أحد الشعراء سواد كسوة الكعبة فقال :

يروق لى منظر البيت العتيق اذا
بدا لطرفى فى الاصباح والطفل
كأن حلته السوداء قد نسجت
من حبة القلب أو من أسود المقل

فارس بني شيبان

الأستاذ حسين الطوخي

انتصف الليل أو كاد والفارس العربي ما انفك ينهب الصحراء ويحث الجواد الكريم من تحته لعله يبلغ مشارف أرض الجزيرة العربية قبل ان يبزغ الفجر وتطلع الشمس وتحيل الرمال الناعمة الى بساط من جمر متقد .

وما كان الفارس ليتوقف عن مسيرته العجلى لحظة الا لكى يريح جواده قليلا من الوقت أو يتيح لتابعه أيسر ان يلحق به خشية ان يضل طريق متابعته فى ظلام هذه الصحراء التى امتدت امام البصر كأنها بساط عريض من المخمل الاسود .

وقبل انبلاج الفجر الوليد ، لاحت ذرى النخيل الباسق من بعيد ومن حولها نيران تخبو حينا وتندلع السنتها حينا آخر فادرك الفارس وتابعه انهما قد دخلا أرض الحجاز وعما قريب سيجوسان فى بطاح اهليهم وذويهم فانتشيا برائحة الوطن وقرب اللقاء بمن يحبان .

وطاب للفارس المنهوك ان يصيب حظا من الراحة يتناول خلالها وجبة طعام تعينه على مواصلة المسير

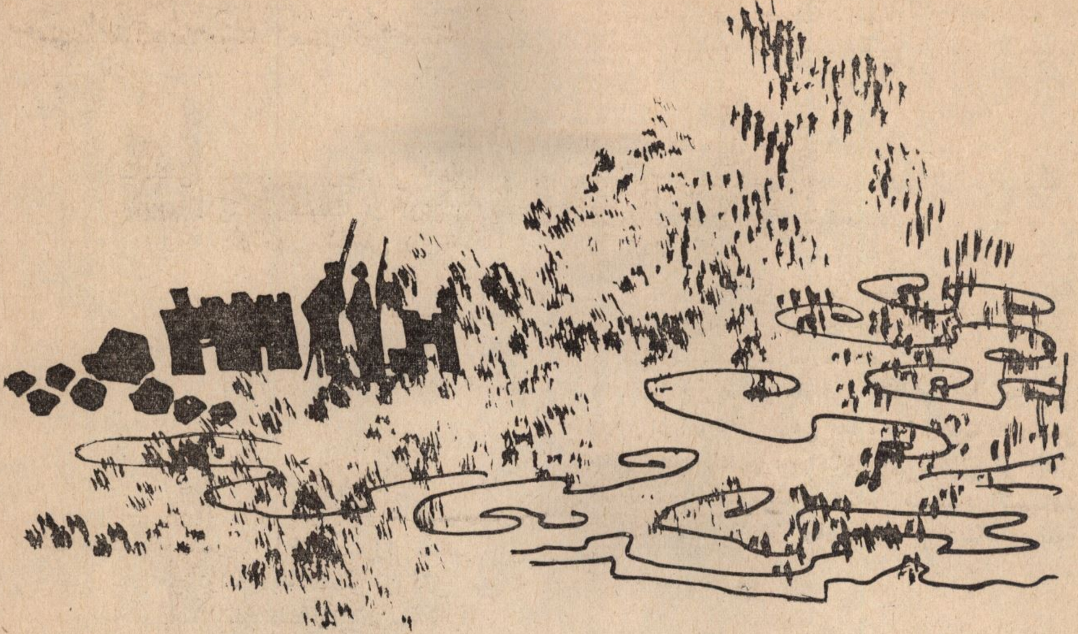

الى مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث يقابل خليفة المسلمين (ابابكر) ويعرض عليه ماقدم من أجله وما تحمل فى سبيله من مشقات ٠

كما أحب أن يتيح للجوادين الكريمين ان يلتقطا انفاسهما وان يتناولا بدورهما زادهما من الطعام والشراب ٠٠

وحالما وصل الفارس وتابعه الى أول خباء على مشارف الواحة الظليلة توقفا عند حافة بئر ولم يلبث صاحب الخباء ان اقبل عليهما يسألهما عمايطلبان ويستفسر عن اسميهما واين يقصدان ٠

قال الفتى (أيسر) يخاطب صاحب الخباء : هذا هو الأمير (المثنى بن حارثة) فارس بنى شيبان وقائد جيش المسلمين فى العراق ونبغى ان نصل الى المدينة قبل انقضاء النهار ٠

قال الاعرابى متهللا : مرحى بفرسان العرب المغاوير ومرحبا بالأمير وصاحبه والله لن تبرحا خيامى قبل ان أقوم بواجب ضيافتكما ٠

وانصرف الاعرابى من فوره الى شاة فذبحها وأخذ يعدها للشواء ، ثم وافته زوجته وأولاده وأخذوا يهيئون للضيفين مكانا يغفوان فيه ريثما ينضج الطعام كما بادروا يقدمون للجوادين ما يلزم من علف وماء ٠

وقبل ان ينتصف النهار ، كان (المثنى) وتابعه (ايسر) يغذان السير فى طريق المدينة وقدرا أن يبلغاها بعد غروب الشمس بقليل ٠

كانت الوساوس تنتاب (المثنى) وهو فى طريقه الى لقاء خليفة المسلمين ٠٠ ترى لماذا بطأ عليه الخليفة بارسال المدد الذى طلبه بعد ان اخضع كل تلك الامصار من أرض فارس لحكم المسلمين ؟ الا يدرك خليفة المسلمين ان هؤلاء الاعاجم لو أحسوا ان المسلمين لو تهاونوا قيد شعرة عن صيانة ما احرزوه من نصر ، انقلبوا عليهم بكل ما تبقى لهم

من عزة جريحة وسؤدد مثلوم ليجلوهم عن ديارهم ويستعيدوا سلطانهم على أرضهم التى غلبوا عليها جيوش الروم من قبل ، واين جيوش الروم من جيوش العرب ؟

ويحدث المثنى نفسه : قد توغلنا فى أرض الفرس ونحن قلة وهم كثرة ، واقتطعنا من أرضهم ولايات شاسعة وفيرة الزرع والخيرات فى (بانقيا) و (باروسما) والولجة والحيرة والأنبار وامغيشيا وغيرها ولا يعقل ان يسود سلطان المسلمين فى بلاد فارس من غير دعائم راسخة من مال وسلاح ورجال وأجهزة ادارية تدير شئون العرب والعجم على السواء ٠

ويناجى المثنى نفسه الحيرى ويقول : عجبا والله لخليفة المسلمين انه والله أمر جد وما هو بالهزل لقد بعثت اليه شارحا ما أحرزه المسلمين من انتصارات باهرة وانه لابد للنصر من درع يصونه ويؤمن جوانبه والا انقلب النصر الى هزيمة نكراء ٠

بمثل هذه الهواجس وغيرها كان (المثنى) يحدث نفسه حتى انه لم يفطن الى حديث غلامه (ايسر) وهو يشير اليه الى قباب مسجد المدينة الذى بدأ يلوح للعيان من بعيد ٠

ودخلا مدينة الرسول ساعة ان كان يؤذن لصلاة العشاء ، فهدأت الهواجس فى قلب المثنى وأحس كأن رداء من السكينة قد شمله من قمة رأسه الى قدميه واتجه من فوره الى المسجد ليؤدى فرض العشاء قبل ان يذهب للقاء الخليفة

وشاهد المثنى مسحة وجوم تكسو ملامح الناس وان حزنا يخيم على قلوبهم ثم تناهى الى سمعه اطراف حديث يدور بين رجلين عن مرض ابى بكر وانه يحتضر ومن حوله صحابة رسول الله فى بيته يستمعون الى ما يوصى به فى شأن المسلمين ٠

لكم حزن (المثنى) فى تلك الساعة وأحس بوخزة ندم لأنه أجاز لنفسه أن ينسب الى خليفة المسلمين انه ابطأ عليه ومادرى ان الرجل العظيم ظل محموما فى فراشه قرابة خمسة عشر يوما قبل تلك الليلة الحزينة ٠

دخل المثنى الى الحجرة التى يرقد فيها الخليفة وهاله ان يراه يفيق ساعة ويغيب عن وعيه ساعة أخرى ومن حوله صحابة رسول الله يتقدمهم عمر بن الخطاب يستمع الى همس شفتيه فى تلك اللحظات العصيبة ٠

أفاق الصديق من غشية الموت ليسأل عمر عمن وفد من اطراف الدولة وأشار المثنى الى اقرب الرجال انه يبغى وداع خليفة المسلمين قبل ان ينتقل الى الدار الاخرة ٠ وحينما ادرك (ابوبكر) بوجود المثنى هش وجهه وأشار الى الصحابة ان يقربوه اليه ثم قال : مرحبا بالمثنى بن حارثة بطل العراق ، قد جاءتنى رسالتك وها أنا ذا اعطيك الجواب عليها **(ياعمر ٠٠ اسمع ما اقول لك ثم اعمل به وانى لأرجو ان اموت فى يومى هذا ، فان أنامت فلاتمسين حتى تندب الناس مع المثنى وان تأخرت الى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم)**

فاضت روح الصديق فى تلك الليلة من اخريات شهر جمادى الآخرة للعام الثالث عشر للهجرة بعد ان أوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب غير مختلف على اختياره من قريب أو بعيد ٠

ثم أن للمثنى ان يجتمع بالخليفة عمر ليتلقى منه مايراه فى شأن العراق وحرب فارس ٠ وبعد ان تم دفن ابى بكر ، ذهب الى فناء مسجد الرسول ورفع راية الجهاد ، فاجتمع الناس من كل حدب وصوب حتى كثر عددهم ، فتحدث اليهم فى أمر الخروج الى فارس ومعاونة جيوش المسلمين من اخوانهم هناك عملا بوصية الصديق الذى قضى بالامس ٠ ثم قام بعده المثنى خطيبا فى الناس حيث قال : **(ايها الناس لايعظمن عليكم هذا الوجه فقد تبجحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد ، وشاطرناهم واجترأ من قبلنا عليهم ولها ان شاء الله ما بعدها)**

وصعد عمر المنبر ثانية بعد خطاب المثنى وخطب فى الناس :

(ايها الناس ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ، ولا يقوى عليه أهله الا بذلك اين الطراء يهاجرون عن موعود الله ، سيروا فى الارض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورثكموها فانه قال : (ليظهره على الدين كله) الله مظهر دينه ٠ معز

ناصره ، ولى أهله مواريث الأمم ٠٠ اين عباد الله الصالحون)

ساعتئذ أفاق الغافلون ، وخجـل المترددون ، والتهب الحماس فى قلوب المجتمعين ، تقـدم (ابو عبيد بن مسعود الثقفى) ووقف وسط الناس يوجه الحديث الى عمر قائلا : ياأمير المؤمنين انا سمعناك ، واطعناك وانا أول من اجاب هذه الدعوة انا وقومى وعشيرتى

أحس المسلمون ساعتئذ بجلال الموقف وخطورة ما يتعرض له الاسلام والمسلمون فى خارج الجزيرة العربية بعد ان التأمت جراح الجبهة الداخليـة بالقضاء على الردة والمرتدين فوقف من بعد أبى عبيد سعد بن عبيد ٠

وسليط بن قيس وغيرهم من أشراف العرب وفرسانهم الصناديد ٠

وأمر الخليفة عمر ان يعود المثنى بن حـارثة الشيبانى الى أرض العراق ومعه من نذر نفسـه للاسلام على أن يوافيه بعد ذلك جيش عظيم بقيادة ابى عبيد بن مسعود الثقفى ٠

وقال عمر الى أبى عبيد وهو يودعه : عليـك أن تستشير اخوانك وأصحابك فى شئون الحـرب والا تنفرد برأيك والا تتعجل الأمور فى الحرب وان تحسن معاملة جندك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما أنصحك بان تستشير (سليط بن قيس) لجرأته وتجربته وانه لم يمنعنى أن أؤمر سليطا الا سرعته فى الحرب والحرب لايصلح لها الا الرجل المكيث ٠

سبق المثنى القوات العربية الى الحيرة ، عندما وصلها وجد أن الفرس قد استتبت فيها الأمور وأخذت تنشط من جديد للانقضاض على العرب وأعدت جيشين كبيرين عقد لواؤهما الى (رستم) توجه احدهما الى الحيرة بقيادة (جابان (والثانى الى أطراف ذى قار بين دجلة والفرات بقيادة (نرسى) وكلهم من خيرة قواد فارس الذين تمرسوا بالحرب وفنـون القتال ٠

يومئذ ادرك المثنى بحاسة الجندى المجرب ان لا قبل له بمواجهة قوات الفرس بعد ان اعيد تنظيمهـا وتعبئتها ، كما ان المدد لم يصله بعد ، ومن ثم يكون الدخول فى حرب قوات فارس مغامرة لايضـمن عقباها وهو القائد المسئول عن آلاف الارواح من المسلمين ٠

والانسحاب والارتداد الى الخلف حفاظا عـلى القوات المحاربة فى معركة غير متكافئة القوى ، هو جزء من النصر وجزء من الحكمة وجزء ثالث من الحنكة العسكرية التى لاتتاح لكل قائد حرب ٠

من اجل ذلك كله رأى المثنى أن يتمهل فى ملاقاة الفرس قبل ان يصل ابو عبيد بقواته وحشوده ، كما رأى انه ليس من الحكمة فى شىء ان يتوغـل فى بلاد الاعداء فيطيل خطوط أمداده وتموينه بين جنده وبين قاعدته التى يعتمد عليها أو بين موقعـه الذى يحتله ويسيطر عليه وبين المدد الذى هو فى الطريق اليه ٠

* انتهى به رأيه بموافقة مستشاريه وقـادة ألويته الى الانسحاب من الحيرة الى موضع يسـمى خافان حتى لاتفاجئه قوات عدوه فتطعنه من الخلف ٠

* هكذا آثر المثنى أن يبتعد عن وجه عدوه ، وان يؤخر لقـاءه معه حتى يكمل حشده ويتم استعداده للمعركة الفاصلة ٠

ثم وصلت قوات ابى عبيد والتقت بقوات المثنى وتولى ابو عبيد قيادة الجيوش ووجد المثنى أول من يطيعه وآخر من يعصيه ، ويعود المثنى الى الصفوف الخلفية راضيا بقيادة ابى عبيد وسعيدا بان يكـون أقل جندى فى جيش اسلامى يبغى صيانة خير دين أنزل للناس ٠

لكن ابا عبيد يحفظ للقائد العظيم قدره ويصون هيبته ومكانته بين جنده فيجعله قائدا على الخيل ،

ثم تدور بين الفرس والمسلمين معركة (النمارق) وهى فى موقع بين الحيرة والقادسية ويتقاتل الجمعان قتالا عنيفا ضاريا يكتب النصر فى اعقابه للمسلمين ويتم أسر القائد الفارسى (جابان) يغنم المسلمون غنائم طائلة يجرى أبو عبيد تقسيمها ثم يبعث بالخمس الى الخليفة ٠

توالت انتصارات المسلمين على الفرس بعد موقعة النمارق بفضل تنظيم جيوشهم والتفاهم المحكم بين الألوية المحاربة ، وبفضل بث العيون والارصاد التى تأتيهم بالانباء الصادقة عن قوات اعدائهم ومدى استعدادهم وما يملكون من ادوات الحرب ومعدات القتال ٠

تقابلت جيوش المتحاربين فى موقع (السقاطية) ودارت معركة عنيفة بين قوات ابى عبيد وقوات (نرسى) ثبت فيها المسلمون وكتب لهم النصرواضطر قائد الفرس الى الفرار تاركا مغانم كثيرة وفلول جيش منهزم تعقبه جيش المسلمين حتى تشرد فى القرى وبين الحقول ثم تمت السيطرة على سواد العراق وانتشر الرعب بين الناس حتى عاد الى الاذهان ذكرى انتصارات خالد بن الوليد قبل ان يوجهه ابو بكر الى حرب الروم فى الشام ٠

وجاء أمراء الفرس من الأطراف البعيدة يصالحون أبا عبيد والمثنى ويعرضون عليهما الطاعة والأمان لقاء جزية معلومة ٠

لكن رستم قائد الفرس الاول لم يلبث ان جمع مجلس حربه من جديد واستعد بحشود هائلة على أمل أن يكسر شوكة العرب الذين طارت أنباء انتصاراتهم حتى بلغت اسماع الرومان فى أرض الشام ويومئذ أحست الدنيا ان هؤلاء العرب انما يحاربون من اجل هدف عظيم وفى سبيل دين قويم ٠

بلغ أباعبيد نبأ تحرك قوات الفرس بقيادة (بهمن جاذويه) وكان اشد قوات العجم على العرب واكثرهم كراهية واحتقارا لشأنهم ، ويومئذ طلب الى المثنى أن يوافيه بمن معه من قواته فى موقع على نهر الفرات قبالة الموقع الذى عسكر فيه (بهمن) بقواته التى بلغت يومئذ ثمانين الفا وفى مقدمتها عشرون من الأفيال التى تثير الرعب بين الخيول العربية المحاربة ٠

نظم ابو عبيد قواته أحكم تنظيم وأحسن تعبئتها وحدد لكل لواء واجبه حينما يلتحم الجيشان المتحاربان ولم يترك ثغرة صغيرة أو كبيرة دون ان يدرسها وينفذ منها الى النصر المؤكد ٠

بعث (بهمن) الى (ابى عبيد) يسأله : اما ان تعبروا الينا وندعكم حتى تعبروا واما ان تدعونا نعبر النهر اليكم)

وجمع أبو عبيد أصحابه وقادة الويته وعرض عليهم رسالة بهمن فأشار عليه اصحابه بعدم العبور وأن يدع الفرس يعبرون اليهم فأبى قبول ما اشاروا به ورفض الأخذ برأيهم واتباع مشورتهم وقال فيهم بصوت قاطع لايكونوا أجرأ على الموت منا بل نعبر اليهم ٠

وجزع المثنى ومعه سليط بن قيس لهذا الرأى وجزع معهما أصحابهما وحاولوا مناشدة ابى عبيد ان يبقوا فى موقعهم لان فيه مجالا وملجأ ومرجعا من فرة الى كرة ولكنه أصر على رأيه وقال فيهم : لا أفعل ، جبنت والله اذن ٠ ورد عليه سليط : أناوالله اجرأ منك نفسا وقد أشرنا عليك بالرأى وستعلم ٠

عبر جيش المسلمين النهر الى موقع الفرس ودارت رحى حرب ضارية ابلى المسلمون فيها بلاء شديدا وتساقطت جثث القتلى من الفريقين بالالاف وابوعبيد يتنقل بين جنوده يشعل حماسهم فأصابوا من الفيلة مقتلة عظيمة ثم تصدى أبو عبيد بنفسه لفيل أبيض كانت شراسته مبعث رعب لخيل المسلمين وأراد أن يصيبه بضربة من سيفه فمنعه أصحابه ولكنه غافلهم وأطاح بخرطوم الفيل لكن الوحش تمكن من أبى عبيد فضربه برجله والقاه أرضا ووقف فوقه وأزهق روحه،

وكان ابو عبيد قد أوصى قبل موته ان يتولى القيادة من بعده اخوه (الحكم) ومن بعده أخوه (وهب) ومن بعده الأخ الثالث (مالك) وقد قتلوا جميعا فى تلك المعركة الهائلة واحدا أثر الآخر

ساعتئذ تقدم (المثنى) غير جازع ولا متهيب ليستلم القيادة ورأى ان يبادر بالتراجع وعبور النهر والعودة بما تبقى من الجنود الى موقعهم الأول · وبينما أخذت قواته تعبر النهر ، بادر رجل من ثقيف هو (عبد الله بن مرثد الثقفى) توهم انه يستطيع اعادة الثقة بالجيش المنسحب ، فاتجه الى الجسر الذى تعبر عليه القوات فقطعه وهو يصيح : ايها الناس ·· موتوا على مامات عليه امراؤكم أو تظفروا

كان خطأ شنيعا ذلك الذى فعله قاطع الجسر ، اذ اندفع الفرس نحو المسلمين فوقع الكثير منهم ما بين قتيل وغريق ومن بينهم سليط بن قيس الذى كان من أشد المعارضين لأبى عبيد فى عبور النهر ·

رغم تلك الاهوال التى لقيها المسلمون فى ذلك اليوم المشئوم فان المثنى البطل لم تساوره لحظة يأس ولم تهن عزيمته وبادر الى رجاله ليقوموا باصلاح الجسر لتعبر عليه قواته الباقية هناك فى الضفة الاخرى ، ثم جهز فرقة من أشداء رجاله لتحمى العابرين من تعقب الفرس لهم ، ثم الانسحاب ذلك الى الحيرة ليعيد تنظيم قواته من جديد استعدادا لمعركة الثأر التى خسروها بسبب انفراد ابى عبيد برأيه وعدم الرضوخ الى آراء الناصحين ·

بلغت انباء الهزيمة الخليفة عمر وهو بالمدينة فحزن حزنا شديدا وانهمرت عبراته وهو يتذكر وصيته لأبى عبيد الثقفى ان يستمع الى نصح ومشورة رجاله ، ثم بادر من فوره يجهز مددا للمثنى يعينه على رأب الصدع ويعيد الى الجيوش الاسلامية ثقتها فى النصر من جديد ·

وكان المثنى قد أصابته ضربة سيف وجرح جرحا شديدا غير أنه لم يابه لما أصابه وأخذ يعد العدة لمواجهة الموقف بمن حوله من جند يحبون الموت حبهم للحياة ·

تراجع المثنى بقواته الباقية الى موقع بين القادسية وخفان حتى يكون قريبا من التخوم العربية وأخذ يعيد تنظيم قواته فى مأمن من غارات الفرس ريثما يأتيه المدد الذى طلبه من خليفة المسلمين ·

وفى اقل من شهر توافدت اليه جموع المحاربين من أرض الحجاز وقبائل بأكملها خرجت عن بكرة أبيها لتلحق بقوات المثنى وصحبوا معهم نساءهم وابناءهم ·

كما بعث الخليفة عمر الى المثنى بالقائد العربى (جرير بن عبد الله البجلى) على رأس لواء يضم خبرة المحاربين وأشدائهم وساعة ان اجتمع الرجلان ايقن المثنى أن الله ناصر المسلمين فى المعركة القادمة ·

وصلت جيوش المسلمين الى نفس الموقع من نهر دجلة وكان على قيادة الفرس (مهران الهمذانى) الذى بعث الى المثنى يسأله : هل تعبرون الينا ام نعبر اليكم ؟

ساعتئذ نظر المثنى الى جرير وابتسم فى وجهه ثم قال لرسول مهران : قل لأميرك ·· اعبروا الينا

عبر مهران الجسر واثقا من النصر مثلما تحقق فى المعركة الفائتة وحدد المثنى ساعة الهجوم عندما

التحم الجيشان وقاتل المسلمون فى ضراوة اذهلت الفرس يومئذ وسميت معركة البويب التى التقى فيها الجيشان معركة الاعشار لأنهم احصوا مائة رجل من العرب قتل كل واحد منهم عشرة من الفرس ، ثم احصيت جثث القتلى من جيش الفرس فى هذا اليوم العظيم فبلغت مائة الف بقيت جثثهم صرعى طريحة الميدان حتى بليت وصارت عظاما ·

وقضى المثنى ايامه الباقيات يغزو بقية أرض فارس والعراق ويخضعها لحكم المسلمين ثم غلبه المرض من اصابته فى واقعة الجسر وأحس بدنو اجله فاستخلف على الجند (بشير بن الخصاصية) ورحل الى قومه فى ناحية (شراف) حيث لم يطل بها مقامه فمات بينهم مسجلا صفحات رائعة من البطولة والاقدام فى سبيل نصرة الاسلام ·

الله أكبر .. الله أكبر
تلبية الحجيج

الشاعر
عبد الله شمس الدين

لبيْك يا رب الورى
لبَّيْك أنت المُنْعِمُ .
هذا نداوك قد سرى .
والكلُّ باسمك مُحْرِمُ .

لبيك يارب الورى

لبَّيْكَ يا ربَّ القلوب الخاشِعَهْ .
لبَّتْ نداءَكَ للصلاة الجامِعَهْ .
خلعَتْ ثياب العُجْبِ فى إحْرَامِهَا .
وسعَتْ تطوف بظلِّ بيْتِكَ ضارعَهْ

لبيك يارب الورى

لبَّيْكَ يا ربَّ الحياهْ .
يا مَنْ إليه المرجعُ .
سبَّحْتُ باسمك يا إلٰهْ .
وأنا بعفوك أطْمَعُ

لبيك يارب الورى

لبيك يا ربَّ الأزلْ .
لك ما تريدُ وما تشاءْ .
البحر سبَّحَ والجبَلْ .
والأرض هامَتْ والسماءْ .

لبيك يارب الورى

أقبل ذرات الرمال

الشاعر
محمود جبر
شاعر آل البيت

أمن وجده يبكى .. أم الشوق ناله
والا فما للعاذلين .. وماله
تراه اذا هل الصباح مطوفا
يشد الى كل الجهات رحاله
وحين يجن الليل يسرى نشيجه
ويطوى من الوادى البعيد حباله

**

أحب .. ترى هل من أحب درى به
لئن كان يدرى ما عراه رثى له
أحب من الدنيا الكمال .. وهل بها
سوى ((أحمد)) أضفى عليها كماله
وذاق من الخمر الحلال .. ومن يذق
رضاب الثنايا من لماه حلا .. له

**

رأى فى جفون النبت فى الفجر دمعه
أأزجاه عطفا .. أم غراما أساله
وهل هذه الأنسام مرت رقيقة
بها طيفه .. انى أحس جلاله

**

فهيا ابسمى يا شمس مثلى وهللى
فليس جمال الكون يحكى جماله
بأى حديث أم بأية صورة
يصور مثلى فى غرامك حاله

**

أفى دولة الأشعار شىء نسوقه
يقرب من دنيا الجمال مثاله
وهل تحمد الأشعار والشعر سبة
اذا ما جفت هذا النبى وآله
أرانى وشعرى عاجزين .. وهل ترى
أخا مستطار اللب يدرى مقاله

**

سعيت لأسمو بالقريض فلم أجد
سواه .. ومن رام السمو سعى له

نبى نقى كل ما فيـــه طيـــب
وفى ســـخى لا يمل ســـؤاله

**

بعثت الى «أم القرى» وهى صخرة
ففجرتها الينبـــوع نسقى زلاله
وأصبح رمل البيت للناس صبوة
فهل يا ترى أســـعى فألقى رماله

**

أقبـــل ذرات الرمـــال لعلنى
أصادف ذرات أقلت نعـــاله !

**

حبيبى رسول الله فى «القدس» غاصب
وفى المسجد الاقصى نقاسى محاله
وأنت الذى أم النبيين عنـــده
وبعـــدك جاس المؤمنون خلاله

**

وانا لنشكو اليوم تدنيس قدسـنا
وقـد حط فيه الأخطبوط رحاله
وفى (بيت لحم مهد عيسى) جرى دم
و«موشى بن ديان» الذى قد أساله

**

أترضيك يا داعى السلام فعاله
أيرضيكموا أتباع « عيسى » خباله

كأنى بامريكا .. و « ايبان » آمر
بلا أى امهال أجابت ضـــلاله

**

أجرنا رسول الله فالغرب ضدنا
وكل يهودى به ســـاق ماله
أجرنا رسول الله فالشرق ساهم
أمام عـــدو كان بالأمس غاله

**

حبيبى رسول الله كن أنت ناصرى
وناصر شعب النيل .. وانصر «جماله»
حبيبى وأضرع للذى أنت عبده
لعل الذى يرجو الهدى أن يناله
ومن ينصر الرحمن ينصره ذلكم
من الله وعد .. يصلح الله باله

**

أنا يا رســول الله جاهك عدتى
وجاهك للعـــاصى يفك عقـــاله
سأبقى رهين القيد حتى تجيبنى
فيعـــرف مثلى أين يلقى مآله

**

هنا الروضة الصغرى «بسبطك» بوركت
عليهـــا جلال ما رأينـــا مثاله
ونبع «حسين» منك بالذات سيدى
فأنت الذى أهدى الحسين خلاله
سأمرح غريداً هنـــا حول أيكه
فان ظلال الخلد اضحت ظلاله

أنا الإنسان

الشاعر احمد عثمان المراغى

يارب جئتك خاشعا بمتابى
باك يؤمل رحمة التواب

فلكم قضيت لياليا فى غفلة
ولكم هجرت لغفلتى محرابى

ولكم ضللت عن الطريق مجاهرا
بالذنب فى أهلى وفى اصحابى

ولكم رضيت بأن اكون لدى الهوى
عبدا اطاوعه بدون حساب

ووصمت بالعثرات كل صحائفى
وملأت بالعصيان كل كتابى

وتعطلت لغة الثناء لخالقى
عندى وصار الشكر للالقاب

واقمت تمثالا لكل منافق
وجعلت ابواق الهوى اربابى

وخشيت مخلوقا توحد بيننا
عبر الزمان روابط الأنساب

فأبى ابوه وجد جدى جده
والطين مصنع مضغة الاصلاب

وطرحت من اجل القروش مبادئا
علوية وسجدت للانصاب

وكفرت بالقيم الكريمة طالبا
مجدا يزول كومضة وسراب

واذقت غيرى سم حقد قاتل
وتركت كل شرائع الآداب

وحفرت للاخلاق قبر زوالها
وكشفت فى سوق الرياء نقابى

وسلبت حق الآمنين بدورهم
واعدت بالجبروت شرع الغاب

وملأت من دمع اليتيم مسالكا
للبؤس تذهب فطنة الالباب

وكذا اعيش أهد بنيان الورى
بالزيف والنكران والارهاب

فالخل يرهب أن يظل بجانبى
حذرا وينفر دائما أترابى

أما الذين عرفتهم لمطامع
فهموا بفضل منافعى احبابى

اشريهم بوسائل لا تقتنى
وتضر باللهو والاعجاب

وهموا كذلك ليسوا غير مطية
لمقاصد وذرائع لرغاب

فسألت نفسى كم عداد ؟ من اقتفوا
سير الضياع وكم هموا أضرابى

وهنا سمعت حديث قلب موجع
يبكى ويهمس حائرا بجواب

ياصاحبى كل الحياة تلونت
ومشت بدرب مقفر وضباب

ان الذين رأيتهم من اهلها
قوم الضلال مضيع الاحساب

فانظر اليهم كى ترى من قد بغى
منهم وكل مضلل كذاب

ولديك برهان (قوى قاطع)
فى القدس ينبىء عن هوى غلاب

فهناك شرذمة تعيث فسادها
وتجور فى غل بلا اسباب

تحتل بيتا ليس تعرف قدره
وتسيم أهل البيت كل عذاب

ومن العجائب أن ترى من غيرها
عونا جسورا ازرق الأنياب

يهدى اليها من قذائف صنعه
حمما يراها الغدر نذر عقاب

انا لم أقل ابدا قضية أمة
بل عين ميراث واس نصاب

من كان يجعل غير ذلك قوله
فكلامه لغو عنيد نابى

وكذاك كنت أنا الظلوم بعالم
غث الضمير مذبذب مرتاب

منه انال الحق نهبا عاديا
وعليه افرض قوتى لطلابى

فهو الذى اصطنع المخاوف كلها
وقسى فصرت اليوم نصل حراب

ونسيت أنى بضعة من مضغة
مزجت بماء فى الورى وتراب

أوجدتها يارب انت بحكمة
قدسية الاقدار والاسباب

ياربى انى قد ندمت وساقنى
ندمى فجئتك راجيا بالباب

وخجلت مما قد فعلت وهزنى
خجلى أمام الغافر الوهاب

فوقفت أرفع توبتى بمدامعى
ارجوك يارب قبول متابى

يارب ... حبك شاغلى

الشاعرة روحية القلينى

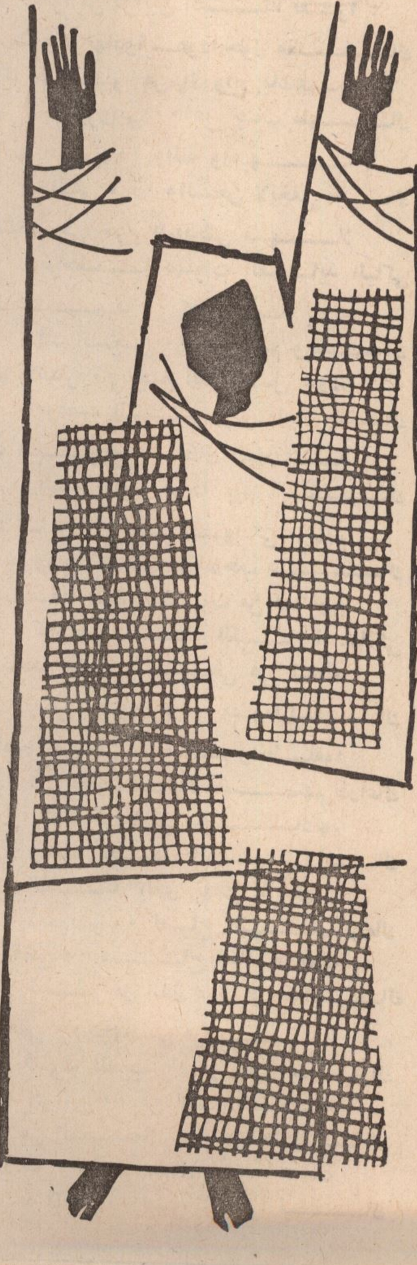

انى اتجهت أراك يا ربى هـدى لطريقى
وكتابك القدسى فى درب الحياة رفيـقى
فى دفتيه النصح فهو معلمى وصـديقى
أتلوه خاشعة فيحتضن الخطا تـوفيقى

***

واذا الحياة قست ، تهدهد بالحنان دموعى
لك انت وحدك ، يا الهى ذلتى وخضـوعى
حب الاله عقيـدة ، قدسية بضلوعى
يارب انت بخاطرى ، فى صحوتى وهجوعى

***

أسلمت يا ربى اليـك الأمر فافعـل ماتشاء
جنب حيـاتى الشر ياربـاه فى دنيا الشقاء
أنا عند بابك لا أغادره فحقـق لى الرجاء
لا هم لى الا رضـاك وغايتى بل الرضاء

***

يارب حبك شاغـلى عن كل شىء فى الحيـاة
لا هم لى الا لقاك مع التهجد فى الصـلاة
أسماؤك الحسنى ترتلهـا مع الحب الشفاه
والقلب يخفق خاشعـا متبتلا يدعو الاله

***

أنا دائما أبدا بحكمك يا الهى راضيـة
وبقوة الايمان احتمـل الحياة القاسية
دنيا السراب واننى ارجو الحياة الباقيـة
جنات عـدن فى رحابك والظلال الساجية

من وحي خطاب
رائد الحرية

جمال عبد الناصر

في مجلس الأمة
وتحية للمقاومة العربية

إلى الحرية في عيدنا الأكبر

الشاعر محمد حليم حامد غالى

أهواك رغم صعاب المجد أهواك
سلوت كل حبيب غير معناك
لوخير القلب أن يحيا بعافية
لآثر القلب يحيا وهو مضناك
يامعبدا قدس العباد قبلته
من كل شهم ٠٠ وعملاق ٠٠ ونساك
كم قدموا من قرابين الفدا نفرا
وكم تهادوا سجودا حول مغناك
وكم أراقوا من الأرواح ماعبقت
به الروابى ٠٠ على جنات ملهاك
فأنت حريتى ٠٠ والله واهبها
فالنفى ، ٠٠ والسجن لايخفى محياك
خشعت فى حرم التقديس مبتهلا
مرجعا صلوات العابد الباكى
لك الشهيد ٠٠ تعالى عند بارئه
لك السجين ٠٠ على ضيم وأشواك
لك الأسير ٠٠ بجنح الليل عاوده
بومضة النور فى بلواه جفناك
لك الجريح ٠٠ أطال الداء علته
آساه بالموت فرحا يوم آساك
لك الثكالى ٠٠ تغنوا فى مآتمهم
وراح كل فتى فى رحب علياك
وشعلة الحق ضاءت من دما مهج
كما تضىء ظلام الليل أفلاكى
وصاحب الحق يشقى فى مبادئه
ينفى ٠٠ ويطرد ٠٠ مذءوما ليلقاك
تخلصوا من حياة الظلم وانطلقوا
الى الخلود فضمتهم ذراعاك
ساروا اليك كراما فى مجادتهم
وكلهم بجلال المجد وافاك
كنت الضياء الذى يهدى طرائقهم
شعوبهم ٠٠ لصباح النور ترعاك
فمن قضى ٠٠ فبساح الخلد ضجعته
خير من الذل موت فى طواياك
ومن بقى ٠٠ فجهاد فى عروبتنا
فالموت للعرب ٠٠ أو نأوى بمأواك
وافاك حريتى ٠٠ من كنت أطلبه
من السماء تبدى من حناياك
وافاك حر (جمال) عندما هتفت
به المعالى ٠٠ أصخ للمجد : لباك

حيا بطولة (فتح) فى بسـالتها
حيا (المقاومة الكبرى) وحيـاك
وجيشـه الفذ للآمال منطلق
محـررا وطنى من كل فتـاك
لم يعيه ٠٠ أن يوما فى معـاركنا
قد جانب النصر ٠٠ اشقاه ٠٠ واشقاك
مازال يهـدر مشبوبا بغضبتنـا
ليمحو الظلم ٠٠ معتزا بيمنـاك
تفجر الحقـد فى أبناء أمتنـا
فلا تمنعهم أسـوار أسلاك
فالقدس فى لهب وفى الخليل (فدا)
وفوق (غزة) شعب فى تحـاياك
الزاحفـون على الأشـواك فى ظلم
والرابضـون ٠٠ لمغرور ٠٠ وسفاك
القانصون الذئاب الغبـر فى بلدى
والمفتـدون ببذل الروح معنـاك
أبطـال أمتنـا فى كل معـركة
دليلهم فى طوايا الليـل عينـاك
(ما العالم الحـر) الا كذبه الفت
فكل مستعمر فى الأرض يخشـاك
(العالم الحر) أجـلى الأهل عن وطنى
وشايع الظـلم فى عنف ٠٠ وجافاك
والعدل ، ما العدل الا شرع قوتهم
بئس الذى بقوى العـدوان عاداك
ألم يروا سـير التاريخ من قدم ؟!
ألم يروا شـعبنا بالبـذل والاك ؟
ففى (الجزائر) والنيل العظيم هنـا
وفى ربى (عـدن) ما كان أغـلاك
مهما استبدت قوى الطـاغى فان لنـا
عزم البطولة يجـلو ما تغشـاك
حـريتى ٠٠ أنت نور الله فى وطنى
قد عاش فى ظلك الغالى ٠٠ وريـاك
نظل نعطيك من أبطـالنا مهجـا
من كل شهم أبى النفس يهـواك
عيد العروبة ٠٠ عيد يوم يجمعنـا
شعب توحد فى الدنيا بمعنـاك
عيد العروبة ٠٠ عيد يوم يجمعنـا
(لوا فلسطين) ترضينا ٠٠ ونرضـاك
ونغسل العـار أحـرارا محـررة
أوطاننـا ٠٠ وهنا بالروح ألقـاك

إلى بيت الله الحرام

الشاعر أحمد أبو المجد عيسى

أحن اليك من بعـــد
وأذكر سالف العهـد
وان أبطأت عن حج
فما أبطأت عن عمـد
ولكن حاجة عرضت
فاناأتنى بلا قصـد
ولى آى أرتلهـا
دليل الشوق والوجد
الى بيت حماه اللـ
ـه طول الدهر من كيد
حماه الله قبلته
بها يهدى الى الرشد
وأعلى من دعائمه
دلائل جنة الخلد
وكم غاز له باغ
بغير الله معتـد
ورد الله غزوته
بخزى أيما رد
فأبرهة وأتباع
له من أخطر الجند
أتوا فى جمعهم كيدا
ورد الله بالكيد
فأردتهم من الطير
أبابل لم تكن تردى
وأهلك كل جبار
على الكفران والجحد

× × ×

اليك أحن فى وجد
وأحيا منك فى سهد
وقد يطغى بنا شوق
كمثل النار فى الزند
وبى شوق الى حرم
يهش لاعظم الحشد
ألوف قد أتت لله
من قرب ومن بعد
رأت ارضاء بارئها
طواف البيت ذى المجد
تجرد جمعها الا
من الشكران والحمد
وتلقى مسلمى الدنيا
قد اجتمعوا بلا حقد
يؤلف بينهم وطن
رعى الاسلام فى المهد
ويربط بينهم حب
كمن جاءوا على وعد
وتجمعهم على التقوى
رحاب الخالق الفرد
هناك يرون آلاء
لجمعهم بلا عد
وذكر الله يرفعهم
منازل فى ربى الخلد
اذا ما اتهموا لبوا
وان ساروا على نجد
وأنتم مسلمى الدنيا
من الشام أو الهند
ومن مصر ومن يمن
من السودان أو نجد
قصدتم كعبة الدنيا
الى الرحمن فى وفد
يوحد بينكم دين
يحقق عزة العبد
به انتصرت جنود اللـ
ـه نصرا ليس ذا حد
وكانوا سادة الدنيا
وأهل الحل والعقد
لكم فى الوقفة الكبرى
عظات علها تجدى

كتاب عمر بن الخطاب الى: أبي موسى الأشعري

وما حواه من قواعد أصولية

المستشار عبد الستار آدم

- ٣ -

نشرت فى مقالى السابقين بهذه المجلة الغراء خطاب الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه ، الى ابى موسى الاشعرى ، قاضى البصرة ، وشرحت بعض فقراته واوضحت ما تضمنه من قواعد أصولية لا تزال معمولا بها حتي يومنا هذا .

واليوم اوالى شرح فقرات أخرى من الكتاب المذكور مع التعليق عليها .. وهذه الفقرات هى قول عمر ، رضوان الله عليه :

« البينة على المدعى واليمين على من انكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ومن ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمرا ينتهى اليه فان بينه أعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ، فان ذلك هو ابلغ فى العذر وأحلى للعماء

« وفى رواية أخرى للغمة »

وابدا بقوله ، رضى الله عنه : البينة على المدعى واليمين على من انكر .

والبينة اسم لكل ما يبين الحق ويظهره ، قال تعالى فى كتابه الكريم :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات » أى بكل ما يبين الحق ويظهره .

ويقصد أمير المؤمنين بعبارته هذه أن على القاضى أن يسأل المدعى عما اذا كان لديه ما يبين الحق الذى يدعيه ، من شهود أو دلالة ، ولا يطلب منه أن يؤدى يمينا .. أما اليمين فهى على المدعى عليه الذى ينكر حق المدعى.

وأصل قاعدة « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » الحديث الشريف : « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ، لكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر » .

والجزء الاول من هذه القاعدة ، وهو « البينة على المدعى » ، قاعدة أصولية منصوص عليها فى القانون المدنى وقانون المرافعات المدنية والتجارية المعمول بهما حاليا فى جمهوريتنا .

أما القانون المدنى فقد نصت المادة ٣٨٩ منه على أن : « على الدائن اثبات الالتزام وعلى المدين اثبات التخلص منه » .

أما قانون المرافعات المدنية والتجارية رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٩ فقد نصت المادة ٧١ منه، معدلة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٢ على أنه : -

« يجب أن يبين المدعى فى صحيفة الدعوى وقائعها وأدلتها وطلباته وأسانيدها والموطن المختار الذى اتخذه فى البلدة التى بها مقر المحكمة اذا لم يكن له موطن فيها وعليه أن يرفق بها جميع المستندات التى تؤيدها ... »

أما عن اليمين فقد قرر عمر رضى الله عنه أنها علي من أنكر

وقد اختلف فقهاء المسلمين فيمن توجه اليه اليمين فقد قال بعضهم كأهل المدينة وفقهاء الحديث كالائمة أحمد والشافعى ومالك : ان اليمين تشرع من جهة أقوى المتداعيين فأى الخصمين يرجح جانبه جعلت اليمين من جهته . أما أهل العراق فلا يحلفون الا المدعى

عليه وحده وهذا هو قول الامام ابى حنيفة النعمان وأصحابه .

وفى قانوننا المدنى نصت على اليمين المواد ٤١٠ وما بعدها فنصت المادة ٤١٠ على أنه :

١ - يجوز لكل من الخصمين أن يوجه اليمين الحاسمة الى الخصم الاخر على انه يجوز للقاضى أن يمنع توجيه اليمين اذا كان الخصم متعسفا فى توجيهها .

٢ - ولمن وجهت اليه اليمين أن يردها على خصمه . على أنه لا يجوز الرد اذا انصبت اليمين على واقعة لا يشترك فيها الخصمان ، بل يستقل بها شخص من وجهت اليه اليمين »

ونصت المادة ٤١١ على أنه :

١ - لا يجوز توجيه اليمين الحاسمة فى واقعة مخالفة للنظام العام . ويجب أن تكون الواقعة التى ينصب عليها اليمين متعلقة بشخص من وجهت اليه اليمين ، فان كانت غير شخصية له انصبت اليمين على مجرد علمه بها .

٢ - ويجوز أن توجه اليمين الحاسمة فى أية حالة كانت عليها الدعوى .

كما نصت المادة ٤١٢ على أنه :

« لا يجوز لمن وجه اليمين أو ردها أن يرجع فى ذلك متى قبل خصمه أن يحلف » .

ونصت المادة ٤١٣ على أنه :

« لا يجوز للخصم أن يثبت كذب اليمين بعد أن يؤديها الخصم الذى وجهت اليه أو ردت عليه . على أنه اذا ثبت كذب اليمين بحكم جنائى فان للخصم الذى أصابه ضرر منها أن يطالب بالتعويض دون اخلال بما قد يكون له من حق فى الطعن على الحكم الذى صدر ضده » .

واخيرا نصت المادة ٤١٤ على أنه :

« كل من وجهت اليه اليمين فنكل عنها دون أن يردها على خصمه ، وكل من ردت عليه اليمين فنكل عنها ، خسر دعواه » .

أما قانون المرافعات المدنية والتجارية فقد أوضح فى المواد ١٧٥ وما بعدها كيفية توجيه اليمين وحق المحكمة فى تعديل صيغتها وكيفية حلفها وما الى ذلك من اجراءات .

أما قول عمر ، رضى الله عنه ، « الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا » فمأخوذ من الحديث الشريف : « الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما ، والمسلمون على شروطهم الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما » وروى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - انه قال كذلك : « الا أنبئكم بأفضل من درجة الصائم القائم . قالوا : بلى ، يارسول الله . قال : اصلاح ذات البين » .

وقد ذكر الصلح فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها :

« وان طائفتان من المسلمين اقتتلوا فاصلحوا بينهما » ، « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير » ، « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

ومن المأثور عن عمر بن الخطاب انه كان يقول :

« ردوا الخصوم حتى يصطلحوا، فان فصل القضاء يورث بينهم الضغائن » .

وبديهى أن الصلح يعتبر باطلا اذا أحل حراما أو حرم حلالا أو اذا كان فيه ما يخالف النظام العام او الاداب العامة .

وأخذا بهذا المبدأ القويم ، مبدأ الصلح بين المتخاصمين ، نص المرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ المشتمل على لائحة ترتيب المحاكم الشرعية والاجراءات المتعلقة بها على الصلح فى المادتين ٥ ، ٨٢ - وهما لا يزال معمولاً بهما للآن أمام محاكم الاحوال الشخصية .

فقد نصت المادة ٥ من هذه اللائحة على اختصاص المحاكم الجزئية . ومن هذا الاختصاص « الصلح بين الخصمين أمام المحكمة فيما يجوز شرعا » .

أما المادة ٨٢ فقد نصت على أنه :

« يراعى بقدر الامكان فى سماع الدعاوى ترتيبها فى قائمتها ويبدأ بالسعى فى الصلح بين الخصوم .

كما نص فى المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ - الخاص ببعض أحكام الأحوال الشخصية - على وجوب العمل على الاصلاح بين الزوجين فى حالة الشقاق بينهما فنصت المادة ٦ منه على أنه :

« اذا ادعت الزوجة اضرار الزوج بها بما لا يستطاع معه دوام العشرة بين أمثالها يجوز لها أن تطلب من القاضى التفريق وحينئذ يطلقها القاضى طلقة بائنة اذا ثبت الضرر وعجز عن الاصلاح بينهما . فاذا رفض الطلب ثم تكررت الشكوى ولم يثبت الضرر بعث القاضى حكمين على الوجه المبين بالمواد (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١) » .

والمواد المشار اليها أوضحت الشروط الواجب توافرها فى الحكمين والاجراءات الواجب عليهما اتباعها .

وتشجيعا للمتخاصمين على انهاء منازعاتهما صلحا نصت المادة ٧٩ من قانون المرافعات المدنية والتجارية معدلة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٦٢ على أنه :

« اذا ترك المدعى الخصومة أو تصالح مع خصمه فى الجلسة الاولى لنظر الدعوى وقبل بدء المرافعة فلا تستحق على الدعوى الا ربع الرسم » .

٥٥٥٥

أما قول عمر ، رضى الله عنه ، بعد ذلك : -

« ومن ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه فان بينه أعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك أبلغ فى العذر وأجلى للعماء » فهى عبارة لا تحتاج الى شرح قصد بها عمر ، رضوان الله عليه ، أنه اذا طلب المدعى أجلا يحضر فيه حجته أجيب الى طلبه .

أما كلمة « العماء » لغة فهى بالمد السحاب وبالقصر الغبار ويقصد بقوله « أجلى للعماء » كناية عن جلاء الامر ووضوحه .

(يراجع فيما تقدم كتاب « أعلام الموقعين عن رب العالمين » تأليف العلامة ابن قيم الجوزيه - الجزء الاول ، وكتاب « القضاء فى الاسلام بوجه عام » للدكتور عطية مصطفى مشرفة) .

والى الاعداد القادمة من هذه المجلة الغراء مع فقرات اخرى من كتاب عمر الى ابى موسى الأشعرى ، ان شاء الله سبحانه وتعالى ، والله ولى التوفيق .

معنى الأخوة في الله و البغض فيه سبحانه

الأستاذة طه رياض سيف النصر

كان حديثنا السابق يدور حول فضيلة الألفة فى الله وشروطها ودرجاتها وفوائدها وتعريفها وقول الأمام الغزالى بانها ثمرة حسن الخلق التى توجب التآلف والتوافق والتحاب فى الله. وأن الاخوة فى الله تعالى والبغض من أجله من أفضل الاعمال التى تقربنا الى الله. أما حديثنا هذه المرة سيتناول معنى الاخوة فى الله والبغض فى الله وتمييز الاخوة فى الله عن الاخوة فى الدنيا ومما لاشك فيه أن موضوع الاخوة فى الله « أو الحب فى الله » والبغض فى الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وبما جاء فى اقوال أئمة الصوفية بأن الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالمحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع فى العمل ، او الاجتماع فى الاسفار والى ما يشاء اختياره ويقصد وهو الذى نريد بيانه بان الاخوة فى الدين واقعه فى هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد بها الانسان غيره الا اذا أحبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته والذى يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى مقصود وراءه وأما ان يتوصل الى مقصود وهذا المقصود ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها وأما ان يكون متعلقا بالآخرة وأما ان يكون متعلقا بالله تعالى .

وأما حب الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون هذا الانسان لذاته محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدته وأخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ فى حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة على الطبع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون لصورته الظاهرة اعنى حسن الخلقة أو أن يكون لصورته الباطنة اعنى كمال العقل وحسن الافعال وكل مستحسن محبوب وقريب الى القلوب .

وهناك امر اغمض من هذا كله فانه قد تستحكم محبة بين أخوين فى الله او شخصين من غير ملاحة فى الصورة ولا حسن فى خلق وخلق ، ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والمودة والموافقة لان نسبة الشيء يجذب اليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية وليس لقوة البشر الاطلاع عليها غير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر لنا فى حديثه « الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب والائتلاف فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها وهنا لا معنى فى الخوض فيما لا يكشف سره للبشر فما اوتينا من من العلم الا قليلا ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم « لو ان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه » وهذا يدل على ان شبه الشيء منجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به ولذلك قال بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه .

فقد ظهر من ذلك ان الانسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه فى حال او مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة فى الطباع الباطنة والاخلاق الخفية .

اما ان يحب الانسان لغيره . وليس لذاته وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه فى الدنيا بل يرجع الى حظوظه فى الآخرة وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لأنه يتوصل به الى طريق العلم وتحصيله وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله وايضا من يحب تلميذه لانه يتلقى منه العلم وينال

بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم فى ملكوت السماء . ومحب فى الله الذى يتصدق بأمواله لله والرجل الكريم الذى يجمع الضيوف « او الضيفان » ويهيىء لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله .

وقد روى عن عيسى عليه السلام انه قال من علم وعمل بما تعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات لأنه لا يتم التعليم الا بمتعلم وفى قول آخر من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم « أى علم الحقيقة » فهو اذا آل فى تحصيل هذا الكمال أحب أستاذه المعلم أو شيخه المربى « مربى الروح » اذ جعل قلبه وصدره مزرعة لحرثه الذى هو سبب ترقيه الى رتبة التعظيم فى ملكوت السماء فهو محب فى الله .

ولذا روى ان دار رابعة العدوية عاشقة الحب الالهى كان ماوى للمحبين فى الله فى زمانها وكانت تقوم بنفسها على خدمة أحبابها وترفع التكليف بينها وبينهم وكان لكل منهم عندها له منزلة خاصة .

وقيل ان عمر بن الفارض سلطان المحبين قال للسيدة رابعة « لماذا تعاملين يا رابعة أخى ابراهيم ابن أدهم « سلطان الزاهدين » معاملة خاصة وترفعين الحجاب بينك وبينه دون غيره » . فقالت رابعة : لان من شروط الأفراط فى المحبة ان يملك ثم يزهد فيما يملكه .

-فابن ادهم ملك وزهد اما انت يا ابن الفارض فقد زهدت قبل ان تملك .

والمعروف عن ابن ادهم انه كان ملكا او حاكما فى زمانه ولما جاءته العناية الألهية ترك الملك وهام فىحب الله تاركا الاهل والاوطان مرضاة للملك الديان

ويقال ايضا عن رابعة انه دخل عندها ذات ليلة لص ليسرق وأخذ يبحث طوال هذه الليلة عن شىء يسد به رمقه .. فلم يجد شيئا فيئس واراد الخروج من الدار ولكنه سمع صوتا يناديه ففزع واراد الفرار .

واذا برابعة تقول له بصوت كله عطف وحنان قف ايها المسكين .. انك لم تجد فى دار رابعة أى شىء تسرقه أو تسد به الجوع .. فاننى سادلك عن باب تلجأ اليه تجد فيه ما يكفيك طوال حياتك .. وأمرته ان يتوضأ .. ثم أخذت تناجى ربها وتتوسل اليه ... وتقول وهى تبكى .. «ياربى هذا اللص المسكين قصد دارى ودخله ولم يجد عندى شيئاياكله أو يشربه .. فلا تخرجه من دارى خائب الأمل قاطع الرجاء .. وتغبطه برحمتك .. ان رحمتك وسعت كل شىء .. يا من قلت وقولك الحق . ادعونى استجب لكم .. وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعوة رابعة ومن على اللص واعطاه نعما جزيلة وتاب عليه وغفر له ما تقدم وما تاخر من ذنوبه ..

وقد انتهت محبة الله بقوم الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فان الكل من عند الله ولا نفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله..وقالسحنون فى هذا المعنى .

وليس لى فى سواك حظ - فكيف ما شئت فاختبرنى ، وهذا أيضا مبدأ الحلاج وابن عربى ورسالتهم فى التصوف اذ كانت كل اشعارهم مليئة بالالام والتعذيب .

والمقصود ان حب الله اذا قوى اثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله فى علم أو عمل وكل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب باداب الشرع وما من مؤمن محب لاخيه المؤمن فى الله تعالى عن طرق الصدق والبذل والرجاء الا وقد رفعه الله درجات فوق درجات .

وتتفاوت الناس فى هذا الحب حسب تفاوتهم فى حب الله عز وجل ولو كان هذا الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب فى الحال او المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد والأولياء الصالحين والصحابة والتابعين وحب جميعهم مكنون فى قلب كل مؤمن أو مسلم متدين ويتبين ذلك بفضبه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لانهم خواص عباده .

وقد وصلت درجة هذا الحب عند بعض الناس الى ان ترك لمحبوبه فى الله نصف ماله او ثلث ماله او عشره فمقادير الأموال الذى يشاطر بها أخاه فى الله هى موازين المحبة اذ لا تعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك بمقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل ابى بكر الصديق رضى الله عنه فانه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فسلم ابنته التى هى قرة عينه وبذل جميع ماله فى حب رسول الله . وقال ابن عمر رضى الله عنه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده ابو بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال اذ نزل جبريل عليه السلام وأقرأ النبى السلام عن الله سبحانه وتعالى وقال « يا رسول الله مالى ارى ابو بكر عليه عباءة قد خللها بخلال على صدره قال انفق ماله على قبل الفتح فقال فاقرأه عن الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط؟ قال فبكى ابو بكر وقال أعلى ربى أسخط انا عن ربى راض انا عن ربى راض . ومعنى هذا وحمله هذا القول ان كل من أحب عالما او شيخا او من أحب شخصا راغبا فى علم او فى عبادة او فى خير فانما احبه فى الله ولله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه وكل من احب فى الله لابد ان يبغض فانك اذا احببت انسانا مطيعا لله ومحبوبا عند الله فان عصاه فلابد ان يبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله - ومن عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

على طريق النصر
بقوة الايمان والعمل

فضيلة الشيخ محمد وهيب

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . وان أصابك شىء فقل قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو كان كذا لكان كذا فان كلمة ـ لو ـ تفتح عمل الشيطان))

ان من اجل الصفات وأعظمها صفة الايمان ، التى شرف الله بها بنى الانسان وناداه بها فى كثير من آيات الكتاب الحكيم . وقد أجمل الله وصف المؤمنين من عباده تعالى :

((انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم))

والايمان قلب طاهر وعمل صالح وليس مجرد قول باللسان وتراشق بالالفاظ ، ولا بكلمات يتمتم بها الانسان.

وقد قرر النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فى صدر هذا الحديث الشريف أن الخير كل الخير وأن محبة الله ورضاه وأن القرب كل القرب من الله كائن كل ذلك فى قوى الايمان من المؤمنين وكل ذلك موفور ومحقق لقرب الايمان ممن اتصفوا بالايمان جميعا ـ والايمان هو التصديق بالقلب وموافقة اللسان لما استقر فى القلب وعمل الجوارح لهذا الذى استقر فى القلب ثم تبرز بعد علامات هذا

فى الوجود فى مظاهر شتى ومجالات متعددة بما شاء الله أن تكون وحيث تلتقى ارادة الله القادر جل علاه بارادة هؤلاء المؤمنين الاقوياء فى ايمانهم وعقيدتهم فتستقيم بذلك الحياة ويتوافر بعد الطمانينة والسعادة والرخاء لبنى البشر جميعا ،ويندحر بعد ما أراد الطغاة والبغاة أعداء الحياة ـ وقد أراد لنا نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كما أراد لنا الله .

(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى »)

أن نكون الاقوياء فى الايمان والعقيدة فنوهب بذلك الشجاعة والاقدام ونابى التراجع والتخاذل والتراخى فى الحق . ونقبل فى عزم وحزم لمواجهة الاعداء ونخوض المعارك ونغشى ساحات القتال ساحات الشرف والكرامة والعزة والفخار . دون خوف أو رهبة أو وجل ممن يساندون هؤلاء الصهاينة الانذال . فوعد الله حق « وكان عهد الله مسئولا » فقد قال : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وقد أشار سبحانه وتعالى الى أن هزيمة اليهود محققة باذنه ومشيئته بقوله فى الكتاب الكريم « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله » .

وقد آن لنا أن نبغى القوه فى ايماننا بالله والوطن العربى ومقدساته ونعمل لبناء هذه القوة فى العقول والافكار والاجسام . ونحول هذه القوة الى قوة ضاربة تزلزل الارض من تحت اقدام الاعداء ليزول شبحهم البغيض عن أرض الوطن وترتفع رايات النصر والظفر وتسرى بشائره فى جميع الارجاء وما أظن الا أن هذا آت لا ريب فيه فى المستقبل القريب باذن الله « وما النصر الا من عند الله »» وفى هذا الحديث الشريف يقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن درجات الايمان بين العباد المؤمنين متفاوتة فأقواهم ايمانا بربه وكتبه ورسله ووطنه هو أفضلهم وأخيرهم واكثرهم خيرا وأكثرهم حبا وقربا لله الخالق الكريم ، وضعيف الايمان من عباد الله المؤمنين أقلهم خيرا وحبا وقربا من خالقه تعالى وان كان الخير لاينتفى عن ضعيف الايمان أصلا . لوصفه بالايمان ـ لذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : ـ وفى كل خير ـ فالخيرية موجودة وحاصلة فى كل من قوى الايمان وضعيفه لشمول صفة الايمان للمؤمنين جميعا . ولكن قوى الايمان أكثر خيرا وحبا وقربا .

ثم يؤدبنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » والامر هنا بالحرص على كل نافع للدنيا والدين « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » والحرص على كل ما هو نافع من وجوه الحل وكل ما هو نافع من المباح ، والعمل والانتاج والجد والكفاح والضرب فى الارض ومسالكها المختلفة ومناجمها المتعددة ومصانعها الكثيرة وحقولها الوفيرة ، وقطاعاتها المختلفة كل ذلك أعمال نافعة تعود على الفرد والمجموع والاوطان بالخير الوفير والرخاء العميم ويدفع عجلة التقدم بسرعة الى الامام فيقوى الوطن وتنهض الامة ويسعد المجموع .

احرص على كل عمل نافع حيث كان فى وجه وباب حلال لم يحرمه الدين ولايضر بانسان مستعينا فى عملك هذا بربك تسأله دائما العون وأن يمدك بقوة منه حيث أنك لا تستطيع ولن يستطيع انسان ما أن يقوم بعمل أو يباشره بغير قوته تعالى فهو وحده صاحب القوة يدبر الامر وفق ارادته ومشيئته ثم ينهى النبى الكريم عن العجز وأن يهاب الانسان العمل وقسوته مهما كان العمل عظيما ويأمرنا أن ندخل فى العمل مستعينين بالله فهو الذى يسهل هذا العمل ويهونه .. ولا تقل اننى لا أقدر على

وتجرب وتحاول أن تؤديه فانك ان فعلت واستعنت بالله أعانك .

وان أصابك شيء فقل قدر الله وما شاء فعل » فمعلوم أن الانسان معرض فى دنياه لكل ما يصيبه من خير أو شر وكل ذلك بتقدير وتوقيت من الله سبحانه الذى برأ الانفس وقدر الحياة وما يجرى فيها وقد أراد النبى الكريم أن يثبت بذلك قلوب المؤمنين ويرشدهم الى ما فيه خيرهم فى دنياهم وآخرتهم فأعلمهم بذلك أن كل نازلة فى نفس أو مال او متاع وكل خير فى نفس أو مال أو متاع أصاب انسانا انما ذلك كله بتقدير من العليم الحكيم الذى انفرد وحده بعلم الغيب ويعلم المصلحة ولا يجب عليه سبحانه رعاية الصلاح والاصلح للعباد وانما بفعل هذا بمحض فضله وكرمه . وحيث كان كل ذلك بتقدير من الله العليم الحكيم وجب الا يكون هناك جزع او يأس لمصاب مسك فى نفس أو مال .. ووجب الا يكون هناك فرح وفخر لما اتاك من خير فى نفس او مال .. وغير ذلك لا يليق بالمؤمنين ، أداء العمل دون أن تدخل فيه وانما الذى يجب أن يكون أن يقول كل « قدر الله وما شاء فعل » وحيث لا يقع فى الكون من خير أو شر دون ارادته تعالى .

والارادة غير الرضى فقد يريد الله الفقر لانسان وهو راض عنه ، وقد يريد الغنى لانسان وهو غير راض عنه . وهكذا فى كل ما هو من متع الدنيا . فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين :

« وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون » .

« ولا تقل لو كان كذا .. فان كلمة لو تفتح عمل الشيطان » وقد اعتاد بعض الناس انهم اذا عملوا عملا وانتظروا منه امرا ثم جاء هذا الامر عكس ما كانوا يتوقعون أو اذا تركوا فعلا وفعلوا غيره أو أهملوا فعل شيء ما وجاء الامر عكس ما يحبون ويرضون اندفعوا فى غير شعور الى قولهم « لو فعلنا كذا لكان كذا .. وعلى سبيل المثال . من تأخر فى زراعة نوع ما فى الموسم المحدد لزراعته او اهمل زرعه وجاء حصاده قليلا تراه يقول لو زرعت مبكرا أو عنيت بالزرع لكان الحصاد وفيرا . وقد فات الاوان وحدث الامر وجاءت غلته حسبما قدر له رزقه من الله وكلمة لو هذه المنهى عنها تفتح عمل الشيطان فانه يدخل منها الى الانسان المؤمن والعياذ بالله ويوسوس له ويفت من عزيمته ويضعف من ايمانه . فتذهب به الظنون والشكوك كل مذهب وينس الله خالقه ورازقه والمنعم المتفضل عليه بأحل النعم واشرفها العقل والقلب والايمان . وهنا يكون قد وصل به الشيطان الى نقطة الخطر . فيكون قد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

أعاذنا الله جميعا من وسوسة الشيطان وثبت أقدامنا جميعا على طريق الايمان .. واننا نضرع اليه تعالى أن يهبنا القوة والتأييد والسداد ويحقق لنا النصر المبين والظفر القريب على الصهيونية واليهود أعداء المسيحية والاسلام فى ظلال رائد العروبة القائد البطل المناضل السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، انه سميع الدعاء

تأصيل القيم الروحية فى المجتمع الإسلامى

للأستاذ حسن فتح الباب

ان التحـــول العظيم الذى قاده المسلمون الاوائل بقيادة سيدنا محمد رسـول الله صلي الله عليه وسـلم للقضاء على الظلم والتفرقة واستنزاف دماء المستضعفين فى الارض ، ولبنـاء مجتمع متقدم متماسك يقوم على التوحيد والتقوى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لم يكن يتم بهذه السرعة الفريدة فى تاريخ البشرية بغير ركيزة روحيـة صلبة لا تعادلها قوة الاسلحة المـادية مهما تزايد عددها وتفوق نوعها .

لقد جاء الاسلام ليحرر الجمـاعات والافراد من العبودية . فكانت التعاليم كلها ترمى الى استعادة حرية الانسان وحقه فى العيش الآمن الشريف من طريق تبصير فكره ووجدانه – وهما أثمن قوى النفس البشرية – بهذه المعـانى وتأصيل تلك القيم الروحية والاخلاقية فى أعماقه حتى يدفع عن حقه بنفسـه ويجاهد فى سبيل وطنه وعقيدته جهادا قد يصل به الى حد الاستشهاد

ذلك أن الاستشهاد فى سبيل قضية حق وشرف وعدالة أكرم من الاستسلام وما يعقبه من حياة ذليلة ، لان المعيار الحقيقى لتقييم الانسان هو القـــوة الروحية التى تميـزه عن غيره من الكائنات ، وعناصر هـــذه القوة هى الكرامة والقدرة على مواجهة التحديات والصمود فى المحن والانطلاق الى آفاق جديدة تزيد الانسان عراقة فى انسانيته

وطالما ان الموت حق لابد منـه فان الحياة فى عزة أكرم من العيش فى هوان بل ان العيش الذليل هو العدم بعينه. ومن هنا أطلق المشرعون اصطلاح الموت المدنى على حالة الفرد الذى يفقد حريات المواطن وحقوقه فى المجتمع ، فالحياة بغير هذه الحريات والحقوق تفقد جوهرها وتصبح شبيهة بحياة الانعام والسوائم .

وقيمة العمل المنبثق من الايمان الذى يصل الى حد التضحية هى أغلى القيم الروحية . والتضحية بالنفس لاتعنى انتهاء الحياة وانما تعنى اتصالها. لان الفرد بعد موته يحيا فيمايخلفه من عمل صالح ، وبقاء الجماعة التى ينتمى اليها هى امتداد لحياته ، بل ان المعيـار الحسابى يصدق كذلك فى حساب الموت من أجل المبادىء والمثل العليا . فقـد أثبتت الاحصاءات والحقائق العلمية أن الذين يموتون فى الثورة ولقـد كان الاسلام ثورة متصلة الحلقات ضـد القهر بكافة صوره – أقل بكثير جـدا من الذين يموتون موتا بطيئـا بسبب الاستغلال والاستعباد .

وانطلاقا من هذه المفاهيم بذل الرواد الاوائل فى تاريخ الاسلام أقصى جهودهم فى سبيل تثبيت القيم الروحية والخلقية وتأصيلها فى نفوس المسلمين . فقيمـة الايمان وقيمة الحرية ، وقيمة العدل ، وقيمة العمل ، وقيمة التضحية وغيرها من القيم الرفيعة كل أولئك تقوم على انتزاع الاثرة والانانية من نفس المسلم وانتزاع الخـوف من المـوت والحرص على مناعم الحياة ، بغض النظر عما يؤدى اليه ذلك من مذلة ومن جور واستغلال .

تلك هى المعجزة الحقيقية التي أتى بها سيدنا محـمد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، أن يستـأصل القيم المرذولة من نفوس بنى قـومه ويستبدل بها قيما رشيدة صالحة. ولولا ذلك لما استطاع هو وأتباعه ومعظمهم من الفئات الفقيرة والمضطهدة أن يغيـروا مجتمع قريش الوفير عددا بشريا وموارد مادية وأن يحاصروه من كل جانب ويقتحموا عليه معاقله حتى يذعن ويلقى سلاحه .

ان الايمان الصادق هو الذى يحرك الطاقات البشرية الكامنة فيحولها الى قوة لا تضارعها قوة أخرى ، وهو الذى يربط أفراد الجماعة برباط وثيق ويذيب الفردية فى نفوسـهم ويطلق قوى التضامن والايثار ، ليصبحوا جميعـا كأنهم رجـل واحد فيندفع كل منهم مستعدا لتقديم أية تضحية فى سبيل تحقيق الهدف المشترك ، ولقد تمت هذه التعبئة الثورية فى نفوس الصحابة بفضل ما بث الرسول فى نفوسهم من معانى المساواة والاخاء والعدالة وتحمل المسئولية . فلا امتيازات ، ولا مصالح طبقية ، ولا استغلال فرد لآخر أو جماعة لاخرى ، وانما الثروة حق للجميـع والعمل واجب على الجميع . وليس مثل توفير العدالة والاخلاص فى العمـل والاستهانة بالصعب دافع الى وحـدة الجماعة والتفافهـا حول قائدها فى حماسة وحيوية ومقدرة من شأنها أن تجعل الجهود المبذولة أضعافا مضاعفة، وأن تجعل الرجل الواحد بعدل عشرة رجال بفضل سلاح الايمان الذى يفـل أمضى الاسلحة وهذا هو تفسير علمى لقول الله تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله »

وقوله تعالى : يأيهـا النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لايفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا . فان يكن منـكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مـع الصابرين »

وما أحرى بنا أن نتأمل تلك المعانى وأن نغرس فى نفوس أبنـاء أمتنا تلك القيم الروحية الاصيلة فى الاسلام فهى سلاحنا الاساسى فى معركة الصـمود والنصر .

قطوف

الأستاذ على الجندى

من معجزات الرسول :

(عن أنس بن مالك أنه قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوضوء ، فوضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك الاناء يده ، وأمر الناس أن يتوضئوا منه . قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، حتى توضئوا عن آخرهم)

(رواه البخارى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح)

والوضوء ـ بفتح الواو : الماء الذى يتوضأ منه . وقد اختلف فى عدد المتوضئين : ما بين سبعين وثمانين ، ومائة وخمسة عشرة وزهاء ثلثمائة ،وفى بعض الروايات ثمانمائة .

قال المزنى : نبع الماء من بين أصابعه أعظم مما أوتيه موسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ حين ضرب الحجر بعصاه فتفجر ماء ، لأن الماء معهود أن يتفجر من الحجارة ، وليس بمعهود أن يتفجر من بين الأصابع

(عن أبى هريرة قال : شهدت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حنينا ، فقال لرجل ممن يدعى الاسلام :

هذا من أهل النار ! فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة ، فقيل : يارسول الله ، الرجل الذى قلت له آنفا : انه من اهل النار ، فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى النار !

فكاد بعض المسلمين أن يرتاب !

فبينماهم على ذلك اذ قيل : انه لم يمت ولكن به جراحا شديدا . فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه . فأخبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك ، فقال : الله اكبر أشهد أنى عبدالله ورسوله !

ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : أنه لايدخل الجنة الا نفس مسلمة ، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)

ألفاظ الشرع

ألفاظ الشرع يجمل أن تحمل على حقائقها اللغوية مالم يكن لها حقائق شرعية ، فاذا كان لها حقائق شرعية ، وجب أن تحمل على عرف الشرع واصطلاحه كالصلاة والحج والنفاق والكفر ونحو ذلك من الألفاظ الشرعية .

العفو عن القاتل

جاء فى العفو عن القاتل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **(من عفا عن دم لم يكن له ثواب الا الجنة) (من عفا عن قاتله دخل الجنة)**

(من عفا عند القدرة ، عفا الله عنه يوم العسرة)

أقول ليت المتمسكين بعادات الجاهلية فى الاصرار على أخذ الثأر ، يتدبرون هذه الأحاديث الشريفة !

حق المسلم على المسلم

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ **(للمسلم على المسلم ست : يسلم عليه اذ لقيه ، ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ، ويعوده اذا مرض ، ويتبع جنازته اذا مات ، ويحب له ما يحب لنفسه)**

التعاويذ والرقى

كان مجاهد يكتب للصبيان التعويذ ويعلقه عليهم .

وعن أبى عصمة قال : سألت سعيد بن المسيب عن تعليق التعويذ ، فقال : لا بأس به . وعن ابن عباس : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعوذ الحسن والحسين ويقول : ان أباكما كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامه)

(وأباكما) هو ابراهيم ـ عليه السلام ـ لأنهما من نسله .

وفى مسند ابن أبى شيبة : ان خالد بن الوليد كان يفزع فى نومه ، فشكا ذلك الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : أخبرنى جبريل : ان عفريتا من الجن تكبدك فقل : أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج ومنها ومن شر كل ذى شر »

فقالهن خالد فذهب عنه .

وعن عائشة رضى الله عنها ـ: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ـ (ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول : الله ـ تبارك وتعالى ـ فيقول : من خلق الله ؟ فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل : آمنت بالله ورسوله ، فان ذلك يذهب عنه)

ويقول الامام القسطلانى : ولقد جربت القسم بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الله ـ تعالى فى ازالة الصرع مع قراءة قوله ـ سبحانه : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الى آخر سورة الفتح فى ابنتين لى صغيرتين فشفيتا !

ثم يقول : وكانت لنا خادمة حبشية تدعى غزالة صرعت فى طريقى الى مصر ، واستمر الصرع بها اياما فاستعنت به ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك ، فجىء الى بصارعها فى المنام بأمر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فوبخته وأقسم الا يعود !

أقول : ان الطب الروحى مسلم به لدى الأديان السماوية كلها ، وتقول الكنيسة الانجليزية : ان هناك احتمالا كبيرا فى أن بعض الأمراض التى تصيب الانسان يكون سببها الشيطان !

وقد نشرت لجنة الكنيسة برياسة الأسقف (موريس هارلاند) تقريرا قالت : فيه ان المعلومات الطبية لا ولن تكون قاطعة وأن هناك أمراضا غير عادية لايفيدها العلاج بالأدوية **وانما الرقى والتعاويذ** . هى العلاج الوحيد لها .

اقول : ولكن يجب أن نحترس من الدجالين كما يجب أن نستشير الطب البشرى فى كل ما يعرض لنا لأن ذلك مما يأمر به الدين ولا ينافى الطب الروحى !

لم خلق ابليس ؟

جاء فى الحديث الشريف : (**لو شاء الله الا يعصى ماخلق ابليس**)

أقول لله الحكمة البالغة فى ذلك (**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون**)

المساواة بين الأولاد !

قال ـ صلى الله عليه وسلم : (**ان الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم**)

(الجامع الصغير)

أقول : هذا الحديث الشريف من دعائم الاجتماع وبقاء الأسر قوية مترابطة ، وليس هناك أحمق من الآباء والأمهات الذين يؤثرون بعض أولادهم بالحب أو المال على بعض ، فيزرعون بينهم العداوة والبغضاء ولنا فى قصة يوسف واخوته مع أبيهم يعقوب ـ عليهم السلام ـ عبرة لمن يعتبر وعظة لمن يزدجر !

اكرام الخيل !

كان أبو الدرداء يعلف فرسه بيده ، فسئل عن ذلك ، فقال : سمعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم يقول (**مامن امرىء ينقى لفرسه شعيرا ، ثم يعلقه** عليه الا كتب الله له بكل حبة حسنة)

وعنه ـ صلى الله عليه وسلم : (**المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لايقبضها**)

وانما كان الأمر كذلك ، لأن الخيل قديما كانت من أقوى أدوات الجهاد فى سبيل الله (٠٠ ومن **رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**)

غباء تلميذ مضحك !

جاء صبى الى كيسان الهجيمى يقرأ عليه شعرا فيه ذكر العيس ـ بكسر العين ـ

فقال له : ما العيس ؟

قال : الابل البيض التى يخلط بياضها حمرة ٠

قال : ما ألا بل ؟

قال : الجمال ٠

قال : ما الجمال ؟

فما كان من كيسان الا أن قام على أربع ورغا فى المسجد ، وقال : الذى تراه طويل الرقبة ،وهو يقول: بوع !

وقاحة الأدعياء !

كتب زياد بن أبيه الى الامام الحسن بن الامام على ـ عليهما السلام ـ فى بعض الشئون : من زياد بن أبى سفيان ، الى الحسن بن فاطمة !

فبعث الحسن بالكتاب الى معاوية ، فكتب الى زياد يوبخه فيه أو ختمه بقوله : ٠٠ أفا ستصغرت أباه وهو على بن أبى طالب ؟ أم الى أمه وكلته ـ لا أم لك ـ فهى فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتلك أفخر له ان كنت تعقل ، والسلام !

اليقين والطمأنينة

اليقين يتصور أن يطرأ عليه الجحود لقوله تعالى (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**)

والطمأنينة لا يتصور عليها الجحود

معنى الناس :

الناس : البشر ، وقد يكون من الانس والجن ٠ واشتقاقه قيل : من ناس ينوس اذا تحرك ٠

وقيل : من النسيان ، والى ترجيح هذا القول ، يومىء قول أبى تمام :

لاتنسين تلك الفعال فانما سميت انسانا لأنك ناس

الذمامه والدمامة :

الذمامه بالذال المعجمة ـ : رداءة الخلق ، بضم الخاء واللام ٠

والدمامة ـ بالدال المهملة ـ : رداءة الخلق بفتح الخاء واسكان اللام ٠

النسرين :

النسرين - بكسر النون وفتحها - : نور - بفتح النون واسكان الواو - أبيض وردى ، يشبه شجرة شجر الورد ، ونواره كنواره • وسماه بعض الناس الورد الصينى • وكلما بعد عن الماء قويت رائحته

فرحة الأديب بالأديب !

يقول الثعالبى : فرحة الأديب بالأديب ،كفرحة المحب بالحبيب ، والعليل بالطبيب ، ويقول عمروبن مسعدة : غزل المودة أرق من غزل الصبابة والنفس بالصديق ، آنس منها بالعشيق ؟

ويقول مهيار :

أحن لكم حنة العاشقين فأمدحكم مثلما أنسب

ويقول بعض العصريين :

رق مدحى كأنه تشبيب ومديح الأصحاب عندى نسيب

جين النوم واليقظة !

كثيرا ما ترد هذه الكلمة على لسان أرباب الأحوال فما حقيقتها ؟

قال ولى الدين العراقى فى شرح سنن أبى داود : هذا مشكل ! لأن الحال لايخلو من نوم أو يقظة فكان مراده : أن نومه كان خفيفا قريبا من اليقظة ، فصار كأنه درجة متوسطة بين النوم واليقظة •

فالعراقى يرى ، بين النوم واليقظة - هو فى حقيقته نوم •

وقال السيوطى : أظهر من هذا أن يحمل على الحالة التى تعترى أرباب الأحوال ، ويشاهدون فيها ما يشاهدون ، ويسمعون ما يسمعون ، والصحابة رضى الله عنهم - هم رءوس أرباب الأحوال •

اطفاء الغضب !

ينصح الدكتور (أرنست ميشيل) من كاليفورنيا لمن اعتراه الغضب ، أن يلجأ الى العدو ، لأن هذه الرياضة تخفف من جموع العاطفة !

وقد كان أسلافنا يعتقدون : أن غمس اليد فى الماء أو شرب اللبن الرائب ، أو القعود - اذا كان الغضبان واقفا - يذهب الغضب •

ومما عرفه الناس وجربوه فى كسر سورة الغضب تذكر الموت ، ومداعبة الرجل طفله ، والاستماع الى الموسيقى الهادئة ، ومطالعة المناظر الجميلة !

وأحسن من هذا كله الدواء الشرعى ، فقد جاء فى الحديث : **(ألا ان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم أما رأيتم الى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه ، فمن أحس بشىء من ذلك ، فليلصق بالأرض)**

وجاء فى الحديث ايضا ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ)

ومما جربته الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم أو قراءة بعض ما تيسر من آيات الكتاب الحكيم •

لتفريج الكرب !

من الأدعية المأثورة لتفريج الكرب : (اللهم انت مالك الملك ، وأنت على كل شىء قدير ، وما شئت من أمر يكون !

المدح

عن الأصمعى قال : كان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - يقول عندما يمدح اللهم : أنت أعلم بى منى بنفسى ! وأنا أعلم بنفسى منهم ! اللهم، اجعلنى خيرا مما يحسبون ،واغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون !

المدح لمن يستحق المدح (من الجنديات)

ثنائى موقوف على كل ماجد
وماجدة تسدى الى (مصرها) يدا

اذا الشعر لم ينشر مكارم قومه
فلا حمدت منه المكارم مشهدا

عرائس لا تجلى على غير كفئها
ضمن لمن زفت له ان يخلدا

يدين بها قسرا (فرزدق دارم)
لأعرق منه فى الفخار وأمجدا

دين ودنيا

الأستاذ محمد المتولى النظامى

واجبات الاخاء :

يرقي الايمان بالأنفس ، ويخلصها من الحسد والكبر والظلم والفحش ، ويحقق لها الحب والاخاء ، والعدل والرحمة ، ويمدها بالقوة التي تحقق لها النصر والفوز والتوفيق قال تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وقال « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » وقال النبى عليه السلام « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لاقماع القول ، ويل للمصرين الذين يصرون علي ما فعلوا وهم يعلمون » .

وروح الاخوة انما تنبع من قلوب صادقة الحب ، بعيدة عن الحقد والغرور والاثرة ، مؤمنة بالله والوطن ، اذ انه لا علاج للقلوب بغير الايمان ، فمتى عمرت القلوب بالايمان صلحت النفوس ، وارتقت العقول ، وسمت الارواح ، وتهذبت العواطف وخلق المواطن ، المؤمن المتعاون ، والاسرة الفاضلة ، والمجتمع الصالح ، والحكومة الرشيدة ، وتكون من هؤلاء جميعا وحدة انسانية شاملة ، وأمة متحابة متآخية ، تتمسك بالفضائل وتحارب الرذائل ، وتتشارك فى السراء والضراء ، قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » وقال النبى عليه السلام « ان الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلي » وقال « لايؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعا لما جئت به » وقال « والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتي تحابوا » .

والاسلام يعتبر الحب جزءا حيويا من رسالته ، ودولة الاسلام انما قامت على الحب لله المنعم المتفضل ، واهب الحياة والنعم ، واليه يلتجأ فى المحن والازمات ، فازمة الامور بيده ، وهو المنجى من الكروب ، واليه المرجع والمآب . قال تعالى « ولكن الله حبب اليكم الايمان ، وزينه فى قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمه والله عليم حكيم » وقال النبى عليه السلام « ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » وقال « اللهم انى أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى الى حبك »

ومن أحب الله وأخلص له وتوطدت به علاقاته أحب رسوله ، فتأسى به واقتدى ، وأحب دينه فجاهد فى سبيل نصرته وضحى ، وأحب عباده المؤمنين فعمل من أجل اسعادهم ، وأحب مخلوقات

الله فكان بها رحيما . وبادله الله اخلاصا باخلاص فاحبه ، ومن أحبه الله أغناه ماديا وروحيا ، وأقدره على الانفاق فى سبيله ، وبارك له فى صحته وماله واهله ، وهيأ الحب له فى قلوب الناس ، وهياه روحيا بما يحبب الناس فيه ، ويجعله دعامة اخوة ومحبة قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وقال « وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون » وقال « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ، ثم انتم تشركون » وقال « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وقال « والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » وقال « للذين احسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » ، وقال النبى عليه السلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » وقال « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمي » وقال « حقت محبتي الذين يتزاورون من أجلى » ، وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلي» وعندما اخبره رجل جالس معه عليه السلام عن حبه لرجل مر عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم أأعلمته بحبك ؟ قال لا فقال النبي فأعلمه ، فلحقه، فقال: اني أحبك فى الله: فقال الرجل احبك الذى احببتني من أجله » . وقال « ان من عباد الله ناسا ما هم بانبياء ولا شهداء ، يغبطهم الانبياء والشهداء بمكانتهم من الله تعالى . وقالوا يارسول الله : من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلي نور ، ولا يخافون اذا خاف الناس » ولقد ضرب أمير المؤمنين عمر رجلا يقود بعيرا وقد أثقل عليه وقال له « لم تحمل على بعيرك ما لا يطيق » وضرب آخر بالدرة لانه شحذ السكين أمام شاة يريد ذبحها ، وقال له « أتعذب الروح ، ألا فعلت هذا قبل أن تأخذها »

ورسالة الاسلام تبذر بذور الحب فى القلوب ، وتتعهدها حتى تثمر ، وتغرس جذور الاخاء فى النفس ، وترعاها حتي تزهر ، وتنادى بتحقيق كل ما من شانه دوام الحب وتعميق الايمان وتدعيم الروابط وتقوية الاواصر ، وتدعو الى اخلاقيات لو تمسك المسلمون بها لاصبحوا أمة واحدة متعاونة ، يرهبها الاعداء ، ويفخر بها الاصدقاء .

فالاسلام يدعو كل مسلم الى أن يهتم بامر اخيه وان يشعر بشعوره وأن يعمل لخيره واسعاده وادخال السرور عليه ، وأن يضحي فى سبيل نصرته ، وأن يمنع الظلم عنه ، وأن يدافع عن ماله وعرضه قال تعالى « وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم . « من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم » وقال « المسلم اخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله ، ولا يحقره » وقال « ما من مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه من حرمته ، وينتقص فيه من عرضه ، الا نصره الله فى موضع يحب نصرته فيه » وسئل عليه السلام : اى الاعمال أفضل ؟ فقال « ادخال السرور علي المؤمن ، قيل : وما ادخال السرور على المؤمن ؟ قال « سد جوعته ، وفك كربته ، وقضاء دينه » وقال « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتي تحابوا . ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم » وقال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر » ، والاسلام يدعو الي التعاون . ويحارب كل ما يؤدى الى القطيعة والشحناء ، واضعاف روح الاخاء من أنانية وكراهية وحقد واثره ، ورياء ، ونفاق ، وغرور ، وجشع ، وتجسس وغيبة ، ونميمة وخيانة ، ويوجب الاسراع للقضاء على اسباب التفرقة ، ويجعل الاسراع فى هذا لا يقل درجة عن الاسراع للعبادة ، ويجعل الكلمة الطيبة فى هذا قربى يتقرب بها الي الله فان لم تجد الكلمة فى هذا السبيل ، فهو يدعو الى استعمال القوة حفاظا على روابط الحب والاخاء قال تعالي « انما المؤمنون اخوة ، فاصلحوا بين أخويكم » وقال « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وقال « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت ، فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » وقال « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما »وقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » وقال « الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة . اصلاح ذات البين ، فان فساد ذات البين هي الحالقة » وقال « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » وقال « ما من شيء أثقل فى الميزان من حسن الخلق ، وان الله يبغض الفاحش البذيء » وقال « ان بدلاء أمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكن دخلوها برحمة الله ، وسخاوة الانفس ، وسلامة الصدور » وقال « لا تقاطعوا ولا تدابروا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله اخوانا » وقال لعلي كرم الله وجهه « عليك بالجماعة يا على فانما ياكل الذئب من الغنم القاصية » وقال « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

ولقد بلغ من تحرى أمير المؤمنين عمر للعدل ، وبعده عن التحيز انه عندما كان يوزع غنائم كسرى ، ويقسمها بكفه ،

وكان ابنه جالسا فلم يعطه شيئا ، فقـــال يا ابتي : كأنك لا ترى لي حقا في هذا المال . فقال : بلى يا بني ، ولكني أخاف أن يتسع كفي فقال بعض الحاضرين ادفع له يا أمير المؤمنين ما حفنت لي ، وتحفن لي غيره فقبل ، وفعل الرجل ذلك .

والاسلام يدعو الي كل ما يعمق المحبة ، فيامرنا بالتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر وأداء الامانات . كما يأمر بالاحسان الى الجار ، ويدعو الى عيادة المريض ، والتخفيف عنه ، وبر المحتاج والعاجز ، وأن يسلم بعضنا على بعض ، وأن نتصافح عند التلاقي ، وأن نتزاور ، وأن يكون التسامح رائدنا . قال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وقال « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » وقال « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » وقال « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وقال النبى صلى الله عليه وسلم «المؤمن اخو المؤمن » وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره » وقال « من عاد مريضا أو زار أخا فى الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا » وقال « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » وقال « أربعة اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة فى طعمه » .

الاخاء أعظم عدة :

والمسلمون رغم اختلاف نوازعهم السياسية فهم دائما يتجمعون فى الشدائد ويتناصرون فى المحن الكبرى ويصبحون جبهة واحدة ، وكتلة متراصة متحابة تلحق الهزيمة بالمعتدين ، ومن قبل تجمعوا حتى الحقوا الهزيمة بالمغول والصليبيين ، وان ما نحن فيه من مآس ليجعلنا أحوج ما يكون الى الايمان ، ومراقبة الله فى جميع التصرفات ، والى التآخى والتآلف والاتحاد ، حتى نحرر الاوطان بعزائم متساندة ، وحتى نصل الي النصر بقلوب مؤمنة بنصر الله فالايمان أعظم قوة ، والاخاء خير عدة وصدق قول الله « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » وقال عليه السلام « ان الله يرضى منكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم » .

وواجب على الاباء والامهات والمدرسين ، والقادة والموجهين ، تربية الابناء على الحب وتوجيههم الى الخير ، وتدريبهم على ممارسة فعله ، كي يشبوا محبين له عاملين من أجله ، وحتى يصبحوا مثلا عليا فى الايثار والتسامح والعفو والصفح والحب والاخاء ، فبذلك يظل المجتمع لواء السلام والامن والعدل ، وتتحقق السيادة والسعادة والقيادة .

وخير تربية هى ما كانت عن طريق المثل العليا ، والقدوة الحسنة التى يعمق أثرها فى النفس ، ويستقر فى القلب ، وتتسم بها الاعمال والاقوال وجميع التصرفات .

ولقد ذكر سبحانه فى مجال التربية الصالحة صورة رفيعة عن موعظة لقمان لابنه بقوله « يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك لمن عزم الامور ، ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك ، ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » وقال سبحانه حاثا على التربية « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة » وقال النبى عليه السلام « الزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم » .

بدع مستوردة ينكرها الإسلام

الأستاذ عبد المغني المنشاوي

ما هبطت ديانات السماء ، وتلاحقت رسالاتها ، الا وهى حاملة بيديهامصابيح هدى تنير للناس سبل الخيريسلكوها، وتحذرهم مزالق الشر ليتجنبوها ، فما كانت العقول وحدها ببالغة من وسائل الهداية ما بلغت هذه الرسالات ، فكان من مظاهر رحمة الله بالناس أن يتخولهم بين الحين والحين بالمصطفين الاخيار من خلقه رسلا مبشرين ومنذرين حاملين أنوار قدسه : لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل :

وقد ختمت رسالات السماء بأكمل رسالة وأفضل رسول ، رسالة الاسلام، يحملها خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام

كانت الانسانية قبل الاسلام ، قد مرت عبر التاريخ بعصور وعصور ، حتى اصبحت ابان ظهور الاسلام مهيأة لتلقى تعاليمه ، والاضطلاع بتكاليفه ، والاستجابة للاستفادة من جميع عناصر الخير فيه ، ولعله أن يكون فى قولة الرسول عليه الصلوات فى خطبة الوداع:

« الا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض :

ما يشير الى أن الزمان وأهل الزمان، بعد انطواء الدورة المسبقة ،واستئناف الدورة الجديدة الملاحقة ، قد ارتفع مستوى فطرتهم، وأصبحوا أهلا أن يتلقوا فى مدارس دينهم الجديد ،دين الهدى وملة التوحيد دروسا عالية غالية ، يحذقون فيها ما تقربه عين مكارم الاخلاق ، من خير المثل ، على يد خير الرسل .

بلغ رسول الله محمد بن عبد الله رسالته ، وأدى أمانته ، بما جاهد وصابر فى جميع الميادين ، حتى عقد الصلح بين الدنيا والدين ، صلحا عادلا فاضلا ، يصون لكل منهما حقه عند صاحبه ، فللدنيا متاعها الحلال، وللدين حرماته وقداسته

« قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق »

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا :

ولا عجب بعد هذه التضحيات الغوالى من سيد الرسل عليه صلوات الله ، أن تتخرج على يديه وتحت عين الله خير أمة أخرجت للناس ، استقطبت فيها عناصر الخير ، وزايلتها عناصر الشر ، ومشت عبر التاريخ تبنى المكارم ، وترفع الامجاد ، بعد اذ الزم بنوها أنفسهم جانبى النصفة والعدل ، يعطون ما لله لله ، وما للعباد للعباد

ثم كان ما كان عبر الأزمان وياليته ما كان ، تخلى المسلمون فى سكرة اللهو عن تعاليم دينهم ، فتخلت عنهم عناية ربهم ثم ضعفوا واستكانوا ، ومشى فيهم الدخلاء والغرباء ، وغزوا بلادهم كما غزوا أخلاقهم ، وبدلوهم بها ما لا يتمشى مع تعاليم الدين ولا الخلق القويم

ولقد يكون غزو البلاد اليوم قد وقف عند حده ، لكن غزو الاخلاق ما يزال باقيا على أشده ،

الا يكن ، فما هذا اللون العجب يعيش يعيشه شبابنا وشوابنا، يتقلبون فيه بين أحضان بدع مستوردة منكورة رمانا الغرب بسهامها ، ثم راح يمتع ناظريه وهو يرانا نتلوى من الامها ، ولا هدف للغرب الماكر الساخر الا أن نتحلل من أخلاقنا ونتهاوى فى مهاوى فسادنا وضعفنا ، فيكر علينا كرة أخرى ، يشد فيها الوثاق ، ويضيق الخناق.

حدثنى بعيشك أيها القارىء الكريم، هل يرضى الدين والخلق الكريم ، ان

تخرج الشواب المسلمات المؤمنات على أعين النـاس كاسـيات عاريات ، مقتضيات آثار فتيات الغـرب فيما يصنعن وفيما يدعن .

كتبت يد التاريخ النزيه للمـرأة المسلمة ، فى عصورها الزاهية الخالية سجل نبالة ومجادة وفخار ، فاقرءوها: ايها القراء الكرام : فى توفرها على اسعاد بنيها ، وترفيه ذويهـا ، واقرءوها فى الضافى من ثيابها ، مزهوة بركوعهـا وسجودها ، ثم اقرءوها فى ميـادين جهادها وجلادها ، وقد لبست حياءها ، قبل أن تلبس رداءها ، تجدوها الفضيلة يحتويها كتاب ، والشمس الخفرة الحيية تأبى الا أن تستر مفاتنها بسحاب هو النقاب وما الى النقاب .

هذا بعض ما سجله التاريخ لمفخرة التاريخ ، فماذا عسى أن يسجل لفتيات الجيل وربيبات النيل ، لعله أن يسجل أن الفتاة الصبور الشكور ، قد عبث بهايد المحاكاة العمياء ، فاسـتحالت الجاحدة المتبرمة الملول ، هاج فضولها كتاب الفصول من أرباب الاقلام المريبة الظنينة الجامحة ، وأطمحـوا بصرها – لا أنار الله أبصارهم – نحو فتـاة الغرب ، وللغرب نظمـه وأساليبه ،

ها هو ذا رسول الله عليه صلوات الله يحدثك حديثا مؤدبا زاجرا ، لعله أن يصيب من هوى نفسك مقتلا ، انه يتوعدك ويتهددك ، بعد اذ نظر اليـك بعين الغيب :

« صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم لهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحهـا وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

وهل غاب عنك الحديث القائل . « الحياء حسن ، ولكنه من المـرأة أحسن : ذلكم أن حياء المرأة مشتق من حيائها »

ولست فى الحق يا جماهير المؤمنين بالمتجنى فى حكومته ، فأعير الفتـاة تبرجها ، ولا أعير الفتى افتتانه فى الوان اطرائها واغرائها .

وانى للشباب أن يحفلوا بصوت دين لم يتربوا على موائده ، أو ينشئوا على مبادئه ، ولم ياخذوا بتوجيهاته الحكيمة منذ نعومة الاظفار ، لا فى المدرسة ولا فى الدار ، ان ملاك أمرنا وصلاح شأننا يا جماهير المؤمنين ، منوطان بتنشئة الناشئين على مبادىء التربية الدينية الصادقة الصالحة فى المنزل والمدرسة فان يد الصناع كفيلة أن تغرس فى نفوسهم حب الله ، وخوف الله وطاعة الله ، ولكنا نجهر بها كلمة مدوية تقرع أسـماع المسيطرين على سياسة التعليم فى هذا البلد .

لقد ظلت مناهج التعليم قبل قيام هذه الثورة المباركة ، خلوا من روح العناية بامر الدين ، الا من كلمـات مزورة جوفاء ، كخادع الطـلاء وثوب الرياء ، ولكن روح الثورة المبـاركة العارمة نفخ فى مناهج الدين روحا عالية وثابة ، كان لها أثرها البعيد فى نشـر الوعى الدينى ، وسيزداد هذا الوعى انتشارا بحول الله وبما أخذت وزارة التربية والتعليم به نفسها هذا العام من تقـرير مادة الدين فى صلب المنهج الدراسى ، فلا يكتب لطالب النجاح الا اذا ظفر بالنجاح فيها – انها فى الحق لخطوة مباركة موفقة أقرت عين الدين ، وأرضت الديان رب العالمين

هذا وان أجهزة الاعلام لتحتل المكان المكين فى هذا الميدان ، فالصـحافة والخيالة والاذاعة مسـموعة ومرئية ، تطالع جماهير القارئين والسـامعين والمشاهدين ، سحابة كل يوم صباح مساء ، بالوان شتى من موادها الباهرة الساحرة ، التى تجذب الخواطر ، وتشد النواظر ، ويا ما أهون على الفضيلة أو الرذيلة أن تتسلل الى أعماق النفس ، متسربة من خشبة مسرح ، أوسـبيبة خيالة ، أو صفحة كتاب

من أجل ذلك ظلت آمالنا الكبـار وستظل منوطة بهذه الاجهزة الاعلامية الخطيرة ، أن تضاعف من جهودها ، وتستقطب من عناصر صمودها ، وهى رواحة غداءة فى ساحات ميدان جهادها الكبير الخطير ، حتى تنتصر على أيديها قضية الخلق الكامل والعمـل الصالح .

هذا وللقدوة الصالحة أثرها وخطرها فى أخلاق الناشئين ، فانهم لايتمالكون أن يتأثروا قدوتهم ويحتذوها ، فما أحرانا أن نهيىء لهم من أنفسـنا وأعمالنا وسلوكنا خير قدوة ، كما كان لنا فى رسول الله أحسن أسوة ،

ولله در الشاعر الحكيم اذ يقول :

وينشـأ ناشىء الفتيان منا .
على ما كان عـوده أبـوه

انا لنرجو رحمـة الله صادقين ، ونستعين معونته جاهدين ، ان يحقق لنا فى جيلنا الحاضر آمالنا العريضة المرجوة فيه ، حتى نظفر بجيل عبقرى مثالى ، محوط بوعى دينى سماوى ، يدنى الى أيدينا قطاف العزة والنصرة فى شئون الدنيا والدين

ان الوعى الدينى الاسلامى ، يوقظ الضـمائر ، ويرهف الاحاسيس والمشاعر ، ويصنع من المسلم العبد التقى الورع الغيور على محارم الدين ، والديدبان الحارس اليقظ على ثغـور المسلمين يامر بالمعروف ما وسعه الجهد وينهى عن المنكر ما احتوته القدرة وواتته الطاقة ، جاعلا حب الله والخوف من الله شعاره ودثاره ، بعد اذ حـذره مولاه نفسه وحسابه ، وأنذره بطشـه وعقابه ، ان هو استطاب المعصية ولم يستوخمها ، وارتضى المنكر ولم ينـه عنه ، وبعد اذ سمع ما أوحى مولاه الى عبده محمد عليه الصلوات ، من التهديد والتنديد بمن يرى المنكر ويرتضيه .

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتـدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »

وهذا حديث رسول الله عليه صلوات الله ، يبصرنا بعد كتاب الله أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من بين دعائم الدين ، التى بدونها قد ينقض جداره ، ولا يرتفع مناره ، يقول عليه الصلوات :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »

ويقول عليه الصلوات :

« لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم .

ان تحقيق التكافل الاجتماعى هدف اسمى من أهداف الدين ، وهو فى نظر الاسلام أعم واشمل من أن تقصر دائرته على التعاون بالمال ، بل ان دائرته لتتسع وتتسع حتى تحتوى جميع مايمس صوالح المسلمين ، من معونة بمال ، أو محاولة لاصلاح حال ، أو توجيه حكيم ونصح كريم ، فى تقويم آداب وسلوك ، من أجل ذلك كان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ممثلا لركن ركين من بناء هذا التكافل الاجتماعى العظيم .

يتقاضانا هذا التكافل الاجتماعى الاسلامى أن يستشعر كل مسلم حق اخيه المسلم عليه ، ومن حقه عليه أن يعينه على حق يطلبه أو باطل يشجبه ، بل يعينه حتى على نفسه ان وجدها امارة له بسوء

بهذا وحده نستطيع أن نحذف وجه الغرب ببضاعته الكاسدة ، وبدعه الفاسدة ، فنرد له كيده فى نحره ، ونفوت عليه سوء قصده ونخلص أنفسنا من ربقة استعباده ، ونطهر اخلاقنا من ادران فساده – ونصبح بعد هذه القداسة والطهارة أهلا أن يرضى الله عنا وأن ينصرنا بقوته القاهرة القادرة على أعدائنا ، « والله من ورائهم محيط » .

وسبحان القائل فى محكم كتابه : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والقائل « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز »

المال بين النعمة والنقمة

الأستاذ منصور نسيم

— ٣ —

قلنا ان سنة الاسلام فى تنظيم المجتمع من كل جانب من جوانبه قد جرت على البدء بفرض تعاليمه الخلقية على أفراد المجتمع لكى يذعن الأفراد لهذه التعاليم عن اقتناع وعن طواعية واختيار ، فاذا صدع بها الأفراد خفت مئونة الدولة ، وان احجموا عن تنفيذها بدأ تدخل الدولة ، ذلك لأن الاسلام هو دين الفطرة ، والله سبحانه وتعالى هو العليم بفطرة الانسان الذى خلقه وسواه وهداه النجدين ، وترك له حرية الاختيار بين الفجور والتقوى ، وبين الخير والشر ، فكان لابد لضمان نفاذ تعاليمه الهادية من أن تقوم فى كل مجتمع دولة تسهر على نفاذ هذه التعاليم . فاذا سار أفراد المجتمع فى سلوكهم الفردى على ضوء هذه التعاليم قلت حاجة ولى الامر الى التدخل لالزامهم بتنفيذها ، وبالعكس اذا هبط مستوى التمسك بالتعاليم الخلقية التى فرضها الاسلام كبر دور ولى الأمر فى التدخل لحمل الأفراد على تنفيذها ..

هذه سنة الاسلام فى تنظيمه للمجتمع الاسلامى ، وقد رأينا التكاليف التى فرضها الاسلام على ملكية المال وصاغها فى البداية فى صبغة تعاليم خلقية ، وأول تكليف ايجابى على مالك المال هو شكر الله على نعمائه اذ أتاح له الانتفاع بهذا المال ، وأودعه بين يديه ليستثمره ويتصرف فيه ، والشكر انما يكون بأن يوجه نشاطه وكفايته الى استثمار هذا المال – مادام هذا المال هو من مصادر الانتاج ومهما اختلفت طبيعة هذه المصادر – فى نطاق الوجوه المشروعة للاستثمار على نحو يفى بحاجاته وحاجات من يعولهم وفاء طيبا بغير عدوان على مصلحة المجتمع ، فاذا ابقى مالك المال ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع ، وكان هذا التعطيل متعمدا من المالك وطال أمده ، واذا كان تعطيل استثمار المال يؤدى الى فقر صاحبه وبالتالى الى فقر المجتمع ، ألا يجوز لولى الأمر أن يتدخل ليحمل مالك المال على مداومة استثماره

استنادا الى ان الاسلام يبغض الفقر ويكافحه ، لا سيما اذا كان المجتمع الاسلامى فى عصر معين ينوءكاهله تحت اعباء ظروف من الفقر وأوزاره وأوزاره عن المجتمع بالامتناع عن تعطيل تدفق الخيرات التى تنبع من استثمار المال الذى سخره الله لنا ، وهى ذات العلة المطلوبة فى وجوب اتباع ارشد السبل فى الاستثمار ، ولقد كشف العلم الحديث عن اساليب جديدة فى استثمار المال سواء كانت فى ميدان الزراعة أو الصناعة أو التعدين أو التجارة . وواجب المسلم ان يتزود بهذا العلم فى كل ما يباشره من عمل وسعى وراء الرزق الكريم الذى انعم الله به عليه ، بذلك أمره الله وفضل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون درجات قال تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وهذه الاساليب ليست الا نتيجة استنباط أسرار الكون الذى سخره الله تعالى للانسان وأمره بالكشف عنها والتدبر فيها ، حتى يحقق معنى استخلافه فى عمارة الأرض ، ومن الأصول الشرعية المقررة : « ان مالا يتم الواجب الا به فهو واجب » وكلنا نعلم كيف عنى الاسلام أكبر عناية بالحث على التدبر فى معالم الكون ، والتدبر فى آيات خلق الله وقدرته ، والتدبر معناه الدرس والبحث والتمحيص ، وهى سبل المعرفة والكشف والابتكار واستغلال مكنون القوى التى اودعها الخالق العظيم فى هذا الكون ، الذى سخر لنا كل ما فيه .

ونحن نعتقد أن هذا التكليف أجازه الصدر الأول من الاسلام لولى الأمر ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » والاحتجار كما هو معروف هو وضع اليد على الارض الموات لمحاولة أحيائها وتعميرها ، والارض الموات هى التى لم تربط ملكيتها لأحد من الناس ، فهى كما قال الرسول صلوات الله عليه : « لله وللرسول ثم لكم من بعد » أى للمجتمع كله ، وقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد طبق هذا التكليف عندما قال فى احدى خطبه على المنبر : « من احيا أرضا ميتة فهى له ، وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين » ثم عمم تطبيقه عندما قال : « من عطل ارضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى بلال بن الحارث جميع ارض العقيق ، فلما كان زمن عمر قال لبلال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجرها عن الناس، انما اقطعك لتعمل ، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى » .

ويتفرع عن هذا التكليف اتباع أرشد السبل فى الاستثمار ، وحكمة هذا التطبيق ظاهرة فى كل عصر ، ولا سيما فى عصرنا هذا الذى عطلنا فيه استثمار أكثر مواردنا الطبيعية ، تلك الموارد التى أغدقها الله على العالم الاسلامى فأهملنا استثمارها ، حتى جاء الاستعمار فاطبق على اراضينا ومضى يحاربنا بما يستخرجه منها ، فالشارع الاسلامى يحرص كل الحرص على مداومة استثمار المالك للمال الذى بين يديه — ما دام هذا المال من مصادر الانتاج — لأنه أصلا مال الله ومال الجماعة ، ومداومة استثماره من جانب المالك تعود بالنفع على ذاته أولا وعلى المجتمع ثانيا ، باعتبار هذه الثمار زيادة فى الدخل القومى ، وفى الثروة القومية ، وباعتبار ما يخرجه المالك من ماله فى اداء الفرائض الاسلامية الموجهة الى خدمة المجتمع .

والعلة فى مداومة استثمار المالك لماله هى السعى الى رفع اثقال الفقر

على أن تعاليم الاسلام كما تكررت فى الآيات والأحاديث تفرض على المسلم عندما يباشر عملا ان يتقنه ويحسنه ، فهذا سبيله الى ابتغاء رضاء الله وحب الله ، واستثمار المالك لماله لم يخرج عن كونه عملا له وزنه فى سجل العمل الصالح ، ومن هنا كان عليه واجب مباشر فى اقتباس كل أسلوب فى الاستثمار يفضل الاسلوب الذى درج عليه ، ويؤدى به الى اتقان هذا الاستثمار وأحسانه وتنمية ثماره ومضاعفة انتاجه ، فاذا عمد مالك المال الى اسلوب فى استثمار ماله يؤدى الى ضآلة الانتاج ، أو يؤدى الى تلف رأس المال ، كان لولى الأمر فى كل مجتمع اسلامى أن يرده عن الأسلوب العقيم الذى درج عليه الى الأسلوب الرشيد ، طالما كانت ظروف المجتمع ومستويات المعيشة فيه تقتضى اتباع ارشد الأساليب فى الاستثمار ، واذا تضخمت الثروة فى أيدى فئة قليلة من الرعية ، وكانت هذه الثروة من مصادر الانتاج التى عليها قوام المجتمع ، ثم ثبت عجز هذه الفئة عن استثمارها استثمارا رشيدا ، وأدى هذا العجز الى حرمان المجتمع من منافع هذا الاستثمار الرشيد ، كان لولى الأمر أن يتدخل بما يدرأ عن المجتمع هذا الضرر العام ، وهذا تطبيق للقواعد الشرعية التى تقرر أن « التصرف على الرعية منوط بالمصلحة » ، « ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام » و « يتحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى » ..

والمجتمع الاسلامى اراده الله أن يكون مجتمعا متوازنا فى جميع مقوماته وخصائصه ،وهذا التوازن يمتد بالتبعية الى كيانه الاقتصادى ، واذا يجب أن يتوازن المجتمع الاسلامى فى كيانه الاقتصادى بقدر ما تتيح له موارده وامكانياته اقامة هذا التوازن، وما اكثر هذه الموارد والامكانيات فقد تجمع فى أرجاء العالم الاسلامى من خيرات الله فى ظاهر الأرض وباطنها مالم يتوافر على هذا النحو من التجمع فى اية أمة فى الارض هذه الموارد وهذه الامكانيات يجب أن تتوزع بينها القوى الاستثمارية فى توازن قويم ، فلا تقتصر مثلا على توظيف الأموال فى زرع الارض ورعى الاغنام وتترك الصناعة والتجارة والتعدين وغيرها من مصادر الانتاج المختلفة ..

والايات القرآنية والاحاديث النبوية صريحة وحاسمة فى توجيه المجتمع الاسلامى فى هذا الاتجاه المتوازن وقد قرر فقهاء الاسلام أن كل ما لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا فتعلمه ووجوده من فروض الكفاية قالوا : « ومن ذلك أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والخياطة وما اليها مما هو ضرورى أو كالضرورى فى المعاملات ويسر الحياة ودفع الحرج عن الناس » . « ومعنى انه من فروض الكفاية انه اذا لم يتحقق فى الامة اثمت الامة كلها ، وان الاثم لا يرتفع عنها الا اذا قامت كل طائفة بنوع من هذه الانواع » وليس من ريب فى أن أساس هذه الفرضية هو العمل على تحقيق المبدأ الاسلامى الذى يوجبه الاسلام على أهله وهو مبدأ استقلال الجماعة الاسلامية فى تحقيق ما نحتاج اليه من الضروريات والحاجات فيما بيدها وبيد ابنائها دون أن تمد يدها الى غيرها من الامم » .

دراسات في شعر المهجر

بواعث الهجرة وأسبابها

الدكتور عبد الحكيم بلبع

لانكاد نعرف أن هناك نهضة فنية ضخمة أصابت شعرنا العربى المعاصر أوسع ولاأضخم من تلك النهضة التى أصابته على يد شعراء المهاجر الامريكية ذلك لان هذا الشعر المهجرى كان نقطة انطلاق واسعة الى تطوير المفهوم الشعرى ، ونقله الى آفاق أرحب من تلك الافاق التى ظل محصورا فيها على طول مراحل التاريخ العربى لايكاد يتجاوز فى أية مرحلةمنها ملامحه الاساسية التى عرف بها منذ العصر الجاهلى ، سواء من ناحية مضمونانه العامة ، أم من ناحية أشكاله الصياغية ومن هنا فانه ليس من المبالغة أن نقرر أن شعر المهجر كان من ناحية شكله ومن ناحية مضمونه يمثل مرحلة متميزة كل التميز فى حياتنا الادبية المعاصرة ، وأنه يمكن اعتبار هذه المرحلة نقلة هائلة بعيدة الاثر فى رسم اطار جديد للتصور الشعرى ، وفى اعطاء القيمة الحقيقية من الناحية الفنية والانسانية لهذا الجنس الأدبى .

وقبل أن نخوض فى شيء من الحديث المفصل عن هذه الحركة التجديدية الناهضة وعن كافة سماتها وخصائصها يجدر بنا أولا أن نقدم حديثا موجزا عن الظروف والملابسات التى أحاطت بعملية الهجرة ، وتوضيح الاحداث العامة التى من أجلها هاجر هؤلاء الشعراء من بلادهم ورحلوا الى بلاد أخرى ، يلتمسون فى رحابها رخاء العيش ونعيم الاستقرار، ورفاهية الامن والطمأنينة .

لقد شهد النصف الثانى من القرن التاسعءشر بدايةرحلات المهاجرين أفرادا وجماعات من الاقطار العربية وبخاصة فى سوريا ولبنان وفلسطين الى القارة الامريكية فى شمالها وجنوبها ، يرتادون مجاهلها ، ويفتشون عن الرزق بين جنباتها ويشقون فى طريقها الوعر مسالك حياتهم الجديدة التى ركبوا فى سبيلها الاخطار ، وتحملوا من أجلها فرقة الاهل والديار .

والسبب الاساسى الذى كانت ترتكز عليه هذه الظاهرة . ظاهرة الهجرة - هو ما كان يعانيه هؤلاء المهاجرون فى بلادهم من حرمان وشظف من الناحية الاقتصادية ، ثم من ضغط واضهاد من الناحيتين السياسية والاجتماعية ، وذلك على الرغم من عوامل النضوج والتفتح التى كانت قد بدأت تعرف طريقها الى لبنان منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ولكن السلطات العثمانية كانت - اذ ذاك - لاتزال تفرض ألوانا من السيطرة والاستبداد على حياة الناس ، فتصادر كل احساس بالحرية ، وتخنق كل محاولة للفكاك من هذه القيود العنيفة التى غللت مصائر البشر .

وفى هذا الجو القاتم الخانق لم يكن بد من التفكير فى منطلق الى حياة أكرم والى عيش أرغد ، ولم يكن هذا المنطلق الا تلك الولايات الامريكية التى كانت تعتبر - آنذاك - مرافىء للحرية ، ومنتجعات للرزق الوافر الكريم .

وبدات عملية الهجرة مدفوعة بهذين السببين القاهرين :

الفقر المدقع ، والشعور بالغربة والذلة فى بلد لايحكمه أهله ، ولا يسيطر على مقاديره ذووه .

والمعروف أن قوافل المهاجرين بدات تأخذ طريقها الى المهاجر الامريكية الشمالية منذ قرن أو يزيد من الزمان ففى عام ١٨٥٤ رحل الى نيويورك « انطون البشعلانى » وهو أول لبنانى يرود الطريق الى العالم الجديد . ولكن الحركة الحقيقية للهجرة لم تنشط الا بعد « فتنة الستين » أو « مذبحة الستين » وهى الحادثة التى مثلت أعنف مراحل الصراع والمقاومة بين قوى الاستعمار وأذنابه ومؤيديه وبين الروح الوطنى الطامح الذى توثب - آنذاك - ليحطم الاغلال ، ولينشر الرخاء والامن على ربوع لبنان .

وتوالت بعدئذ قوافل المهاجرين ، وعرفت شواطىء أمريكا السواعد العربية المعروقة التى جاءت من وراء البحار لتستثمر الارض . وتخوض ميادين التجارة ، وتنشىء عالما عربيا تخفق فى أرجائه لغة الضاد .

وليس بوسعنا فى هذا التمهيد الموجز أن نتحدث فى تفصيل عن مراحل الهجرة وكافة ظروفها والاهوال التى عاناها المهاجرون فى رحلاتهم منذ بدايتها حتى منتهاها ، والظروف القاسية التى مرت بهم أول مقامهم فى البلاد التى رحلوا اليها وما الى ذلك من الموضوعات التى قد تحتاج فى ذاتها الى أبحاث خاصة ، ولكن الذى نريد أن نقرره هنا هو أن الهجرة بدأت فى هذه الظروف القاسية التى ذكرناها سابقا وهى الفقر وفقدان الحرية والامن ، ولعل مما يفسر لنا هذا قول « ايليا ابى ماضى » موضحا أسباب الهجرة :

يا شاعرى قل للألى هجرونى
أنا ما نسيتكم فلا تنسونى
ما بالكم طولتم حبل النوى
ياليت هذا الحبل غير متين

قد طفتم الدنيا فهل شاهدتم
جبلا عليه مهابتى وسكونى

لبنان لا تعذل بنيك اذا هم
ركبوا الى العلياء كل سفين
لم يهجروك ملالة ... لكنهم
خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون

لما ولدتهم نسورا .. حلقوا
لا يقنعون من العلا بالدون

والنسر لايرضى السجون وان تكن
ذهبا فكيف محابس من طين
الارض للحشرات تزحف فوقها
والجو للبازى .. والشاهين

وفى نفس هذه التجربة يقول « الشاعر القروى » فى لبنان وقت رحيله عنه :

أبيت جوارها أرضا
بغير الذل لا ترضى

بلاد خسفها أمسى
على أبنائها فرضا

أجس يد الرجاء فلا
أحس بقلبه نبضا

ويقول الشاعر « شكر الله الجر » أيضا فى هذا المعنى نفسه :

ايه لبنان يشهد الله انا ما هجرناك عن قلى وصلابة

انما اصبح المقام بأرض الارز للحر ذلة ... ومعابة

كيف لا يهجر الأبى مكانا ملأ اليأس جوه ورحابه

من هذه الاقوال ومن أمثالها، يتبدى لنا ذلك الروح الذى دفع بالمهاجرين الى تلك المغامرات التى استعذبوا اهوالها عما كانوا يلاقونه على ارض أوطانهم من مهانة وحرمان

وعلى الرغم من ان الهجرة كانت محظورة رسميا ايام السلطة العثمانية كما يقرر ذلك الاستاذ « توفيق ضعون » احد ادباء المهجر فى كتابه « ذكرى الهجرة » فان قرابة مليون من البشر قد رحلوا من الآفاق العربية الى هذا الصعيد الامريكى ، واستطاع نفر كبير منهم أن يحققوا اهدافهم من الهجرة فى توطيد حياة آمنة ناعمة ، كما استطاع الادباء والشعراء — فى رحاب هذه الاجواء الجديدة — ان يجدوا مراحا خصبا لعبقرياتهم الفنية، **فطلعوا على الدنيا بهذا النتاج الرائع العظيم الذى ميز فى ادبنا المعاصر باسم « الادب المهجرى »**

ولقد استطاع الادباء المهاجرون فى رابطتهم القلمية بالشمال ، وعصبتهم الاندلسية بالجنوب ، أن ينشئوا عديدا من الاندية والمجلات والصحف الادبية التى كان لها اكبر الاثر فى دعم النشاط الادبى هناك ، وفى اذكاء روح التنافس فى خلق الوان رائعة من الاعمال الادبية لا تزال تمثل مرحلة من أقوى مراحل النضوج الفنى فى ادبنا الحديث . ومن هذه الصحف والمجلات الادبية صحيفة « كوكب أمريكا » التى انشأها (نجيب عربيل) سنة ١٨٩٢ وصحيفة « الهدى » التى أنشأها « نعوم مكرزل » سنة ١٨٩٨ وصحيفة « مرآة الغرب » التى انشأها « نجيب دياب » سنة ١٨٩٩ ومجلة « الفنون » التى أنشأها «نسيب عريضة ونظمى نسيم» سنة ١٩١٣ ومجلة « السائح » التى انشأها « عبد المسيح » سنة ١٩١٢ . الى غير ذلك من الصحف والمجلات العديدة التى سجلت مراحل النمو الثقافى والادبى لشعراء الهجرة وادبائها .

وبعد : فلقد انقضى قرن من الزمان منذ بداية الهجرة حتى اليوم نزح خلاله من الاقطار العربية ما يقرب من مليون نسمة . عاد منهم من عاد ، وطوى الموت منهم من طوى ، ولكن الحقيقة التى لن تطويها الايام ، ولن يطمس جلاءها **الزمن هى ان الهجرة كانت بكل ما انطوت عليه من خير وشر ، ولذة وألم ، مرحلة انطلاق رائعة الى كثير من ألوان الخلق والتجديد فى الشعر العربى الحديث .**

وأرجو فى نطاق هذه الدراسة الموجزة ان اقوى على جلاء هذه الحقيقة ، وبيان مناحى التجديد المختلفة التى استحق بها شعر المهجر ان يحتل هذه المكانة المتميزة فى أدبنا المعاصر ، وان ينال كل هذه العناية من قبل الباحثين والدارسين .

وفى المقالات المقبلة — ان شاء الله — سنتناول بالدرس المفصل طائفة من الظواهر الجديدة فى شعر المهجر نجلو من خلالها سماته ومقوماته الفنية ونزعاته الانسانية لنؤكد ان الشعر العربى كان — دائما — قوة واعية وطاقة خلاقة تمهد السبيل الى حياة انسانية فاضلة ووجود بشرى قائم على معانى الخير والجمال .

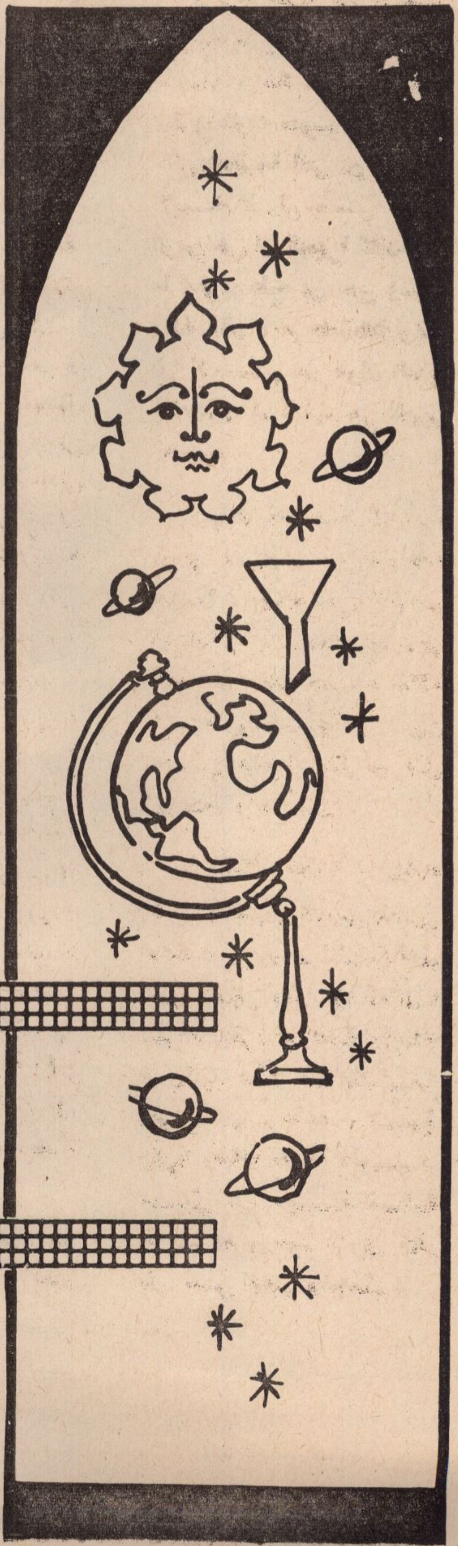

باب العلم

وحدة الحياة

الدكتور عبد الحليم كامل

ليس هناك شك فى أن الأرض كانت يوما ما خالية من الحياة ثم ظهرت الحياة عليها بعد ذلك ، هكذا يحدثنا القرآن الكريم ويحدثنا التاريخ وهناك رأيان أساسيان عن ظهور الحياة على سطح الأرض: يقول أحدهما ان الحياة ابدية نشأت فى عالم آخر ثم انتقلت الى الأرض ويحدثنا الرأى الآخر ان الحياة نشأت على الأرض ولم تنتقل اليها من عالم آخر كما يقول الرأى الأول ·

ويدعى من يعتقد فى الرأى الأول ان الحياة انتقلت من الفراغات الموجودة بين الكواكب على هيئة جراثيم دقيقة مع ذرات الغبار الكونى أو بداخل الأجزاء المتحطمة من الكواكب ·

واذا سلمنا جدلا بصحة هذا الرأى فان هناك من يقول بأن فرصة معيشة الكائنات فى هذه الفراغات قليلة الاحتمال ، وما ذلك الا لوجود الاشعاعات القصيرة جدا والتى تستطيع ان تقضى على الكائنات الحية فى ثوان · هذا بالاضافة الى ان هناك سؤالا أبسط وأسهل — وهو ما يعنينا فعلا فى هذا المجال لم تجب عليه هذه النظرية وهو كيف نشأت الحياة فى هذه الفراغات الموجودة بين الكواكب ·

أما هؤلاء الذين يقولون بأن الحياة نشأت على الأرض ولم تنتقل اليها من عالم آخر ، فمنهم من يقول انها من صنع الله ، ومنهم من يقول ان الحياة نشأت على الأرض من تلقاء نفسها ·· واذا كان هذا يبدو عجيبا فان أعجب منه ما كان يعتقده كثير من علماء العصور الوسطى والقديمة ان الحياة المعقدة من الممكن أن تنشأ ذاتيا وهكذا كانوا يتصورون ويذهب بهم الخيال الى بعيد وبعيد فيقولون مثلا

ان طفيليات الأمعاء تنشأ ذاتيا من الغشاء المخاطى المبطن للامعاء نتيجة لمرض بالجهاز الهضمى .

وكانوا يقولون أيضا ان الديدان المتطفلة والحشرات وغيرها من الحيوانات مثل الفئران ، تتوالد ذاتيا من القاذورات أو السماد .

بل هناك ما هو أعجب من هذا ، فقد كان كتاب العصور الوسطى يؤكدون أن الثعابين غير السامة تتكون فى الأماكن الرطبة من شعر النساء .. أما الثعابين السامة فتنشأ من الأعمدة الفقارية للجثث التى ارتكب أصحابها ذنوبا فى حياتهم .. وهكذا كانوا يفكرون ويعتقدون أن هناك أشجارا للاوز ، وأشجارا للنعاج ، والتى اذا أثمرت هذه الأشجار ووقعت ثمارها على الأرض تحولت هذه الثمار الى أوز أو نعاج .

يا سبحان الله، هكذا كانوا يعتقدون ويخرفون.

ثم كان للعلم الفضل الأكبرفى اثبات خطأ نظرية التوالد الذاتى ، وان الكائنات الحية لا تنشأ من العدم ، بل تنشأ من كائنات حية أخرى ..وقد استطاع ردى ذلك العالم الايطالى أن يثبت أن ذباب اللحم الذى يظهر على اللحوم اذا تركت مدة من الزمن لا ينشأ من اللحم كما كانوا يعتقدون أو كما كانت تقول نظرية التوالد الذاتى . ثم استطاع باستير (١٨٢٢ - ١٨٩٥) بعد ذلك أن يثبت بالدليل القاطع أن الحياة لا تأتى من العدم ، بل تأتى من حياة أخرى ، وانه من الممكن الاحتفاظ بالمواد العضوية بعد تعقيمها الى ما لانهاية دون فساد ودون أن ينمو عليها أى فطر أو بكتريا ، أو أى نوع من الكائنات الحية الدقيقة ، وهنا تتجلى أمام العالم المتفهم لشئون الحياة وأسرارها أن الحياة لا تنشأ من العدم، بل تنشأ من حياة أخرى وانه لا بد وأن يكون هناك خالق لهذا الوجود يحيى ويميت وهو الحى الذى لا يموت .

واذا كان هذا ما استطاع أن يثبته باستير فى القرن الثامن عشر ، فان القرآن الكريم ضرب لنا مثلا حيا قبل ذلك بمئات السنين حيث يحدثنا القرآن الكريم فى سورة البقرة ، فيقول : **« أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير »** .

وهنا يحدثنا القرآن الكريم عن الذى مر على قرية وهى خاوية ساقطة جدرانها على سقوفها فقال كيف يحيى الله هذه القرية بعد دمارها ؟ فيميته الله مائة عام ثم يحييه ويسأله كم لبثت ؟ فيقول لبثت يوما أو بعض يوم ثم يدفع الله الحجة بالحجة فيطلب منه أن ينظر الى طعامه وشرابه ولم يتغير أحدهما بمرور الزمن فلا فطر نما عليهما ، ولا بكتيريا ولا كائنات حية دقيقة أو كبيرة وهكذا استطاعت قدرة الله أن تمنع هذه الكائنات من أن تتكون لتفسد هذا الشراب وهذا الطعام ثم يحدثه عن الحجة الثالثة فيطلب منه أن ينظر الى حماره والى العظام كيف يركب بعضها على البعض ثم يكسوها باللحم ويقول سبحانه وتعالى وما فعلنا ذلك بك الا لتكون آية بينة لقومك فلما تبين له الحق قال أعلم أن الله على كل شىء قدير .

وهكذا أراد - سبحانه وتعالى - أن يضرب مثلا على عدم -صحة نظرية التوالد الذاتى وأن يبين - جلت قدرته - ان الكائنات الحية لا تنشأ من العدم ، وهكذا أبقى عليه وعلى شرابه وطعامه مائة عام دون تغيير أو تبديل أو فساد .

ويقول سبحانه وتعالى « أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » .

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .

ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون » •

« سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » •

وبالرغم من كل هذا فهناك من العلماء من يعتقد بأن الحياة نشأت أول ما نشأت على سطح الأرض نتيجة للتطور التاريخى والتغير المستمر للمواد غير العضوية ، ويقولون ان الأرض كانت ملتهبة فى العصور القديمة تكتنفها البراكين الكثيرة الثائرة كما كان يوجد عنصر الكربون على سطح الأرض ويتميز الكربون بقدرته الكبيرة على الاتحاد مع الذرات فى الجزيئات المعقدة •

ثم أخذت الأرض تبرد تدريجيا وتتكون اليابسة وتتكون البحار فى المنخفضات ، ثم تكونت المركبات العضوية الأولية المحتوية على الكربون ، ثم أخذت جزيئاتها تزداد تدريجيا وتدخل فى تفاعلات مع أوكسيجين الماء مكونة المواد العضوية •

ولقد كان الرأى السائد قديما أن المواد العضوية لا يمكن أن تتكون الا داخل الكائنات الحية

ولكن بتقدم العلوم أصبح من الممكن تمثيل كثير من المواد العضوية المعقدة • ولعل هذا هو السبب الذى جعل الكثير من العلماء يتصورون أنه فى الامكان خلق المادة الحية داخل أنابيب الاختبار •• والحقيقة اذا كان العلم قد استطاع حقا أن يكون كثيرا من المواد العضوية الا أن عنصر الحياة شىء آخر • فالبروتوبلازم معروف تركيبه ، ومن الممكن تحضير مكوناته ، ولكن الانسان عاجز من غير شك عن أن يهب هذه المادة الحياة ، لأن الحياة لاتوهب الا ممن خلق الحياة وأوجد الوجود ، وهو الحى الذى يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير •

ولنستمع لقوله سبحانه وتعالى فى سورة الحج « يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » •

وهنا يحدثنا القرآن الكريم عن الذباب وتكوينه والذى كان منه ذباب اللحم الذى ظنوا أنه يتكون ذاتيا على اللحم والذى دعا العلماء أن يفكروا ويضعوا نظرية الخلق الذاتى •• فيقول لن تستطيعوا أن تخلقوا ذبابا لا أنتم ولا ما تعبدون من دون الله •

ولكن ما لنا نتظر الى الانسان والى الحيوان ، بل تعالوا ننظر الى أصغر ما فى الانسان وما فى الحيوان من وحدات تتكون منها أنسجته وأعضاؤه وهى الخلية الحية والتى يتراوح حجمها بين ١٠ – ١٠٠ ميكرون • تلك الخلية التى بها من المكونات والتنظيم ما لا يمكن أن يكون من صنع الصدفة أو صنع انسان مهما كان ، بل لا بد وأن تكون من صنع قوة عليا مفكرة مدبرة •

فالخلية وهى الوحدة التى منها تتكون الكائنات الحية تختلف فى الحجم اختلافا بينا ، فمنها ما لا تدركه العين المجردة ، ومنها ما تستطيع أن تدركه بل تستطيع اليد أن تلمسه ، وتمسك به كبيض الطيور الذى يعتبر من أكبر الخلايا حجما ووزنا• فبيض النعام على سبيل المثال يتراوح وزنه من ١٠٠ جرام – ١٠٠٠ جرام بينما وزن كرة الدم الحمراء للضفدعة مثلا أو الحيوان المنوى للانسان حوالى ١٠ – ٩ جرام ٠٫٠٠٠٠٠٠٠٠١ جرام

وكما تختلف الخلية فى الوزن تختلف أيضا فى الشكل تبعا لاختلاف الوظيفة التى خلقت لها ، وهذا أيضا ترتيب وتنظيم تدبره وتنظمه القوة العليا التى خلقت وفكرت ودبرت فمن الخلايا ما هو كروى ، ومنها ما هو نحمى ، ومنها ما له فوائد ومنها ما هو مزود بأهداب ومنها ما له القدرة على تغيير شكله •

ويحيط بالخلية غشاء رقيق نصف نفاذ ، ولو أن هذا الغشاء أشد صلابة فى الخلايا النباتية اذ يتكون من السليولوز • وجدار الخلية هذا جزء حى

معجز حقا فهو يقوم بحماية الخلية مما قد تتعرض له من بيئتها الخارجية كما يقوم بتنظيم محتويات الخلية ، فعن طريقه تدخل المواد الغذائية وتخرج الفضلات والافرازات ، ولا بد أن يمر كليهما عن طريق هذا الجدار الذى يسمح بمرور ما يريد ، ويمنع من المرور مالا يريد ٠٠ ولهذا نجد به العديد من الفتحات الدقيقة التى يتصل عن طريقها سيتو بلازم الخلية بسيتوبلازم الخلايا الأخرى المجاورة لها ويمكننا أن نقول دون مبالغة ان حيوية الخلية وما يحدث فيها من تغيرات كيموية وكهربية ، وفيزيائية وحرارية ، معجز حقا لم يستطع العلماء له قياسا كما عجزوا عن أن يجدوا له تفسيرا ٠

ويملأ الخلية السيتوبلازم أو المادة الحية والتى يمكن أن نميز فيها العديد من المكونات ذات التركيب الحبيبى ، ولقد كان الفضل للميكروسكوب الألكترونى ، وكذلك التحاليل الكيميائية الدقيقة فى معرفة التركيب التفصيلى لهذه المادة ٠

وينتشر فى الستوبلازم هذا مختلف أعضاء الخلية وأهم هذه الأعضاء ما يسمى بالنواة التى غالبا ما تكون كروية الشكل أو بيضاوية ، أو قد تأخذ أشكالا أخرى ٠

وتحتوى الخلية عادة على نواة واحدة ولو أن من الخلايا ما يحتوى على أكثر من نواة، كما ان منها ما لا يحتوى على نواة ككرات الدم الحمراء فى الثدييات التى تفقد نواتها أثناء عملية النضج فتصبح عديمة النواة أو هكذا تبدو ٠

وتقوم هذه النواة بتنظيم العمليات الحيوية فى الخلية وتدل التجارب على ان الخلية تموت اذا فقدت نواتها ، وقد أمكن اثبات هذا فى الحيوان الوحيد الخلية المسمى بالأميبا التى اذا انشطر جسمها شطرين يحتوى أحدهما على النواة، كانت النتيجة ان هذا الجزء يحيا ويعيش ، بينما الجزء الآخر يفنى ويموت

ومن أمثال هذه التجارب يتضح أن النواة لازمة لحياة الخلية كما انها لازمة لقيامها بوظائفها الحيوية فهى تقوم بافراز مواد عدة تنتشر فى السيتوبلازم ٠

وكثيرا ما نشاهد فى الكائنات وحيدة الخلية النواة وهى تتجول فى انحاء الخلية حتى أنه ليقال انها انما تفعل هذا لتباشر عن كثب أوجه النشاط المختلفة فى مملكتها الصغيرة فى أى وقت من الأوقات ٠

واذا فحصت النواة مجهريا رؤى بداخلها نوية أو عدة نويات مطمورة فى الجزء السائل من النواة وتستطيع هذه النويات أن تغير شكلها كما انها قد تختفى تماما أو تظهر مرة ثانية ٠

وأثناء عملية الانقسام تتحول محتويات النواة الى خيوط طويلة تسمى بالكروموسومات ، والتى يختلف عددها تبعا لنوع الحيوان ، وتحمل هذه الكروموسومات الجينات المختلفة التى تحمل الصفات المختلفة ٠٠ واذا كان تركيب الكروموسومات قد عرف انه من مادة تسمى ديزوكسى ريبونيكليك ، فان تركيب الجينات قد عرف أيضا وأصبح من الممكن التلاعب فى ترتيبها حتى تنتج صفات مختلفة ٠ وتتحكم هذه الجينات فى عمليات الأيض كما انها ترسم طريقة عمل الأنزيمات المختلفة فى الخلية ٠

وقد استطاع الميكروسكوب الألكترونى أن يبين أن للنواة غلاف مزدوج رقيق جدا يحيط بها ، كما توجد به مسام ميكروسكوبية دقيقة جدا ٠

ويحتوى السيتوبلازم أيضا على ما يسمى بالميتاكوندريا أو السبحيات ، وهى أجسام كروية أو عضوية أو شريطية متحركة بالغة الدقة ، وتقوم هذه السبحيات بالدور الرئيسى فى العمليات الحيوية الهامة بالخلية وهى غنية بالأنزيمات التى قد يزيد عددها عن السبعين ومنها الأنزيمات التى تقوم بعملية الأكسدة والتى يتم عن طريقها تنفس الخلية ٠ كما ان منها مجموعة أخرى تقوم بعمليات

التمثيل فى الخلية ، ومن ثم فان هذه السبحيات بوجه عام هى العامل الرئيسى التى تعتمد عليه الخلية فى عملية الأيض •

وهذه السبحيات شديدة الحساسية للمخدرات المختلفة ولذلك فان أى حدث خارجى ضار يؤثر تأثيرا مباشرا على هذه السبحيات وما فيها من أنزيمات •

وفى الخلية أيضا ما يظهر كشبكة حبيبية أو شريطية أو عضوية مكونة ما يسمى بجهاز جولجى ويوجد هذا فى كل الخلايا الخاصة ماعدا الحيوانات المنوية والكريات الدموية الحمراء ، ومن المعتقد أن هذا الجهاز يلعب دورا هاما فى النشاط الافرازى للخلية الحيوانية، ومنها افراز الهرمونات وافراز كثير من الأنزيمات كما انه يشترك فى افراز فيتامين جـ •

وبالخلية أيضا فجوات هى عبارة عن فقاقيع مملوءة بالسائل الخلوى وتقوم هذه الفجوات فى الحيوانات وحيدة الخلية بوظيفة الهضم للمواد الغذائية وعندئذ تسمى بالفجوات الهضمية وتقوم هذه الفجوات عموما بتنظيم تركيز الاملاح المعدنية كما تؤدى وظائف الاخراج كما هو الحال فى البراميسيوم عندئذ لا تسمى هذه الفجوات بالفجوات الهضمية بل تسمى بالفجوات المنقبضة •

كما يوجد بالسيتوبلازم أيضا حبيبات رقيقة تنتشر فى أنحائه تسمى الريبوسومات، وهى عبارة عن حامض الريبونيكليك ، ومواد بروتينية أخرى وتقوم هذه الحبيبات بدور كبير فى عملية تمثيل المواد البروتينية •

كما تحتوى الخلية على كميات ضخمة من الأنزيمات يصل تعدادها الى الآلاف وهى اما ذائبة أو منتشرة أو موجودة فى جسيمات تسمى بالليزوزومات وهذه الانزيمات لها أهميتها فى كل من عمليتى الهدم والبناء •

وتحتوى أغلب الخلايا النباتية على البلاستيدات التى لها القدرة على النمو والانقسام أيضا وتوجد منها أنواع البلاستيدات الخضراء التى تحتوى على الكلوروفيل والبلاستيدات عديمة اللون ، والبلاستيدات الملونة والتى تحتوى على الأصباغ النباتية ذات الألوان المختلفة التى تشاهد فى أوراق الأزهار والثمار وغيرها •

وبالخلية عضو هام آخر له أهميته فى تكاثر الخلايا وهو ما يسمى بالسنتروزوم أو الجسم المركزى ويتكون من جسمين فى شكل كروى أو عضوى ، ويتجه أثناء الانقسام كل من هذين الجسمين الى أحد القطبين ويتكون بينهما ما يسمى بمغزل الانقسام وهو عبارة عن خيوط ممتدة تقوم بجذب الكروموسومات بعد انشطارها الى قطبى الخلية •

ويوجد بالخلية أيضا مواد معدنية وعضوية مختلفة تظهر فى شكل حبيبات أو بللورات عبارة عن مواد غذائية مختزنة أو هى نواتج ما يتبقى من عمليات التمثيل بالخلية •

تلك هى الخلية باختصار والتى كما يقال يتكون جسم الواحد منها من عدد من الخلايا قد يكون ٣٥٠ بليونا أو يزيد •• وسبحانه وتعالى : **« الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين »** •

وللخلايا الحية ميل ورغبة فى النمو والا لما كانت هناك حاجة الى التكاثر ، ولبقيت كما هى دون تغيير • ولعل حاجة الخلايا الى ادخال المواد الخارجية الى أجسامها حبا فى البقاء ورغبة فى الحياة قد أدى الى امتصاص كميات تزيد عما تحتاج اليه وذلك طبعا تأمينا لسلامها وحياتها ، ولكن بدلا من أن تتصرف هذه الخلايا فيما يفيض ، تعمد الى أن تنقسم الى قسمين ، وهى انما تفعل هذا على أساس كمى وثيق، فكل من الخليتين الجديدتين تنال نصف مكونات الخلية الأم تماما وهكذا تصبح الخلية الجديدة صورة مطابقة لصورة الأم غير انها

أصغر حجما ، ثم تنمو هذه الخلية وتنقسم وهكذا ولعل هذا هو أساس التكوين أو بداية التكاثر •

وقدرة الخلية على الانقسام هو سر من أسرار الطبيعة ، فالجنين عبارة عن اتحاد خليتين مستقلتين أحدهما من الأم والأخرى من الأب وهما البويضة والحيوان المنوى ، وعندما يتحدان يتكون الزيجوت الذى له القدرة على الانقسام ليعطى خلايا مختلفة تنتظم فى أنسجة وتنتظم الأنسجة فى أعضاء ، وتكون الأعضاء كائنا حيا جديدا •

والزيجوت كتاب مغلق يضم بين صفحاته تاريخا

كاملا لكائن حى فاذا فتحنا الغلاف أو اذا شئنا أن نقول دخلنا الى داخل الخلية وجدنا صفحات مكتوبة على الكروموسومات سطورها الجينات ، واذا استطعنا أن نقرأ ما تحكيه السطور لقرأنا لون العيون وشكلها وطول الكائن الحى أو قصره ، ولون الشعر وتقاسيم الوجه ، وهكذا تحكى هذه السطور قصة كاملة لما سيكون عليه هذا الجنين من مظهر وما يكون له من صفات جمعها من الأم ومن الأب على حد سواء •

هذا عالم الخلية باختصار ، وهو عالم كبير رغم صغر حجمه وقد وصل العلم الى دراسة هذه المكونات وغيرها على مستوى الجزئيات ، وقد أتاحت وستتيح هذه الدراسات الوصول الى معرفة الكثير من أسرار العمليات الحيوية التى تقوم بها

الخلية الواحدة ولكن لا تزال هناك أسرار غامضة لم يستطع العلم بعد معرفة كنهها •

وهناك سؤال يحتار فيه العلم ويحتار فيه العلماء ، وهو هل نستطيع أن نصل الى سر الحياة وقد عرفنا انها عبارة عن مجموعة من العمليات الحية ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا• وهل يستطيع الانسان فى يوم ما أن يقوم بصنع هذه العمليات وربطها بعضها ببعض فى وحدة خلوية واحدة لا يبلغ حجمها عدة ميكرونات ، وهل ستحقق هذه المعجزة ويصنع الكائن الحى ممثلا فى خليته

لقد أجريت تجارب خطيرة فى هذا الاتجاه ، وقد استطاع بعض العلماء من دراستهم على الفيروسات أن يكونوا فيروسات ، وكانت مادتهم الخام فيروسات أخرى أى انهم لم ياتو بجديد •• والسؤال الآن هل هذه الفيروسات كائنات حية، أم لا ••؟ والاجابة سواء أكانت بالنفى أو الايجاب ، فان الفيروسات المصنوعة قد صنعت من مادة فيروسات أخرى فكانه ليس هناك خلق جديد اذ لم تصنع هذه الكائنات من مواد خام صنعت هى الأخرى بيد البشر •

ولكى يتضح الأمر نستطيع أن نقول ان الفيروسات عبارة عن أحد الصور الأولية لوجود الأجسام البروتينية فهى وسط بين الكائنات الحية والمواد الغير حية • فهى لا تتكون من خلايا وليس لها نواة وليس بها سيتوبلازم ، ولا ما به من أعضاء ولا يمكنها أن تتكاثر خارج الكائن الحى الذى تصيبه• أما اذا دخلت هذه الفيروسات خلايا كائنا حيا فانها تتكاثر وتنقل الصفات الوراثية الخاصة بها الى جيلها الجديد وهذا ما يجعلها قريبة من الكائنات الحية •

وقد أمكن الحصول على بعض الفيروسات فى صورة بللورات من النوكليوبروتيد ، حيث انها عبارة عن اتحاد بين البروتين والأحماض النووية، ويمكن اذابة هذه البللورات مرة أخرى ثم ترسيبها واعادة تبلورها دون أن تفقد الصفات الحيوية التى تخصها •

وانى أوقن أن الوصول الى القمر أو الى أى كوكب آخر أقرب بكثير من الوصول الى خلق خلية حية وذلك نتيجة لحقائق علمية بيولوجية ثابتة • فاذا استطعنا أن نخلق المادة العضوية فكيف نبث فيها روح العمل البيولوجى ونعطيها نفحة الحياة •• تلك القدرة التى ينفرد بها سبحانه وتعالى ، فهو الخالق والمصور والمدبر وسبحانه وتعالى القائل : « **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » •

"دلائل الحق فى عظمة الوجود"

الأجرام السماوية شبيهة النجوم

الدكتور عزت محمد خيرى

تموج السماء بالكواكب والنجوم والنيازك والشهب تأتلف فى مجرات وبروج وتنتظم فى مجموعات ومواقع من فوق الارض ويشهد الجميع على قدرة الخالق وعظمة الموجد وجلال الحافظ ، بديع السماوات والأرض العزيز المتعال

« ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء » - (١٨) - سوره الحج

وقد دأب العلم على استجلاء خفايا الكون والتعرف على مكوناته وخصائص اجرامه بمختلف الوسائل المتاحة ، ويمتد باب المعرفة فى هذا الميدان الفسيح الى ماغير حدود فتتوالى الاكتشافات وتتنوع المعلومات ، وتتراكم المشاهدات وتظهر البينات ، ومازال مانعلم أقل مما لانعلم ، ولاغرو فان الكون شاسع والخير واسع والفضل غامر ، والخالق عليم خبير عزيز مفضال يقول تعالى:

« ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم - ١١ ، ١٢ من سورة فصلت •

هذا وقد عرضنا فى مقالات سابقة للحديث عن الكون وانتظام مكوناته ، وعن تمدد الكون ، وعن الطاقات والاشعاعات الصادرة منه وعنه ،

وعن الشمس والقمر ونورد في هذا المقال بعض ما توصل اليه العلم من اكتشاف اجرام جديدة لم تكن معروفة من قبل تحمل ملامح وخواص تجعلها شبيهة بالنجوم وان كانت تختلف عنها فى بعض الخصائص الاخرى من حيث المواقع والطاقات والاشعاعات ، وقد أطلق على هذه الاجرام اسم « اشباه النجوم » وقد بدأ التعرف على هذه الاجرام بصفة قاطعة فى أوائل الستينيات من هذا القرن

وفى عام ١٩٦٠ أعلن العالم الفلكى الامريكى سانديج ٠

انه قد لاحظ على اللوح الفوتوغرافى للمطياف الذى يستخدمه فى رصد الاجرام السماوية ، ظهور ما يشك أنه يشبه النجم فى نفس الموضع الذى يقع عنده مصدر الاشعاع القوى المسمى بالمصدر رقم ٣ ج ٤٨

ومثل هذه المصادر المشعة تكون فى الغالب اما مجرات خارج مجرتنا أو امتدادات لغازات شديدة الحرارة فى مجرتنا ، ولكن الطيف الناشىء عن هذا الجرم ثبت انه لا ينطبق على مايصدر عن أى نجم معروف وقد اكتشف مصدر اشعاع آخر فى اوائل عام ١٩٦٣ سمى ٣ ج ٢٧٣ ، مصاحبا بظهور جرم يشبه النجم أشد اضاءة من الجسم الذى لاحظه سانديج وقد اكتشف الجرم الجديد الفلكى الاسترالى هازارد

وقد تتابعت القياسات والدراسات على هذا المصدر واكتشف العالم الامريكى شميدت أن طيفه يحتوى على خطوط ضعيفة الاضاءة يمكن أن تكون منطبقة تماما على خطوط مجموعة بالمر الخاصة بالهيدروجين لو أنها أزيحت فى اتجاه الطيف الاحمر بنسبة ١٦ فى المائة - وتسمى هذه بالازاحة الحمراء وعلى نفس النمط أمكن لهذا العالم التعرف على خطوط طيف المغنسيوم والاكسجين صادرة عن هذا المصدر وقد أدى ذلك الكشف الى اعادة فحص طيف المصدر الاول - ٣ ج ٤٨ ، وتبين أن خطوط طيفه مزاحة ازاحة حمراء تبلغ حوالى ٣٧ فى المائة ومنذ هذا التاريخ (١٩٦٣) توالت الاكتشافات بالنسبة لاشباه النجوم حتى أننا قد تعرفنا الان على مايزيد على مائة وعشرين جرما ، أمكن تحديد الازاحات الحمراء لنيف وخمسة وستين جرما منها ٠

وقد تبين أن أشباه النجوم تصدر اشعاعات تقع فى مجال الأشعة فوق البنفسجية ، مما حدا بكثير من العلماء الى محاولة التعرف على تلك الاجرام التى تصدر عنها دفعات قوية من هذه الأشعة وبالتالى اكتشاف المزيد من أشباه النجوم وذلك عن طريق التثبت من وجود ازاحات حمراء فى أطيافها المرئية هذا وهناك من الدلائل مايشير بصفة تدريبية أنه يوجد من أشباه النجوم غير المشعة مائة ضعف لتلك التى تتميز بخاصية الاشعاع القوى ، وعلى هذا الاساس يقدر عدد هذه الأجرام فى السماء بحوالى ٤٠ ألف شبيه نجم ، الا أنه لم يتم حتى الان اكتشاف الا حوالى ١٢٠ جرم منها ، وما يتبقى سواء كان أقل أو أكثر عددا مما يقدرون مازال فى علم الله وعلى العلم أن يجد من الوسائل مايعين على استقصائه والتصرف على المزيد من خواصه ، يقول تعالى :

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » - (٦) - سورة ق

« وما من غائبة فى السماء والأرض الا فى كتاب مبين » - (٧٥) - من سورة النمل

وان اكتشاف أشباه النجوم قد أدى الى كثير من التساؤلات ومن ثم الى العديد من الدراسات والنظريات والتفسيرات عن كنه هذه الأجرام وتكوينها وقد دلت الازاحات الحمراء الكبيرة التى ظهرت فى اطياف هذه الأجرام - وهى تزداد بزيادة بعد الجرم عن الأرض - على وجود أحد احتمالين يفسران بعض خصائصها وهما اما أن تكون هذه الأجرام متباعدة عن الأرض بسرعات كبيرة على غرار التمدد الحادث بالنسبة للمجرات - أو يكون الضوء الصادر عنها قد مر بعد اشعاعه خلال مجالات جاذبية أشد قوة بتفاوت ظاهر عن أية جاذبية معروفة ، الأمر الذى يؤدى الى الازاحة المشاهدة نتيجة للجهد الذى تبذله الاشعة للتغلب على مجالات الجذب المتعرضة لها كما تقضى بذلك النظرية النسبية ويرجح العلماء الاحتمال الأول كسبب للازاحة الحمراء المشاهدة دون الاحتمال

الثانى حيث أن المشاهدات العملية تدل على أن كثافة هذه الأجرام التى تقدر بحوالى عشرة آلاف الى عشرة ملايين وحدة فى السنتيمتر المكعب - أقل بكثير عنها لو ان مجالات الجاذبية المحيطة بها كانت من القوة بما يتناسب مع الازاحة الحمراء وان هذه الاستنتاجات المؤيدة بالنتائج التجريبية انما تدل على ماسبق التدليل عليه من ان الكون يتمدد بحيث تتباعد مجراته عن بعضها البعض وعن الأرض فى مختلف الاتجاهات بسرعات متساوية تقريبا ، الأمر الذى يحفظ على الكون توازنه سبحان الله الذى يقول فى كتابه الحكيم

« والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » آية (٤٧) من سورة الذاريات

« الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان » الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ - من سورة الرحمن

وتأسيسا على ماتقدم فقد بات مؤكدا أن بعض أشباه النجوم - ذوات الازاحات الحمراء الكبيرة - تقع على مسافات بعيدة جدا بالنسبة للوقت والموقع أكثر بعدا من أقل المجرات اضاءة أى من أبعدها عن الأرض ويدل ذلك على أن أشباه النجوم لها اضاءة غير عادية بحيث يصل ضوؤها الى الأرض مع شدة بعدها عنها مماثلا فى شدة استضاءته لابعد النجوم فى مجرتنا والمرجح أن الجزء الأكبر من هذه الاجرام يقع على مسافات أبعد كثيرا عن الشمس ، كما رأتها تشع ضوء تبلغ طاقته ٤٠ ضعفا لاشد المجرات اضاءة ، ويدل على عظم هذه الكمية الضوئية أن المجرة الكبيرة تحتوى على مايقرب من ١٠٠ بليون نجم ، يقول تعالى :

« فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٥ ، ٧٦) من سورة الواقعة »

وان النظرية القائلة باحتمال أن بعض هذه الاجرام كانت أصلا واقعة فى مجرتنا ثم حدث انفجار هائل فى مركز المجرة أدى الى دفع هذه الجسيمات الى هذه المسافات المتناهية البعد ، وان كانت تقصر أبعاد اشباه النجوم الى عشرات الملايين من السنوات الضوئية بدلا من بلايين السنين طبقا لنظرية الوجود الكونى لها خارج مجرتنا وتشير الى شدة اضاءة أقل كثيرا مما تشير اليه النظرية الاخيرة الا أن ذلك جميعا يؤكد حقيقة هامة مؤداها ان اشباه النجوم على أبعاد كبيرة جدا من الارض ولها من خواص الاشعاع الضوئى ماينبى عن احتوائها على مقادير هائلة من الطاقة

وفى ختام هذا المقال نأتى فى عجالة على بعض النظريات التى تتعلق بتكوين هذه الاجرام ومقارنتها بالنجوم وبالمجرات المشعة وقد اتفقت الآراء جميعا - على اختلاف وجهات النظر فيما لو كانت أشباه النجوم اجراما كونية أصلا أم منطلقة من مجرتنا على أن اشباه النجوم جسيمات صغيرة الحجم ولكنها شديدة الكثافة جدا ، كما أنها متناهية البعد قوية الاضاءة وهناك رأى يقول بأن هذه الجسيمات نتجت عن انفجارات فى مجرات كونية غير مجرة الأرض، فانتشرت فى الفضاء على هيئة سحب من الجسيمات تسير بسرعات كبيرة وتشع مقادير هائلة من الضوء ويقدر لحدوث مثل هذه الانفجارات ان يتوفر لكل منها مقادير من الطاقة تقع فى مدى يعادل تقريبا عشرة مرفوعة الى الأسس اثنتين وستين ١٠/٦٢ من الارجات ، كما يستلزم ذلك أن يكون الاشعاع الصادر عن هذه الانفجارات فى دفعات متماسكة بحيث يمكن ان يزود كل من هذه الاجرام بالطاقة اللازمة لاكسابه مثل هذه السرعات الضخمة ولم يتوصل العلم حتى الان الى كيفية امكان ذلك وطريقة حدوثه - ولاأظنه واصلا لها الافى حدود الترجيح والتخمين فعلمها الحقيقى يتمثل فى قدرة الخالق العظيم قدرة أن كن فيكون

« وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير » - ٧٣) - من سورة الانعام

الخلفاء الراشدون
وأعلام الإسلام

رويفع ابن ثابت الأنصاري فاتح جزيرة جربة التونسية

اللواء محمود شيت خطاب

في مدينة (البيضاء) عاصمة ليبيا ومقر الجامعة الاسلامية ، يرقد (سيدى رافع) كما يسميه أهل تلك المدينة وأهل ليبيا فى مسجد من مساجد مدينة السياسة والعلم : البيضاء ٠

فمن هو (سيدى رافع) ؟

هو رويفع بن ثابت بن سكن بن عدى بن حارثة الأنصارى من بنى مالك بن النجار ٠

وبنو النجار هم أخوال النبى صلى الله عليه وسلم كما هو معروف ، وبنو النجار هم أقدم أهل المدينة المنورة اسلاما وأكثرهم جهادا فى سبيل اعلاء كلمة الله فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم ٠

ولد رويفع فى المدينة المنورة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فهو صحابى جليل ولكننا لانعرف متى كان مولده ولا عن جهاده تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام والظاهر أنه كان صغيرا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من التابعين ٠

لقد نال رويفع شرف الصحبة وهو شرف عظيم ، ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ٠

جهاده

كانت أرض الشام : فلسطين وسورية والأردن ولبنان ، ميدان جهاد رويفع ٠

فلما أنجز المسلمون فتح بلاد الشام ؛ جاهد رويفع تحت لواء عمرو بن العاص لفتح مصر والنوبة وليبيا ، فامتد الفتح الاسلامى حتى طرابلس الغرب ٠

كما شهد معارك الفتح الاسلامى التى خاضها عبد الله بن سعد بن أبى سرح لفتح تونس ٠

كما شهد معارك الفتح الاسلامى التى خاضها معاويه بن حديج السكونى لفتح تونس وشطرا من الجزائر ٠

وفى سنه خمس وأربعين الهجرية ، غزا معاوية بن حديج السكونى ليبيا الغربية ، فاستعاد فتح (طرابلس) الغرب وترك فيها رويفع بن ثابت واليا عليها سنة ست واربعين الهجرية ،فغزا منها (تونس) ودخلها سنة سبع وأربعين الهجرية وفتح

جزيرة (جربة) التى كان يسكنها البربر ، ثم انصرف من عامه الى (طرابلس) مقر عمله ٠

الانسان

كان رويفع صحابيا جليلا ، لانعلم أنه شارك فى الفتنة الكبرى بين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبى سفيان بقلبه أو بلسانه أو بسيفه ، بل مكث مستقرا فى مصر وفى ليبيا حتى انكشفت الغمة وعادت الوحدة الشاملة الى المسلمين

سكن رويفع مصر بعد فتحها واختط بها دارا ، وقد ولاه معاوية بن حديج السكونى أيام معاوية بن أبى سفيان طرابلس الغرب سنة ست وأربعين الهجرية ٠ وتولى (برقة) لمسلمة بن مخلد حتى مات بها وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد سنة ست وخمسين الهجرية (٦٧٦) م ، وقبره بها مشهور فى الجبل الأخضر ببرقة فى مدينة البيضاء ، وهو آخر من توفى من الصحابة فى ليبيا ٠

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية أحاديث وكان فقيها من أصحاب الفتيا من الصحابة الكرام عليهم رضوان الله ، وكان خطيبا مفوها ٠

وكان اداريا حازما ،قويا أمينا ، صادقاوفيا، عادلا مستقيما ؛ كريما سخيا ٠

ولا نعرف أنه أثرى من الغنائم أو من منصبه ، فعاش فقيرا ومات فقيرا دون أن يترك دينارا ولا دارا ٠

لقد سخر رويفع نفسه للمصلحة العامة ، ولم يسخر المصلحة العامة لنفسه ٠

القائد

بذل رويفع قصارى جهده مجاهدا فى سبيل الله فى ميادين أرض الشام ومصر وليبيا وتونس والجزائر ٠

وقد شهد معارك كثيرة : برية وبحرية ، فقد سار بجيشه بحرا الى جزيرة (جربة) وفتحها وقضى على فساد أهلها الذين كانوا يفسدون فى البر والبحر فنشر فيهم الدين الحنيف واللغة العربية وضمهم الى البربر المسلمين ٠

لقد كان سلاح رويفع فى حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره والاستعانة به والتوكل عليه والفزع اليه وسؤلته النصر والتأييد والسلامة والظفر

وكان يسوس رجاله سياسة حكيمة قوامها المحبة المتبادلة والهيبة منهم له والمحبة من بعضهم لبعض : يتفقد من أمور أصحابه جميع مايعود نفعه عليهم ؛ ويستزيد محسنهم بالتكرمة ، ويجعل عامة أصحابه فى لين الكلمة بمنزلة الخاصة من غير أن ينقص أحدا من ذوى البلاء حقه وثوابه ٠

وكان شجاعا مقداما ، كامل العقل طويل التجربة بعيد الصوت مأمون النقيبة ، بصيرا بتدبير الحرب ومواضعها ؛ حسن التعبئة لأصحابه ، حسن السيرة عفيفا صارما حذرا يقظا ٠

وكان صحيح القرار سريعه ، يتحمل المسئولية ولا يتنصل منها ويلقى تبعاتها على الاخرين ، قوى الشخصية نافذ الكلمة ، له ماض ناصع مجيد ٠

رويفع فى التاريخ

يذكر التاريخ لرويفع أنه قضى حياته المباركة مجاهدا واداريا ؛ فرافق أعلام الفتح الاسلامى من مبدأ سيرها من قاعدة الاسلام المدينة المنورة الى أرض الشام وصاحبها الى مستقرها فى المغرب العربى ، فاستقر فيها الى الابد ٠

ويذكر له أنه كان من الدعاة الأوائل الذين نشروا الاسلام دينا والعربية لغة فى أرض الشام ومصر وليبيا وتونس والجزائر ٠

ويذكر له أنه فتح جزيرة (جربة) ونشر الاسلام فى ربوعها والعربية بين أبنائها ٠

ويذكر له أنه مات بعيدا عن أهله ، فاستقر جسده الطاهر فى سفوح الجبل الأخضر الأشم فى مدينة (البيضاء) ، حيث لايزال أهلها يذكرونه بكثير من التقدير والاجلال ٠

انه نسى نفسه من أجل عقيدته والمصلحة العامة العليا ؛ فأدى الأمانة وحمل الدعوة ونشر رايات الاسلام ٠

رضى الله عن الصحابى الجليل ، المحدث الفقيه التقى النقى ، الفارس البطل ؛ الادارى الحازم ، القائد الفاتح ، رويفع بن ثابت الأنصارى البخارى ٠

ابن تيمية

تأليف الدكتور محمد يوسف موسى

عرض وتلخيص
عبد الودود محمد طه

من ذلك الشيخ الذى حمل مشعل النور فى عصر الظـلام فأشرقت الأرض بنور ربها ..؟!

من ذاك الذى جدد شباب أمته بعدما أصابها من الاحداث من ذاك الذى سيطر على دفة السفينة وشراعها بعد أن أوشكت على الغرق .. فساهم مع المخلصين من أبناء امتـــه على الوصول بالسفينة الى بر الامان والسلام :

انه الفقيه المحدث أحمد بن تيمية أحد زعماء الاصلاح الذى كان كأنما ينطبق عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

« يبعث الله على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجـدد شبابها »

* * *

وفى مقالنا هذا سنعرض لحياة هذا الشيخ الجليل من خلال كتاب الدكتور محمد يوسف موسى . بصفة هذه الشخصية الفذة شخصية نموذجية توفرت لها كل أسباب الخلود فكرا وجهادا .. وتأثيرا فى أمته .. وما أقل النوابغ فى أممهم ..!!

والاستاذ المؤلف قد قسم كتابه الى قسمين :

القسم : يحوى ثلاثة أبواب : هى المقـدمة : ثم عصر ابن تيمية وحياته وجهاده

القسم الثانى :

يحتوى كذلك على ثلاثة أبواب : آراؤه ومنهـاجه العلمى ونظرته للحياة والمجتمع :

فالكاتب يصور فترة حياة ابن تيمية : بأن عصره قد تضافرت عليه عدة عوامل نوجزها نحن :

لم يمر عصر من العصور الاسلامية بفترة تشابه هذه الفتـرة أشد قسوة وضراوة من عصر ابن تيمية

فأولا : الانحلال والتفكك الداخلى الذى أصـاب الدولة العباسية من الداخل حتى اننا نرى أحد وزراء الدولة العباسية يساعد التتار فى غزو بغداد .!! وكيف تصبح الدولة دويلات متنافسة متناحرة وكيف يعم الظلم والخراب ..!!

ويصور فيه المؤلف : الغزو الصليبى للعالم الاسلامى والمد الصليبى الاستعمارى وهو يحاول اجتياح العالم الاسلامى كالاعصار المدمر من أقصاه الى أقصاه

والعامل الثالث :

أثناء محاولة العالم الأسلامى وقف الاعصار الصـليبى فى أضيق نطاق .. اذ بزلزال عنيف يصيب الامة الاسلامية ويهزها هزا عنيفا يكاد يأتى على الاخضر واليابس فيها .. وينقل المؤلف صورة لهذه الصورة المفزعة من كتاب ابن الاثير اذ يقول « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة .. كارها لذكرها أكاد أقدم رجلا وأؤخر أخرى فمن الذى يسهل عليه نعى الاسلام والمسلمين ..!؟

ثم يقول :

« ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتل بمثلها .. فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها .. ولا مايدانيها .»

عاصر ابن تيمية هذه الفترة الرهيبة وكان عصره وقدره ..!!

ولكن كم تكن المحن مصانع للرجال .. وكم تكون النار تنقيـة للمعادن الاصيلة من الأوشاب ..!! رغم آلام حرقها وشـدة صهرها ..؟؟

فكيف لا يكون ابن تيمية قدر أمة ومصيرها فهو معـدن أصيل ..! وقد نشأ فى أسرة كلها منابت للعلم ومغارس للافكار السليمة .. فأبوه شهاب الدين احمد بن تيمية له باع طويل فى العوم .. وجده شيخ الاسلام مجد الدين أبو البركات فقيـه محدث ومفسر أصولى وصفه ابن تيمية قائلا :

كان جدنا عجبـا فى حفظ الاحاديث وسردها وحفظ مذاهب الناس بلا كلفة .

ففى هذه الأسرة الكريمة ولد ابن تيمية سنة ٦٦١ هـ فى هذه الارومة الطيبة وهذه الكرمة الوارفة التى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها . والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ..

وهـل ينبت الخطى الا وشـيجه
وتغرس الا فى منـابتها النخل

ثم يصور الكاتب بعد ذلك انتقال ابن تيمية مع أبيه الى دمشق أثناء الغزو التترى فيقول .. فأخذ الدرس وحفظ القرآن

الكريم وأصبح أعجوبة عصر ومتفرد زمانه وعهده .. وحيث يصدق أن يقال :

« ان كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث »

ويأتى الكاتب بنصوص كثيرة لمعاصريه تبين مكانة ابن تيمية فى زمانه وعهده ولنترك أحد خصومه الالداء يقول رأيه فيه وهو كمال الدين الزملكانى :

كان اذا سئل عن فن من الفنون ظن الرائى والسامع أنه لايعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحدا لايعرف مثله وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا فى سائر مذاهبهم منه مالم يكونوا يعرفونه قبل ذلك .

بل يقول فيه شعرا تجتزىء هنا بعض أبيات منه

ماذا يقول الواصفون له :

وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة

هو بيننا أعجوبة الدهر
وآية فى الخلق ظاهرة

أنواره أربت عن الفجر

ويجتزىء الكاتب نصوصا كثيرة تبين مكانته فى التفسير مثلا .. يقول ابن الوردى :

«أما التفسير فسلم اليهوله فى استحضار الآيات للاستدلال بها قوة عجيبة ولفرط امامته فى التفسير وعظمة اطلاعه بين خطأ كثير من أقوال المفسرين ويكتب فى اليوم والليلة من التفسير أو من الرد على الفلاسفة الاوائل أربعة كراريس »

ومن الذين أرخوا لابن تيمية من معاصريه وتلاميذه منهم :

ابن الوردى فى تاريخه .

والحافظ الذهبى فى كتبه العديدة .

وابن الألوسى فى « جلاء العينين »

وابن العماد الحنبلى فى « شذرات الذهب »

وصلاح الدين بن شاكر فى « فوات الوفيات » وابن كثير فى تاريخه .

جهاده

يفسر الكاتب بعض الصفحات فى كتابه معرفا بجهاد ابن تيمية والواقع أن ابن تيمية كان قولا وعملا يساهم فى اصلاح أمته ما استطاع لا يريد منهم جزاء ولا شكورا . فهو لا يعيش فى قوقعة العلم يسجله فى صفحات كتبه وأذهان تلاميذه

ولكنه حين تصاب أمته بالغزو التترى كان ايجابيا يساهم فى أحداث عصره فيعلن الجهاد ضد الغزاة المعتدين وان الجهاد قد أصبح فرض عين على كل قادر وتلتف حوله الجماهير تطالب بالمزيد . فكان على رأس السفارة الخالدة التى وفدت الى مصر لتوحيد جيش مصر والشام ضد الخطر الزاحف فينجح فى هذه السفارة

فى ميدان القتال

رحم الله ابن تيمية كان يستلهم قول الشاعر

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

فلم يقف ابن تيمية عند حد الخطب والمواعظ يشحذ العزائم ويستحث الهمم ولكنه القى بنفسه فى ميدان القتال فى الموقعة الشهيرة « موقعة شقحب » وأخذ يجول ويصول فى المعركة وانتصر المسلمون فيها انتصارارائعا

كأنما كان يرى بعين البصيرة يرى بشفافية نفسه الرقيقة ما سيحدث وينقل الكاتب المحادثة الطريفة التى يرويها ابن الاثير فى تاريخه فيقول :

اذ أخذ يحرض السلطان على القتال ويبشره بالنصر ويقول له :

- والله الذى لا اله الا هو انكم لمنصورون عليهم ..!!

- فيقول الامراء :

- قل ان شاء الله ...؟!!

ان شاء الله تحقيقا لا تعليقا ...!!

.. وكم من مواقف يسجلها الكاتب فى كتابه لابن تيمية تبين مدى ايمانه بربه .. ايمانه بحفظه .. ايمانه بنصره .. ايمانه برزقه .. فتوكل على خالقه حق توكله .. فكان الله حسبه ..!!

كل ذى نعمة محسود

كان لغزارة علم ابن تيمية وأفكاره الناضجة والتفاف الجماهير حوله دخل فى نفوس الحاسدين من معاصريه سواء كانوا علماء أو حكاما فأصابه من جراء ذلك الاذى الكثير فسجن عدة مرات فى الشام ونفى الى مصر ولكنه لاقى فى مصر ما لاقاه فى الشام .. ويعود مرة أخرى للشام فيجد أبواب السجن مفتحة له مرة أخرى .. وكأنما كان يقول انما أشكو بثى وحزنى الى الله .. فيصبر لقضاء ربه مؤمنا به محتسبا ما أصابه عنده .. حتى اننا نراه ينهى أحد تلاميذه عن الدعاء على قومه .. كأنما كان يستلهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصابه من الاذى « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون »

وهنا يصور الكاتب محنة ابن تيمية بأسلوب يقطر دما وأسفا عليه فيقول :

« ومضى ابن تيمية الى جوار ربه تاركا الدنيا للمتقاتلين من أجلها الراغبين فيها فيقول أحد تلاميذه فى رثائه :

عثا فى عرضه قوم سلاط
لهم فى نشر جوره التقاط

تقى الدين أحمد خير حبر
خروق المعضلات به تخاط

توفى وهو محبوس فريد
وليس له الى الدنيا انبساط

فبالله ما قد ضم لحد
وبالله ما غطى البلاط

* * *

ترك ابن تيمية خلفه من الآثار ما خلد ذكره وما يخلده الى أبد الآبدين ويجعل لارائه وأفكاره المكان المرموق

وهنا تجد السيد المؤلف قد بذل من الجهد الكبير فى تقصى

تراث ابن تيمية الذى يذكر أحدتلاميذه أنه خلف من المؤلفات ما يبلغ خمسمائة مؤلف .

ولكن برجوع مؤلف الكتاب الى الموسوعة الاسلاميه يقول انه وجد المؤلفات التى دونتها له أربعا وستين مؤلفا بين مخطوط ومطبوع من أهمها :

رسالة الفرقان بين الحق والباطل

البيان فى نزول القرآن

الوصية فى الدين والدنيا

رسالة النية فى العبادات

رسالة العرش هو كروى أم لا ؟

وغيرها كثير يضيق المجال عن ذكرها ومن يريد مزيدا من المعرفة الرجوع الى الكتاب

أما عن منهج ابن تيمية فيخلص السيد المؤلف بعد الرجوع الى مؤلفاته وآثاره وآراء معاصريه يخلص الى تقدمه فى ايجاز شديد وهو :

١ ـ الكتاب والسنة لا يخرج عنهما حتى أنه يقول :

ان الاجماع مرده الكتاب والسنة كذلك وخلاصة مذهبه يتلخص فى الحديث الشريف

« عليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار »

ولكن ما موقفه من العقل ؟ ابن تيمية لم ينكر على العقول عملها ولكن كل شىء خلقه الله قدره المعلوم ومجاله الذى يجب أن يقف عنده فهناك مسائل لا مجال للعقول فيها وهى الامور الغيبية التى ورد بها آثار صحيحة وخلاصة منهجه فى العقل يلخصه قوله :

« المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط وقد تأملت ذلك فى عموم ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع »

وابن تيمية خلع من عنقه ربقة التقليد وألزم نفسه فقط بالكتاب والسنة .

وأما منهجه فى التفسير :

فيلخصه قول تلميذه بن الوردى ما ننقل نصه بتلخيص « تفسير القرآن بالقرآن .. فان ما أوجز فى موضع بسط فى موضع آخر .. فاذا أشكل علينا ذلك رجعنا الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى يقول فيه

« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون »

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اننى أوتيت القرآن ومثله معه أى السنة »

فان أشكل علينا شىء تلجأ الى قول الصحابة كمنهج الشيخ والمنهج السلفى وأما عن علم الكلام فرفضه الشيخ رفضا قاطعا ولكن هل للامام ابن تيمة مذهب خاص به ؟

ابن تيميه منهجه حنبلى المذهب فهو من أتباع الامام أحمدبن حنبل ولكن له من المواقف ما تميزه عن غيره من أتباع الامام فتلميذه ابن قيم الجوزية يقول ما ننقله من الكتاب فى ايجاز شديد أن منهجه فى التشريع قائم على خمس أسس هى :

١ ـ النص من الكتاب والسنة

٢ ـ فان لم يجد نصا أخذ بمذهب الصحابى اذا لم يكن ما يخالفه

٣ ـ اذا تعددت آراء الصحابة يأخذ بأقربها للكتاب والسنة

٤ ـ اذا لم يجد رجع للحديث الضعيف والمرسل مرجحا له على القياس فاذا لم يجد استعمل القياس وهو فى نطاق ضيق ويخلص المؤلف الى انه مثل الامام أحمد فقيد سلفى أكثر منه مجتهد .

أما عن آراء ابن تيمية فى الاجتماع فتقوم على أساسين .

أولا ـ اخلاص الدين لله وهو قائم على الآية القرآنية « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون .

فالخلاصة :

ان ليس هناك حجاب وسدنة لله وان ليس هناك حجاب بينه وبين عباده وليس هناك سمسرة فى المعاملة مع الله فعبادته خالصة من الشرك ومساجده خالصة لعبادته . « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » أما عن علاقة العباد بعضهم لبعض فتقوم على العدل فى المعاملة وهو اقامة العدل بين جميع الطوائف وهو ما يجب على ولى الامر من اختيار الولاة وفى جمع المال فى معاملة الرعية فعلى ولى الامر أن يبحر العدل ما استطاع وعليه ان يحارب الظلم أنى كان وأنى وجد

رحم الله ابن تيمية فقد كان نسيج وحده وملحمة خالدة من الملاحم الانسانية الخالدة وأضافة من اضافات الاسلام المجيدة لتراثه الخالد الرائع .

أما عن الكتاب فقد رسم صورة رائعة لهذا الفقيه الجليل ومن الانصاف أن نقول ان الكتاب كان أكثر من موفق حين عرض لمناهج الشيخ المختلفة فقد بين المنهج نظريا ثم قام بعد ذلك بتطبيقات مستفيضة فعند حديثه عن تأويل القرآن وتفسيره يبين منهجه نظريا ثم يأتى بأمثلة ببين كيفية تفسير القرآن ومن أهم مآثر الكتاب تناوله قصة حياة الشيخ تناولا يجذب النفوس ويستهوى الأفئدة وقد أفرد المؤلف أواخر الكتاب لنظريات ابن تيمية للمال والزكاة والولايات

فالكتاب اضافة جديدة للتراث العربى الاسلامى وتعريف لأحد أئمة المسلمين الذى يجب أن يحظى بالتعريف فى نشر كتبه المخطوطة التى يجب أن ترى النور حتى يستفيد المسلمون بآرائه الناضجة وأفكار لها من القيمة مايجعلها أكثر من مفيدة .

الإمام الغزالى

الاستاذ محمد بدر الدين سالم

ولد الامام الغزالى ببلدة طوس سنة خمس واربعمائة هجرية ، وكان ابوه صالحا ، يغزل الصوف ويبيعه فى دكانه وكان أميا يجلس فى المسجد ليستمع الى العلماء ثم يبكى ويسأل الله بحرارة من يرزقه ابنا وأن يفقهه فى الدين مثل هؤلاء العلماء الذين يسمع منهم ، ثم اذا علم بمجلس وعظ هرع اليه يستمع الى الواعظ بقلب شغوف وايمان قوى ثم ينادى ربه نداء خفيا أن يرزقه ابنا يعظ الناس كمثل ذلك الواعظ الذى استمع اليه ، وكان دعاؤه فى الحالين من أعماق نفسه ، فاستجاب الله دعاءه فرزقه محمدا « الغزالي » الذى أصبح حجة الاسلام وأعلم علمائه ، كما رزقه احمد « الغزالى » الذى أصبح سيد وعاظ زمانه ، وكان الناس يبكون عند سماع وعظه تماما كما كان ابوه يبكى عند سماع الواعظين ، وهكذا استجاب الله لهذا الرجل الصالح دعاءه « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .

فلما حضرت الأب الوفاة وكان ابناه محمد واحمد لا زالا صغيرين ، فقد أوصى بهما جارا له متصوف فقال : « ان لى لتأسفا عظيما على تعلم الخط « الكتابة والقراءة » وأشتهى استدراك ما فاتنى فى ولدى هذين فأقام بهما الصوفى وعلمهما القراءة والكتابة وأدبهما ، فكان له أثر كبير فى نفس الصغيرين - محمد واحمد - وانطبع ما كانا يريانه ويسمعانه منه فى قلبيهما انطباعا كان له أكبر الأثر وأقواه فيهما طول حياتهما ، وما زال بهما حتى انقضى ما تركه ابوهما لديه من المال وتعذر على الصوفى القيام بأودهما ، فنصحهما أن يلجآ الى مدرسة فيتعلما العلم وينالا قوتهما معا ، اذ كانت المدارس فى ذلك الوقت تصرف للتلاميذ طعاما وكسوة فضلا عن تلقى العلم ، ففتح الله عليهما ويسر أمرهما .

وقرأ « محمد » الغزالى فى صباه طرفا من العلم فى بلده طوس ثم خرج الى جرجان ليتعلم على يدى الامام ابى النصر الاسماعيلى ، وهناك كتب ماسمعه من العلم فى كراسات وضعها فى مخلاة علقها فى عنقه ليرجع بها الى بلده طوس ، وفى الطريق لقيه بعض اللصوص وأخذوا منه جميع ما معه بما فى ذلك المخلاة التى بها الكراريس ، فرجاهم فى اعادة الكراريس اليه وقال انها كتب هاجر لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها وأنها ليست بالشىء الذى ينتفعون هم به ، فضحك كبيرهم وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ورد اليه كتبه ، وتأمل الغزالى فيما سمعه وقال : هذا مستنطق أنطقه الله يرشدنى به فى أمرى ، فلما استقر فى بلده ، كان أول همه أن يحفظ ما فى هذه الكتب حتى اذا قطع عليه الطريق وسرق اللصوص كتبه ، لم يتجرد من العلم ، واستمر على ذلك ثلاث سنين ثم

سافر الى نيسابور ولازم امام الحرمين، وكان أعلم أهل زمانه ، فتعلم عليه الفقه وقرأ الحكمة والفلسفة والمنطق ، وأحكم كل ذلك ، ثم صنف فى كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تاليفها ، وكان متوقد الذكاء سديد النظر قوى الحافظة ، وكان امام الحرمين يصفه بانه بحر مغرق .

ولما توفى استاذه امام الحـرمين ، قصد الوزير نظام الملك صاحب المدرسة النظامية ، وكان مجلسه مجمع أهل العلم فناظر العلماء فى مجلسه وظهر فضله واشتهر أمره ، فوكل اليـه الوزير التدريس بمدرسته فقدمها سنة اربع وثمـانين واربعمائه فاقام على تعليم العلم ونشره وتاليف الكتب ثم خرج الى الحج سنة ثمان وثمانين واربعمائة وأناب عنه أخاه احمد فى التدريس ، وتوجه بعد الحج الى دمشق ثم الى بيت المقدس فجاور به مدة ثم عاد الى الشام وأقام بها عشر سنين ألف فيها كتبه وأهمها كتاب احياء علوم الدين ثم كتبه المختصرة مثل كتاب الأربعين وغيره من الرسائل ثم رجع الى بغداد ثم درس بنيسابور ثم رجع الى طوس « بلده » .

وكان من دابه فى هذه الحقبة من الزمن أن يطوف بالمساجد ويزور المقابر ويأوى الى القفار ، واخذ فى مجاهدة النفس وتقويم الاخلاق وتهذيبها ، ووقف أوقاته على هداية الناس ودعاهم الى ما يعنيهم من أمر الآخرة ، ولما عاد الى وطنه لازم بيته مشتغلا بالتفكر والتامل واتخذ فى جوار بيته مدرسـة لطلبة العلم وخانقاه للصوفية ووزع اوقاته على ثلاث : ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس بحيث لا تخلو لحظة من وقته عن فائدة حتى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة توفاه الله اليه ، وفى ذلك يقول اخوه احمد : « لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضا اخى وصلى وقال على بالكفن فاخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال : سمعا وطاعة للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل ، فانتقل الى رضوان الله تعالى قبل الاسفار طيب الثناء ، اعلى منزلة من نجم السماء ، لا يكرهه الا حاسد أو زنديق ، ولا يسومه بالسوء الا من كان فى قلبه ريب أو حاد عن سواء السبيل .

فى ذكرى شىء من رسائله وكلماته المنثورة :

قال ابن السمعانى ، قرأت فى كتاب كتبه الغزالى الى أبى حامد احمد بن سلامة بالموصل فقال فى خلال فصوله « اما الوعظ فلا أرى نفسى أهلا له ، لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ؟ وفاقد الثوب كيف يستتر بغيره ؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ وقد أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام « عظ نفسك ، فان اتعظت فعظ الناس ، والا فاستحى منى » .

ومما كتبه :

كن أحد رجلين

كن أحد رجلين ، اما مشغول بنفسك ، واما متفرغ لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك ، فان مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه ، فما أشد حماقة من دخلت الافاعى والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به ، وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك ـ وما أبعد ذلك منك ـ فاشتغل بفـروض الكفايات وراع التدريج فيها ، فابتدىء بكتاب الله تعالى ، ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن .. اما المجادلات فاياك أن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل ، فانها الداء العضال ، وكن من شياطين الجن فى أمان ، واحترز من شياطين الانس ، فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الاغواء والاضلال ، وان تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتامل فيما يعنيك مما بين يديك ، دع عنك ما سواه ، فقد رأى بعض الشيوخ بعض العلمـاء فى المنام فقال له : ما خير تلك العلوم التى كنت تجادل فيها وتناظر عليها ؟ فبسط يده ونفخ فيهـا وقال : طاحت كلهـا هبـاء منثورا وما انتفعت الا بركعتين خلصتا لى فى جـوف الليل ، وفى الحديث : ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ،ثم قرأ « ماضربوه لك الا جدلا ، بل هـم قوم خصمون » وفى الخبر المشهور « أبغض الخلق الى الله تعالى الألد الخصم » وفى الخبـر « ما أوتى قوم المنطق الا منعوا العمل » ـ المنطق هنا معناه الكلام ـ وفى الحديث فى معنى قوله تعالى : «فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه « آل عمران » هم أهل الجـدل الذين عناهم الله بقوله تعالى « فاحذرهم » .

وكتب نصيحة أرسلها الى بعض صحبه قال فيها أنه ينصحه أن يكون الا من زمرة الكرام الاكياس ، فقد قيـل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من اكرم الناس ؟ فقال أتقاهم ، فقيل : من اكيس الناس ؟ فقال : اكثرهم للموت ذكرا وأشدهم استعدادا ، وقال صلى الله عليه وسلم : الكيس من دان نفسـه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة .

وقال شعرا فى حب الاعتزال عن الناس وعدم الخلطة بهم ..

قد كنت عبدا والهوى مالكى
فصرت حرا والهوى خادمى
وصرت بالوحدة مستانسا
من شر اصناف بنى آدم
ما فى اختلاط الناس خير ولا
ذو الجهل بالاشياء كالعالم
يالائمى فى تركهم جاهلا
عذرى منقوش على الخاتم

وكان نقش خاتمه : « وما وجـدنا

لاكثرهم من عهد ، وان وجدنا اكثرهم لفاسقين » .

ومما وجد بخط الزاهد قطب الدين محمد بن الأردبيلى قال ، حجة الاسلام الغزالى « كنت فى بداية أمرى منكرا لاحوال الصالحين ومقامات العارفين حتى صحبت شيخى يوسف النساج بطوس ، فلم يزل يصقلنى بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات ، فرأيت الله فى المنام ، فقال لى يا أبا حامد ، قلت أو الشيطان يكلمنى ؟ قال لا ، بل أنا الله المحيط بجهاتك الست ، ثم قال « يا أبا حامد ذر مساطرك واصحب أقواما جعلتهم فى أرضى محل نظرى ، وهم الذين باعوا الدارين بحبى ، فقلت بعزتك الا أذقتنى برد حسن الظن بهم ، فقال : « قد فعلت ، والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا فاخرج منها مختارا قبل أن تخرج منها صاغرا ، فقد أفضت عليك أنوارا من جوار قدسى ففز ونل » ، فاستيقظت فرحا مسرورا وجئت الى شيخى يوسف النساج فقصصت عليه المنام فتبسم وقال : « يا أبا حامد هذه ألواحنا فى البداية محوناها بأرجلنا ، بل ان صحبتنى سيكمل بصر بصيرتك بائمد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله ، ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد مالا تدركه الأبصار ، فتصفو من كدر طبيعتك وترقى على طور عقلك وتسمع الخطاب من الله تعالى كموسى « انى انا الله رب العالمين » .

ومن أجمل حكمه وأعذب كلماته :

لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات : صفاء القلب أعنى طهارته من أدناس الدنيا ، وأنسه بذكر الله وحبه لله ، اما طهارة القلب فلاتحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا ، واما الانس بذكر الله فلا يحصل الا بكثرة الذكر ، اما حب الله فلا يحصل الا بالمعرفة ، ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر .

وجلاء القلوب والابصار يحصل بالذكر ، ولا يتمكن منه الا الذين اتقوا ، فالتقوى باب الذكر ، والذكر باب الكشف ، والكشف باب الفوز الأكبر .

على طريق الواصلين

سيدى أبو الحسن الشاذلى

الأستاذ عبد العليم المهدى

ان مالك الملك حين يعطى مواهبه لاوليائه ، ويختصهم بقربه ، ويصطفيهم رسلا يعلمون الناس الخير .. لايمكن أبدا أن يتركهم فريسة ظلم ، أوضحية طغيان .. لانه سبحانه يتولاهم ويحفظهم ويحميهم ، فى مثل حفظه وحمايته لابراهيم عليه السلام وهو جالس فى النار .

وهذه صفحة من أضواء ومواقف الصوفى المجاهد ، سيدى ابى الحسن الشاذلى ، صاحب الطريقة المتشرفة بالانتساب اليه ..

لقد هز ايمان هذا البطل عرش تونس ، وعرش مصر .. وعندما تقدمت به السن - كف بصره - لم يتقاعس عن السفر الى المنصورة ليشترك فى معركتها ويسعد بانتصار الشعب فيها .. كان فى صفوة من العلماء والاولياء يحرضون الناس على القتال لاعلاء كلمة الله وهم فى مقدمة الصفوف .

هكذا قال الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه عن الامام الشاذلى ، ومن بحر هذا القطب نرتشف هذه القطرات :

سأله تلميذه أبو العباس المرسى يوما أن يعظه فقال له :

« يا بنى .. من لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا الى ربه ، وتواضعا لخلقه ، فهو هالك .. لاتركن الى علم ولا مدد وكن بالله .. واحذر أن تنشر علمك ليصدقك الناس .. بل انشر علمك ليصدقك الله تعالى » .

قال أبو العباس : زدنى سيدى ..

واسترسل الشيخ : أوصانى شيخى عبد السلام بن مشيش فقال : حدد بصر الايمان تجد الله فى كل شىء ، وعند كل شىء ، ومع كل شىء ، وفوق كل شىء ، وقريبا من كل شىء ، ومحيطا بكل شىء .. هو الاول والآخر والظاهر والباطن .. كان الله ولا شىء سواه » .

فلما كان يوم فراق الأجسام والاشباح قال لى شيخى عبد السلام مودعا :

يا على .. الله الله . الناس الناس .. نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التمايل اليهم . عليك بحفظ الجوارح ، واداء الفرائض . وقد تمت ولاية الله عندك . لا تذكرهم الا بواجب حق الله عليك ، وقد تم ورعك .. وقل اللهم ارحني من ذكرهم ، ونجني من شرهم ، واغنني بخيرك عن خيرهم ، وتولني بالخصوصية بينهم ، انك على كل شيء قدير » .

فساله أبو العباس : وكيف رايت شيخك سيدى ؟

قال : كنت جالسا يوما بين يديه ، وكان فى حجره ابن له صغير يداعبه ، فسالت الشيخ عن اسم الله الاعظم ، فانتصب الطفل واقفا ، ورمى بيده فى طوقى ، وهزنى قائلا : يا ابا الحسن أردت أن تسال الشيخ عن اسم الله الاعظم .. ليس الشأن أن تسال عن اسم الله الاعظم ، بل الشان أن تكون انت اسم الله الاعظم .

فتبسم القطب ابن مشيش وقال : جاوبك عنى الصغير

وعاد أبو العباس يسال شيخه الشاذلى : وكيف السبيل يا سيدى الى أن يكون المرء هو اسم الله الاعظم .

قال الشاذلى : من أجل مواهب الله .. الرضا بمواقع القضاء ، والصبر عند البلاء ، والتوكل على الله عند الشدائد ، والرجوع اليه عند النوائب : فمن خرجت له هذه الاعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة ، والاقتداء بالائمة ، فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين .

ويقول ابو العباس فى ذكرياته المضيئة من قطب الشاذلية . كنت مع الشيخ فى سفره . كنا فى طريقنا من المغرب الى الاسكندرية ، فاحسست بضيق شديد حتى ضعفت عن حمله ، فنظرت الى الشيخ ، فبادرنى بقوله : ياأحمد قلت : نعم سيدى .

قال شيخى :

آدم خلقه الله بيده ، وأسجد له ملائكته ، واسكنه الجنة نصف يوم - أى خمسمائة عام - ثم نزل به الى الارض والله ما نزل الله بآدم الى الارض لينقصه ، ولكن نزل به الى الارض ليكمله ، ولقد أنزله الله الى الارض قبل ان يخلقه بقوله : « انى جاعل فى الارض خليفة » . ما قال الله فى الجنة ، ولا فى السماء ، فكان نزوله الى الارض نزول كرامة ، لا نزول اهانة ، فقد كان يعبد الله فى الجنة بالتكليف ، فانزله الى الارض ليعبده بالتعريف ، فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة الله ، وانت أيضا لك قسط من آدم متى توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة الله .

ويروى أبو العباس : لقد أحسست فى تلك اللحظة بعزة كانها ملء السماوات والارض .

وهممت يوما بالدعاء على ظالم ، فتوزعت نفسى فى ذلك ، فلجأت الى الشيخ ، فقال باسما :

ان الله ان يشا اهلاك ظالم فلا تستعجل له . فالاستعجال بالاهلاك للاعداء وارادة النصر للاولياء من الشهوة الخفية . ومن أظلم ممن ينازع ارادة مولاه ، وتبع شهوة نفسه أوهواه ، وقد أمر الله سيدنا محمدا المعصوم الاكبر بقوله :

« واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » .

ويروى المؤرخون الثقات أن أبا الحسن الشاذلى عندما انتهت مدة اعداده العلمى على يدى أستاذه عبد السلام بن مشيش ، قال له الاستاذ :

ارتحل يا على الى افريقية ، واسكن بها بلد تسمى شاذلة ، فان الله عز وجل يسميك الشاذلى - بتشديد الذال بمعنى المنفرد لربه - وبعد ذلك تنتقل الى تونس ، ويؤتى بها عليك من قبل السلطنة ، وبعد ذلك تنتقل الى أرض المشرق ، وبها ترث اللقب .. أى يصبح قطبا .

وبلدة شاذلة تقع فى قمة جبل زغوان ، حيث أعد الشاذلى للطريق اعدادا عمليا فى أقسى ظروف الحياة ، ثم صدع بالامر : انزل يا على الى الناس لينتفعوا بعلمك .

فنزل الى تونس يدعو الناس الى الله ، فاحاط به كل أوليائه المخلصين واجتمع حول الشاذلي خلق كثير فاوغز ذلك صدر ابن البراء قاضى قضاة تونس ، وأحس انه لم يعد شيئا بالنسبة الى هذا العملاق . حتى لقد صور له الوهم أن الشاذلى من أهل الدنيا ، وانه لو سكت عليه فليس بعيدا ذلك اليوم الذى يصبح فيه الشاذلى قاضى القضاة بعد أن يكون امام تونس وزعيمها الدينى .. لو استمر فى دعوته على هذه الطريقة التى تجذب الجماهير .

وقصد ابن البراء الى السلطان فى حزن بالغ وهم ثقيل ودمع غزير يقول :

أدرك شعبك يامولاى السلطان الرحيم . ان هذا الرجل سيؤلب عليك الناس . لقد أصبحت له شعبية عريضة . فى كل يوم يكثر اتباعه .. وهو يفتح أذهان العامة على اشياء لا قبل للبلاد باحتمالها .

لم يشأ السلطان أبو زكريا أن يقطع برأى قبل المواجهة .. فعقد اجتماعا لفقهاء القصبة وعلى رأسهم ابن البراء ، وأرسل فى طلب الامام الشاذلى ، واستطاع ابن البراء بما له من حظوة فى بلاد السلطنة أن يجعل استدعاءه عنيفا كما يستدعى الخارجون على القانون ! ودخلوا بالشاذلى علي المجلس ، والسلطان من خلف الستارة ، والفقهاء يسألون والشاذلى يجيب ، حتى ذهل ابن البراء من علم الشاذلى المكتسب والموهوب ، ونظر الفقهاء بعضهم الى بعض وقد عقد ألسنتهم الخوف من الشاذلى أن يسألهم بدوره !

وهنا دخل السلطان على المجلس قائلا لقاضى القضاة : هذا رجل من أكابر الاولياء .. مالك به طاقة .

فاجاب ابن البراء فى غير حياء : ان امرى يهون يا مولاى . ولكنى أعادى هذا الرجل خوفا على عرشك ، والله لئن خرج هذا الشيخ فى هذه الساعة ، ليدخلن عليك أهل تونس ويخرجونك من بين أظهرهم .. انهم مجتمعون على بابك !

فنظر السلطان من نافذة القصر ، فوجد الجماهير كانها فى يوم الحشر .. ذلك لان أبا الحسن الشاذلي جىء به مقبوضا عليه بتحريض من ابن البراء ،

فتزاحم الناس من خلفه مشفقين على مصيره ، وحسب السلطان انهم تجمعوا له في مثل البيعة !

فاذن السلطان للفقهاء بالخروج بوامر الشيخ بالبقاء ، لكي ينفذ فيه القضاء .

جلس أبو الحسن الشاذلى هادئا ساكنا آمنا ، وفي قلبه بركان ، ولكنه طلب ماء وسجادة وتوضأ واخذ في الصلاة ، وفكر في ان يدعو على السلطان الذى افزعه ، فنودى في سر: « ان الله لا يرضى لك أن تدعوبالجزع من مخلوق » .

وبدل ان يدعو على السلطان ، قال :

« يا من وسع كرسيه السماوات والارض ، ولا يؤوده حفظهما وهوالعلى العظيم . أسألك الايمان بحفظك ايمانا يسكن به قلبى من هم الرزق وخوف الخلق. يارب واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك ، فلم يحتج لجبريل رسولك ، ولا لسؤاله منك ، وحجبته بذلك من نار عدوك ، وكيف لا يحجب عن مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة الاحياء .. كلا ، انى أسالك أن تغيبنى بقربك منى حتى لا ارى ولا احس بقرب شىء ولا بعده عنى ، انك على كل شىء قدير » .

وما كاد الشيخ يفرغ من صلاته ، حتى اهتز القصر بنبا فاجعة . كانت للسلطان جارية عزيزة على نفسه،أعطاها كل قلبه .. اصيبت بانهيار .. ولم يدركها الطب ، ففارقت الحياة .. والقى على السلطان ساعة من الزمن ، فلما افاق قال في مثل حشرجة الميت: لماذا منعت هذا الشيخ من الخروج ؟!

فيهمس ابن البراء في اذنه : دع عنك يا مولاى هذه الهواجس .. لقد جاء اجل الجارية !

فيجيب السلطان مسرعا : ولماذا جاء الآن في اللحظة التى تحرضنى فيها عليه يابن البراء .. فيلجا هو الى القاهر فوق عباده ؟

وهرب ابن البراءمن السؤال ،وصاح: قم بنا يامولاى الى ما نحن فيه .. قم بنا نصلى على الفقيدة الغالية !

وفى زحمة الوفاة ، ترك الخدم - عفوا - موقد نار مشتعلة ، فكان حريق مروع هز القصبة هزا عنيفا .. حتى اقبل مسرعا شقيق السلطان من مزراعه يبحث الامر ، فلما علم بما حدث مع الشاذلى قال لاخيه : ما هذا الذى أوقعك فيه ابن البراء يا اخى .. لقد اوقعك والله انت ومن معك في الهلاك

ثم دخل على الشيخ يسترضيه ، فقال له الشيخ : والله ما يملك أخوك لنفسه ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ، ولاحياة ولا نشورا.. فكيف يملكها للغير..كان ذلك في الكتاب مسطورا » .

وعاد الشاذلى الى داره مرفوع الراس موفور الكرامة ، وتأكد لاهل تونس جميعا أن الحريق ومصرع الجارية كانا على موعد مع هذا الذى حدث لمولانا الشاذلى .

واستمر الشيخ في دعوته ، ولكن حقد ابن البراء لم ينته ، حتى كان الشاذلى يقرئه السلام فلا يرد التحية !

وفجاة عرفت تونس أن الشاذلى قد اعتزم الحج ، وانه سيقضى في مصر بعض الوقت .. وعندما استعد للسفر كانت تونس كلها في وداعه ، حتى فزع السلطان مخافة ان يذهب الشاذلى ولا يعود ، فبعث اليه بعض أمنائه يرجونه العودة ، فيجيب على ضراعتهم بقوله : انى ذاهب الى الحج ، واذا قضى الله حاجتى أعود .

فلما دخلت قافلة ابى الحسن الى الاسكندرية ، كانت قد سبقته رسالة من ابن البراء - كانها من سلطان تونس الى سلطان مصر - وهى تقول :

ان هذا الواصل اليكم قد شوش علينا بلادنا ، وكذلك يفعل في بلادكم .

وفعلت هذه الرسالة فعلها .. فلم يكد الشيخ يصل بمريديه الى الاسكندرية ، حتى احس بان شيئا من الريبة يحيط به ، وان والى الاسكندرية يريد به شرا ولكنه لم يكترث به واستقبل رجال القبائل يشكون ظلم الوالى وفادح الجباية ، فوعدهم بتدارس ذلك مع السلطان .

واتخذ طريقه الى القاهرة في مواكب متعاقبة ، حتى وصل القلعة مستأذنا في الدخول على السلطان فعجب ثم قال : كيف يستاذن هذا الرجل وقد امرت باعتقاله في الاسكندرية .

وسمع الشاذلى وبعض مريديه هذا قبل الدخول ، ولكنهم سمعوا بعد لحظة صياح السلطان : ادخلوه ..

ودخل الشيخ وبعض مريديه ، ففاجاه السلطان بقوله : ما تقول أيها الشيخ؟

قال : جئت اشفع اليك في ظلم القبائل بكثرة الضرائب في ولاية الاسكندرية .

قال : اشفع لنفسك .. هذا عقد بالشهادة فيك .. وجهه ابن البراء من تونس .

ثم ناوله الرسالة ، فلم ينظر اليها الشيخ ولكنه قال :

انا وانت والقبائل في قبضة الله .

وانتصب الشيخ واقفا ، فلما مشى عشرين خطوة .. حركوا السلطان فلم يتحرك ، ولم ينطق .

فبادر القضاة والامراء ومجلس السلطان كله الى الشيخ يقبلون يديه ويضرعون اليه أن يرجع .

فرجع ابو الحسن الى السلطان وحركه بيده فتحرك ونزل عن سريره وجعل يسترضيه ويناشده الصفح ويرجوه الدعاء .

ثم كتب الى الوالى بالاسكندرية ان يرفع الطلب عن القبائل ويرد جميع ما أخذه منهم .

وأقام الشيخ ومريدوه في القلعة أياما ، ثم مضى بهم الى الحج ، بعد ان اهتزت الديار المصرية بما حدث للسلطان في مصر ، وللسلطان في تونس .

كل ذلك مصداق للحديث القدسى : « من عادى لى وليا آذنته بحرب من الله ورسوله » .

شمس الدين ابن الكيزانى

الأستاذ
عبده بدوى

لقد كان لمحمد بن ابراهيم بن ثابت بن فرج لقب هوشمس الدين، وكنيتههى أبو عبد الله أما شهرته فهى ابن الكيزانى « نسبة الى صناعة الكوز » وما يهمنا من هذا الرجل الذى كانوجها من وجوه عصره فى الفقه ، والتصوف والوعظ والشعر .. أنه كان واحدا من الذين عملوا على تصفية الفكر الفاطمى فى مصر ، وتحويل الأمر الى من يطلق عليهم أهل السنة ، ولقد كان كلهذا استجابة ذكية للرأى الحاسم والأخير الذى تكون عند أهل مصر .

ذلك لأن الدعاية الفاطمية التى كانت تؤكد نظام الحكم الفاطمى كانت قد أخذت تضعف ، ويتلقاها الناس فى الوقت نفسه بالشك والريبة ، ولقد ساعد الناس على هذا أن الصليبيين تمكنوا من الاستيلاء على بيت المقدس عام ٥٠٣هـ ، وأن البلاد قد ظل يتلاعب بها لمدة سبع سنوات الوزيران شاور وضرغام ، وأن الخليفة الظافر كان مكبا على اللهو دون أن يدرى حقيقة ما يدور حوله ، فلما قتل حدث هذا الفراغ السياسى الذى جعل الناس يتطاعون الى منقذ ، ولقد كان هذا المنقذ فى نظر الكثيرين هو السلطان نور الدين زنكى حاكم سوريا .

وبالاضافة الى هذا فقد نزل بالناس القحط ، والتلاعب بالاسعار ، وقصر ماء النيل على الوفاء وأصبح كل شىء يتداعى ، ويسلم نفسه الى صلاح الدين الايوبى الذى حضر الى مصر لانقاذها من قبل السلطان نور الدين زنكى ، ومعنى هذا أن الامر قد أصبح مهيئا لابن الكيزانى ذلك لأنه كان فى طليعة الساخطين على الحكم الفاطمى الذى كان يرى - فيما يرى - أن الخليفة معصوم ، وأن الناس يجب أن يسلموا أمورهم اليه ، فحين يقول شاعر مثل ابن هانىء الاندلسى مثلا فى المعز لدين الله الفاطمى :

ما شئت لاما شاءت الاقدار
فاحكم فانت الواحد القهار

فان الامر يجب الا يحمل - كما يذكر نقاد الأدب - على المبالغة ، ولكن على صدق الشاعر فى تعبيره عن النظام الذى يحكم الدولة ، وعلى الروح السائد الذى كان يخلع على الخليفة صفات الالوهية :

« ومهما يكن من شىء فان ابن الكيزانى كان يتلاقى فكريا وعاطفيا مع ما يمثله نور الدين زنكى ، وصلاح الدين الايوبى، ومن هنا عمل على انعاش تيار أهل السنة والجماعة ، بعد أن ضربه الفاطميون فى الصميم ، وشتتوا انصاره، وحكموا على معتنقيه بالصمت ، فابن الكيزانى وخلصاؤه وتلاميذه أسرعوا بالتجمع حول صلاح الدين ، واجتهدوا فى أن يوضحوا للناس الانحراف والمفاسد وظواهر الرعب التى كان يسوس بها الفاطميون الناس ، وفى الوقت نفسه استقدم كثيرا من المتصوفة، وكثيرا من شيوخ أهل السنة الى مصر ، وبهذا يكون قد ثبت دعائم الملك لصلاح الدين من جهة ، وقضى على الفكر الفاطمى لصالح فكر أهل السنة من جهة اخرى .. وبهذا تكون البلاد قد دخلت فى عصر من الاستقرار الداخلى ، وتكون فى الوقت نفسه مهياة - بوساطة صلاح الدين الايوبى - لرفع العار الذى حل بالعرب وبالمسلمين حين تمكن الصليبيون من الاستيلاء على عدد من بلاد المسلمين وفى مقدمتها بيت المقدس !.

ولقد تمكن ابن الكيزانى فى هذه الفترة من التكوين الحاسم فى هذه الفترة لتلك الطائفة الصوفية المسماة بالكيزانية ، والتى كان صميم دعوتها يقوم على المطالبة بنقاء النفس ونقاء القلب .. ذلك لأن المسلم مطالب بان ينقى وجدانه بين الحين والحين حتى يغدو دائما متفجرا بالنور ، بل انه مطالب فى الكثير من الأحيان بأن يتحول الى نور خالص .

وهو من أجل هذا لابد انيكونبسيطا الى الحد الذى يجعله يزهو على السلاطين وعطوفا الى الحد الذى يعطيه حق الأبوة على كل شىء فى الحياة وزاهدا الى الحد الذى يجعله من خلال قناعته يمتلك العالم ،ولنتأمل فى هذا النص الذى اورده ابن الزيات فى كتاب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ، فقد جاء فيه« ويأتيه الطالب ليقرأ عليه ، فيجده جائعا فيطعمه ، وعريانا فيكسوه ،ويعطيه العمامةحتىانه اذا وجد فى نعله شيئا مقطوعا يخرزه

بيده ، وجاءه يوما أمير مصر ، ومعه رسول الخليفة ، فدخلا عليه وهو يدور على الدولاب بيده ، ففرش لهما برشا من خوص ، فقعدا عليه ، وسألاه الدعاء فدعا لهما ، فاخرج له الملك ألف دينار ، فردها، فقال له السلطان : ان لم تأخذها لنفسك فتصدق على أصحابك بها فقال : وأصحابى لا يحتاجون اليها ، فانى أعمل على هذا الدولاب فى كل يوم بثلاثة دراهم ونصف ، فآكل من ذلك بنصف ، وأتصدق بثلاثة دراهم على أصحابى وأهلى وجيرانى ، فخذها وانصرف !! »

وقد علق على هذا الدكتور على صافى حسين فى كتابه ابن الكيزانى بقوله : وقصارى القول فى ابن الكيزانى من الوجهة الاقتصادية ، انه كان يعد فى زمانه ـ حسب اصطلاح عصرنا الحاضر ـ داعية من دعاة عدالة التوزيع ، وزعيما من زعماء الاصلاح الاجتماعى .

ولقد كان مما جعل حياة ابن الكيزانى خصبة انه لم يلق بنفسه فى تيارات السياسة ، ذلك لانه عمل باخلاص وحرارة على تصفية وجهة نظر الفاطميين فى الحكم وفى الحياة ، وحرك تلك الافكار التى تمثل وجهة نظر أهل السنة، ومن هنا فقربه وبعده من السياسة لم يكن من أجل الوصول الى منصب ، أو من أجل جلب المال ، ولكن كان من أجل تأكيد الأفكار التى كان يؤمن بها ، فقد كان من وجهة نظره يحس بخطر حقيقى على الاسلام من مفاهيم الفاطميين الذين أكدوها بالقهر ، ورفعوا من أجلها السلاح ، وجعلوا للخليفة المعصوم كل شىء فى الحياة .. أما الشعب فقد كان عليه أن يلقى على هذا الخليفة بكل أشواقه وهمومه ورغباته ، وقد تبين للشعب بعد ذلك خطأ هذه السياسة ، وكان « ابن الكيزانى » التجسيم الحقيقى لحق الشعب فى أن يكون سيد مصيره .

وابن الكيزانى الى جانب من مواهبه المتعددة فى التعليم والوعظ والتصوف كان شاعرا رقيقا يعبر شعره تعبيرا صادقا عن أشواق روحه ، وعن وجهة نظره التى تتمثل فى أن على الانسان دائما ان ينقى نفسه .. أن يتحول الى نور :

ومن شعره الصوفى قوله :

اصرفوا عنى طبيبى
ودعونى وحبيبى
عللوا قلبى بذكراه
فقد زاد لهيبى
طاب هتكى فى هواه
بين واش ورقيب
لا أبالى بفوات النفس
ما دام نصيبى
ليس من لام وان اطنب
فيه بمصيب
جسدى راض بسقمى
وجفونى بنحيب

لقد كانت الفنون المقدمة فى الشعر فى هذه الفترة فنون الفكاهة ، والمطارحة ، والاجازة ، وكذلك فن التمليط الذى لا يخرج عن فن الاجازة الا فى أن الشاعر يعلم ما سيقوم به من ارتجال ولهذا يستعد له .. ولكن ابن الكيزانى تخطى هذا كله الى التعبير عن أشواق الانسان الى ربه ، والى ارشاد الناس الى ما فيه صلاحهم ، ومن شعره فى هذا قوله :

قف على الباب طالبا
ودع الدمع ساكبا
وتوسل به اليه
من الذنب تائبا
تلق من حسن فضله
عند ذاك العجائبا
ثم خف منه أن يرا
ك على الذنب راكبا
فهو يجزى على اليسير
ويعطى الرغائبا
زينة العبد بالتقى
فاجعل الصدق صاحبا

من كل هذا نرى أن ابن الكيزانى كان ملء عصره ، وأسهم اسهاما رائعا فى تشييع نظام الفاطميين واستقبال نظام آخر اعتقد انه فى صالح الامة .

ولقد كان على حق فقد كان من ثمار هذا النظام الجديد دحر الصليبيين ، واسترداد بيت المقدس ، واعطاء مصر دورها فى الاشعاع الروحى على المنطقة العربية . ولقد كانت وفاته ـ كما ذكر ابن خلكان ـ فى عام ٥٦٢هـ حين دفن عند قبر الامام الشافعى ، ثم نقل الى سفح المقطم حيث ما زال له ضريح مشهور يزار .. ضريح ما يكاد الانسان يدخله حتى يذكر الانسان فكرة «النقاء» التى دعا اليها ابن الكيزانى ، والتى كانت حياته ـ بحق ـ تجسيما لفكرة النقاء فى الاسلام .

الإمام محمد عبده

الأستاذ عبد السميع البطل

لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها ، رويت هذه الجملة العالمية عن زيادة ابن أبيه والى البصرة فى خطبته «البتراء» التى سميت بهذا الاسم لانه لم يبدأها بحمد الله ، كما كان العرف فى ذلك الزمان وهي الخطبة التى هدد بها البصريين ، وتوعدهم بأشد العقاب ، والتي أعلن فيها الاحكام العرفية ، وكان أول من فعل ذلك فى الاسلام ، ورويت كذلك عن الامام مالك – رضى الله عنه – ويرويها كل من يتحدث عن حال المسلمين وعزوفهم عن الاسلام ، وانكبابهم علي الضار ، وهى كلمة حق ، بل قاعدة من قواعد الاصلاح الاسلامى ، وهو أن الامة الاسلامية الطويلة العريضة ، التى كانت علي شفا حفرة من النار ، عربيها وغير عربيها ، والتى أذلها الاقوياء واستعبدها الرأسماليون ، والتى أوغلت فى الانحلال الخلقى والاجتماعى الي درجة لا تحمد عقباها – قد أدركها الاسلام بتعاليمه فاصلح من مفاسدها ، ورأب من صدعها ، وأبدلها صلاحا بعد فساد ، وعزا بعد ذل ، والتئاما بعد تفرق ، حتى صارت خير أمة أخرجت للناس

هذه الامة قد خلقها الاسلام خلقا جديدا ، فكيف بها الان وقبل قرون تصبح فى أخريات الامم ؟ ان الباحث المدقق يرى ان ما كان سببا للارتقاء وهو الاسلام ، لا يصح ان يكون سببا للانحطاط لان الشىء الواحد لا تصدر عنه أشياء يناقض بعضها بعضا فاما أن يكون الاسلام قد تغير وضعه ، وهذا باطل ، واما أن يكون المسلمون أنفسهم قد انحرفوا عن صراطه ، فلابد لهم – اذا أرادوا العودة الى سيادتهم التي كانوا عليها – ان يدرسوا الاسلام من جديد ، من ينابيعه الاصلية : كتاب الله وسنة رسوله ، وعمل سلف الامة الصالح ، وأما بقائهم على ما هم عليه مع تنكبهم هدى الاسلام فلا يزيدهم الا خيالا ، وانحطاطا .

هذا رأى الشيخ فى المسلمين ، وهو راى كل مصلح ظهر فى هذا العصر ، على أنه قال أخيرا ما يدل على رجائه فى صلاح المسلمين ، وقد عبر عنه اولا بمثل يفيد الشك فقال : اننى أرى فى هذه الشجرة الجرداء ورقات خضر ، فلا أدرى أهي من بقايا الحياة الاولى أم هي بدء حياة جديدة ، فقال له عالم فاضل : الدليل على الثانى أن هذه الورقات تزيد ولا تنقص

وكان رحمه الله – هو وأستاذه جمال الدين ، اذا هدهم التفكر فى حال المسلمين ، يعتصمون بحبل الرجاء فى المستقبل ، ويسترشدون بقول الله تعالى « سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك انه علي كل شىء شهيد ؟ الا انهم فى مرية من لقاء ربهم ، ألا انه بكل شىء محيط »

رأيه فى الاسلام نفسه

الاسلام عند الشيخ هو الذى تفجر من ينابيعه الاصلية الصافية : القرآن الكريم ، كما فهمه السلف قبل ظهور التاويل والمقالات التي نجمت بعد عصر الترجمة ، واستبحار العلوم القرآنية الذى كان يفهمه العربى وراء أغنامه وابله ، فيتأثر به ، ويسارع الى العمل بما فيه من عبارات ، ويتخلق بما فيه من أخلاق ، وينشط الى العمل للدنيا ، وينفر الي الجهاد فى سبيل الله كلما دعا الي ذلك الداعى

ويلى القرآن الكريم عمل الرسول وسيرته وسنته ، وسيرة الخلفاء الراشدين وعلماء الصحابة ، هذا هو الاسلام دين المستقبل ، دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، دين الحضارة ، وكان – رحمه الله – يعتقد أن أمم الحضارة التي مشوا فيها أشواطا بعيدة ، ثم انحرفوا بها الى التردى فى المفاسد ، والتوغل فى الشرور والاثام ، والى ابتكار آلات التخريب والتدمير – هذه الامم سوف تذوق من هذه المفاسد ما يضطرهم الي البحث عن طريق المخرج منها ، فلا يجدون أمامهم الا الاسلام الذى وصفناه ، وانما كان يبحث عن الشعب

الاول الذى يحيى الاسلام ، ويقيم عموده ، أهو من أهله المنتمين اليه ام من الذين سيهتدون به وكان يرجح ان هداية القرآن ستظهر فى غير أهله من الشعوب الحية ،

وان هؤلاء المسلمين الجغرافيين سيطلبون اسلام القرآن والسنة منهم تقليدا لهم ، كما يقلدونهم فى الزينة والاباحة والاسراف فى الشهوات الذى أفسدهم جميعا ، وهذا الرأى الذى رآه الاستاذ الامام هو رأى أستاذه جمال الدين الذى كان يرى أن أكثف حجاب بين الاسلام والمسلمين هو سوء حال المسلمين فى القرون الاخيرة ، وهو الذى يحول بين شعوب أوربا الحرة والاسلام ، ونقل الثقة عنه أنه قال : اذا أردنا أن ندعو أحرار أوربا الي ديننا فيجب علينا أن نقنعهم أولا أننا كنا مسلمين ، فانهم ينظرون الينا من خلال القرآن هكذا ، ورفع كفيه وفرج بين اصابعهما — فيرون وراءه أقواما نشأ فيهم الجهل ، والتخاذل ، والتواكل ، فيقولون : لو كان هذا الكتاب حقا مصلحا لما كان أتباعه كما نرى .

ولا ريب أن كثيرا من احرارهم قد عرف حقيقة الاسلام واهتدى بعد دراسة مستفيضة ، ولكن هؤلاء أفراد ساعدتهم ظروفهم على الوصول الى الحقيقة ، أما الشعوب ، فالحجب لا تزال كثيفة أمامهم ، ولعل الوقت قد قرب ، للوصول الي معرفتهم حقيقة الاسلام

يقول الاستاذ الامام فى كتاب « الاسلام والنصرانية » بعدما عدد أسباب الجناية على الاسلام من السياسة وجمود أهله ونتيجته ، لابد أن ينتهى أمر العالم الي تآخى العلم والدين على سنة القرآن والذكر الحكيم ، ويأخذ العالمون بمعني الحديث الذى صح معناه « تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى ذات الله »

وعند ذلك يكون الله قد أتم نوره ولو كره الكافرون ، وتبعهم الجامدون القانطون ، وليس بينك وبين ما أعدك به الا الزمان الذى لابد منه فى تنبيه الغافل ، وتعليم الجاهل ، وتوضيح المنهج ، وتقويم الاعوج ، وهو ما تقتضيه السنة الالهية فى التدرج « سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » « انهم يرونه بعيدا ، ونراه قريبا » « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » وهو خير الناصرين

غيرته على الاسلام والمسلمين

ان هذا الرجاء فى اعادة الاسلام الى مجده الاول ، وسيرته الاولي لم يكن الا تفانيا منه فى محبة لاسلام وأهليته والتعلل بعودته الى سابق عهده ، واستمتاع المسلمين بالقوة وما خلق الله لهم من خيراته ، وقد كانت حياته كلها مبذولة لتحقيق هذه الاغراض ، وقد ناله كثير من الاذى فى هذه السبيل ، سبيل الله التي كان يدعو اليها على بصيرة

حدث المرحوم صاحب المنار قال : جئته مرة فى رمضان سنة ١٣١٥ على موعد ، فقيل : انه نائم ، ولم يكن ينام فى مثل هذا الوقت بل كان ينام طائفة من الليل ثم يقوم فى السحر ، ويلبث بعد السحور الى أن يصلي الصبح ثم ينام الى أن ترتفع الشمس ، فمكثت ريثما استيقظ ، فسألته ماأنامه ؟ قال ما معناه : أرقنى الليلة الفكر فى حال المسلمين ، وما ينزل بهم من البلاء ببعدهم عن دينهم ، واتباع أهوائهم وشهواتهم وقوى سلطان الفكر فهاج المجموع العصبي ونبهه تنبيها شديدا ، حتى حدثتنى نفسى أن أنزل الي حيث يكثر اجتماع الناس كالموسكى والازبكية فاقف فى الطريق أو تجاه أحد مجامع اللهو « كالمقاهى » وأنادى : أيها الناس ، ماذا رأيتم فى دينكم من القبح حتي تركتموه ؟ وماذا رأيتم فيما اخترتم بديلا منه حتي تقلدتموه ؟ ثم أخطبهم فى حقيقة ما هم فيه ، وأنذرهم عاقبة ما هم عليه ، وأبين لهم طريق النجاة منه ، وقد عالجت النوم فلم أملك منه شيئا ، فلجأت الى الكتابة ، وما كنت لاكتب فى الليل ، فجرى القلم بفصل جعلته فى أواخر فصول رسالة التوحيد ، فثابت الى بعد ذلك نفسى ، ورأن النوم على عينى ، ولكن الليل كان قد آذن بالرحيل ، وجاء وقت السحور ، فلم أنل منه نيلا ، فكانت هذه النومة فى النهار عوضا عما فاتني فى الليل .

والفصل الذى يشير اليه رحمه الله عنوانه « انتشار الاسلام بسرعة لم يعهد لها نظير فى التاريخ » وما يليه فى التفرقة بين الاسلام والمسلمين ، وهو آية من آيات الله ، فى بلاغة العبارة ، وسطوة سلطانها علي القارىء ، يقول فى أول الفصل : ابتدأ هذا الدين بالدعوة لغيره من الاديان ، ولقى من أعداء أنفسهم أشد ما يلقي حق من باطل . أوذى الداعى — صلي الله عليه وسلم — بضروب الايذاء ، وأقيم فى وجهه ما كان يصعب تذليله من العقاب — لولا عناية الله ، وعذب المستجيبون له ، وحرموا الرزق ، وطردوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة ، غير أن تلك الدماء كانت عيون العزائم تتفجر من صخور الصبر ، يثبت الله بمنظرها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب فى نفس المرتابين ، فكانت تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب ، وهى ذوب ما فسد من طباعهم ، فتجرى من مناحرهم جرى الدم الفاسد من المفصود على أيدى الاطباء الحاذقين « ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا ، فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون »

تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الاسلام ليحصدوا نبتته ، ويخنقوا دعوته ، فما زال يدافع عن نفسه دفاع الضعيف للاقوياء ، والفقير للاغنياء ولا ناصر له الا أنه الحق بين الاباطيل ، والرشد فى ظلمات الأضاليل ، حتى ظفر بالعزة ، وتعزز بالمنعة ، وقد وطىء أرض الجزيرة أقوام من أديان أخر كانت تدعو اليها ، وكانت لهم ملوك وعزة وسلطان ، وحملوا الناس على عقائدهم بأنواع المكاره ومع ذلك لم يبلغ بهم السعى نجاحا ، ولا أنا لهم القهر فلاحا

الشيخ طنطاوي جوهري

الأستاذ علي الجمبلاطي

انه فيلسوف الاسلام فى العصر الحديث الذى لم تشتهر فى الشرق شخصية من المصريين كما اشتهر وقد قرظ تواليفه فلاسفة الأمم الناهضة : فرنسا وانجلترا وألمانيا وايطاليا ذلكم هو الداعية العظيم للاسلام والسلام المغفور له الشيخ (طنطاوى جوهرى) الذى كان السائح الشرقى اذا رحل الى مصر يسأل عنه كمفخرة من مفاخر مصر والاسلام فهو معروف فى الهند واليابان وبلاد فارس والصين واندونيسيا وفى بلاد العرب من العراق والشام والحجاز واليمن الى تركستان وايران .

وأهل تركستان يسمون مدارسهم وجامعاتهم وكتبهم باسمه فيقولون (جامعة طنطاوية) و (مدارس جوهرية) و (عقائد جوهرية) لما يرون فيه من رمز لحجة الاسلام . ونرى أهل ايران يدرسون كتاب تفسيره المسمى « الجواهر فى تفسير القرآن الكريم) لجميع طلابهم على انه دائرة معارف عامة وكذلك الأمر فى السودان وشمال افريقيا وجاوا وبذا اخبرنا العلامة (أبو عبدالله الزنجاوى) أن طلاب العلوم الحديثة فى مدارس ايران يقرأون هذا التفسير وبه وحده زالت شكوكهم فى الدين وكذلك شأن الكتاب فى الهند ، وكتابه (التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم) انتشر فى تركيا وفارس وروسيا بعد أن ترجم الى لغاتها كما ترجمه الى الصينية العالم الصينى المسلم (وانون‌كن) وقدمه العالم الفيلسوف الشيخ طنطاوى الى مؤتمر الأديان اليابانى عام ١٩٠٦ فقرظه المؤتمر بما لم يقرظ به كتابا قبله أما كتابه (نهضة الأمة وحياتها) فقد تمدحت به (جريدة لاهور) فى مارس ١٩١٠ بما يجعلنا نعتز بمكانة الشيخ وكتابه (نظام العالم والأمم) ترجم الى الهندية ويدرس بجامعة (عليكرة) .

فاذا تركنا احتفاء الأمم الشرقية بمؤلفاته لضيق المجال وذهبنانتلمس المكانة المرموقة لعالمنا الجليل الشيخ جوهرى فى عالم الغرب هالنا احتفاء فلاسفة الأمم الغربية به وبمؤلفاته

رأيه فى اللغة العربية وخدمتها

اللغة العربية من أقدم اللغات العالمية وأوسعها انتشارا ، لمرونتها ووفرة ثروتها ، وأقدرها على التعبير عن كل ما يدور بالخلد ، من أحاسيس مختلفة ، وعواطف ملتهبة ، بالفاظ وجمل متباينة ، بعضها أبلغ من بعض ، علي حسب درجات المتكلمين والسامعين ، وحسبها أنها سايرت تطور الفكر الانسانى من يوم أن ارتقي الانسان ، وأصبح ينشر أفكاره العلمية والادبية وقد أسهمت بالنصيب الاكبر فى خدمة الثقافة سواء كانت اسلامية عربية أو مترجمة ، بل حسبها أنها نقلت مختلف الثقافات التى وصلت اليها الامم الى أوربة ، ولولا اللغة العربية والحضارة الاسلامية لتاخرت حضارة أوربة أكثر من ثلاثة قرون تلك كانت حالة اللغة العربية فى عصور زهوها وازدهارها ، ثم سرى اليها ما يسرى على كل كائن حي من الضمور والجمود ، فتوقف نموها ، وتعثر سيرها ، وأصبح التأليف فيها عقيما لا يطفى عليه ، ولا يروى ظماه

والاستاذ يرى أن اللغة العربية فى حاجة الي اصلاح فوق اصلاح التعليم ، واتقان الكتابة والخطابة ، كما فعل الغربيون فى لغاتهم ، وذلك بتاليف المجامع لوضع المعاجم اللغوية ، وتاريخ تطور اللغة ، وما دخل فيها من مصطلحات وكلمات معربة وكذلك المعاجم العلمية وفلسفة البيان والنقد ، وكان يرى أن الوصول الى هذه الغاية يحتاج الى خمسين سنة مع الدأب علي العمل ونحمد الله أن حققنا الكثير مما كان يرجو

وكان يفضل كتب المتقدمين على كتب المتاخرين لسهولة عبارتها وقلة الاستطراد فيها الذى يضيع الوقت وبخاصة المناقشات اللفظية التى منيت بها كتب المتاخرين الجافة الاسلوب العقيمة الانتاج .

وقال مرة : اننا اذا أردنا أن نكتب فى تاريخ علم الكلام فلا نجد فى تاريخنا مادة تفي بالغرض ، يقال : ان واصل بن عطاء اول من تكلم فى العقائد على مذهب المعتزلة ، وأما الحسن البصرى جادله فلما لم يقتنع قال له : اعتزل مجلسنا ، فاعتزل واتخذ له مجلسا يقرر فيه المذهب الجديد ، فمن أين جاء هذا الفكر الجديد ؟ وكيف انتشر هذا المذهب ؟ وما الذى حدا الشيخ أبا الحسن الاشعرى للقول بان الوجود عين الموجود ؟ ومتى دخلت الفلسفة كتب العقائد ، وماذا كان غرض العلماء فى ادخالها علي العقول مع العقائد فى وقت واحد ؟ كل هذا قل أن نجده فى تواريخنا ، ولكن يمكن أن نجده فى كتب الافرنج ، لذلك كان يجزم بأن العالم المسلم لا يستطيع خدمة الاسلام خدمة لها أثر الا اذا أتقن لغة من اللغات الاوربية

أقول ان ما كان يرجوه الشيخ فى الفقرة السابقة قد تحقق أكثره بعد اطلاع فريق منا على كتب الافرنج فيما كتبوا عن الاسلام ولله الحمد والمنة .

ظلمناه وأنصفه غيرنا !

التى تربو على الثلاثين والتى ترجم الكثير منها الى لغاتهم وكتب أعاظمهم عنـه على أنه علم شامخ فى الفكر الاسلامى والعالمى فهذا العالم الالمانى (بروكلمان) يترجم له فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) ويعدد مؤلفاته ويذكر أنها ثروة ضخمة من التراث الفكرى الخالد ويعد الأب (جوميه) من الآباء الدومنيكان رسالة قيمة عن كتاب التفسير (الجواهر) ويتقدم برسالته الى جامعة السربون فينال بها جائزة الماجستير ويثنى المشرفون على المناقشة ثناء مستطابا على النهضة العلمية الحديثة التى ربطها الفيلسوف المصرى بنصوص القرآن الكريم حتى جاء كتابه مزيجا من علوم الأمم قديما وحديثا مع التوفيق بين الآراء الحديثة والافكار الدينية . وبحث الدكتور (هارتمان) كتاب العالم الفذ طنطاوى (نظام العالم والأمم) ويذكره ضمن كتب الشيخ التى تستحق الدراسة ويعلل ذلك بقوله (ان هذا الكتاب تتضح فيه سمات الشيخ العبقرية وحبه الأصيل للطبيعة ويذكرنا بالكاتب الانجليزى « جون لوبوك أو اللورد ايفبرى » اللذين اشتهرا بحبهما للطبيعة) وتقرظ مجلة الجمعية الأسيوية الفرنسية التى تدار بجمع من فحول المفكرين والفلاسفة العظام وتقول بعد أن شرحت الكتاب (نحن لا يسعنا الا الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكاء وليس اجلالنا لهذا الاستاذ لما تقدم فقط بل لانه ترجم آراء مؤلفى الانجليز مثل : ايفبرى وسبنسر وداروين – وبحث فى الفلسفة الاغريقية واللاتينية وجمع زبدة آراء جميع العصور المختلفة وحصرها فى كتاب صغير بعبارة جميلة رقيقة) وكذلك قرظ الكتاب البارون (كراديفو) ومجد مؤلفه وهو يتحدث بالحمد والثناء عن كتاب (نهضة الأمة وحياتها) للشيخ جوهرى – ولما كان الشيخ طنطاوى لم يكافح فى سبيل سمو مبادىء الاسلام فحسب بل نافح وناضل عن القضية المصرية كما يتضح من كتابه (نهضة الأمة وحياتها) الذى نشره فى جريدة اللواء أيام مؤسس الحزب الوطنى الزعيم مصطفى كامل – لذا أطلق العلامة (سانتيلانه الايطالى) على الشيخ جوهرى انه احد رؤساء الحركة السياسية والاجتماعية التى انتشرت فى طبقات الشعب الاسلامى) ويتحدث البارون (كراديفو) فى كتابه (قادة مفكرى الاسلام) عن المظاهر الرئيسية لتطور مصر الحديثة فيقول (من هذه المظاهر العناية الشديدة التى أظهرها رجلان من رجال الدين وهما الشيخ محمد عبده والشيخ طنطاوى فى تمثيل الدين الاسلامى وتأثيره فى النفوس للنهوض بها الى التطور الحديث) ويترجم العلامة (تشارلز آدمز) فى كتابه (الاسلام والتجديد فى مصر) للشيخ جوهرى (ككاتب له مؤلفات عديدة فى نصرة الدين والدفاع عنه وأنه من مدرسة الامام وأتباعه الذين عملوا على التوفيق بين المدنية الغربية والعلم الغربى وبين الحياة الاجتماعية والدينية فى مصر وجعلوا الكيان ذلك كله طابعا اسلاميا صحيحا) وأيده فى ذلك كله الدكتور (هارتمان) وزاد عليه فقال (ان الشيخ طنطاوى كان من مدرسة الامام ومن العاملين المفكرين المؤمنين بفريضة الاصلاح ورسالة التقدم وكان مثله يكافح الجمود من جهة ويكافح التفرنج الذميم من الجهة الاخرى) .

ولعل فى بعض ما ذكرنا من انصاف فلاسفة الغرب واحتفاء دول الشرق ما يجزىء عن الاسهاب فى عرض كل ما قيل وهذا البعض على وجازته يضع فيلسوف الاسلام المعاصر على رأس القائمة حين يذكر دعاة الاسلام وقادة الاصلاح .

أما عن الشيخ الفيلسوف كداعية للسلام فقد كان علما شامخا يسعدنا ونحن نفاخر العالم الآن بأننا دعاة السلام أن يكون وطننا مهدا لهذا العالم العبقرى الذى دعا الى السلام العام ورشح لجائزة نوبل للسلام عام ١٩٣٩ ولذا نرى المستشرقين فى هذه الناحية يتحدثون عن الشيخ بما يجعلنا نفاخر العالم ونحاسب أنفسنا فى قسوة على أننا ظلمنا هذا العلامة الفيلسوف يوم نسينا حتى ذكراه .

وقد تقدم الشيخ طنطاوى للجائزة بكتابين أولهما (أين الانسان) وقد فضل البارون (كراديفو) آراء الشيخ طنطاوى فى السياسة التى تضمنها الكتاب عن آراء نيتشه الالمانى وداروين الانجليزى وقال (ان الكتاب شرف لمصر والاسلام وهو يستحق الاحترام وقد وضعه المؤلف بهيئة روايةفلسفية سياسية فهو فى هذا يشبه الفارابى من حيث أصل الفكرة وابن طفيل من حيث الاسلوب ويذكرنا بأساليب علمائنا وأدبائنا فى أوروبا مثل توماس موروس وكامبانيلا) وقد وصف العلامة الاستاذ (جيب الانجليزى) ذلك الكتاب فى مجلة (مدرسة العلوم الشرقية) بانه خير كتاب عربى فى الادب وقرظه العلامة (سنتلانه الايطالى) وقال (انه من الصحف العظيمة الدالة فى الوقت الحاضر على مقدار ارتقاء شعور الطبقة الراقية الاسلامية) وقد قرظه كذلك العلامة الالمانى (يوسف شخت) فقال (انهذاالكتاب مشتهر بين المستشرقين فنعم الكتاب الذى يستغنى عن التعريف ونعم مؤلفه

وان ترجمته لمفيدة حقا) وهذا الكتاب (أين الانسان) هو الذى جعل الاستاذ (اغناطيوس غويدى) يصف الشيخ طنطاوى (بانه فيلسوف العرب وكندى عصرنا) وقد حضر الاستاذ (كريستيان جوب) من (لكسمبرج) ضيفا على مصر وقال فى خطابه الذى القاه فى جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٣٨ انه حضر الى مصر خصوصا للتشرف بمعرفة الشيخ طنطاوى شخصيا بعدما عرفه عن بعد ثم قال (ان كتاب أين الانسان يبحث فى أعقد المشكلات المالية بحثا عجزت أوروبا الى اليوم عن الاتيان بمثله وقد رسم فيه هذا الفيلسوف للعالم بأسلوب فلسفى عميق طريقه المستقيم الى السلام الدائم الذى رسمه الله فى قوله تعالى (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وقد طبع هذاالكتاب عام ١٩١١ وتقدم به الشيخ طنطاوى الى مؤتمر الأجناس العام فى نفس العام فلقى من تقديره ما يجعل مؤلفه الفيلسوف قمة من قمم الفكر العالمى فى الدعوة للسلام.

أما كتابه الآخر (احلام فى السياسة وكيف يتحقق السلام العام) وهو الكتاب الثانى الذى قدمه مع كتابه (أين الانسان) الى البرلمان النرويجى حيثتوجد لجنة(جائزة نوبل) فقد كثر المقرظون له والمثنون عليه وهذه الجمعية الاسيوية الملكية تحييه بقلم العلامة (مارغيليوس) عام ١٩٣٧ فيقول (لقد عرفت الاستاذ طنطاوى عام ١٩٠٤ اذ بدأ ينشر مقالات علمية وكتبا حكمية لخير الانسانية ومنافعهاوالسلام العام وقد نجح فيما حاوله من نشر السلام والدعوة اليه وذكرنا كتابه : أحلام فى السياسة بكتابين نشرهما العلامة (كانت الالمانى) فى السلام العام وان (كانت) وان كان عالما بعلمى الرياضة والفلك لم يستعملهما فى السلام العام أما الشيخ طنطاوى فانه قد أدخل فيه هذين العلمين وأضاف اليهما علم النبات والكيمياء والتشريح وعلم النفس فهذه العلوم كلها فجعلها المؤلف وسيلة توصل بها الى مشكلة السلام العام) ولقد أفاض فى تقريظ هذا الكتاب العلامة (كريستيان جوب) وذكر أنهيضع مؤلفه الفيلسوف فى قمة المفكرين ولذا ترجم كتابيه(أحلام فى السياسة وأين الانسان) وكتاب (أحلام فى السياسة) ألفه الاستاذ طنطاوى أولا بالانجليزية ثم ترجمه بعد ذلك الى العربية وطبعه عام ١٩٣٥

وبهذين الكتابين كما أسلفنا تقدم الشيخ جوهرى لنيل جائزة نوبل وقد رشحه لها من المصريين الاستاذ الدكتور مصطفى مشرفة عميد كلية العلوم آنئذ بعد أن أحالت عليه وزارة المعارف بناء على رغبة وزارة الخارجية كتب الشيخ ليفحصها ويبدى رأيه فيها وانضم اليه فى هذا الترشيح الدكتور عبد الحميد سعيد عضو البرلمان ورئيس جمعية الشبان المسلمين فأخذت وزارة الخارجية بهذا الترشيح وأرسلت مؤلفاته الى البرلمان النرويجى مشفوعة بتقارير عن جهوده فى سبيل العلم والسلام وشهادات علماء انجلترا وفرنسا وايطاليا وألمانيا فى قيمة مؤلفاته وذلك فى عام ١٩٣٩

وفى فجر اليوم الثانى عشر من يناير عام ١٩٤٠ اختار الله الى جواره هذا الفيلسوف المصلح وانطوى العلم الشامخ بعد ثمان وسبعين عاما فى جهاد موصول لخدمة الاسلام والسلام وبالامس القريب مرت ذكراه ولم نسمع عنه طوال التسعةوالعشرين عاما التى مرت على وفاته ما يؤدى واجب الوفاء لمجاهد صدق الله فى جهاده حتى كانت حياته تاريخا وكتبه ثروة وجهوده ثورة عرفت مآثره دول الشرق فاتخذته اماما ومجد المنصفون من علماء الغرب تراثه لانهم كانوا معه طلاب حقيقة

لم نسمع من مفكرينا المحدثين الذين يتناولون فى محاضراتهم وكتبهم تقييم مواريثنا الروحية والاشادة بها من ذكر مآثر الشيخ طنطاوى وآثاره فيمن يذكرونه من الروادوالمصلحين – ولم نشهد اسمه الكريم على معهد تعلم أو علم فيه ولم نر لافتة وضعت باسمه على شارع كان يضم منزله ، أو قاعة فى جمعية دينية اسسها أو أسهم فيها بجهوده التى كانت مشعلا للهداية فى هذه الجمعيات .

وانى على يقين أنناظلم أنفسنا وتاريخنا وأمجادنا بتجاهل الاعلام من علمائنا الذين ساروا على الشوك ليعبدوا لنا طريق المعرفة ويرفعوا على السبيل هداية السماء ويضاعف هذا الظلم أن يذكر بالاجلال أعداؤنا أعداء العروبة والاسلام من الفلاسفة والمستشرقين .

ولعل خير ما اختتم به هذه العجالة التى قصدت ان استحمس بها طلائع كتابنا ومفكرينا على تقدير تراث روادهم حتى لا يحيق ذلك بهم – أختتم عجالتى بكلمة حق للتاريخ فاننىأذكر أنى حين ذهبت الى أستاذ الجيل ورائد الفكر الحر المرحوم (العقاد) لاقدم اليه فى استحياء كتابى المتواضع الذى أخرجته عام ١٩٦٢ (فى ذكرى طنطاوى جوهرى) كان وأشهد الله سعيدا بماقدمت لانه يضع (الشيخ طنطاوى) فى قمة الدعاة والمصلحين الذين تفاخربهم مصر والشرق وتمنى آنئذ أمنيتين :

أولاهما أن يتاح له الوفاء بحق الشيخ جوهرى على الاسلام والسلام

وثانيتهما أن يهب الله للعالم الجليل طنطاوى من الاشياع كوكبة من الدعاة النابهين الذين يستطيعون أنيعيدوا له بعد مماته ما كان له من نباهة الذكر ابان حياته – واذا لم تكن الامنية الغالية الاولى قد تحققت فانا نسأل الله أن تتحقق الثانية والله عنده حسن الثواب .

الأديب الثائر عبدالله النديم

الأستاذ حسين السكرى

هناك رجال صنعتهم الاحداث ، وخلدهم التاريخ ، وتغنى بذكرهم القاصى والدانى فى كل مكان ، فقد كانوا حربا على المستعمر وأذنابه ، كما كانوا منبرا حرا ، وقلبا جريئا ، ولسانا معبرا ، وقلما سيالا للثورة وأنصارها ، وأحد هؤلاء الفحول البارزين ، شاعرنا الثائر ، وأديبنا الثائر وخطيبنا الذى طالما هز المنابر ، الرجل المناضل الشيخ عبدالله النديم ، فقد كان صنو الثورة الرائدة ، وعنوان الحرية المتقدة ، وذروة الاخلاص الدائب ، وعلم النضال الخفاق ، تحولت الدنيا من حوله ولم يتحول ، ونكص الناس على أعقابهم ، فكان الشهم المقدام ، وطارده الانجليز حتى أعيتهم الحيل فلم يظفروا منه بطائل ، ورجل هذا شأنه حرى أن ينفسح له مجال الكتابة ، وخليق أن يظفر منا بالتقدير والتبجيل .

كان عبد الله النديم لسان الامة المدافع ، وقلبها النابض بالحماس والحرية ، فقد وهب نفسه لامته ، وقدم حياته رخيصة لعروبته ، فاخذ على عاتقه منذ نشأته حتى مماته ، مقاومة المستعمرين ، ومجاهدة المعتدين ، ومكابدة المعاندين المضلين ، لا تضعف له قناة ، ولا تلين له عزيمة ، ولا يهن منه قلم أو ساعد ، ولا يكل له لسان أوجنان ، فهو نفسه الثائر فى الصبا واليفاعة ، وفى الشباب والشيخوخة ، تجده فى صحته كما تراه فى سقمه ولم يكن يرمى من وراء هذا الى غنى أوجاه أو سلطان ، ولكنها أصالة النفس تحكمت فى الرجل فجعلته يخوض المخاطر ، ويركب الاهوال ، ويدق الابواب ويصادق القوافى ، ويرسم صورا بارعة من النثر والأزجال .

وربما تعجب اذا علمت أن الذى صنع كل هذا رجل من عامة الناس ، فقير الحسب ولكنه غنى النفس بما وهبه الله من الصلابة والشاعرية ورهافة الحس والجرأة . كان مولده فى الاسكندرية ، وكان أبوه السيد مصباح نجارا ، ثم صاحب مخبز ، فهو اذن من أواسط الناس وعامتهم ، وان كنا نعلم أنه شريف النسب ، حيث ينتهى الى الحسن بن على - رضى الله عنهما - فلا غرابة اذا وجدناه واسع الشهرة ، بعيد الصيت ، يسعى سعيا متواصلا وراء جلائل الاعمال .

استهل النديم حياته بطلب العلم فى جامع الشيخ ابراهيم باشا فى الاسكندرية وكانت أمنية ابيه أن يراه معلم كتاب ، أو امام مسجد ، أو واعظ مجلس ، ولكنه أخلف ظنه وانصرف الى مزاولة الشعر والادب ، وممارسة الزجل والخطابة والكتابة فجعل كل همه مناظرة الأدباء ، ومطارحة الشعراء ، من أمثال محمود سامى البارودى ، ومحمود صفوت الساعاتى ، وابراهيم اللقانى ، والشيخ على أبو النصر ، والشيخ أحمد وهبى ، فاذا بهم منه بمجلس الخوارزمى من بديع الزمان .

ثم نجده بعد هذا يطلب أسباب الرزق فى تعلم فن الاشارات البرقية ، حتى اذا أجادها ، وأربى فيها على المراد ، التحق باحدى الوظائف بمكتب تلغراف بنها ، وعندما ينقل الى القاهرة نراه يهتبل فرصة فراغه من عمله لينضم الى مجالس العلم بالازهر قاصدا الاستزادة من العلوم الشرعية واللسانية ، ومستكملا ما فاته من المطالب العقلية والنقلية ، ومستدركا كل هذا بالمذاكرة مع صديقه وابن بلدته « حمزة فتح الله » ولقد لبثا طوال حياتهما أخوين مخلصين لم تفرق بين روحيهما الايام ، وان فرقت بين طريقتيهما أحداث السياسة ، وزوابع الخلاف . فقد كان لكل منهما مشرب خاص بعدهذا نرى النديم يشتغل بالتجارة فى المنصورة ، ولكن هل يجيد الاديب الفنان أسرار التجارة ؟ وهل يعرف أفانين التجار وتحايلهم وخبرتهم ؟ من أين له هذا وهو صاحب الاحساس المرهف ، فلا عجب اذا علمنا أنه أفلس وعاد الى بلده « الاسكندرية » بعد جولات عدة فى طول البلاد وعرضها ، وفى هذه الاثناء يشتد غليان المدينة ، وتفور الدماء فى العروق ، لان نفوذ الانجليز والفرنسيين كان يسيطر على كل شبر فى الأمة فى شرق البلاد وغربها ، حتى أصبحت كل شئون الدولة جميعها تحت رحمتهم ، ورهن اشارتهم ، مدعين انهم يقصدون تنظيم الشئون الاقتصادية ويحصلون فوائد الديون المالية ، والى هذا الحين لم تكن الخطابة السياسية معروفة لهذا الجيل ، وكان قصارى جهد الخطيب تحبير خطبة دينية من مسجوعات العصور المتأخرة ليلقيها على المنابر ، أو تنميق موعظة خلقية اقتضاها موقف من المواقف فلما استفحل الشر ، وكشر الاستعمار عن أنيابه تحركت بعض الملكات الكامنة لتصد ذلك التيار الجارف ، متمثلة فى نفر من أعلام

القول ، وملوك البيان وأولهم « عبدالله النديم » فقد كان أبعدهم صيتا ، وأكثرهم شهرة ، حتى سماه مؤرخو الثورة « لسان الأمة » و « خطيب الثورة » و « خطيب الحزب الوطنى » و « خطيب الشرق » ويليه فى هذا الاستاذ محمد عبده ، ثم ابراهيم اللقانى ، وحسن الشمسى وخامسهم أحمد سمير ، وأخيرا أديب اسحق . وكان النديم يقدمهم فى أغلب الحفلات ويعلق عليهم بعد ذلك بكلمات .

كانت هذه هى النواة الاولى ، وقد حاكاها كثير من المتأدبين، واقتدى بهم وسار على منوالهم بعض الوعاظ والمدرسين ، فعقدوا لذلك المجامع الاسبوعية والمحافل الموسمية يتناولون فيها كل ألوان الخطابة السياسية والاجتماعية ويتمرسون فنونها ، ويسلكون دروبها ، ومع هذا لم نجد أحدا منهم يبلغ ما بلغه النديم ، أو يصل الى ما وصل اليه من الابداع واستواء النفوس .

ثم طرق النديم باب الكتابة فى الصحف ليشد خواطر الناس ، ويوقظ النفوس الغافية ويستنهض الهمم الخاملة ، وقد رأى بثاقب فكره أن ينشر أفكاره بطريقته الخاصة فأصدر جريدة « التنكيت والتبكيت » وأعتقد أن اسمها يدل عليها فهى تنطوى على السخرية اللاذعة فى أسلوب هازل .

ولما قامت الثورة العرابية ، واندلع لهيبها ، تطلع اليه العرابيون ليساندهم ويشد أزرهم ، ولم يكن النديم فى حاجة الى من يطلب اليه ذلك لان لسانه وأفكاره تؤيد هذا وتدعو اليه، ثم طلب منه الزعيم أحمد عرابى أن يغير اسم صحيفته فأسماها « الطائف » وأخذ يكتب فيها أروع المقالات التى كانت منارة تهدى الوطنيين ونارا تحرق الاحتلال والمحتلين ، ولقد سطع نجمه وارتفع صيته حتى ضجت منه ومن صحيفته كبريات الجرائد الانجليزية ، كالتيمس ، والديلى نيوز وغير ذلك وكفاه فخرا ما شهد له به بعض المؤرخين حيث يقول الرافعى فى كتابه « الثورة العرابية » « تبدو ناحية العظمة فى شخصية عبدالله النديم ، من اخلاصه فى الثورة ، ومبادئها بعد اخفاقها ، ومن النادر أن تجد هذا الاخلاص ، فان دعاة الثورة وانصار كل حركة، يتنكرون لها بعد الهزيمة ، ولكن النديم كان من الشخصيات القليلة التى أخلصت للثورة فى محنتها ، وهذا ما يسمو به الى مصاف الابطال »

ويقول المرحوم أحمد شفيق (باشا) فى مذكراته السياسية تحت عنوان « انفجار الثورة » « امتدت الحركة العرابية ، وانضم اليها طائفة من الكتاب القديرين ، والخطباء المؤثرين وفى مقدمة هؤلاء عبدالله النديم ، فقد كان يستثير الشعور دون حيطة أو تبصر ، وكان قلمه - فى جريدة « الطائف » ثم « لسان الامة » شعلة من نار ، ولسانه فى خطبه حربا عوانا ، ويليه فى ذلك « حسن أفندى الشمسى » الذى كان يحرر جريدة « المفيد » هكذا نرى أن مصر فى ذلك الحين قد انقلبت مسرحا للخطباء فى كل مكان ، حتى فى مجالس السمر ، واحتفالات العرس ، ومما يؤثر فى ذلك أن محمد عثمان المغنى المشهور كان اذا سأله سائل : فى أى فرح تغنى الليلة ؟ أجاب ٠ فى الفرح الفلانى ، مع عبد الله النديم »

ثم تمضى الأمور على هذا ، وتأتى خديعة التل الكبير ، ويقع زعماء الثورة فى قبضة الاسر ما عدا النديم ، فقد أتعب الانجليز أمره ، وأعياهم البحث عنه ، لانه اختفى ومعه خادمه تسعة أعوام كاملة ، لا يعرف مكانه أحد ، ولا يقف منه على دليل وأخيرا بعد أن عجز الانجليز عن الاهتداء اليه ، أوعزوا الى الحكومة والخديو - وكلاهما من صنائع الاستعمار آنذاك - أن ترصد مكافأة قدرها ألف جنيه ذهبا لمن يدلهم عليه بعد أن حكموا عليه غيابيا بالنفى المؤبد من البلاد المصرية .

وتشاء الاقدار بعد تسع سنوات أن يشى به أحد الجواسيس من صنائع الانجليز ، وقد دفعته الى ذلك نفسه الدنيئة الشريرة وحرصه وطمعه فى استلام المكافأة المغرية ، ومع هذا نرى أن الظروف تخدم النديم ، وتقف بجانبه ، فقد قيض الله له ذلك الرجل النبيل « قاسم أمين » وكان وكيلا للنيابة فى ذلك الحين، فتولى أمر التحقيق ، وفوت على الجاسوس رغبته الخبيثة ، ومقصده الآثم ، ثم عمل على تهيئة أسباب الراحة للنديم ، فانتهى الامر بنفيه الى يافا ، وقد اضطر الانجليز تحت ضغط الشعب الى اباحة العودة له الى « مصر » فعاد أشد صلابة وأقوى عزيمة ، واستأنف جهاده فى مجلة سماها «الأستاذ» كانت حمما يغلى ومرجلا يحتدم ليصب جام غضبه فيها على الانجليز ، فأوجسوا منه خيفة وأغلقوها له ، وأعادوه مرة أخرى الى يافا، بعد أن أخذوا عليه المواثيق والعهود ألا يكتب كلمة واحدة فى شأن من شئون مصر

ثم تتوالى النكبات ، ويعارض سلطان تركيا فى بقاء النديم بيافا مخافة تأليبه البلاد عليه ، فأمر بابعاده عنها ، ولكن الغازى أحمد أحمد مختار باشا سعى لدى السلطان حتى قبله فى الاستانة .

وهناك فى الاستانة ، يلتقى بأخيه فى الكفاح السيد جمال الدين الافغانى فيرحب به غاية الترحيب ، ويخفف عنه ما نزل به أعظم التخفيف ، ويهش له ويبش فى وجهه ثم يلازمه ملازمة الظل حتى الرمق الاخير من الحياة

ولقد عرف الجميع قدره ، وقدروا له جهاده وبلاءه أجمل التقدير ، فتزاحموا فى وداعه الى مقره الاخير أشد الزحام ، فى موكب مهيب يليق بما كان له من نبالة الشان ، وبعد الهمة ، وأصالة النفس ، وثبات الجنان ولست أرى أروع مما قاله فيه صنوه ورفيقه السيد جمال الدين الافغانى فى كتاب « سلافة النديم »

« ما رأيت مثل النديم طول حياتى ، فى توقد الذهن ، وصفاء القريحة ، وشدة العارضة ، ووضوح الدليل ، ووضع الالفاظ وضعا محكما ، بازاء معانيها ان خطب أو كتب »

رحم الله النديم ، وجعله مثلا حيا يحتذى لهذا الجيل من الشباب ولكل جيل .

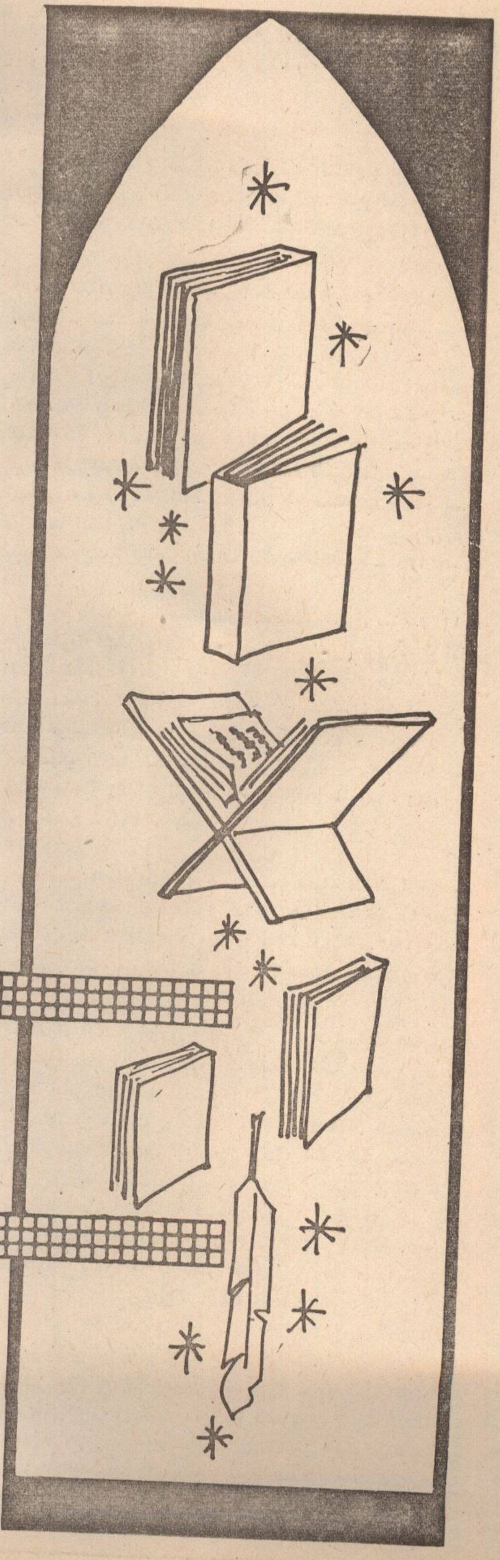

المكتبة الإسلامية

المخطوطات النفيسة الغالية

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

نوادر المخطوطات التي اختارها المرحوم أحمد تيمور باشا لتكون بمعرض خزانته مرتبة على الحروف

(د)

(الرسالة الاشقتمرية) فى مسائل من أصول الدين وأصول الفقه ، والفقه والمعانى والنحو ولم نعلم اسم مؤلفها ، وانما فى المقدمة أنه ألفهـــا لملك الامراء أشقتمر الاشرفى كافل المملكة الحلبية . والنسخة كتبت سنة ٨١٢ هـ بخط يد كار بن أحمد ابن يوسف الأوزان برسم خزانة اشقتمر المذكور – ٤٦ معالم .

(الرسالة الشهابية) فى علم الموسيقى للحكيم ميخائيـــل مشاقة المتوفى سنة ١٨٨٨ م ، كتبها الشـــيخ يوسف عفيفى الميقاتى بالمسجد الحسينى سنة ١٣١٠ هـ ، بآخرها دائرة للانغام وهى التى أوردها الشيخ محمد العطار فى شرح رسالة التشريح – ٢١ موسيقى . (انظر هذه الدائرة أيضا فى رقم ٦٧ موسيقى ص ٤ ، وفى ص ١٤ دائرة فلكية موسيقية) .

(رسالة فى دعوات واستغفارات) ناقصـــة من أولها ، وهى مكتوبة جميعها بالليقة الذهبية ، كتبها حميد بن مباركشـــاه الخنينى سنة ٧٧٩ هـ – ١٥٢ تصوف .

(رسالة فى المادة الطبية) باللغة التركية ، بهارسوم متقنـــة ملونة لانواع من النبات والمعادن ، وصور كثيرة للالات الطبيـــة والأنابيق والأفران فى غاية ما يكون من الابداع . وقيل : هذه الرسالة « كتاب شفاء الإسقام » باللغة التركية فى الطب – ١٢٢ طب .

(روضة الآداب ونزهة الالباب) – وهو مجموع شعرى على حروف المعجم ، لم نعلم اسم مؤلفه ، وبه خرم ، ضمن مجموعة . وفى ص ١٢٠ لوحة مذهبة أخرى – ٣٢٢ مجاميع .

(ز)

(زهر الكمام فى قصة يوسف عليه السلام) للشيخ عمر بن ابراهيم الأوسى . نسخة كتبت سنة ٨٧٠ هـ وبآخرها كتابة عن بيع النسخة وكتابين آخرين ، مبدوءة بخطبة – ١٦٩٥ تاريخ .

(ش)

(شرح البركوى على أربعين حديثا) جمعها وكمل الشرح الافكرمانى نســـخة كتبت سنة ١١٧٦ هـ بخط فارسى جميـــل – ٢١٨ حديث .

(شرح زين الدين العـــراقى ٨٠٦ هـ على ألفيته فى مصطلح الحديث) المسماة (بالتبصرة) وهو شرحه المتوسط . نسخة كتبت سنة ٨٤٠ هـ ، وهى فى غاية النفاسة والصحة والضبط ، قرئت على العلامة ابراهيم بن محمد ، الشـــهير بسبط ابن العجمى ، وبالبرهان الحلبى وعليها خطـــه فى عدة مواضع ، وبآخرها أيضا وبأولها لوحتان مذهبتان منقوشتان بنقوش عربية بديعة ، وجميع تراجم الابواب مكتوبة بالذهب – ١٣٩ مصطلح الحديث .

(شرح العلامة محمد العطار الدمشقى المتوفى سنة ١٢٤٣ هـ على منظومة التشريح) للعلامة حسن العطار المصرى شيخ الأزهر المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ ، فى ص ٩٦ دائرة للانغام بوسطهـا دائرة أصغر منهامتحركة أوردها بمناسبة قولهـــم : ان فى الشريان طبيعة موسيقية – ١٢٤ طب .

(شهاب الاخبار للقاضى القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ) نسخة نفيسة مذهبة وكذا تراجم الابواب وعلامات الوقف ، وهى بخط قديم حسن – ٢٩١ . حديث

(ص)

(صحيح الامام البخارى) – نسخة دقيقة الخط فى مجـــلد واحد ، كتبها عبدالله الشهرى سنة ١١٦١ هـ ، جميعها مجدولة بالذهب ، حسنة الجلد ، وبأولها لوحة نفيسة – ٢٨٧ حديث .

(صور البروج والكواكب) وبه ٢٦ صورة – ٢٨٨ رياضيات .

(ع)

(عذراء الوسائل وهودج الرسائل) أو (أصليت الخريت فى قطع بلعوم العفريت النفريت) – تاليف الفقيه أحمد بن عبدالله المعروف بابن أبى محلى المستولى على المغرب الأقصى بدعوى انه المهدى المنتظر ، والمتوفى مقتولا سنة ١٠٢٢ هـ . ضمن هـــذا الكتاب رحلته الى مصر والحجاز وغيرهما ، واستطرد فيه الى ذكر آرائه وبعض مسائل علمية وأخبار من لقيهم من الفضلاء . والنسخة بخط أندلسى ، كتبت سنة ١٠٢١ هـ أى قبل وفاته بسنة وأهديت لخزانته . وفى أولها مكتوب بالليقة الذهبيـــة اسم الكتاب ونعت مؤلفه بامير المؤمنين ، وهى مجدولة ومحلاة بالذهب – ١٠٠٧ تاريخ فى ص ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٥١ ، ٦٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٧٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٨٧ تعليقات بالحواشى ربما كانت بخط المؤلف .

(العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع) – ألفـــه بالأعجمية الرئيس ابراهيم بن أحمد غانم بن محمود بن زكريا الاندلسى ، وترجمه الى العربية ترجمان سلاطين مراكش أحمد بن قاسم بن الحجرى الاندلسى ، وهو خمسون بابا ، وفيه رســـوم متقنة للمدافع ، والنسخة بخط مغربى – ٩٧ فروسية .

(العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين) - للعلامة حسن الجبرتي المتوفى سنة ١١٩٢ هـ ، وهو والد المؤرخ المشهور الشيخ عبد الرحمن الجبرتي . نسخة كتبت سنة ١٢٣٠ هـ . وفي ص ٦ منها صورة الميزان - ٢٨٩ رياضيات .

عين الحياة في علم استباط المياه - للعلامة أحمد الدمنهوري المتوفى ١١٩٢ هـ ، وهو كتاب غريب الموضوع . وفي ص ٧ صورة لهاب الرياح . وفي ص ٣٣ صورة الكرة الارضية والأقاليم السبعة . وألحقت بآخر النسخة هذه الدائرة المتقنة الرسم ، البديعة الشكل ، وهي لمعرفة القبلة لكل البلاد الاسلامية وكتبت النسخة سنة ١١٤٦ في حياة المؤلف ، وبحواشيها تصحيحات بخطه - ١٠٨ طبيعيات .

(ك)

(كتاب البيطرة وانتاج الخيل وتربيتها وتدريبها) مختصر من تاليف أحمد بن الحسن بن الأحنف ، منقول بالتصوير الشمسي عن نسخة قديمة كتبت سنة ٦٥٠ هـ ، وبها صور كثيرة ملونة ، وهي محفوظة بخزانة مدرسة خليل أغا بالقاهرة - ١٠٨ فروسية .

(أهدى الينا هذه النسخة المستشرق الأمريكي الاستاذ شارل المسمى بعبد العزيز رضوان في ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ)

(كتاب في الكيمياء) - لم نعلم مؤلفه ولا اسم الكتاب ، بأوله صورة ، والنسخة حديثة الخط - ١٤٥ طبيعيات .

(كتاب في الكيمياء الكاذبة) - لم نعلم مؤلفه ولا اسم الكتاب ، به صور كثيرة ملونة ولكنها غير متقنة ، والنسخة حديثة الخط - ١٤٤ طبيعيات .

(كتاب القوانين في صفة القبان والموازين) - لم نعلم اسم مؤلفه ، وهو ناقص من أوله ، به في ص ٢ صورة آله القبان ، وفي ص ٤ صورة الميزان ، وفي ص ٦ صورة أخرى للميزان - نسخة كتبت سنة ١١٥١ هـ وبآخرها في ص ٦٢ منظومة للشيخ يحيى قنور فيما يتعلق برسم القرسطون - ٢٧٩ رياضيات

(كتاب معرفة الكواكب الثوابت ورسمها في السماء والكرة وموقعها من الفلك) - للعلامة عبد الرحمن بن عمر الصوفي المتوفى سنة ٣٧٦ هـ ، وجاء اسم الكتاب في كشف الظنون : « صور الكواكب » به صور كثيرة مبينة بفهرس في أوله - ٢٤١ رياضيات .

(كشف القناع عن معرفة الوقت من الارتفاع) - للشيخ محمد بن مصطفى الشهير بالطنطاوي ، كان حيا سنة ١٢٩٧ هـ - جعل ظرف جلده على صورة الربع - ١٢٩ رياضيات .

(كفاية المتعبد وتحفة المتزهد) - للامام زكي الدين عبد العظيم المنذري المتوفى سنة ٦٥٦ هـ قديم الخط وبآخره اجازات - ٣٥١ حديث .

(كوكب الروضة) للامام السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ، وهو في تاريخ جزيرة الروضة - نسخة بهاثلاثة خروم ونقص في آخرها ، وأولهابها في ص ٤٦ صورة النيل ومنابعه بجبال القمر - ١٢٠٥ تاريخ .

(انظر نسختين تامتين من هذا الكتاب رقم ٥٥٤ ، ٥٢١ تاريخ وبهما صورة منابع النيل أيضا) .

(ل)

(لعب الشطرنج الهندي) - جمع الاستاذ أبي الفرج المظفر ابن سعر المعروف باللجلاج الشطرنجي ، مما أخذه عن أبي بكر ابن يحيى الصولي . نسخة قديمة الخط باولها لوحة مذهبة بها اسم الكتاب واسم مؤلفه وبانها كتبت برسم خزانة المقر الاشرف العالي المولوي تاني بك أمير دوادار تاني أعزه الله - وبها صور كثيرة للرقع وللعب - ٦ ألعاب .

(م)

(مادة الحياة في معرفة السموم) - للامام محمد بن أبي بكر الفارسي . نسخة قديمة الخط - ١٣٤ طب .

(متن الشمائل الترمذية) - نسخة بخط فارسي حسن ومجدولة بالذهب ، وبأولها لوحة مذهبة - ٣٢٤ حديث .

(مجموع صور شريفة وبعدها أوراد) - ٥٠٣ تفسير .

(مجموعة نفيسة جدا في الكحالة) وفي بعض رسائلها صور للعين ملونة ، وهاتان الصورتان في رسالة لحنين بن اسحاق في تركيب العين وعللها وعلاجها . كتبت المجموعة سنة ٥٩٢ - ١٠٠ طب .

(مصحف شريف) دقيق الخط ، كتبه الحافظ حسين الحسيني سنة ١٢٤٧ هـ - ٥٠٤ تفسير .

(مصحف كريم) بديع الخط والتذهيب كان لجدنا محمد تيمور كاشف اشتراه من المدينة المنورة لما كان محافظا بها ، وهو بخط الحافظ سليمان الاسكداري ، كتبه سنة ١٠٨٨ هـ - ٥١٠ تفسير .

(مصحف كريم) بديع النقش والتذهيب والجلد ، بخط اسماعيل الزهيري حصاري زاده ، كتبه سنة ١١٧٣ هـ - ٥٠٨ تفسير .

(مصحف كريم) - مصغر بالتصوير الشمسي ، من عمل قائم المقام محمد صادق من أركان الحرب ، وهو مجدول بالذهب .

(مصحف كريم) بخط ياقوت بن عبدالله ، كتبه سنة ٦٣٠ هـ باوله لوحتان مذهبتان ، وبحواشيه أعشار مذهبة من الصناعة العربية ، بخط نسخ جميل - ٤٦٥ تفسير

(معين الطلاب لعمل الاصطرلاب) - لملك اليمن عمر بن يوسف ابن رسول ، وهو كتاب نفيس في صفة عمل هذه الآله ، وبه صور ورسوم كثيرة ، وبآخر النسخة تقاريظ بخطوط بعض علماء اليمن ، كتبت سنة ٦٩٢ هـ - ١٠٥ رياضيات

المفصل - للامام جاد الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . نسخة عتيقة مضبوطة بالحركات ، كتبها لنفسه المرتضى بن حمزة بن محمد بن المرتضى بن علي بن حمزة سنة ٦٤٩ هـ - ٥٩٩ نحو .

(المقامات الجلالية الصفدية) - وهي ثلاثون مقامة للشيخ حسن بن أبي محمد العباسي من أدباء القرن السابع ، كان حيا سنة ٦٨٥ هـ - المقامة ١٩ منها تعرف بالطيورية ، وبها صور طيور الواجب التي كانت تصاد ، وهي متقنة التصوير غير أنها غير ملونة - كتبت النسخة سنة ١٠٩٦ هـ - ٢٩٣ أدب

(ملحة الاعراب) - للامام أبي القاسم الحريري المتوفى سنة ٥١٦ وقيل ٥١٥ هـ - نسخة كتبها محمد بن حسن بن محمد الطيبي الازهري سنة ٨٧١ - برسم الجناب العالي قانصوه الملكي الظاهري كما بآخرها - ٣٢٠ نحو .

(المنار في الاصول) - لنجم الدين عمر النفي المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، باوله لوحة مذهبة عربية الصناعة - نسخة قديمة الخط - ١٨٤ أصول .

(المنهج الاقرب لتصحيح موضع العقرب) - للشيخ عبد اللطيف الشامي ، جعل جلده على صورة الربع ولكن بلا قائمين في طرفه - ٢٨٦ رياضيات .

نسخة أخرى منه - ٦٧ رياضيات .

(للموضوع بقية)

من قضايا الرأى في الإسلام

تأليف الأستاذ : أحمد حسين

عرض وتقديم : محمد الدسوقى

١ – ان الاسلام دين يمجد العقل ويجعله مناط التكليف والثواب والعقاب ومن ينظر فى كتاب الله تطالعه آيات كثيرة تدعو الى التفكير وتحض على النظر وتحذر من التقليد وتحكم على هؤلاء الذين ألفوا عقولهم وأتبعوا نهج سلفهم دون فهم وادراك بانهم كالانعام أو أضل سبيلا .

ان الاسلام دين الحياة المتجددة المتطورة ، ولذلك كان دين العقل والعلم، ودين النظر والتفكر ، وليس أدل على تقدير النظر والتفكر فى الاسلام من اهداره ايمان المكره ، لأن الايمان الصادق أساسه الاقتناع القائم على العقل والوجدان ، فاذا لم يتحقق ذلك الاقتناع فى الايمان لم يكن له أثر الايمان الصحيح ، ومن ثم لا يجعل الاسلام الاكراه وسيلة لحمل الناس على الايمان به ..

ودين يمجد العقل ويحض على العلم لا شك يحدث فى الحياة ثورة فكرية رائعة وحضارة انسانية رفيعة ، وهذا ما شهده المجتمع البشرى بعد الاسلام ، فقد كان هذا المجتمع متخلفا فى حضارته وعقائده وأخلاقه فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بدعوة الهداية والرحمة والخير ليرسم للمجتمع البشرى سبيل الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة ..

ولقد عرفت البشرية بعد الاسلام عهدا جديدا من التطور لم تعرفه من قبل ، وسلكت طريق الحياة الفاضلة القوية ، وألقت عن كاهلها أوزار الجاهلية وحياة العبودية وتقاليد الهمجية وتطلعت نحو أفق كريم من البناء النافع والعلم الذى يحقق للناس جميعا الخير والسعادة فى العاجل والآجل .

٢ – وكان من نتيجة دعوة الاسلام الى التفكير والنظر أن جالت العقول فى مختلف فروع الثقافة الانسانية وأثمرت آثارا خالدة فى العلوم والفنون كان لها دورها الاساسى فى الحضارة الانسانية الراهنة .

وما دام الناس يتفاوتون من حيث قدراتهم العقلية والنفسية فضلا عن اختلافهم من حيث ألوانهم وألسنتهم فقد نجم فى المجتمع صراع فكرى لا ينشد سوى الخير ولا تحركه الاهواء الذاتية أو الاقليمية ، وكان هذا الصراع من ناحية أخرى آية على الحرية الفكرية التى يحترمها الاسلام ويقدرها حق قدرها ويكفى أن القرآن الكريم لا توجد به آية واحدة تعوق حركة العقل فى تقدمه وانطلاقه .

وعن بعض صور الصراع الفكرى أو قضايا الرأى فى المجتمع الاسلامى يدور بحث هذا الكتاب القيم الذى ظهر أخيرا للاستاذ أحمد حسين تحت عنوان « من قضايا الرأى فى الاسلام » . والاستاذ أحمد حسين عرف فى السنوات الاخيرة بكتاباته الاسلامية الرصينة التى تدل على فهم دقيق واطلاع وافر وبصر خبير بمقاصد الشريعة ومرونة مصادرها، وصلاحية تعاليمها لكل زمان وكل مكان.

٣ – ويتكون كتاب الاستاذ أحمد حسين من تسعة فصول عدا مقدمة أشار فيها الى أن قضايا الرأى فى الاسلام تملأ مئات المجلدات ، ويحتاج ايجازها الى أكثر من كتاب ضخم ، ولكن حرف « من » يفيد التبعيض ، وبذلك فعنوان الكتاب يعنى بعض هذه القضايا كما يعنى الاجتزاء فى سرد كل قضية على حدة .

والغرض الذى يسعى اليه المؤلف من وراء كتابه هو التعريف بتراثنا الاسلامى وقيمه الفكرية الاصيلة ، ومذاهبه المتعددة ، وهو يهدى كتابه الى ناشئة الجيل الجديد من أبناء العالم الاسلامى ، ليعرفوا تراثهم وما أسداه للبشرية من خير جزيل علهم يقبلون على هذا التراث بثقة واعية وايمان رشيد فلا يضيعون فى غمار التيارات الفكرية والمذهبية التى تسعى اليوم لجذب الانظار اليها بمختلف الوسائل .

وفى الفصل الاول تحدث المؤلف عن كرامة العقل وحرية الرأى فى الاسلام اشارات موجزة عن القرآن وحرية الانسان ، وعن معجزة الرسول ومهمته وعن دعوة القرآن الى العلم النظرى والتجريبى ومحاربته للجمود والتقليد، وعن الحضارة الاسلامية وأثرها فى الحضارة الحديثة . وهذا الفصل فى الواقع يعد تمهيدا أو مدخلاللفصول الاخرى للكتاب .

وجاء الفصل الثانى ليعرض لأول قضية اختلف رأىالمسلمين فيها وهى قضية اختيار من يخلف رسول الله،وقد سرد المؤلف فىهذا الفصل ما دار بين الانصار وبينهم وبين المهاجرين من خلاف فى الرأى حول من هو أحق بخلافة رسول الله فالأنصار كانوا يرون أنهم احق بهذا من غيرهم ولكن المهاجرين يرون غير ما يرى الانصار ، ويعتقدون انهم احق بخلافة رسول الله من سواهم وقد انتصر رأى المهاجرين فى النهاية ودل على أن من يتولى شئون المسلمين ويحكمهم يجب أن يتولى سلطاته عن طريق الانتخاب .

ولان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يمثل طرازا فريدا فى الاجتهاد عقد المؤلف الفصل الثالث للحديث عن اجتهادات عمر وما أثارته من قضايا الرأى بين الصحابة ، وكانت قضية الارض المفتوحة فى العراق ورأى عمر فى تقسيمها أهم نقطة عرض لها هذا الفصل

وفى الفصل الرابع جاء الحديث عن الفقه واتجاهات الفقهاء ومدرسة الحديث فى المدينة ، ومدرسة الرأى فى الكوفة ، وأئمة الفقهاء وخصائص اجتهاداتهم والموضوع الذى تناوله هذا الفصل كانيحتاج الى بحث مستقل وكتاب خاص غير ان المؤلف فيما يبدو حرص ان يوجز القول فى هذاالموضوع حتى لا يخلو كتابه منه ، فقضية الرأى فى الفقه الاسلامى لها أثرها الواضح فى حياة المسلمين قديما وحديثا وأوضح دليل على ذلك أن انقسام المسلمينالى شافعية ومالكية وأحناف .. الخ مبعثه الرأى والاجتهاد .

وخصص المؤلف الفصل الخامس لقضايا علم الكلام ، وما أثارته فرق المتكلمين من مشكلات فكرية وعقائدية والفرق التى تحدث عنها المؤلف فى هذا الفصل هى: المرجئة ، الجبرية ، المعتزلة ، وتعد أكثر الفرق احتكاما الى العقل فى كل أمور الدين ولذلك فقد اصطدموا مع كل الجهات والفرق وأثاروها حربا شعواء على مخالفيهم فى الرأى وقد شرح المؤلف فى ايجازمبادىء المعتزلة الخمسة وهى : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروفوالنهى عن المنكر

ولماكانت مشكلة خلق القرآن من القضايا الكبرى فى تاريخ الفكرالاسلامى فقد عالج الفصل السادس هذهالمشكلة وأبرز محنة الامام احمد بن حنبل فيها لانه رفض الاعتراف بما ذهبت اليه المعتزلة وعضدها فيه المأمون ، ولم يكن أمر المحنة قاصرا على ابن حنبل فحسب فقد أوذى غيره من الفقهاء ، غير أن ما نال الامام الممتحن كان أشد مما نال سواه .

ومشكلة خلق القرآن استمرت بعد وفاة ابن حنبل وكان لابى الحسن الاشعرى والماتريدى دور هام فى الرد على المعتزلة فى هذه المشكلة وفى غيرها من المشكلات الكلامية .

واختار الاستاذ أحمد حسين حجة الاسلام الامام الغزالى ليكون النموذج لمفكرى الاسلام الذين أبلوا بلاء مجيدا فى الدفاع عن العقيدة الاسلامية وابطال آراء الفلاسفة ، وقد جاء الفصل السابع لدراسة بعض جوانب ذلكالامام العظيم ، والاشارة الى أهم مؤلفاته وأثرها فى الثقافة الاسلامية ان الامام الغزالى أحدث فى العالم الاسلامى ثورة فكرية رجت ذلك العالم رجا ، ومؤلفاته خير شاهد على ذلك

واذا كان الغزالى يمثل طرازا من العلماء الذين يكبون على العلم فى نهم بالغ لا يشغلهم عنه شاغل فهناك من العلماء من يخوض معارك قد تبدو سياسية ولكنها من صميم العملالعلمى الاصيل ، ويضرب المؤلف لهؤلاء مثلا بسلطان العلماء وبائع الملوك عزالدين بن عبدالسلام ، وعد تحدث عنه فىالفصل الثامن فأشار الى تاريخ مولده وشىء من حياته الأولى ثم تحدث عن هجرة ابن عبد السلام من دمشق الى مصر وصراعه مع نجم الدين والظاهر بيبرس ذلك الصراع الذى شهد لعز الدين بشجاعة العلماء واباء الفقهاء وعظمة الايمان .

وأما الفصل التاسع والاخير فقد تحدث فيه المؤلف الفاضل عن شيخ الاسلام ابن تيمية وارائه التى جددت شباب الاسلام ولاتزال حتى الآن تؤدى دورها ، وهذا الفصل على وجازته يشتمل على لمحات طيبة عن ابن تيمية وجهاده الفكرى ومواقفه البطولية مع التتار ، ومعاركه ضد الصوفية .

٤ - ويبدو من هذا العرض السريع أن هذا الكتاب قد درس جوانبمختلفة من ثقافتنا وان كانت كلها تدور فى فلك الحرية الفكرية التى يحض عليهاالاسلام، ويتضح كذلك من هذاالعرض انالكتاب حاول ان يقدم لقارئه صورة منالحياة الفكرية فى مدى ثمانية قرون ، ولذلك جاءت دراسة موضوعاتالكتاب مقتضبة فى بعض الاحيان .

ومع هذاالكتاب له قيمته الطيبة فى تعريف الشباب بتراثنا وثقافتنا ذلك التراث الذى عمل الاستشراق ومن دار فى فلكه طمس معالمه وتشويه مكانتهبغية صرف الانظار عنه والاتجاه نحو ثقافات اخرى تبترصلتنا بماضينا وعقائدنا .

من ذخائر السيد : عبد الرحيم القنائى فى الأدب القرآنى

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

الموعد ٢٢ رمضان عام ٥٨٧ هـ والمكان رباط السيد عبد الرحيم القنائى بقنا الساعة ٩ مساء

الحاضرون ..

الافاضل العلماء والاساتذة يونس بن عيسى بن جعفر الهاشمى الارمنتى وعبد الرحمن بن موسى الكندى الدشناوى وعبد الرحمن بن ابراهيم الشنهورى وطلحة بن محمد بن على بن مطيع القشيرى وحمزة بن محمد بن هيبة الله الاسقونى وعبد الرحيم بن الحسن بن فخر الصائغ القوصى وعبد الرحيم بن على بن الحسين بن شيث وعبد الرحمن بن محمد بن عبدالعزيز ابو القاسم القوصى وعبد الله بن عبد الله بن ثابت الشنهورى وصالح بن غازى الانماطى النحوى الشهير وخادم الصالحين وصالح بن ظافر بن مخلوف بن ابى القاسم بن مخلوف الانصارى وسليمان بن نجاح بن عبد الله أبو الربيع القوصى ويوسف بن محمد بن على القاسمى يكنى أبا الحجاج ويعرف بالمغاورى والسيد يوسف أبو الحجاج الاقصرى وعبد الله القرشى وابو الحسن الصباغ والحسن بن السيد عبد الرحيم وكمال الدين وجمال الدين ومحمود ابو نور أبناء الشيخ وابن شافع القنائى وابن الحلاوى وابن الجزامى وقد امتلات حلقة الدرس فى هذه الليلة بما يزيد عن الف شخص من عامة الناس ومن كبار العلماء .

المحاضر : مولانا وشيخنا السيد عبد الرحيم القنائى قال :

بسم الله الرحمن الرحيم . بسم الله وليس باسم أحد من مخلوقاته وان عظم شانه وذاع صيته وكثرت حسناته وان كان نبيا أو رسولا أو عالما جليلا أو انسانا مؤمنا تقيا ليس هناك اسم يعلو شانه ويحسن الاتجاه اليه والتمسك به سوى اسم الله وليس لذاكر أن يذكر اسما غير اسم الله وليس لمتقرب أن يتقرب الى أى أمر من الامور عظم أم صغر الا بذكر اسم الله . وليس لحصن ان يمنع مصيبة او يرد عدوانا او يقى شرا الا اذا ذكر عليه اسم الله او ذكر المتحصنون به اسم الله وليس من طعام ان يكون صالحا مفيدا مباركا فى معنوياته حلالا طيبا الا اذا ذكر عليه اسم الله . والرسول صلوات الله عليه وسلم يقول ما معناه .

كل شىء لا يذكر عليه اسم الله فهو ابتر . وقيل ايضا لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم . وقيل ايضا كل شىء لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع .

« الرحمن » اسم صعب على الوقوف على جلاله وشق على الخوض فى بحوره وسبحت حتى غرقت ولولا فضل الله على ما انتشلت وصرت حيا بينكم اسعى واتكلم واعبد الله وأرجو رضاه .

« الرحمن اسم هز مشاعرى فقصرت مشاعرى عن التفسير لهذا الاسم الكريم .. « الرحمن » اسم اقلق مضجعى ولولا استغاثتى وتضرعى اليه جل شانه لذاب هذا اللحم وتفتت هذا العظم .

« الرحمن » اسم مكثت سنين طوال اتفكر واتذاكر واقول هل المعنى الرحمة المطلقة منه جل شانه . فاسمع نداء يقول لى تادب يا قاصر الطرف والادراك . فقلت علمنى ياربى كيف اصل الى المعنى المقصود . فرايت رسول الله صلى الله عليه

وسلم مناما فسألته عليه الصلاة والسلام فقال لى يا عبدالرحيم « الرحمن » اسم الله الذى ادخر معناه لنفسه ولم يطلع عليه أحد من عباده واختص به أقواما نسبهم الى اسمه هذافسماهم عباد الرحمن . فضلهم على عباده وميزهم بصفات وقربهم اليه ورفعهم فوق سائر الناس ولهذا فان معنى هذا الاسم لوعرفت كما تدرك لادركت كما عرفت ولو عرفت وادركت لتركت وندمت .. فقلت ياسيدى يارسول الله ما معنى لتركت وندمت فقال عليه الصلاة والسلام لتركت البحث وبقيت فى النور .. فى نور اسمه « الرحمن » فالنور يحبب الانسان النظر اليه وقد يقرب القلب به منه اليه وفى هذا يبقى الشوق عاملا منعوامل القربى الدافع للعمل المتصل الخالص لله . وندمت انت لو وصلت الى نهاية العلم فيه . وقد انتهى بك المطاف بشوق لا تتحمله فتذوب فلا تدرك وعندما تفقد الادراك فلا حلاوة ولا طلاوة .. يا عبد الرحيم .

« الرحمن » .. اسم خاص لا يأتى ذكره فى القرآن الكريم الا وبعد هذا الاسم أمر عظيم وخبر كبير . ولا يلتصق به من المخلوقات عبيد الا هم أصحاب الشأن العظيم . ولا ينظر أحد الى كتابة هذا الاسم يوما واحدا بالبصر والبصيرة والتبصير الا وقد تكلم هذا الناظر فى خوارق الامور وادقها واصعبها وبكلام ليس من مستوى الناظر والمتكلم .. ياعبدالرحيم .. أتريد أن تنظر .. فقلت اخاف يارسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام « مناما » يا عبد الرحيم . أبق على الطرف قليلا ثم انظر .. فنظرت فرأيت عجبا .. رأيت اسم الرحمن يردده ملائكة هم حملة العرش وحولهم ملائكة لا عد لهم ولاحصر انهم يحومون حول عرش الرحمن ليس لهم ذكر غير ذكر اسم الرحمن والدعاء والاستغفار للذين آمنوا وتابوا واتبعوا سبيله فى أصواتهم قوة ورقة وفى وجوههم نور ليس مثله نوريقولون ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما .. فاغمى على حتى أفقت والعرق قد بلل جميع ملابسى واستيقظت وانا اقول « الرحمن فاسأل به خبيرا » فبقيت بعد ذلك أقول للناس « الرحمن » اسم علا فى الكون لا يعلمه الا الله .

« الرحيم » من الشفقة والرأفة أو هو أعلا منزلة منهما بعباده المتقين المؤمنين . وبكل حى مرزوق بامر من عند الله. وبعد يقول الله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه فى ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر »

يا عباد الله . فى تلك الليلة الماضية من تاريخ أمة ولدت ليلة القدر « ٢١ رمضان » والتى نحن بصددها اليوم نفسر لكم بقدر المستطاع عظمة هذه الليلة المباركة كما ورد ذكرهافى كتاب الله وكما ورد ذكرها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان » .

ويقول الله تعالى فى آية أخرى بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين .

يا أخوة . بارك الله فيكم وعليكم وألبسكم من لباس الخير ما يكفل لكم ستر ذنوبكم وعافاكم من الامراض حتى تطهر نفوسكم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم . التفتوا الىقليلا واسمعوا فانا جميعا من أمس فى بحر من الخير وعلى شاطىء الندى وبجوار بر السلامة وأبصارنا الى الله تقول « يارب » متوسلين بخير هاد ومرسل الحبيب الصافى قلبا وقالبا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر » .

اعلموا أن الله سبحانه وتعالى له مطلق الحكم والملك وهو الذى يرفع من يشاء ويخفض من يشاء ويعز من يشاء ويذلمن يشاء والله جل شأنه جعل بامره تفضيلا فى مخلوقاته عموما سواء فى البشر أو الحيوان أو الجماد أو الزمان أو المكان . شأن من شئون الله فى مخلوقاته لا شريك له .

فسيد البشر آدم عليه السلام وسيد الفرس سلمانالفارسى وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الشهداء الحسين عليه السلام وسيد شباب اهل الجنة الحمزة عليه السلام . وسيد القوم على بن أبى طالب وسيد الصادقين أبو بكر الصديق وسيد العارفين عمر بن أبى الخطاب وسيد الخائفين من الله عثمان بن عفان . وسيد الشجعان خالد بن الوليد وسيد الصابرين أيوب عليه السلام . وسيد الشاكرين أويس القرنى اليمنى حبيب رسول الله . وسيد الكتاب معاوية رضى الله عنه . وسيد العاشقين لرسول الله ابوهريرة رضى الله عنه وسيد الفقهاء ابو حنيفة النعمان رضى الله عنه وسيد العدالة عمر بن عبد العزيز وسيد المدققين الامام مالك رضى الله عنه وسيد السمحاء الامام الشافعى رضى الله عنه وسيد المتحققين الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه . وسيد الخير الخضر عليه السلام . وسيد المخلصين يوسف عليه السلام وسيد الاوابين داود عليه السلام وسيد الراضين عيسى بن مريم عليه السلام وسيد العلماء موسى عليه السلام وسيد النادمين يونس عليه السلام وسيد الطب ادريس عليه السلاموسيدة النساء مريم عليها السلام.وسيدة البر السيدة فاطمة الزهراء وسيدة الحفاظ عائشة رضى الله عنها وسيدة الوفاء خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وسيدة الامهات آمنة بنت وهب أم رسول الله . وسيدة الحياء السيدة زينب رضى الله عنها وسيدة الاخلاص السيدة سكينة

رضى الله عنها وسيدة العفه السيدة نفيسة رضى الله عنها وسيدة الحب لله ولرسوله السيدة حفصة رضى الله عنها وسيدة الكمال أم كلثوم بنت رسول الله رضى الله عنها وسيد العالمين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حوى جميع الصفات وبها أصبح رحمة للعالمين وسيد الشهور الاشهر الحرم وسيد الايام يوم الجمعة وسيد النهار الصلاة الوسطى وسيد الليالى « ليلة القدر » .

وسيد الامور أوسطها خيرا وسيد الاعمال الصلاة والمداومة عليها وسيد الانوار نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد المال قرش يبذل فى سبيل الله وجمع من حلال . وسيد البلاد مكة المكرمة . وسيد الكلام القرآن الكريم وسيد القرآن سورة البقرة وسيد سورة البقرة آية الكرسى وسيد الايمان لا اله الا الله محمد رسول الله وسيد الكتب كتاب الله وسيد الحديث حديث رسول الله وسيد الطرق طريق يوصل الله وسيد البيوت بيوت الله وسيد بيوت الله الكعبة وسيد الاحجار الحجر الاسود وسيد البحار بحر اغترف منه الخضر عليه السلام غرفة ماء يقى بها باذن الله يحمل رسالته مدى الحياة وسيد الحروف الالف وسيد المكرمين ابن آدم وسيد ولد آدم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسيد المقابر تربة ضمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد التراب التراب الذى تشرف بقدم رسول الله بعد نزول الوحى عليه . وسيد المغارات غار حراء وسيد الحياة الدنيا العلم وسيد العلم العمل وسيد العمل الاخلاق وسيد الاخلاق اخلاق رسول الله وسيد الزينة المال وسيد المال الاحسان وسيد الاحسان المروءة وسيد المروءة الاخلاص وسيد الاخلاص الاتقان وسيد الاتقان المعرفة وسيد المعرفة معرفة الله سبحانه وتعالى .

وسيد الخضروات اليقطين وسيد الفواكه المن والسلوى وسيد الاشجار النخلة .

وسيد العروش فى الارض عرش بلقيس وسيد القتلى الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام وذلك لان الله سبحانه وتعالى انقذ أهله من الكفر بقتله وانقذ الله الغلام من الكفر أيضا لانه قتل صغيرا لاحساب عليه .

وسيد الغنم كبش فداء اسماعيل عليه السلام وسيد الابل ناقة صالح عليه السلام وسيد الكلاب كلب أهل الكهف وسيد الحمير حمار العزيز وسيد البقر بقرة قوم موسى وسيدالاسماك حوت يونس عليه السلام .

وسيد الطيور علما الهدهد وسيد الطيور جمالا الطاووس وسيد الطيور أخلاقا القمرى الشاكر الذاكر وسيد الطيور عفة الحمام وسيد الطيور قوة الصقر وسيد الطيور حكمة الغراب . وسيد الوحوش الاسد . وسيد الحشرات سعيا النمل وسيد الحشرات نظاما النحل . وهناك كثير لا عد له ولا حصر نكتفى منه بهذا الذى ذكرناه . وترون من هذا التفصيل ان لله وحده مطلق التصرف فى مخلوقاته .

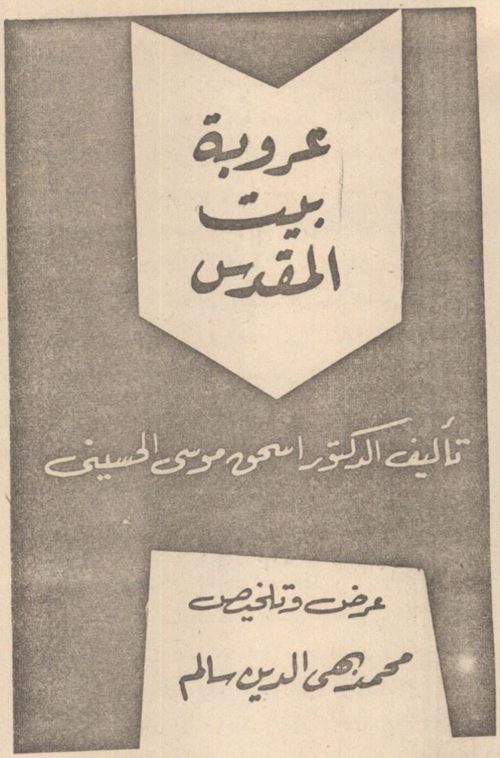

ونحن نعيش أياما حاسمة فى عمر الامة العربية من المحيط الى الخليج .. ندافع عن الحق .. عن المبدأ .. عن الارض عن مقدساتنا الاسلامية الشريفة التى دنسها الصهاينة بعدوانهم الاستعمارى الامبريالى الغادر ..

نعيش لحظات مع تاريخ بقعة من أرض العرب والاسلام ، يقول سبحانه وتعالى فى أمرها :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

***

مع كل هذا وذاك .. مع كتاب : عروبة بيت المقدس الذى يحمل بين دفتيه صرخة أحد أبنائها الاستاذ الدكتور : اسحاق موسى الحسينى .

أول موضوعات الكتاب سبت تاريخى بان بيت المقدس عربى قديما وحديثا عناصره من الاسفار ، وكتب المؤرخين الثقات .

كتب مجير الدين الحنبلى صاحب كتاب الانس الجليل .. « ان بيت المقدس صرة الوطن المقدس ، ومعراج النبى – صلى الله عليه وسلم – ومقصد الاولياء ، ومدفن الرسل ومهبط الوحى ، ومنزل ينزل به الامر والنهى ، وهو البلد الذى بعث

مواقيت الصلاة

الأيام	ذي الحجة ١٣٨٨	فبراير ١٩٦٩	مغرب ق	مغرب س	عشاء ق	عشاء س	فجر ق	فجر س	شروق ق	شروق س	ظهر ق	ظهر س	عصر ق	عصر س
الثلاثاء	١	١٨	٤٥	٥	٠٣	٧	٠٥	٥	٣٢	٦	٠٩	١٢	٢١	٣
الاربعاء	٢	١٩	٤٦		٠٤		٠٥		٣١		٠٩		٢١	
الخميس	٣	٢٠	٤٦		٠٤		٠٤		٣٠		٠٩		٢١	
الجمعة	٤	٢١	٤٧		٠٥		٠٣		٢٩		٠٩		٢٢	
السبت	٥	٢٢	٤٨		٠٦		٠٢		٢٨		٠٩		٢٢	
الاحد	٦	٢٣	٤٩		٠٧		٠١		٢٧		٠٨		٢٣	
الاثنين	٧	٢٤	٤٩		٠٧		٠٠	٥	٢٦		٠٨		٢٣	
الثلاثاء	٨	٢٥	٥٠		٠٨		٥٩	٤	٢٥		٠٨		٢٤	
الاربعاء	٩	٢٦	٥١		٠٩		٥٨		٢٤		٠٨		٢٤	
الخميس	١٠	٢٧	٥٢		١٠		٥٧		٢٣		٠٨		٢٥	
الجمعة	١١	٢٨	٥٢		١٠		٥٦		٢٢		٠٨		٢٥	
السبت	١٢	١ مارس	٥٣		١١		٥٥		٢١		٠٧		٢٥	
الاحد	١٣	٢	٥٤		١١		٥٤		٢٠		٠٧		٢٦	
الاثنين	١٤	٣	٥٥		١٢		٥٣		١٩		٠٧		٢٦	
الثلاثاء	١٥	٤	٥٥		١٢		٥٢		١٨		٠٧		٢٦	
الاربعاء	١٦	٥	٥٦		١٣		٥١		١٧		٠٧		٢٧	
الخميس	١٧	٦	٥٧		١٤		٥٠		١٦		٠٧		٢٧	
الجمعة	١٨	٧	٥٧		١٤		٤٨		١٥		٠٦		٢٧	
السبت	١٩	٨	٥٨		١٥		٤٧		١٤		٠٦		٢٧	
الاحد	٢٠	٩	٥٩		١٦		٤٦		١٣		٠٦		٢٨	
الاثنين	٢١	١٠	٥٩		١٦		٤٥		١١		٠٥		٢٨	
الثلاثاء	٢٢	١١	٠٠	٦	١٧		٤٤		١٠		٠٥		٢٨	
الاربعاء	٢٣	١٢	٠٠		١٧		٤٣		٠٨		٠٥		٢٨	
الخميس	٢٤	١٣	٠١		١٨		٤٢		٠٧		٠٥		٢٨	
الجمعة	٢٥	١٤	٠٢		١٩		٤١		٠٦		٠٥		٢٩	
السبت	٢٦	١٥	٠٢		١٩		٣٩		٠٥		٠٤		٢٩	
الاحد	٢٧	١٦	٠٣		٢٠		٣٨		٠٤		٠٤		٢٩	
الاثنين	٢٨	١٧	٠٤		٢١		٣٧		٠٣		٠٤		٢٩	
الثلاثاء	٢٩	١٨	٠٤		٢٢		٣٥		٠٣		٠٣		٢٩	

الله اليه عبده ورسوله وكلمته التى القاها الى مريم ، وروحه عيسى الذى أكرمه برسالته وشرفه بنبوته » .

ويزيد العرب على ذلك بأن بيت المقدس كنعانية عربية أسسها أصحابها قبل أول عهد لليهود بها بأكثر من ألفى سنة .

وفى سفر التكوين أن الانبياء ابراهيم واسحاق ويعقوب ، وموسى عليهم السلام لم يملكوا بيت المقدس ، بل ان سيدنا ابراهيم لم يجز لنفسه أن يملك مقدار قبر يدفن فيه زوجه سارة .. فالتجأ الى (-بنى حث) أصحاب الارض وقال لهم : « أنا غريب ونزيل عندكم ، أعطونى ملك قبر معكم لادفن ميتى من أمامى » .

ويشيد مؤرخو البلاد المقدسة بالحضارة الضخمة التى أنشاها الكنعانيون : « كان الكنعانيون خلال ألفى سنة جسرا بين مدن الحضارة على الفرات والنيل ، ومنهم أخذ اليونان الحروف ونقلوها الى العالم »

وأيضا حكم العرب فلسطين ثلاثة عشر قرنا متواصلة خلال فترة حكم الصليبيين ، ولكن عروبة البلاد ، وما أنشىء فيها من مساجد ومدارس وزوايا ظلت على حالها حتى فى أثناء حكم الصليبيين ، وكانت لغة البلاد العربية حتى فى أثناء الحكم العثمانى ، ولم تهدم بيت المقدس العربية ولم تمس مقدساتها بسوء .. فالحضارة التى عرفتها المدنية ترجع الى الحكم العربى وحده دون سواه .

ويؤكد المؤلف تلك الحقائق التاريخية بقوله : « كان سكان المدينة المقدسة فى أثناء تلك القرون الغابرة وحتى اليوم عربا لسانا ، وحضارة ، وقلبا ، ومشاعرا ، ولم يكن اليهود أكثرية فيها فى أى وقت من الاوقات ، خلاف ما ذهب اليه حاييم وايزمان فى مذكراته ، ومغالطتهم بانهم كانوا فى المائة الاخيرة أكثرية مردود عليهم جملة وتفصيلا » .

***

ولعل كاتبنا أدرك ضرورة تخصيص جانب من جوانب بحثه ضمنه أسماء بيت المقدس كما ترويها أقدم المراجع التاريخية .. فنقل لنا عن شمس الدين أبو عبد الله البشارى المقدسى فى كتابه : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم قوله : .. أما قولى أجل مدينة فلانها جمعت الدنيا والآخرة .. فمن كان من أبناء الدنيا وأراد الآخرةوجد سوقهاوان كان من أبناءالآخرة فدعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها .. وأما الحسن فلا نرى أحسن بنيانها ولا أنزه من مسجدها وأما الفضل فلانها عرصة القيامة ، ومنها المحشر واليها المنشر وانما فضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبى ، ويوم القيامة يزفان اليها فتحوى الفضل كله ، وأما الكبر فالخلائق كلهم يحسرون اليها »

ويتبع المؤلف ماقاله شمس الدين المقدسى بما أورده الجغرافيون من أسماء للمدينة المقدسة فهى يروسالم ويروشالايم وشلم (بفتح الشين وتشديد اللام المفتوحة) وشلم (بفتح الشين وكسر اللام) وشلم (بفتح الشين واللام) وسلم (بفتح السين واللام) ويبوس وصهيون وموريا ، وايلياء وبيت المقدس والقدس .

ولا يترك مؤلفنا هذه الاسماء دون أن يبين لنا معانيها فيقول مثلا عن سبب تسمية بيت المقدس بيورشاليم : « تذكر معاجم (الكتاب المقدس) أن أقدم اسم للمدينة ورد فى (نصوص الطهارة) المصرية فى القرن التاسع عشر قبل المسيح بصورة « يوروشاليم » قبل بنى اسرائيل .. والراجح أن الاسم مركب من سكنوا البلاد قبل بنى اسرائيل .. والراجح أن الاسم مركب من كلمتين : يورو وشاليم . ويورد معناها تأسيس أو مدينة وشاليم اسم اله كان الكنعانيون يعبدونه » .

وورد ذكرها فى رسائل تل العمارنة فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم يوروسالم ، ثم بعد ذلك فى النقوش الاشورية أوروسليمو .

وعن تسمية بيت المقدس بشاليم يقول كاتبنا : « وأقدم اسم لها فى (العهد القديم) هو شاليم والراجح أنه اختصار للاسم الكامل يوروشاليم .. وجاء ذكرها فى سفر التكوين – أول أسفار العهد القديم – بمناسبة قروم أبرام – ابراهيم – العبرانى الى أرض الكنعانيين . منتصرا على أعدائه .

ويأتى بعدذلك مدلول تسمية بيت المقدس بأورشليم يقول كاتبنا: وثانى اسم لها فى العهد القديم « أورشليم » وهو الاسم الكنعانى القديم قبل قدوم العبرانيين الى أرض كنعان ، وورد ذكرها أول مرة فى سفر يشوع .

لكن أورشليم التاريخية قد اندثرت ، وحلت محلها القدس المسيحية ، ثم بيت المقدس الاسلامية وهو الاسم الذى شاع بعد الفتح الاسلامى . واختلف فى تخريج المقدس ، مع اجماع على أنه من مادة قدس بمعنى الطهارة .

وجاء فى سيرة ابن هشام رواية عن ابن اسحاق : ثم أسرى برسول الله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وهو البيت المقدس .

وجاء فى تاريخ الطبرى : ثم قام – عمر – من مصلاه الى كناسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس ، زمن بنى اسرائيل .

وفى مسند ابن حنبل حديث مرفوع : « عليك ببيت المقدس فلعله أن ينشأ لك ذرية يغدون الى ذلك المسجد ويروحون »

ومن هذه النصوص التى أوردها مؤلفنا معنى وتاريخا لاهم الاسماء التى تطلق على بيت المقدس نجد أغلبها مرادف للمسجد أى ان فقدان بيت المقدس هو فى الواقع فقدان المسجد الاقصى بل وأيضا فقدان لمساجد الله المقدسة فى فلسطين كلها .

***

ونمضى مع موضوعات الكتاب الذى يشعر قارئه أن الكاتب يقف متحفزا بقلمه ، بكل أعماقه يدفع الادعاءات الاسرائيلية الصهيونية .. بالمنطق والبراهين .. بالحقائق التاريخية التى لاتقبل المناقشة ، ولا تحتمل غير التسليم بصحتها .

فهو – أى المؤلف – يورد لنا فصلا يحمل أخبار أهم الآثار الاسلامية الموجودة ببيت المقدس قبل وبعد الفتح العمرى .. يقول : عن عطاء الخراسانى قال : « بيت المقدس بنته الانبياء وعمرته الانبياء ، ووالله ما فيه شبر الا وقد سجد فيه نبى » وهذه العبارة على ايجازها تختصر تاريخا طوله نحو أربعة آلاف سنة .. ولا يعرف التاريخ مدينة تركزت فيها الديانات

السماوية الثلاث : الموسوية ، والمسيحية والاسلام ، كمدينة بيت المقدس .

كما أن معظم الكنس فى بيت المقدس كانت واقعة داخل المدينة القديمة المحاطة بسورها التاريخى الذى جدد زمن السلطان سليمان القانونى فى النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادى ، واقدمها يرجع الى بداية القرن الثامن عشر .

وايضا من اقدم الآثار الموسوية التى رعاها المسلمون وعدوها جزءا من تراثهم الدينى مسجد سليمان - وهو المعروف عند المؤلفين الغربيين بهيكل سليمان - ومما يسترعى النظر فى صحن الحرم قبة السلسلة المجاورة لقبة الصخرة من جهة الشرق ، وهذه السلسلة تنسب الى سليمان بن داود ، وقد كتب فوق محرابها : « ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق » .

تلك بعض الآثار الاسلامية قبل الفتح العمرى لبيت المقدس وعندما فتح المسلمون بيت المقدس سنة ١٧ هـ - ٦٣٨م ، وحف اليها امير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة ليتسلمها من اهلها قاطعا على نفسه عهد الله ان يصون اموالهم وكنائسهم ويرعى حقوقهم ، ويحقق لهم الامن والسلامة .

ومنذ الفتح العمرى لانعرف فى تاريخ الاسلام ، بل فى تاريخ الاديان السماوية جميعا مدينة ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس ، وتكريم ، ذلك لانها موطن سيدنا ابراهيم خليل الله ، ومقر الانبياء ومهبط الوحى ، ومبعث عيسى وايضا لانها اولى القبلتين ، وثالث الحرمين استقبلها المسلمون زهاء عام ونصف عام بعد هجرة الرسول الكريم الى المدينة ، كما انها مسراه - صلى الله عليه وسلم - وهى ايضا عاصمة فلسطين، ومتحف آثارها الدينية التى تجمعت مدة ثلاثة عشر قرنا ،وصلة الوصل بين الاقطار العربية .

اقام سيدنا عمر بن الخطاب بها مسجدا ، وقد بلغ من احتفائه بالصخرة المشرفة ان زال بيده ما تراكم عليها من تراب ، واقام عليها مصلى .

وفى العهد الاموى بنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين .

وبنى عبد الملك المسجد الاقصى ، واتمه ابنه الوليد .. وبنى عدد من المسلمين قببا فى صحن الصخرة ، وبجوارها قبة المعراج ، وقبة محراب النبى ، وقبة يوسف . وقبة موسى ، وقبة سليمان ، وقبة الخضر ، ومحراب داود .

***

ومع متابعتنا لموضوعات الكتاب يستوقفنا فاصل يتساءل فيه المؤلف عن مصير بيت المقدس خاصة بعد ان ولد اغتصاب اسرائيل لها مشكلة على جانب كبير من الخطورة لمئات الملايين من المؤمنين : مسلمين ومسيحيين ، هى القضاء على حضارة روحية مضى عليها الفا سنة ، وعلى مقدسات دينية عزيزة على قلوب مئات الملايين .

ويعود كاتبنا فيستنكر من يبيح لاسرائيل أن تدعى لنفسها الاولوية فى حكم القدس والاشراف على الاماكن المقدسة .. فاسرائيل تنكر رسالة السيد المسيح انكارا تاما ، وتنكر رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهى بالتالى لاتقر بقدسية الاماكن التى تتصل بعيسى ومحمد عليهما السلام .

ويختم المؤلف فصله هذا بكلمات عميقة توضح معالم الطريق امام مصير بيت المقدس المحتوم .. يقول : « ان مايقوم على الطيش والحقد والتعصب لايدوم وان البقاء للحق والعدل والخير ، ولمنطق الزمن السليم ، واحكامه الثابتة .

***

ويختم المؤلف كتابه بفصل ضمنه فضائل بيت المقدس التى وردت فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة .. يقول : واما فضائله فلا تحصى ، ولا تستقصى يقول سبحانه وتعالى : «سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا » .

ومما يدل على فضله من السنة مارواه أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا » .

والمؤلف أيضا ينقل لنا عن المخطوطات الاسلامية تلك الاقوال فى فضائل بيت المقدس . عن خالد بن معدان أن حزوبيت المقدس باب من السماء يهبط منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن يجدونه يصلى فيه .. وعنه - صلى الله عليه وسلم - انه قال : ان لله بابا مفتوحا فى سماء الدنيا نحو بيت المقدس ينزل كل يوم منه سبعون ألف ملك يستغفرون الله لمن أتى بيت المقدس فصلى فيه .

وقال وهب بن مبنه : اهل بيت المقدس جيران الله تعالى ، وحق على الله أن لايعذب جيرانه .

وقال ابن جريج عن عطاء انه قال : لاتقوم الساعة حتى يسوق الله خيار عباده الى بيت المقدس ، والى الارض المقدسة فيسكنهم الله اياها .

وقال عبد الله بن عمر : بيت المقدس بنته الانبياء وعمرته الانبياء ، وما فيه موضع شبر الا وقد سجد عليه ملك ، او قام عليه ملك .

***

ونحن نودع هذا البحث الوافى نقول ان مدينة القدس عربية منذ عرفت فى التاريخ الى أن غزاها الاسرائيليون حديثا وجثموا على صدرها ، عربية دنيا ودينا ، سكانا ومنازل ، ذكريات وواقعا ، شرعا وعرفا ، ولن يتخلى عنها أهلها ولن يخذلوها ، وأهلها هم جميع العرب مسلمين ومسيحيين فى مشارق الارض ومغاربها .

وكانى بالشاعر ابن مطروح حين يقول

المسجد الاقصى له عادة سارت فصارت مثلا سائرا
اذا غدا بالكفر مستوطنا ان يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أولا وناصر طهره آخرا

عزيزى القارىء الكريم الى لقاء جديد ان شاء الله

***

جولة الثقافة الإسلامية

الأستاذ محمد عبد المنعم

— ٢ —

تعد الشعوب والدول الاسلامية قوة كبرى ذات دور حيوى وهام فى عالمنا المعاصر وهو دور قد لقى الكثير من الدراسات فى جميع انحاء العالم واليوم نعرض لكتاب جديد موضوعه « الاسلام والعلاقات بين الدول » . ولاشك أن أهمية الموضوع فى حد ذاته كانت دافعا رئيسيا الى عرضه وتلخيصه ، الا أن هناك دافعا آخرلايقل اهمية وهو انه من المتوقع أن يرجع الى هذا الكتاب عددكبير من المتخصصين ومن القراء . لذلك كان من الضرورى الاسراع فى عرضه بقصد تنبيه القارىء الى اشياء كثيرة اغفلها الكتاب والى حقائق عديدة لم يعرضها العرض السليم الوافى .

اساتذة وليسوا مستشرقين

وترجع فكرة نشر هذا الكتاب الى عام ١٩٦٢ عندما بدأت جماعة من كبار الأساتذة فى جامعة ديوك الامريكية بدراسة موضوع الاسلام والعلاقات بين الدول . ثم عقدت نفس الجامعة حلقة دراسية واسعة النطاق لدراسة هذا الموضوع اشترك فيها ٢٦ ممثلا عن مختلف الجامعات . واخيرا قام أحد هؤلاء الأساتذة — وهو « هاريس بروكتور » بتجميع الدراسات التى عرضت فى الحلقة الدراسية ونشرها فى هذا الكتاب الجديد .

ولعل أهم ملاحظة نسوقها فى هذا الصدد ان الذين درسوا هذا الموضوع ليسوا من المستشرقين المتخصصين فى الشئون الاسلامية وانما هم من اساتذة الجامعات المعاصرين وعلى وجه التحديد من المتخصصين فى العلوم السياسية والعلاقات الدولية ..

الاسلام والعلاقات بين الدول

ويستهل المحرر الكتاب بمقدمة موجزة أشار فيها الى أن الكتاب يجمع بين آراء مختلفة عن دور الاسلام فى العلاقات الدولية . والواقع أنه مادام الكتاب قد نشر باللغة الانجليزية فلقد كان من الاولى بالمحرر ان يخصص هذه المقدمة للحديث المبسط عن الاسلام وشرح أصوله وحقائقه الأولية بحيث يتوافر لدى القارىء بادىء ذى بدء الاطار العام للموضوع . والرأى أن المحرر قد قصد أن يقحم القارىء على التفاصيل مباشرة حتى يحقق مآربه وأهدافه الخفية من وراء اصدار الكتاب .

أما ما يذكره فى المقدمة عن اختلاف آراء الدارسين حول هذا الموضوع ، فذلك ليس فيه جديد . فمن الطبيعى أن تختلف الآراء حول موضوع معين ، بل ان وجود هذا الاختلاف يعد دليل على مبلغ الاهتمام بالموضوع . ولكن مما لا شك فيه أن المحرر يريد بقوله هذا أن يوحى الينا بان كتابه هذا بعيد عن التعصب ، بينما الحقيقة أن كل جزء من هذا الكتاب ينطوى على الخوف وعلى الحذر من دور الاسلام كقوة دولية لها فعاليتها وتأثيرها .

النظرية الاسلامية للعلاقات الدولية

وأول دراسة فى الكتاب وردت تحت عنوان « النظرية الاسلامية للعلاقات الدولية » تحدث فيها كاتبها عن دار السلام ودار الجهاد ، وعن دور الاسلام فى تنمية العلاقات بين الامم المختلفة والحث على التعاون بينها ، وتاريخ الديبلوماسية الاسلامية واهم ملامح تطورها التاريخى .

وابرز ما يطالعنا فى هذا الفصل ما توصل اليه الكاتب من أن هناك ثلاث ملامح رئيسية لدور الاسلام فى العلاقات الدولية المعاصرة وهى : —

١ — السعى من أجل السلام العالمى باعتباره الأمل الذى تتطلع اليه البشرية دائما .

٢ — ان الاسلام يتفهم — أكثر من غيره — حقوق الانسان وبالتالى فهو يساهم بالدور الاساسى فى انماء التعاون المتكافىء بين الشعوب المختلفة .

٣ — ان الاسلام يركز على ضرورة مراعاة القيم الخلقية فى علاقات الدول بعضها ببعض ، وهو بذلك يؤدى الى استقرار العلاقات الدولية على نحو يؤدى الى تحقيق المصلحة المشتركة لمختلف البلدان .

ولا جدال فى صحة هذه النقاط الثلاث ولكن الجدال فى أنه لم يربط بينها ربطا منطقيا ولم يقدم لنا الافكار ابتداء من منابعها الأولى . ويكفى ان يقول انه قد توصل الى هذه النتائج من خلال دراسته لتاريخ الدولة الاسلامية للتدليل على خطئه فى اختيار نقطة البدء لدراسته . فلقد كان المفروض أن يبدأ من القرآن الكريم باعتباره دستور الشعوب الاسلامية ومرجعها الأول والأخير . ذلك ان عدم اعتماده على نصوص القرآن الكريم لم يؤدفقط الى خلو دراسته من صفة البنيان النظرى المتكامل المتناسق ، وانما هو يفتح المجال أمام استنتاجات خاطئة لا تمت للاسلام بصلة .

الاسلام والقومية العربية

ثم يخصص الكاتب فصلا للحديث عن « الاسلام والقومية العربية » . وهنا ننوه الى انه قد استدرك فى هذا الفصل الخطأ الذى وقع فيه سابقه ، فرجع الى الآيات القرآنية والأحاديث « وذلك عن ترجمة الى الانجليزية أعدها « ميرمادوك بيكثول » ونشرتها سلسلة « مونيتور » . ويمتاز هذا الفصل بتفهم الكاتب لمشاكل

العالم الاسلامى ولما لاقاه العرب عبر تاريخهم من ضروب الاستعمار والاستغلال. وقد عرض فى البداية لمعنى الوطنية فى القرآن ، ثم كفاح الرسول عليه السلام ، والنضال ضد الفرس والروم . وأبرز المؤلف كيف كان الاسلام رائدا وقائدا لحركة النضال ضد الغزو الخارجي مستشهدا على ذلك بهزيمة لويس التاسع وأسره فى المنصوره ، وبفشل محاولة نابليون فى استغلال الاسلام عندما قاد علماء الاسلام ثورة القاهرة الأولى فى اكتوبر عام ١٨٠١ ثم تحدث عن جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، والحق انه لو اضاف جزءا عن الفترة التى تمتد من الحرب العالمية الأولى حتى يومنا هذا لكانت دراسته شاملة جامعة - ولايفوتنا فى خاتمة حديثنا عن هذا الفصل ان نقدم عبارة وردت على لسان الكاتب نعتبرها اعترافا منه واقتناعا بدور الاسلام فى عالمنا المعاصر ، فهو يقول : « ان مفهوم الاسلام كقوة ثالثة فى عالم اليوم لا يمثل اتجاها سلبيا ، ولكنه مذهب ايجابى الى اقصى الحدود . انه يحفز العرب على أن يقوموا بدور ايجابى بالغ الخطورة فى أجزاء كبيرة فى آسيا وفى أفريقيا » . (ص ١١٨ الفقرة ٣) .

الاسلام والثورة الافريقية

ومن الدراسات التى يقدمها لنا هذا الكتاب ، فصلا كبيرا عن « الاسلام فى افريقيا » . ولا شك أن ذلك يعكس اهتمام مختلف الدوائر فى العالم بافريقيا . وما دامت افريقيا موضعا للاهتمام فلا بد من الاهتمام بالمسلمين هناك لأنهم يشكلون الغالبية الساحقة ، اذ يقارب عددهم المائة مليون نسمة . ومعنى ذلك أن هؤلاء هم القوة الرئيسية فى هذه القارة الفتية أو « قارة المستقبل »

ويبدأ هذا الفصل بنبذة قصيرة عن تاريخ المسلمين فى افريقيا . فيذكر أن الاسلام قد أخذ فى الانتشار الى الغرب من شمال افريقيا فى القرن السابع . ثم انتشر الى الجنوب بر الصحراء الكبرى بواسطة قوافل التجارة . ويذكر المؤلف أن المسلمين قد دخلوا غانا مع قبائل المرابطين عام ١٠٧٦ . ويشير كذلك الى أن انتشار الاسلام بلغ ذروته خلال القرن التاسع عشر خصوصا فى النطاق الجنوبى المتاخم للصحراء الكبرى (الذى يطلق عليه نطاق السافاناه) . غير ان تكالب الاستعمار الغربى على افريقيا ازدادت حدته فى ذلك الوقت خاصة بواسطة غزو افريقيا من سواحلها . ثم أعقب هذا الاستعمار الأوروبى فتح الباب على مصراعيه أمام البعثات التبشيرية المسيحية (الارساليات) .

ثم يضيف الكاتب عدة حقائق هامة، فيتحدث عن الاسلام فى غينيا وعن موقف سيكوتورى ومعاداته للاستعمار والصهيونية . ثم يذكر أن ٨٠٪ من سكان السنغال يدينون بالاسلام ولكن رئيس الدولة مسيحى ، وأن المسلمين فى السنغال هم أكبر قوة فى البلاد على الرغم من انقسامهم الى طائفتين احداهما هى « المرادية » والأخرى « التيجانية » . كذلك يتحدث بالتفصيل عن كل من موريتانيا والنيجر والكاميرون ونيجيريا (خاصة فى الغرب وفى الشمال) .

ويتحدث المؤلف عن الجمهورية العربية المتحدة وافريقيا ، فيستشهد بعبارات للسيد الرئيس فى كتابه « فلسفة الثورة » عن واجبنا حيال أخوتنا فى افريقيا ، ثم يتحدث عن الاذاعات الموجهة الى هناك ويورد بعض الانتقادات عليها ، ويورد بعد ذلك بيانا بنشاط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وبنشاطه الثقافى والاعلامى فى مختلف البلدان الافريقية .

وعلى الرغم من أن الكاتب قد ألم الماما كبيرا بالمسلمين فى افريقيا ، الا أنه لم يشرح كيفية انتشار الدين الاسلامى ، ومدى جاذبية تعاليمه ، وما تنطوى عليه من معان ، ومغزاها الحضارى ذو الأثر البعيد المدى فى نمو هذه الشعوب بين المطبوعات الاجنبية والمؤلفات المحلية

هذا هو ملخص باهم ما ورد فى الكتاب ، والكتاب ولا شك محاولة علمية تستحق الاهتمام ولكنها لم ترق من حيث الدراسة الى المستوى المطلوب فيكفى أنه لم يبدأ بمقدمة للتعريف بقواعد الدين خاصة وأن الكتاب معد للتداول فى المجتمعات الناطقة بالانجليزية غالبا . كذلك كان من المفروض أن يبدأ المؤلف الدراسة على أساس منهجى سليم فيقدم لنا أولا دراسة لتاريخ العلاقات الدولية فى الاسلام ، ثم يقدم لنا دراسة تحليلية لجذور نظرية الاسلام فى العلاقات الدولية ، وبعد ذلك يبين كيف تنساب مفاهيم هذه النظرية فى اشكال تنظيمية مختلفة تختلف بتباين العلاقات مع دول العالم .

بالاضافة الى هذا الخطأ فى أسلوب البحث - وهو خطأ مشين لأن المؤلف أستاذ بالجامعة وليس بمستشرق - غاب عن ذهن الباحث أن يتحدث عن الاسلام والمنظمات الدولية وعن الاسلام والقانون الدولى .

ولا نملك ازاء هذا الا أن نأمل بأن تعمل الجهات المسئولة فى الجمهورية العربية المتحدة على مداومة الاتصال بالهيئات العلمية فى الخارج للمساهمة فى الاشراف على اعداد الكتب والدراسات التى تصدر فى هذا الشأن . كذلك يجب علينا أن نترجم الدراسات التى يقوم بها الفقهاء والأساتذة فى الجمهورية العربية المتحدة والعالم العربى الى اللغات الأجنبية والاتفاق مع دور النشر العالمية لتوزيعها بالخارج على أوسع نطاق . بذلك يمكننا أن نقدم للعالم الثقافة الاسلامية الحقيقية بكل ما تنطوى عليه من تقدم وازدهار للبشرية .

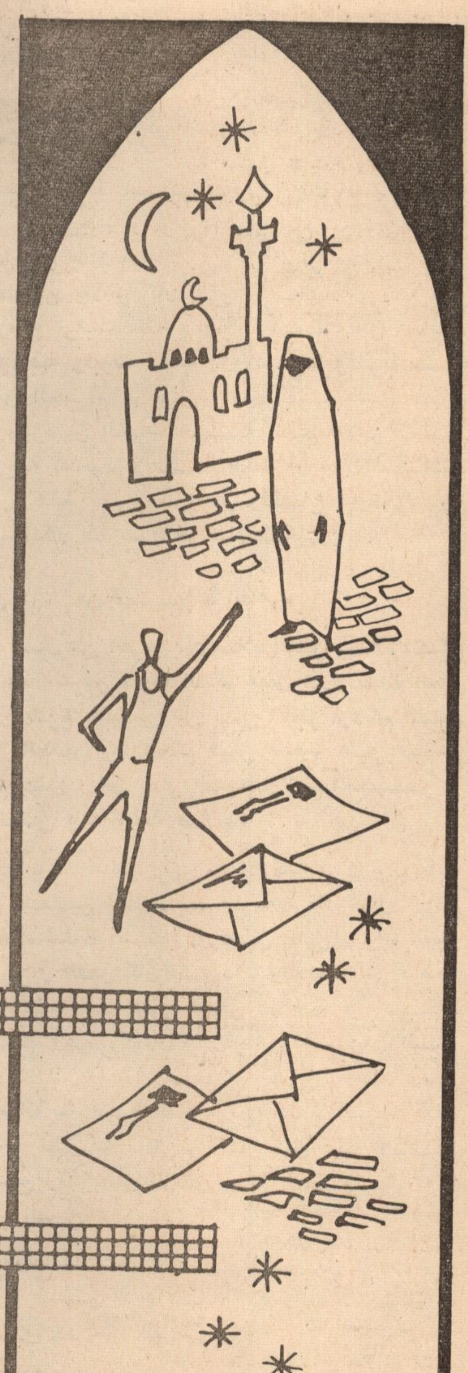

الإفتاء • المرأة المسلمة • الرياضة

بريد القراء • بريد التعارف

أنت تسأل

والمفتي يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ حسن مأمون

س ١ : من المواطن فاروق فريد ـ شركة النقل والهندسة

يقول : هل المتزوجات زواجا عرفيا اذا انجبا يعتبر اولادهم شرعيين ؟

الجواب : اذا استوفى الزواج أركان العقد وشروطه بأن تم بايجاب وقبول شرعيين امام شاهدين مسلمين ولم يكن هناك مانع شرعى أو قانونى يمنع زواج احد الطرفين بالآخر كان الزواج صحيحا ، واذا صح الزواج ترتبت عليه آثاره ، ومن ذلك حل المعاشرة **الزوجية وثبوت نسب الأولاد شرعا وقانونا سواء** وثق العقد أم لم يوثق ، فان التوثيق لدى المأذون أو غيره من الجهات الرسمية المختصة اجراء قانونى أوجبه القانون لا لصحة العقد أو حل المعاشرة لكن لحفظ حقوق الزوجين ولسماع دعوى الزوجة عند انكار الطرف الآخر امام القاضى .

س ٢ : من ف ـ م ـ ع ـ القاهرة

يسأل عن الفرق بين صلاة الفجر وصلاة الصبح وأيهما الفرض ، وما الحكم فيمن ادرك صلاة الفجر قبل طلوع الشمس هل يصلى الفجر أولا ثم الصبح أو بالعكس وما الحكم فيمن طلعت عليه الشمس ولم يصل . هل يصلى الصبح أولا ثم الفجر أو بالعكس وما كيفية صلاتهما ؟

الجواب : الفجر وقت من الأوقات التى فرض الله على المسلمين الصلاة بعد طلوعه ، قال تعالى : (اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر **ان قرآن الفجر كان مشهودا**) والصلاة التى فرضها الله علينا بعد طلوع الفجر الصادق هى صلاة الصبح وهى ركعتان بتسليمة واحدة ومن السنن المؤكدة التى سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان بعد طلوع الفجر وقبل صلاة الصبح وصلاة الفجر تطلق على الفرض كما تطلق عليه صلاة الصبح وقد يطلق البعض صلاة الفجر ويريدون بها سنة الصبح .

واذا استيقظ الانسان ولم يبق من الوقت قبل طلوع الشمس الا ما يسمح باداء ركعتين فقط فعليه أن يؤدى ركعتى الفرض أولا .

ومن طلعت عليه الشمس ولم يصل فعليه أن ينتظر حتى يزول وقت الكراهة وذلك بارتفاع الشمس قدر رمح أو رمحين ويبدأ بصلاة السنة ركعتين ثم صلاة الفرض ركعتين كذلك ـ والله اعلم .

س ٣ : من عبد البر احمد ابراهيم ـ منشية الصدر ١٠ شارع الجامع :

يقول : توفى خاله شقيق والدته ولم ينجب أحدا من الذرية ، وله أخ شقيق على قيد الحياة وكان له ثلاث اخوات شقيقات متوفيات وترك رقعة اطيان زراعية ويسأل عن حقه بصفته ابن شقيقة للمتوفى وما نصيب والدته شقيقة المتوفى فى الميراث ؟

الجواب : اذا كان الامر كما ورد فى السؤال ولم يكن لهذا المتوفى ذرية أبدا وكان له أخ شقيق فقط على قيد الحياة حين وفاة المتوفى وكان اخـواته الشقيقات متوفيات قبل وفاته فان تركته كلهـا لأخيه الشقيق تعصيبا ولا شىء لأم السائل لانها اخت متوفاة قبل وفاة أخيها كما لاشىء لابنها فى ميراث خاله لأنه ابن اخت فهو من ذوى الارحام ولا ميراث لذوى الارحام مع وجود احد من اصحاب الفرائض أو العصبات والأخ الشقيق الموجود حين وفاة اخيه المتوفى عاصب فيمنع ذوى ـ الارحام من الميراث ٠

س ٤ : من محيى الدين محمود

يقول : له بنت خالة يريد أن يتزوج بها وقد رضعت مع اخته التى ولدت بعده مرات كثيرة فهل يصح الزواج أم لا ؟

الجواب : اذا كانت بنت الخالة قـد رضعت من خالتها والدة راغب الزواج فقد صارت اختا له من الرضاع فلا يحل زواجه بها وكذلك الحكم لوكانت قد رضعت ممن أرضعت ابن خالتها الذى يريد الزواج منها ولو لم تكن هذه المرضعة أمه من النسب لأن ـ الاخوة من الرضاع تثبت بذلك فيثبت التحريم لقوله تعالى فى المحرمات : (**وأخواتكم من الرضاعة**) وهذا اذا كان عدد الرضعات خمسا فأكثر كما يرى الامام الشافعى وفى رواية عن الامام احمد وهو مااخترناه للفتـوى ويرى الحنفية أن قليل الرضاع وكثيره سواء فيثبت التحريم عندهم ولو بمصة واحدة ٠

فاذا كانت هذه البنت قد رضعت من مرضعـة أخرى ليست أما لراغب الزواج ولم يسبق لها ان ارضعته فيحل زواجها به لأن اخوتها له (من الرضاع) لم تثبت وكونها اختا من الرضاع لأخته من النسب لايوجب التحريم مادامت اخوة الرضاع لم تثبت بينها وبين راغب الزواج بها ـ والله اعلم

س ٥ : من ابراهيم عبد الباسط الجنيدى ـ ملاحظ وردية بمحطة محولات شبين الكوم الكهربائية :

يقول : انه قرأ فى مجلة منبر الاسلام عددشعبان ١٣٨٨ هـ شرحنا لكيفية قضاء الصلاة الفائتة واننا قد رأينا تسهيلا على من عليه فوائت كثيرة أن يصلى الوقتية ويصلى معها فائتة وهكذا حتى يقضى ماعليه غير انه قرأ فى كتاب يسمى (المجموعة المباركة فى الصلوات المأثورة والاعمال المبرورة) تاليف عبده محمد بابا (ـ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) من فاته صلاة فى عمره ولم يحصها فليقم فى آخر جمعة من رمضان ويصلى اربع ركعـات بتشهد واحد يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة القدر خمس عشرة مرة وسورة الكوثر كذلك ٠٠ ويقول فى النية نويت أصلى اربع ركعات كفارة لما فاتنى من الصلاة ٠ قال ابو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هى كفارة اربعمائة سنة حتى قال على كرم الله وجهه هى كفارة الف سنة ٠٠ قالوا يارسول الله ابن آدم يعيش ٦٠ سنة أو مائة سنة فلمن تكون الصلاة الفائتة قال (تكون لأبويه وزوجته ولاولاده فاقاربه واهل البلد) فاذا فرغ من صلاته يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائةمرة بأى صيغة ، ثم يدعو بدعاء ذكره المؤلف ولا داعى لذكره لطوله يدعو به ثلاث مرات ٠٠ ويريد السائل معرفة رأينا فى هذا الأمر ؟

الجواب : ان هذا الذى ذكره السائل لم يقل به أحد من فقهاء الشريعة الاسلامية وليس فى الفقه الاسلامى ما يكفر الصلاة ٠٠٠ أو يسقطها فقد فرضها الله سبحانه وأوجب علينا اداءها فى أوقاتها ، **قال تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا (وقال سبحانه ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فاذا ما فات وقت الصلاة ولم يصلها المسلم أصبحت دينا فى ذمته لايسقط الا بقضائها لقوله صلى الله عليه وسلم (من نام عن صلاة أو نسيهافليصلها اذاذكرها)** فاذا كثرت الفوائت حتى لم يعد فى مقدور الشخص احصاءها فعليه أن يقضى ما يستطيع قضاءه حتى يطمئن قلبه الى أنه قضى كل مافاته من الصلاة ، واسهل طريقة لقضاء الفوائت الكثيرة ما بينـاه فى عدد شعبان سنة ١٣٨٨ هـ المذكور فى صدر هذا السؤال والله اعلم ٠

س ٦ : من : ف ـ ع ـ بالمنصورة

تقول انها مكثت مع زوجها ثلاثين عاما عيشة عادية ، وانجبت منه أولادا كثيرين منهم من اتم تعليمه ومنهم من لم يزل فى التعليم حتى الآن : وحدث فى هذه الايام أن اتهمها زوجها بالزنى مع شخص معين وأشاع ذلك بين الناس القريب منهم وغير القريب وتقول انها بريئة من هذا الاتهام وانها لذلك قد اجتنبته فى مكان خاص فى البيت ومنعت نفسها عنه وانه كثيرا ما يأتيها ليلا رغبة منه فى معاشرتها (جنسيا) مع اصراره على اتهامها وهى ممتنعة من تمكينه وهو يحاول ان ينال منها وهى تمنعه وقال لها بعض الناس ان امتناعها عليه حرام وبعض الناس قال لها انه ليس بحرام مادام يتهمك بهذا الاتهام ٠٠ وتقول انها فى أشد الحيرة وتطلب الجواب ؟

الجواب : ان هذا الزوج مذنب أشد الذنب فى هذا الاتهام مادامت زوجته بريئة فهو يقذفها بالباطل والله تعالى يقول : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون ، الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ، وقال سبحانه (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) ٠ وعليها ان تثبت له براءتها وان تبتعد عن الاسباب التى ادت الى هذا الاتهام وامتناعها عليه وعدم تمكينها نفسها منه بصفته زوجا لها حرام عليها وهى فى ذلك تركب معصية النشوز لانه ـ وان كان قد اتهمها بهذا الاتهام الباطل ـ فانه مازال زوجا لها ومن حق الزوج على زوجته أن تطيعه وان تمكنه من نفسها متى اراد ذلك ـ ولا حق لها فى الامتناع عليه الا اذا تلاعنا ـ وفرق القاضى بينهما حينئذ فقط تحرم عليه ٠ قال تعالى (**والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ـ ويدرأ عنها العذاب ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين**) وما لم يرفع أمرهما للقضاء ويفرق القاضى بينهما أو يطلق هذا الزوج زوجته فمن حقه أن يطلبها وحرام عليها أن تمنع نفسها منه ـ والله أعلم ٠

س ٧ ـ من ابو الحسن احمد محمد ـ طالب ثانوى عام

يقول : باعتبار الجمهورية العربية المتحدة دولة اسلامية ، والاسلام قوامه القرآن الكريم والسنة النبوية ٠ فهل فى القرآن أو السنة ما يبيح للنساء ان ـ يخرجن الى الملا بهذه الملابس العارية المغرية للرجال ؟

الجواب : الاسلام لايبيح شيئا من ذلك ولا يقره قرآن ولا سنة ، والشريعة الاسلامية بينت الحلال والحرام من ملابس النساء وغير النساء ومن انحرف عن ذلك ولم يلتزم حدود الله فقد وقع فى المعصية قال تعالى (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) ٠ وقد اكثرنا من القول فى ذلك ونصحنا لله ولرسوله ، غير ان نساءنا لايستمعن الا لصوت المودة التى تفد الينا من بلاد تختلف عنا دينا وعرفا وتقاليد وليست المسئولية فى ذلك واقعة على النساء وحدهن بل على الرجال تقع اكبر المسئولية ، والله تعالى يقول : (الرجال قوامون على النساء (ويقول صلى الله عليه وسلم ، (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) الامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل فى بيته راع وهو مسئول عن رعيته ٠ والله سبحانه سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع)

س ٨ : من م ـ م ـ ك منيا القمح شرقية

يقول انه شاب فى السابعة عشرة من عمره بالمرحلة الثانوية اعجب بفتاة تجمع فيها الجمال والادب والاخلاق الكريمة ويسأل أن كان يصح له ان يصادقها مصادقة شريفة وكيف ؟ وما رأى الدين فى الحب بين الشاب والفتاة الأجنبية وكيف يعاملها؟

الجواب : الاسلام لايقر شيئا من هذه العلاقات ولا يعترف بها لأنه يريد مجتمعا سليما مبنيا على اساس من الفضيلة والرجولة والخلق القويم ، والعلاقات التى تنشأ بين الشباب والفتيات علاقات لاتؤمن عقباها حتى ولو كانت بريئة فسدا للذريعة وغلقا لباب من الشر يدخله الشيطان باسم الصداقة البريئة التى لاتلبث ان تؤدى الى ما حرمه الله ، لا يعترف الاسلام بعلاقة تنشأ بين فتى وفتاة أو رجل وامرأة مهما كانت الا أن تكون بطريق مشروع الا وهو الزواج لأن ما يؤدى الى الحرام فهو حرام ٠

المرأة المسلمة في ألف عام

إعداد : نجاة الزنيري

القاهرة .. أكبر عواصم الشرق الاوسط .. ونبع الحضارة ورابع حاضرة اسلامية بعد الفسطاط والعسكر والقطائع .. تحتفل هذا العام بالعيد الالفي لميلادها .. ويدفعني هذا للتساؤل :

كيف كانت المرأة المسلمة المصرية منذ ألف عام ؟

وما هي مراحل تطورها حتى وصلت الى ما هى عليه اليوم ؟

.. فتح الشعب المصرى قلبه للاسلام حين دخلت جيوش التحرير بقيادة عمرو بن العاص سنة ٦٤٠ م ذلك لان الشعب المصرى وجد فى الاسلام شريعة متسامحة هى قمة الشرائع

ووجدت المرأة المصرية أن الاسلام حقق لها المساواة الكاملة بالرجل .. وأطلق حريتها فى الكرامة والانسانية والعلم والعمل .. وكان الاسلام حاسما فى وجوب تعليم المرأة ..

ففي فجر الاسلام .. كان منهن راويات للاحاديث النبوية ، ومنهن الفقيهات والشاعرات والاديبات .. وكان الرجال يعلمون جواريهم كما يعلمون بناتهم .. وخرجت المرأة للجهاد فى سبيل الله وقاتلت وداوت الجرحى وبثت الشجاعة والحماسة فى قلوب المقاتلين ..

وفى العصور التالية على فجر الاسلام تبوأت المرأة مكانا اجتماعيا مرموقا وشاركت فى ادارة شئون الدولة .

أذكر من هؤلاء على سبيل المثال :

١ سارة بنت عمر بن عبدالعزيز ابن محمد :

محدثة ذات دين وصلاح وقد أجاز لها العلماء وحدثت بالكثير وسمع عليها الائمة وحمل عنها « السخاوى » ما يفوق الوصف . وكانت رقيقة مع الطلبة مع صبر على السماع والاسماع وتوفيت سنة ٨٥٥ هـ . وقال « السخاوى » « ونزل أهل مصر بموتها فى الرواية درجة » .. « الضوء اللامع للسخاوى » .

انهيار وضع المرأة فى الاسرة والمجتمع نكسة أصابتها :

لكن لم يستمر هذا لعهد الزاهر بالمرأة المصرية وأدى الى انهيار وضع المرأة .. ؟ ..

– أبتليت مصر بالاحتلال التركى .. فضاعت كل الجوانب المضيئة فى الشعب المصرى تحت نير هذا الاحتلال . ولم يعد الضعف والاستكانة والجهل سمة المرأة المصرية وحدها بل سمة المجتمع كله ..

وبينما نص الاسلام على جعل المودة والرحمة من دعائم بناء الأسرة .. أخذ الأتراك بنظام التعدد وجعلوا المرأة عبدة ولم تعد المرأة تقوم بأى عمل انتاجى فى المجتمع ولم تعد تعمل الا فى البيت زوجة وخادمة ومربية جاهلة لاولادها .. ولم يعد لها أى حقوق ولا أى قيمة اقتصادية .. ولم يكن لها ان تبدى رأيها فيما يتصل بشئون المجتمع أو الاسرة أو الزواج أو الاطفال وكان الزواج يتم طبقا لارادة أهل العروسين دون أن يكون للعروسين أى حق فى الاختيار .. ولم تكن رؤية العروس يسمح بها .. وكانت المهور باهظة لأن العروس كانت أشبه بسلعة تباع وتشترى وتنتقل من يد الاب الى يد الزوج وهى معدومة الارادة والمعرفة بما يجرى حولها .. انعزلت عن الحياة وتسبب جهلها فى تخلفها وسلبيتها .. وكان هذا كله راجعا الى الظروف التى يعيشها المجتمع . وهى ظروف من التعاسة والجهل الشديدين بحيث لا تسمح بفكرة قبول تعليم المرأة أو عملها .. وكانت فرص تعليم الرجال انفسهم محدودة .. وقاصرة على تخريج الكتبه للوظائف الكتابية الصغيرة . وكان التطبيق التركى والملوكى للاسلام ابعد مايكون عن الاسلام .. فالدين برىء من عزل المرأة عن المجتمع وحرمانها من العلم والعمل وكافة الحقوق الانسانية الاخرى .

ولما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨ جاءت ومعها أفكار الثورة الفرنسية عن تحرير المرأة . فروجت بين المصريين لهذه المبادىء ما استطاعت الى ذلك سبيلا . وفى عام ١٨٠٠ كانت هناك فئات عديدة من المجتمع المصرى على كافة المستويات قد خالطت الفرنسيين اجتماعيا وتشبهت بهم وقبلت دعوتهم الى تحرير المرأة فى مصر بوجه عام يمكن تاريخها بعام ١٧٩٨ – فحتى قبل هذا العام كان الحكم التركى فى مصر يحول دون اتصال مصر بالحضارة الأوربية اتصالا مباشرا لكن لما اتصلت مصر بالحضارة الاوروبية بمجىء الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ بدأت تتلاطم فيها مختلف تيارات الفكر الحديث والنظم الاجتماعية الحديثة .

وكان فى مقدمة هذه التيارات تحرير المرأة التى أدت الى التمرد على حياة الحريم المتوارثة عن العهد العثمانى . حتى انه حدث فى بلدة رشيد . ان

خرجت النساء فى مظاهرة يطالبن فيها حاكم رشيد بان يتدخل حتى يسمح لهن رجالهن بالتردد على الحمامات العامة فى المدينة وان تخصص بعض هذه الحمامات للنساء ..

وتعتبر هذه اول مظاهرة نسائية قامت فى مصر فى العصر الحديث .

وفى تاريخ الجبرتى .. وصف لبدايات حركة السفور فى مصر ووصف لبدايات حركة تحرير المراة ووصف لما أصاب بعض نساء القاهرة من الانطلاق نتيجة لمخالطة الفرنسيين ومحاكاتهم .

المجتمع المصرى مجتمع رجال فقط حتى القرن ١٩

وبعد انسحاب الفرنسيين استتب الأمر من جديد فى أيدى الاتراك والعثمانيين والمماليك وعادت المراة الى العبودية ، وحتى القرن ١٩ كانت المراة لا تزال عبده وكان فن العمارة رغم تطوره لا يستطيع المساس بفكرة المكان الخاص بالحريم فكان للحريم قسم خاص وللرجال قسم خاص وكانت المشربيات تختفى المراة خلفها ولاتسمح برؤيتها فكانت بمثابة حجاب داخلى بالمنزل فوق حجابها الذى ترتديه .. واصبح المجتمع المصرى مجتمع رجال فقط .

الاحتلال البريطانى ضد جهود تعليم المراة

حتى كان الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨١ بدات المعركة الطويلة ضده وضد الاغلال التى تعوق تقدم المراة والرجل على السواء .

وكانت اول مدرسة للبنات قد انشاها الخديوى اسماعيل سنة ١٨٧٣ وسماها (السيوفيه) وكانت المدرسة الثانية بعدها بعام واسمها « القربيه » وكان « على مبارك » ناظر المعارف وقتئذ وراء هذه الخطوة .. وكان التعليم فى المدرستين فنيا يغلب عليه الحياكه والتطريز الى جانب اللغة التركية ، ولكن عندما جاء الاستعمار البريطانى اضمحل شأن المدرستين وادمجتا فى مدرسة واحدة تحولت الى ملجأ لتربية البنات اليتيمات واصبح تعليم البنات قاصرا على الكتاتيب وتحفيظ القرآن فقط .. ووقف الاستعمار حجر عثرة فى طريق التعليم الابتدائى للبنات ..

وفى سنة ١٨٨٩ - ادخلت تعديلات على مدرسة السيوفيه وسميت باسم « السنيه » .

وفى سنة ١٨٩٥ - افتتحت مدرسة ابتدائية ثانية - وقد تم ذلك تحت ضغط الراى العام

ثم افتتحت مدرسة للمرضات ، وفى سنة ١٩٠٣ - افتتحت مدرسة معلمات بولاق لتخريج مدرسات للكتاتيب .

دعوة رجال الفكر لتحرير المراة

وظهر بعض رجال الفكر الداعين لتحرير المراة مثل قاسم امين .ولطفى السيد . وسلامه موسى . والدكتور طه حسين . ومحمد حسين هيكل ومصطفى عبد الرازق . وغيرهم .. وقد دعوا جميعهم الى تحرير المراة ومنحها حقوقها الطبيعية والشرعية .

وكان « قاسم امين » متاثرا بافكار أستاذه « الشيخ محمد عبده » الذى أخذ فكرة تحرير المراة ضمن برامجه بعد أن أدرك حاجة البلاد الى قوة فكرية عظيمة متمثلة فى المراة .

تحرير المراة من مارس ١٩١٩ الى مارس ١٩٦٨

وبدأت ثمار هذه الدعوات تتفتح فى ثورة ١٩١٩ . فقد بدات معركة كفاح المراة من اجل الحصول على حقوقها .

وفى مارس ١٩١٩ خرجت السيدات فى مظاهرة كبيرة بالحجاب ولم يرهبها رصاص الانجلز تطالب بمشاركة المراة للرجل فى العمل السياسى وكان ذلك حدثا خطيرا . فهذه اول محاولة حقيقية لتحرير المراة لانها كانت أول محاولة حقيقية لتحرير مصر .

وتكونت لجنة الوفد المركزية من السيدات برئاسة السيدة « هدى شعراوى » وبعد ان نالت البلاد دستور ١٩٢٣ الذى نص على ان التعليم الاولى اجبارى وبالمجان للبنين والبنات .

لعبت المدارس دورا كبيرا فى تعليم البنات اللائى زاد عددهن فى المدارس وكثرت بالتالى عدد المدارس الابتدائية للبنات وتوحدت مناهج تعليم البنين والبنات . وفى عام ١٩٢٨ سمح للفتاة بالتقدم للشهادة الابتدائية .

وقد ساهم الاتحاد بارسال الطالبات للدراسة بالخارج على نفقته .

وبعد ان نزلت المراة الى ميدان العمل اضطرت الدولة الى وضع القوانين لحماية المراة العاملة عن طريق التشريع . فصدر القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٣ بوضع نظام لتشغيل النساء فى الصناعة والتجارة ثم عدل بالمرسوم رقم ٢٢ لسنة ١٩٣٦ . وبعدة قوانين اخرى صدرت بعد ذلك .

وانشئت مدارس الفنون الطرزية الثانوية والثقافة النسوية والتعليم التجارى المتوسط للبنات - اما الجامعة فقد لاقت الفتاة المصرية صعوبات كثيرة من أجل دخولها وكان الاستاذ احمد لطفى السيد من الداعين لدخولها الجامعة وكان للدكتور طه حسين مواقف مشرفه فى تشجيع دخول الفتاة الجامعة .

وقام الاتحاد النسائى بتنظيم المظاهرات ضد الاستعمار والسراى وهاجم دكتاتورية الاقطاع والاستغلال الذى يعانى منه الشعب ونادى بان تاخذ المراة دورها فى المجتمع وعرفت المراة طريقها الى المصانع والوظائف وبرزت كاديبة وشاعرة وفنانة وشاركت فى أوجه النشاط الاجتماعى وتطوعت فى الهلال الاحمر والتمريض وكان لها دورا هاما فى معارك الفدائيين سنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ .

وفى ظل ثورة ١٩٥٢ تحققت للمراة جميع المكاسب التى ناضلت من اجلها طوال هذه السنين فقد جاء فى الميثاق :

« ان المراة لابد أن تتساوى بالرجل ولابد ان تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة »

وحين نرى العمل قد أصبح شرفا وواجبا مقدسا تثبت به المراة ايجابيتها فى المجتمع وكرامتها كانسانة تعود بالذاكرة الى فجر الاسلام والمكانة التى تمتعت بها المراة حينذاك والحياة الحرة الكريمة التى تمتعت بها المراة حينذاك والحياة الحرة الكريمة التى تحققت لها بفضل الاسلام .

ونتذكر ايضا الجهد الشاق والكفاح المرير والمحنة التى اجتازتها المراة المسلمة فى عهود الظلام والرجعية والاحتلال بشتى انواعه والوانه حتى تسترد مكانتها وعزتها وتصل الى ما وصلت اليه اليوم .

ويشدنا الأمل الى مستقبل افضل تصون فيه مكاسبها فى ظل اخلاقيات اسلامية عميقة الجذور فى الاسرة المصرية وتمتد الى اكثر من الف عام

شباب ...
لن نفقده إلى الأبد

الأستاذ ناصف سليم

اعتقد أن رجال الشرطة المسئولين عن حماية الآداب عندنا ، لم يبذلوا من الجهد مثل ما بذلوا فى الأشهر الأخيرة .. كانت لهم حملات موفقة لتطهير العاصمة من المتسكعين فى طرقاتها .. ، المحملقين فى وجوه السيدات ، المتفوهين بأقذع الكلمات .. وقضى هؤلاء فى السجن ليلة قاسية ومنهم من حلقوا شعره .. ثم تركوه !

كانت هذه حملة ، تلتها حملات اخرى للبحث عن الذين استهانوا بالوقت ، وأبوا الا أن يضيعوه على موائد القمار فى المقاهى الصغيرة ، والأزقة الضيقة ، وما أكثر ما أغلق رجال الشرطة من مقاه .. لم تلبث أن عادت تفتح أبوابها من جديد ، ويمارس روادها القمار على « المشروب » من جديد ، برغم أن بعضهم أحيل الى النيابة ، وأصبح متهما بمخالفة القانون.

والذين وقعوا فى قبضة الشرطة متلبسين بهذه المخالفات كلهم — بكل أسف — شباب ، وهم عدد كبير لايستهان به ... ومن هنا كانت هذه المشكلة جديرة بالبحث ، لمعرفة الدوافع التى أدت الى انحراف هؤلاء ، وكيف نعالجها فى المستقبل ، وماهى نظرة المجتمع الى طالب جامعى ساذج ارتكب مثل هذه المخالفات ، فحلقوا له شعره ، أو قضى ليلة فى غياهب السجن مع المجرمين الخطرين ، ثم أصبح بعد ذلك مسئولا عن عمل كبير .. هذا اذا لم تصبه هذه الحادثة العابرة بعقدة نفسية تؤثر فى مستقبله ، وتجعله يجرى فى تيار المنحرفين .

هذه صورة من الواقع ، لمسناها ، وشاهدناها على صفحات الصحف ، ولكنها صورة متكررة فما هو الحل ؟

هل حلق الشعر يكفى كعملية ردع ..؟ هل المبيت ليلة فى سجن داخل غرفة مظلمة ، يكفى للقضاء على عادة التسكع ومعاكسة الفتيات ؟!

لاشك أنها عملية تعزير واجبة ، فقد يشعر الذى تردى فى الخطأ بوخز الضمير ، وقد يحاسب نفسه على التقصير ، ولكنها ليست كافية كحل للمشكلة ، وليست الشرطة وحدها بقادرة على تطهير المدن من المفسدين ، ولكن هناك جهات أخرى مسئولة .. منها الأسرة صاحبة الدور الأهم فى التربية !

عادة مستوردة

ونحن حين نبحث عن هذه العادات السيئة التى لازمت كثيرا من الشباب ، نجد أنها عادات مستوردة ولكنها — دون شك — ليست مناسبة للبيئة العربية المسلمة ..

وهذا لاينفى أن للاسرة فى الخارج تقاليد حسنة ، تركناها — للاسف — وأخذنا السىء وحده .. ، هناك يجمع الأب والأم أبناءهما فى يوم الأجازة الاسبوعية ، ليقضوا فراغ يومهم فى عمل ترفيهى صحى مفيد ، وهذه عادة لم نأخذها .. هناك العمل المتواصل فى جد ورغبة طوال الأيام الستة .. وهذه

ايضا ميزة لايأخذ بها الكثيرون منا ، فالذين تلقفتهم الشرطة من المقاهى ، كانوا يمارسون لعب الورق أثناء العمل ..

وهنــاك تعودت الأسرة الادخار ، لتـرحل فى الاجازات الطويلة من بلد الى بلد ، تطلع على معالم المدن ، والأماكن التاريخية فى العالم .. وهذه أيضا ميزة ، لم نؤمن بها .. فعندنا مثل يقول :

اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب !!

.. وتركنا كل هذا ، ووقف الشبان وهم أوفر مايكون صحة ، والأمة أحوج ماتكون الى سواعدهم الفتية ، يعاكسون .. ويغازلون ، ويخدشون كرامة السائرين .

ان الأمر اذن لجد خطير ، ولا بد له من حل .. فالشرطة لا تستطيع أن تغلق أفواه الناس ، ولا أن تضع نظارات سوداء على أعينهم ..!

فالفســـاد كالسرطان ، يسرى من مكان الى مكان ، ولابد من استئصاله اذا ما اتضحت خطورته ، ولم يمكن علاجه أو حصاره فى مكانه المحدود !!

التوعية الدينية

من هذا كله .. وبعد هذا العرض السريع للمشكلة ومداها ، ندرك أهمية الدور الذى تقوم به الأسرة ، وأهمية دور رجل الدين ، ومدرس الدين . فنحن مع الشباب المتيقظ الضمير ، لانحتاج الى رجل الشرطة ليعـاقبه ، ولا الى رب الأسرة ليحاسـبه ويحذره .. ، فقد رباه منـذ الصغر على مبـادىء تشبع بها ، ونقشت على صحائف قلبه .. وعرف كيف يوجهه الى الملاعب .. والى المساجد ، وكيف يشغل وقت فراغه فيما يفيد .

.. هناك من شبابنا من يرفض بإباء ، ونتيجة لاقتناع أن يضيع وقته بالجلوس على المقاهى .. ، ومن يخجل اذا وقعت عيناه على منظر فتاة تعرى أجزاء من جسدها !

وأمثال هؤلاء لم يتعودوا هذه الصفات الحميدة بالعقوبة ، ولا بالتخويف ، ولكن بالأسلوب السليم للتربية فى البيت أولا وفى المدرسة ثانيا .

واذا فتشت وبحثت عن منبت كثيرين من الشباب المتسكع لوجدت ان البيت أهمل أبناءه فى وقت ما.. واهمل العمل بقوله تعالى :

(يأيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكـم نارا .. وقودها الناس والحجارة)

واذا كان الكثيرون يعتقدون أن الوقوع فى مثل الأخطاء التى أشرنا اليها يشوه صورة الشباب الى الأبد ، فهم مخطئون ، لأن فرصـة الصلاح باقيـة دائما ، ما بقى باب التوبة مفتوحا .. والدعوة من الله الى عبـاده خالدة ، يدعوهم فيها بالعودة الى رحابه ؛ ويواسيهم ، وان أخطأوا : « هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض » فلسنا ملائكة ، وكلنـا معرض للخطأ .. واذا كان الذين عرضوا أنفسهم للعقوبة من جانب المكلفين بحماية الآداب والأخلاق ، قـد تألموا .. وتأثروا ، وشعروا بالندم .. فذلك دليل على أنهم سـيعودون الى جادة الطريق ، وأنهم فى الطريق الى التوبة النصوح ..

ومن رأيى اننا لن نفقدهم الى الأبد .

مع القراء

اعداد
فؤاد هيبة

عزيزى القارىء

ان التكامل هو الهدف الأسمى الذى يسعى اليه مفكرو الانسانية ابتغاء الامن والرفاهية لأنه دليل الوضوح الفكرى ، والتوازن النسبى بين الجوهر والعرض ، بين الروح والمادة ، وهو الوسطية المتبصرة فى الأخذ بأسباب الحياة ، والبرهان العقلى على صدق البعث والحساب والثواب ، وما كان لمفكرى الانسانية أن يهتدوا الى هذا التكامل الا بولوجهم باب الشريعة الاسلامية العصماء لينهلوا من فيض تعاليمها السمحة مفهوم التكامل وأسلوب التفاضل الذى اختص الله به الاسلام دون سائر الشرائع السماوية •

ومن ثم جاءت نظرياتهم الوضعية متهالكة متخبطة فى متاهات الشك وغياهب الظنون والأوهام عاجزة عن ارتقاء درجات الفهم الصحيح لهذه المعانى الجليلة الا بقدر ما تحقق لها من اطلاع أو ايمان بمضمون الشريعة الاسلامية ، التى أنارت الطريق للسالكين وبددت ظلمات الشك باليقين مقررة انه لا تكامل ولا تفاضل الا لمن أشرق قلبه بنور الايمان ، وتحرر فكره وعقله من نزعات الشيطان « اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ،ورضيت لكم الاسلام دينا » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .. فالايمان فى وحدته التامة شعب كثيرة تغمر الكيان الانسانى كله : اعتقادا وقولا وفعلا ، ويجىء الفقه الاسلامى صورة متكاملة لما تقوم عليه حياة المسلم من ترابط لا انفصام له « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » وفى الحج المبرور تتباور هذه المعانى الخالدة فهو أحد اركان الاسلام الخمسة وهو تمامها الذى يقوم منذ البدء على التزكية والطهر باطنيا وظاهريا ، قولا وعملا ، قال عليه الصلاة والسلام « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » ولهذا جاء احتفال الأمة الاسلامية بعيدها الأكبر تبجيلا لهذه النخبة التى كمل دينها بأداء فريضة الحج « ولكل انسان عيده بمقدار اخلاصه لله ،وخشيته منه ، وخضوعه له ، وعبوديته الصافية أو المشوبة » تحقيقا لمبدأ التفاضل المشار اليه فى قوله تبارك وتعالى « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله عليه الصلاة والسلام « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » وفق الله أمتنا الاسلامية الى الأخذ بأسباب التقوى والفلاح وثبت أقدامها على طريق التضحية والفداء من اجل نصرة الحق والمسلمين •

* * *

المرأة العربية بين عهدين

حول ما كانت عليه المرأة المسلمة فى صدر الاسلام والخلافة الاسلامية الزاهرة من مكانه مرموقة وقدوة حسنة فى جميع مناحى الحياة ، ومآل اليه أمرها من خلود الى الدعة وسعى وراء كل بدعة مستوردة ، يحدثنا الأديب الثورى محمد ابراهيم هندى الطالب بمدرسة شبين القناطر الثانوية

قائلا « ايمانا منى بمبدأ النقد الذاتى من أجل تحقيق حياة أفضل أقول : ان الاسلام الذى حرر المرأة واخرجها من الرق الى الحرية ومنحها العزة والكرامة وأقر لها من الحقوق ما لم تعهده من قبل يستنكر ويشجب هذا التقليد الاعمى الذى تجرى وراءه فتاة العصر من حيث الزى والميل الى اظهار وازكاء الفتنة وكان أحرى بها وأجدر ان تقتدى بالمؤمنات فى صدر الاسلام وما قمن به عن دور جليل فى اعداد النشء اعدادا دينيا ووطنيا فأنبتت رجالا قوضوا أركان كسرى وقيصر ، ولم تكن دولتا الفرس والروم بأقل خطرا على العالم الاسلامى من الامبريالية والصهيونية العالمية ، ولم تكتف النساء من الرعيل الأول بذلك بل شاركن فى ميدان القتال كنسيبه بنت كعب وأم عطية الانصارية ، كما كن يدفعن بأبنائهن اعلاء لكلمة الله كالخنساء وأسماء بنت أبى بكر ، فليت فتاة العصر تثوب الى رشدها وترجع عن غيها وتقوم برسالتها المرجوة •

(وما النصر الا من عند الله)

حول هذا المعنى الكريم تدور أبيات شاعرنا عبد الرحمن داود الطالب بمدرسة بركة السبع الثانوية مصورا حال طفل فلسطينى أدماه التشرد وابكاه ترك الديار فأخذ يسأل أمه عن يوم النصر ، فكان هذا الحوار الانسانى :

يقول الطفل أماه ... أيوم النصر قد جاء
وعادت أرضنا تبسم ... فصدرى منهمو ناء
هم الأعداء يا أمى ... أضاعوا العشب والماء
تجيب الأم لا تحزن ... فيوم النصر يقترب
ويوم النصر اذ يأتى ... يعود لبيتنا درب
وتلفى الأرض ضاحكة ... ويعلو فوقها طرب

تفسير المنبر وخدمة الدعوة

مازالت رسائل القراء تترى ما بين شاكرة ومؤيدة ومطالبة بالمداومة على استمرار مجلة منبر الاسلام فى اصدار تفسير كتاب الله الكريم ، ونشير هنا الى رسالة المقاتل محمود طلبة الشافعى عريف بالوحدة ٥٩٧٨ ج٣٥ للتعقيب •

عليها حيث يقول :

« أود وأرجو كما يرجو الكثير من قراء مجلة منبر الاسلام أن تداوموا على اصدار سلسلة تفسير القرآن الكريم حتى ولو زاد الثمن أكثر من عشرة قروش ، وحتى نتمكن من اكمال هذه الطبعة المبسطة الموضحة لتفسير كتاب الله لامكان فهمها بكل يسر وفقكم الله لخدمة الدين فى ظل ثورتنا الاشتراكية » والمجلة اذ تؤكد لك عزمها على مداومة اصدار التفسير القرآنى الكريم حتى الاكتمال تؤكد لك بنفس القوة عزمها على عدم زيادة ثمن المجلة تطبيقا لرسالتها فى نشر الدعوة الاسلامية وشكرا

الاسم : عبد الفتاح محمود الصحن
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٣٠ سنة
المهنة : مدرس بمدرسة الباب الاخضر المشتركة بمنشية الاسكندرية
الهواية : القراءة والمراسلة وتاليف الزجل
العنوان : الاسكندرية ـ مدرسة الباب الاخضر

الاسم : اسامة حامد العشماوى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : جمع المناظر الطبيعية وتبادل الهدايا
العنوان : الجمهورية العربية المتحدة ـ بلقاس ـ دقهلية

الاسم : احمد بومحديو
البلد : الجمهورية الجزائرية
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : جمع المناظر الطبيعية والمراسلة وتبادل الصور
العنوان : صين واى جنان البروك ١٧٣ ـ الجزائر

الاسم : احمد اسماعيل البدوى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بمدرسة الشهداء الثانوية
الهواية : قراءة الكتب الادبية والمراسلة وجمع الطوابع
العنوان الشهداء ـ سلامون بحرى ـ محافظة المنوفية

الاسم : حسن مصطفى اسماعيل
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب ثانوى بمدرسة بنى مزار الثانوية
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة وتبادل الطوابع
العنوان : محافظة المنيا ـ مغاغة ـ شارع ناعوم منزل سعيد بجوار لوكاندة النيل

الاسم : صباح طه محمد الصواف
البلد : الجمهورية العراقية
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الصور
العنوان : الجمهورية العراقية ـ بغداد منصور /حى دراغ رقم الدار ١٤/٢/٥

اقرأ فى هذا العدد

صفحة

نص الخطاب الذى القاه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر نصرة الشعوب العربية ... ٤

نص الكلمة التى القاها السيد الرئيس فى الجلسة الافتتاحية للمجلس الوطنى الفلسطينى بمقر جامعة الدول العربية ... ٧

حديث مع السيد سفير باكستان بالقاهرة ... ١٢

باب السنة النبوية الشريفة .. التشريع الفقه الايمان الدراسات الصوفية فى الاسلام

من وفاة ابىطالب وخديجة الى الهجرة ... ١٦

المعوذتان . السحر والحسد والجن ودفع قربة اسرائيلية ... الأستاذ أحمد حسين ... ٢٠

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٢٩

هاتف كريم ... الدكتور أحمد الحوفى ... ٣٣

قبسات مشرقات ... فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى ... ٣٦

الاعجاز التشريعى فى القرآن ... المستشار على على منصور ... ٤٠

الحياء خير كله ... فضيلة الشيخ بدر المتولى عبد الباسط ... ٤٤

بنو اسرائيل فى ميزان القرآن ... الأستاذ البهى الخولى ... ٤٦

من الاشباه والنظائر فى القرآن ... الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ... ٥٢

نداء الفطرة ... فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى ... ٥٦

الشريعة الاسلامية والاداب ... المستشار محمد خاطر ... ٦٠

فى رحاب القرآن ... الشيخ محمود الحصرى ... ٦٢

الدين الاسلامى ... سماحة مبشر الطرازى الحسينى ... ٦٥

افشاء الاسرار وكتمانها ... فضيلة الشيخ عبدالوهاب الساكت ... ٦٩

أهداف الاسلام ... الاستاذ محمود أبوالفيض المنوفى ... ٧٢

المجتمع الاسلامى ومشكلات المال ... الدكتور أحمد شلبى ... ٧٦

الثراء الفاجر كما تحكيه قصة قارون ... فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ... ٧٩

تكريم الاسلام للمرأة ... فضيلة الشيخ بسيونى رسلان ... ٨١

واجب المرأة فى الاسلام ... فضيلة الشيخ عبدالله المشد ... ٨٥

الجنة فى شرح عقيدة أهل الجنة ... فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب ... ٨٨

رفاهية الانسان وحقوقه كما يكفلها القرآن الكريم الأستاذ اسماعيل كشميرى ... ٩٠

اصحاب الجنة ... الأستاذ محمود الشريف ... ٩٤

من اخلاق القرآن الكريم ... الدكتور احمد الشرباصى ... ٩٨

فضيلة الصبر ... الأستاذ محمودالسعيد الطنطاوى ... ١٠٢

مناقب الامة الاسلامية ... فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة ... ١٠٥

باب الحج

لماذا شرع الله الحج ... فضيلة الشيخ عبد الغنى الراجحى ... ١٠٩

ذوالحجة وذكرياته الخالدة ... فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم ... ١١٢

فى حج بيت الله ... الاستاذ حسن الشيخة ... ١١٥

الفداء ودعوة السماء ... فضيلة الشيخ محمد سيد جادالحق ... ١١٧

حكمة النحر وشرعة النسك بالحيوان ... الدكتور على صافى حسين ... ١١٩

من شعائر الهدى ... الأستاذ محمد حسن عبدالعزيز ... ١٢١

رحلة العمر ... الأستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى ... ١٢٤

المؤتمر الاسلامى العام يوم الحج الأكبر ... فضيلةالشيخ سليمان حسن عبدالوهاب ... ١٢٦

وعلت كلمة التوحيد ... الأستاذ عبد الحكيم النجار ... ١٣٠

التاريخ الاسلامى

ماذا تعرف عن العالم الاسلامى ... الدكتورة عنايات الطحاوى ... ١٣٤

قضية فلسطين من بدايتها الى ذروتها ... الاستاذ عثمان عبد السميع العدل ... ١٤٠

مكانة فلسطين فى العالم الاسلامى ... الأستاذ محيى الدين الالوائى ... ١٤٣

فكر وفن

مصر والفتح العربى ... الأستاذ عبد المنعم حمادة ... ١٤٦

تحديات فى وجه الادب العربى ... الأستاذ أنور الجندى ... ١٥٠

وحدة التشريع والقضاء فى البلاد العربية ... الأستاذ محمود كمال ... ١٥٣

صفحة

رجال صنعوا التاريخ … الاستاذ محمود الهجرسى … ١٥٦
اسلوبنا الثورى المفتوح … الأستاذ عبد المنعم الأدفوى … ١٥٩
عبد الناصر صانع السلام … الأستاذ كامل عبد المجيد … ١٦١
فدائيون لا مخربون … الأستاذ محمد ا راهيم الخطيب … ١٦٣
من بدر الى الخندق … الأستاذ أحمد وافى … ١٦٥
الدين والسلوك الاجتماعى … الأستاذ محمد كمال الدين … ١٦٩
من هدى الرسول عليه السلام … الأستاذ الرفاعى البر … ١٧١
الكلمة الطيبة … الأستاذ عبد العال شعيب … ١٧٣
أصول عمرية فى حكم الولاة … الأستاذ صلاح عزام … ١٧٥
من التراث الفنى الاسلامى … الدكتور حسن الباشا … ١٧٧
فارس بنى شيبان (قصة العدد) … الأستاذ حسين الطوخى … ١٨٢
الله اكبر • الله اكبر … الشاعر عبد الله شمس الدين … ١٨٨
اقبل ذرات الرمال … الشاعر محمود حبر … ١٨٩
أنا الانسان … الشاعر أحمد عثمان المراغى … ١٩١
يا رب حبك شاغلى … الشاعرة روحية القلينى … ١٩٣
الى الحرية فى عيدنا الأكبر … الشاعر محمد حليم حامد عالى … ١٩
الى بيت الله الحرام … لشاعر أحمد آل المجد عيسى … ١٩٦
كتاب عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى المستشار عبد الستار ادم … ١٩٧
التصوف الاسلامى … الأستاذ طه سيف النصر … ١٩٩
على طريق النصر … الشيخ محمد وهيب … ٢٠١
تأصيل القيم الروحية … الأستاذ حسن فتح الباب … ٢٠٤
قطوف … الأستاذ على الجندى … ٢٠٥
دين ودنيا … الأستاذ محمد المتولى النظامى … ٢٠٩
بدع مستوردة ينكرها الاسلام … الاستاذ عبد المعطى المنشاوى … ٢١٢
المال بين النعمة والنقمة … الأستاذ منصور نسيم … ٢١٤
دراسات فى شعر المهجر … الدكتور عبد الحكيم بلبع … ٢١٦

باب العلم

وحدة الحياة … الدكتور عبد الحليم كامل … ٢٢٠
دلائل الحق فى عظمة الوجود … الدكتور عزت خيرى … ٢٢٦

اعلام الاسلام

رويفع بن ثابت الانصارى … اللوا الركن محمود شيت خطاب … ٢٣
ابن تيمية … الأستاذ عبد الودود محمد … ٢٣٢
الامام الغزالى … الاستاذ محمد بدر الدين سالم … ٢٣٥
سيدى ابو الحسن الشاذلى … الاستاذ عبد العليم المهدى … ٢٣٧
شمس الدين بن الكيزانى … الأستاذ عبده بدوى … ٢٤
الامام محمد عبده … لأستاذ عبد السميع البطل … ٢٤٢
الشيخ طنطاوى جوهرى … الأستاذ على الجمبلاطى … ٢٤٤
عبد الله النديم … الأستاذ حسين السكرى … ٢٤٧
نوادر المخطوطات … الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى … ٢٥٠

المكتبة الاسلامية

من قضايا الرأى فى الاسلام … عرض وتلخيص محمد الدسوقى … ٢٥٢
من ذخائر السيد عبد الرحيم القنائى الأستاذ عبدالسلام الشاذلى القوصى … ٢٥٤
عروبة بيت المقدس … عرض تلخيص محمد بهى الدين سالم … ٢٥٧
جولة الثقافة الاسلامية … للاستاذ محمد عبد المنعم … ٢٥٩

الافتاء ـ المرأة المسلمة
الرياضة ـ القراء ـ التعارف

انت تسال والمفتى يجيب … الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون … ٢٦٢
المراة المسلمة فى ألف عام … اعداد نجاة الزهرى … ٢٦٥
شباب لن نفقده الى الأبد … الأستاذ ناصف سليم … ٢٦٧
مع القراء … اعداد فؤاد حبيبة … ٢٦٩
بريد التعارف … ٢٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

لجنة القرآن المرتل

نزولا على رغبة المواطنين واستجابة لآلاف الطلبات والخطابات التى وردت للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية من السفارات والهيئات المختلفة والجمعيات الإسلامية فى قارتى افريقيا وآسيا وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية

يسر لجنة القرآن المرتل أن تعلن عن :
بيع

اسطوانات القرآن المرتل

رواية حفص عن عاصم

٤٤ اسطوانة

سرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

بترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
بالغلاف الفاخر	٧٩٦	٢٣
بالغلاف العادى	٣٢٢	١٩

رواية ورش عن نافع

٦٨ اسطوانة

سرعة ٣٣ ⅓ لفة فى الدقيقة

بترتيل الشيخ محمود خليل الحصرى

	مليم	جنيه
الثمن :	١٥٠	٣٥

كما يسر اللجنة أيضا أن تعلن عن بيع مجموعة اسطوانات تعليم الصلاة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأوردية والسواحلية

المجموعة تحتوى على ٧ سبع اسطوانات

الاسطوانة الأولى
شاملة للأذان
الاسطوانة الثانية
تشمل كيفية الوضوء
والخمس الاسطوانات الأخرى
على كل اسطوانة صلاة من الصلوات الخمس
أمام كل اسطوانة
كتيب يشرح كل فريضة بالكلمة والصورة
الثمن ٥٠ خمسون قرشا

مواعيد البيع
من الساعة ٩ صباحا إلى الساعة ٢ مساء
ومن الساعة ٥ مساء إلى الساعة ٩ مساء
ماعدا أيام الجمع والعطلات الرسمية

العنوان
القاهرة : مخازن القرآن المرتل ٧٦ شارع الجمهورية ت ٩١١٧٠٨
الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٤٢ ش سعد زغلول ت ٢٨٦٦٢

(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)